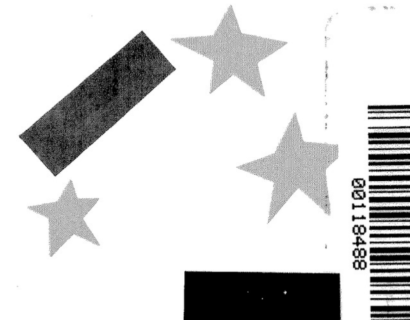


مكتبة مدبولي
القاهرة





قصة ثورة ٢٣ يوليو

مصر والعسكريون

الجزء الأول

أحمد حمروش

مكتبة مدبولي ـ القاهرة

الطبعة الثالثة

١٩٨٣

الاهــــداء

الى ولــدى عــلاء وهــانى
وجيــــل مصر الجـــــديد

مقـــــدمة

كانت وفاة جمـال عبد الناصر المفاجئة صدمة هزت مشـاعر الامة العربية ، فقد رحل الرجل الذى عاش زعيما تلهب كلماته ومواقفه حماس الملايين ، وانقضت بموته مرحلة هامة من مراحل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

غاب القائد الذى يملك كل الاسرار والمعلومات ٠٠٠ قبـــل ان تكتب قصة الثورة التى دبرها وقادها ٠

وشعرت بمسئولية كبـــيرة ، تدفعنى الى ضرورة البحث والدراســة لمحاولة تقديم ثورة يوليو ، التى شـــاركت فيها بقدر متواضع مع غيرى من الزملاء العسكريين ضباط الجيش المصرى ٠

لم تكن البداية ســهلة ٠٠٠ فان شيئا رسميا لم يســجل عن تاريخ الحركة ٠٠٠ وكل مـــا نشر لا يعدو احاديث صحفية ٠٠٠ والمعلومات عندى شخصية ٠٠٠ وبعض الذين اسهموا فى الحركة تقـــدم بهم العمــــر ٠٠٠ والذكريات كادت تضيع ٠

المســئولية جسيمة ٠٠٠ واكتشاف الحقيقة كاملة ضرورة لا شــك فيها ٠٠٠ ولم تأخذنى الحيرة طويلا ٠

بدأت بعقد اجتمـاعات واحاديث شـخصية مع الذين قاموا بالحركة من

العسكريين ··· اعضاء مجلس قيادة الثورة ، والضباط الاحرار ، والذين وصلوا الى مركز المسئولية ·

ولم تقتصر الاجتماعات والاحاديث على العسكريين فقط ··· فقد قابلت بعض السياسيين القدامى الذين أضيروا من الثورة ، وبعض الذين شاركوا فى السلطة ·

عدد الذين قابلتهم تجاوز المائة ··· وفى نهاية الكتاب سجل بأسمائهم ·

الدور الرئيسى للعسكريين ··· ولكنه دور لا يبدأ يوم ٢٣ يوليو ··· وانما يمتد قبل ذلك شهورا وسنين ·

ليس هناك تاريخ محدد يمكن القول بأنه نقطة البداية ··· فان نضال العسكريين المصريين مترابط الحلقات ··· يعود إلى بداية القرن التاسع عشر عندما جند الفلاح المصرى لاول مرة بعد تاريخ طويل ، ليقوده ضباط من الاتراك والشراكسة ·

الباب الاول ··· يقدم فى ايجاز دور العسكريين المصريين ، ونضالهم ضد سيطرة الاجانب · وثورة احمد عرابى ، وموقف الجيش المصرى فى عهد الاحتلال البريطانى ···

وجدت ذلك ضرورة حيوية حتى لا تكون ثورة يوليو مقطوعة الصلة بالماضى ، فتيار النضال متدفق لا ينقطع ، والعسكريون فى مصر لهم تاريخ قبل ان يصلوا الى قمة السلطة ، ويحكموا مصر بثياب عسكرية او مدنية ·

(مصر ··· والعسكريون) اسم هذا الكتاب الذى يصدر فى اربعة اجزاء تنتهى بوفاة جمال عبد الناصر القائد الذى خرج من صفوف الجيش ليقود الشعب ويحكم مصر ·

الجزء الأول ··· بين يديك ··· يقدم ــ بعد العودة لدور العسكريين فى تاريخ مصر الحديث ــ قصة ثورة يوليو منذ بدأت فكرة فى ضمير بعض الضباط الوطنيين من مختلف الاتجاهات والمدارس الفكرية ، حتى انتهت الى تدبير وتنظيم وحركة ·

الوصول الى القمة كان دورا بسيطا من ادوار الثورة ، التى بدأت من اليوم الاول تواجه مصر : الشعب والقضايا الوطنية والاجتماعية ···وتواجه ايضا الاحتلال البريطانى والضغوط الامبريالية ·

الجزء الاول يمضى خلال مرحلة هامة من مراحل الثورة ، خاضت فيها صراعات مختلفة ، انتهت الى عزل محمد نجيب ، وتولى مجلس قيادة

الثورة المسئولية وحده بعد تعيين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء •
فصل من فصول الثورة ، تعقبه فصـــــول اخرى فى الاجزاء التالية •

وقبل ان اترك الكتاب لك ••• أحب أن أقول ان فى عنقى دينـــــا من الشكر لكل هؤلاء المعـــارف والزملاء والاصدقاءالذين تفضلوا فمنحونى بعض وقتهم وقدموا لى فى ســــخاء ما عندهم من معلـــومات وذكريات ••• كانت السند الرئيسى فى ظهور هذا الكتاب •

وفى صدق أقول : لا اعتقـــد انى قـــد احطت بكل شىء ••• ولكنى حاولت ••• فلم اكتب الكلمة الاولى فى الكتـــاب الا بعد عام ونصـــف من البحث والتدقيق والسؤال •

واخيرا ••• كلمة وفاء ••• للرجـــل الذى قاد ثورة يوليو ••• لجمال عبد الناصر •

أحمد حمروش

قصة ثورة ٢٣ يوليو

الجزء الأول

الباب الأول

العسكريون فى تاريخ مصر الحديث

الفصل الاول **محمد على واليا ... وابو خليل قائدا للجنود**

(محمد على هو الشخص الوحيـــد الذى كان
فى قدرته تحويل تركيـــا من العمامة الفاخرة
الى رأس حى حقيقى)

كارل ماركس

(السلطة التى اتمتع بها الآن لم أقم باغتصابها

الفصل الثانى **الاميرالاى احمد عرابى .. ثـائرا وقائدا**

احمد عرابى

الفصل الثالث **الجيش المصرى تحت الاحتلال البريطانى**

(من الحكمة الا نمكنَ العدو مـــن رقابتنــــا
وأنا لا أود أن يدخـــــل ضباط الجيش فى
حركتنا السياسية)

مصطفى كامل

الفصل الاول

محمد على واليا ... وأبو خليل قائدا للجنود

(محمد على هو الشخص الوحيد الذى كان فى قدرته تحويل تركيا من العمامة الفاخرة الى رأس حى حقيقى)

كارل ماركس

الحديث عن العسكريين فى مصر ليس حديثا عن طبقة ... فالجيش المصرى يتكون من مختلف طبقات الشعب ... عمالا وفلاحين ، وبورجوازية صغيرة وكبيرة ... والى عهد قريب كان يضم الاقطاعيين ايضا ..

والحديث عن العسكريين فى مصر ايضا ، ينفرد بخاصية غريبة ... لانه منذ اللحظة الاولى التى لبس فيها الفلاح المصرى ملابس الجندية فى عهد محمد على ، وانتظم فى صفوف الجيش ، نبت تناقض طبقى أخذ ينمو بين الجنود وصغار الضباط ابناء الفلاحين المصريين ، وبين الاتراك والشراكسة الذين تولوا مناصب القيادة العليا فى الجيش ، حتى وصل الصراع ذروته مع الثورة العرابية .

ولم يخمد الصراع مع هزيمة الثورة العرابية واحتلال البريطانيين لمصر ... ولكنه اخذ طابعا وطنيا بين المصريين فى صفوف الجيش ، وبين قوات الاحتلال البريطانى .

حركة الصراع ، ونمــو التناقضات ، وتغير صـــورة النضال داخل الجيش المصرى لم تهدأ او تتوقف منذ مطلع القرن التاســـع عشر ··· وهى تشكل صورة فريدة من صور نضال الشعب المصرى ·

والمثير ان الجيش المصرى الحـــديث لا تمتـــد جـــذوره الى الماضى السحيق ، ولا يرتبط بصورة متصلة متجددة مـــع الجيش المصرى فى عهد الفراعنة ··· هناك ثغرة زمنية طويلة فى تاريخ الجيش المصرى ، وفاصـــل عازل امتد مئات السنين بين آخر معاركه وبين العودة الى تجنيد المصريين ·

خلال مئات السنين من حكم المماليك والعثمـــانيين لم يكن للمصريين دور فى الخدمة العسكرية ، كان حكام مصر يخشون ان يحمل الفلاحون السلاح وتنتظمهم صفوف الجيش ·

الرفض المطلق لتجنيـــد المصريين يعطى مؤشرا هاما لتخوف الحكـــام غير المصريين من بعث الروح العســكريه فى الشعب ، او السماح لابنائه بحمل السلاح ·

واصبحت هذه هى القاعدة ·

ورث حكام مصر الاتراك الذين غزوا مصر ١٥١٧ من الســـــــلاطين المماليك عادة تكوين حرس خاص لهم مـــن المـــاليك الذين كانوا ارقـــاء مستوردين فى الغالب من الدول المحيطة بالبحر الاسود اجبروا على اعتناق الاسلام ودربوا خصيصا للخدمة العســـكرية ، وكان الحكام الاتراك يعينونهم فى مراكز الدولة الهامة ويهبونهم ارضا واسعة ··· ثلثا الارض المصرية كانت فى حوزة المماليك فى نهاية القرن الثـــامن عشر مما جعلهم فئة ســـائدة بين الاقطاع فى مصر ·

وعندما اضمحلت الامبراطورية العثمـــــانية فى القرن الثامن عشر ··· تدهور الاقتصاد وسرى الفســـــــاد فى اجهزة الدولة ، وانحطت الثقافة ، وخرجت الاقاليم عن طاعة الحكومة المركزية وفقد الجيش قدرته القتـــالية ، وانتهز على بك الكبير فرصـــة اندلاع الحرب بين تركيـــاوروسيا واعلـن استقلاله عام ١٧٦٩ ، وصار اسمه يذكر فى خطب الجوامـــــع مقرونا بلقب « سلطان مصر وخاقان البحرين » ·

وفى مواجهة ذلك كان الفلاح المصرى يتعرض لعذاب شـــديد من الضغط والسخرة ونهب المحاصيل ·· وكانت الهجرة من القرى ظاهرة منتشرة فى ارجاء الامبراطورية العثمانية ، وفى مصر خاصة ··· وتكررت المجاعات ، واصـــدر الاتراك تشريعات باسم (قانون نامة مصر) تجبر الملتزمين والمشـــايخ عـلى

عدم ابقاء قطعة ارض واحـــدة من الارض غير مزروعـــة ، وان يحولوا دون هرب الفلاحين ، وان يسعوا لاسكانهم فى القـــرى الخربة والخـاوية ، وفى حالة فرار الفلاح من ارضه يتحمل الشيخ التزاماته المادية ٠

من اجل هذه الحالة كان الفلاح يقف بعيدا عن الجيش ، لا يجنـــده الحكام الاتراك او المماليك ، لما يمكن ان يحمله للجيش من روح النقمـــة والثورية ٠

وعندما غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨ كان يدرك هذه الحقيقة ، فشـــاء ان يتخذ منها ســـتارا يخفى اغراضه الاســتعمارية ، وقال فى بيانه عـن المماليك (فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يســـتوجبوا ان يتملكوا مصر وحدهم ، ويختصوا بكل شىء احسن ما فيها من الجوارى الحســـان والخيل العتاق والمساكن المفرحة) ٠

كان المماليك يعتبرون جيشهم المدرب المحترف « جيشـــا لا يقهر » ٠ ولكنه كجيش اقطاعى هزم فى اول معركة امام جيش نابليون الذى عركتـــه حروب الثورة الفرنسية ٠ وكانت لنابليون فى ذلك نظرية عبر عنهـــا بقوله (لا شك ان مملوكين يتفوقان على ثلاثة من الفرنســـيين ، وان ١٠٠ مملوك يعادلون ١٠٠ فرنسى ، ٣٠٠ فرنسى يتفوقون عادة على ٣٠٠ مملوك ٠ امـــا ١٠٠٠ فرنسى فيهزمون دائما ١٥٠٠ مملوك) (١) ٠

المقصود من ذلك هو ان التطور الحديث للجيوش يســـتطيع الانتصـار على المهارة والقدرة الفردية ٠٠ وفى ذلك كتب فردريك انجلز فى كتابه (ضـد دوهرنج) موضحا (كل ما يحتاج اليه نابليون هو قدر محدود من الخيـــالة ليظهر قوة ومفعول الضبط الذى تنطوى عليه الصفوف المتراصة والعمليـــات المخططة ، لكى تتحول قوة الضبط هذه الى تفوق حتى على حشـــود أكبر من الفرسان غير النظاميين الذين يملكون خيولا أجود أو يتصفون ببراعة اكبر فى الفروسية وفى المبارزة والذين لا يقلون عن غيرهم بسالة) ٠

ولم تكن المعركة بين نابليون والمماليك فقط ، وانما دخلهـــا الشعب المصرى رغم انـــه لم ينتظم فى صفوف الجيش ٠٠ ولكنه اتخذ موقف المقاومة ضد القوات الاجنبية الغازية ، وجمعت التبرعات لشراء الســـلاح ، واسـهم سكان القاهرة اسهاما فعالا فى الدفاع عنها ، وغـرق الالوف منهم فى النيل اثناء التراجع ــ بعد معركة امبابة الغربية ــ من الاهرام على الضفة الغربيـة للنيل ، والتى انتصر فيها نابليون بعد ان ســقط فى المعركة ٣٠٠٠ مملوك من

---

(١) تاريخ الاقطار العربية الحديث ٠٠ لوتسكى ٠

مجموع ٦٠٠٠ وفر الباقـــون : البعض منهم الى الوجه القبلى مع مراد بك والبعض الى سوزيا مع ابراهيم بك .

الشعب المصرى لم يتردد فى دخول المعركة دفاعا عن ارضه رغم عـزل المماليك له عن الجيش ، واستمر فى نضاله العســكرى الذى كان يشـــبه (حرب العصابات) التى اشتعلت نتيجة اسلوب الادارة الفرنســية فى فرض اتاوات نقدية وعينية تجاوزت فى بعض الاحيان ما كان يحصل عليه المماليك ، كما صادرت الاغــــذية والعلف .. وكانت هذه هى اول مجابهة لغزاة غير مسلمين بعد الحرب الصليبية .

اشتعلت (حرب العصابات أو الأنصار) وخاصـــة فى الدلتا بعد دخول الاتراك للحرب ، فهجـم الفلاحون المصريون على الســـعاة العســكريين والدوريات ، واربكوا خطوط الاتصال الفرنسـية ، وقتلوا الضباط والموظفين وجباة الضرائب الفرنسيين ، فأرسل نابليون حملات تنكيل للدلتا ، وحـرق ضـباطه القـرى المتمردة ، غـير ان ذلك لم يخمد اللهب الذى امتد الى القاهرة ، حتى اصبحت تشبه باريس خلال الايام الاولى للثورة الفرنســية على حد تعبير القنصل الفرنسى فى ذلك الحين (٢) .

وتحولت القاهرة الى مدينة ثائرة ، انسحبت منهـا القوات الفرنسـية ، وهرب نابليون نفسه الى جزيرة من جزر النيل ، واحتشـــد ١٥ الف ثائر فى الجامع الازهر وأقامـوا المتاريس والحواجز حـول الطرق المؤدية له ، وسارع الى القاهرة ٥ آلاف فلاح من القـرى المجاورة ، وبضعة آلاف مـن بدو الصحراء الغربية (٣) ..

وارسل نابليون كتيبة ضد الفلاحين واخـرى ضد البدو ، وحشـد قوته الاساسية بالقرب من القاهرة ، حيث وجه نيران مدافعـه الى المعتصمين فى الجامع وما حوله ، فقتل الآلاف منهم ومن نجا قتلته حــراب الجنود الفرنسيين ، ولم يتخذوا أحدا اسيرا .
ورغم طلب الثوار وقف القتال الا ان نابليون لم يتوقـف ، ونفـذت خطته ببشاعة ، وفى ذلك كتب نابليون للجنرال مينو حاكم رشـيد يقول له (لا يمكن اخضاع هؤلاء القوم الا بالقسوة) .

ولم تكن هذه هى الانتفاضة الوحيدة لسكان القاهرة .. ثـــارت القاهرة مرة اخــرى ضد كليبر فى مارس ١٨٠٠ بعد عودة نابليون سرا الى فرنسا ، وابادوا حامية فرنسية صغيرة كانت فى المدينة ، وقاوموا حصـارا

---

(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .

امتد شهرا حتى ١٥ ابريل عندما دكت القوات الفرنسية بولاق وحولتها الى رماد ، وقتلوا بالحراب عدة آلاف من الثوار ٠

وتعرضت القاهرة لمذبحة ثالثة بعد اغتيال كليبر بيد سليمان الحلبى فى ١٤ يونيو عام ١٨٠٠ ، واجتاحت الجنود الفرنسية شوارع القاهرة تقتل وتحرق بلا حساب ٠

كان المصريون يدافعون عن وطنهم خلال سنوات الاحتلال الفرنسى الثلاث وهم يحملون السلاح بطريقة تلقائية ٠٠ وقد استفادوا من ذلك خبرة كبيرة ، انعكست على الحركات الوطنية فى المستقبل ، وساعدهم فى ذلك ان الاسلحة كانت فى بداية تطورها تضم السيف والخنجر والسهم الى جانب البندقية البدائية ٠٠

وأثبت المصرى بعد مئات السنين من حكم المماليك والعثمانيين انه لم يفقد صفته كجندى محارب يتحمل قسوة المعارك فى صبر وشجاعة ٠٠ وفى ذلك يكمن سر ابعاده عن التجنيد وعزله عن صفوف الجيش وتعامل الحكام الاجانب معه فى حذر ٠

وبعد مغادرة الفرنسيين مصر ، عقب توقيع معاهدة الصلح مع تركيا فى ٩ أكتوبر ١٨٠١ تركوا دراسة شاملة لمصر فى ٢٠ مجلد من كتاب « وصف مصر » تضم بحوثا لامعة فى مختلف المجالات ، حلت بعض القضايا الحربية العملية مثل صنع البارود من الموارد الطبيعية المتاحة فى مصر ، ووضع الخرائط الحربية ودراسة الطبوغرافيا ، وعلاج الامراض التى تتفشى بين الجنود ٠٠٠ وذلك الى جانب دراسات وابحاث اخرى فى مختلف نواحى الحياة ٠

وكانت هذه الدراسات موضع تقدير ومتابعة فى المستقبل ٠٠ كما كانت المقاومة الشعبية للحملة الفرنسية بداية الاهتمام بدخول المصريين الى ساحة العسكرية المنظمة ٠٠ أى الانضمام للجيوش ٠

خرج الفرنسيون من مصر ، وخلفوا بها ايضا قوات احتلال ثلاثية شاركت فى هزيمتهم (٤٠ الف تركى ، ٢٠ الف انجليزى ، ٤ آلاف مملوك)، واعقب خروجهم ظهور تناقضات بين الاتراك الذين استقر رأى سلطانهم سليم الثالث على التخلص بصورة حاسمة من المماليك ، بينما ساندت انجلترا المماليك وعملت على اعادة ممتلكاتهم ومناصبهم فى الدولة ، وهددت الباشا التركى بقصف القاهرة اذا لم يطلق سراح المماليك الذين كان قد أسرهم فى حملة لابادتهم ، فاضطر الى اطلاق سراح ٢٥٠٠ مملوك استقبلتهم القيادة البريطانية بمراسم احتفال عسكرية ٠

ولم يستقر الانجليز طويلا فى مصر ، خرجت آخر قـواتهم فى مارس ١٨٠٣ تطبيقا لشروط معاهدة صلح اميان التى وقعت بين انجلترا وفرنسـا فى ٢٧ مارس ١٨٠٢ ، واستصحبوا معهم قائد المماليك الموالى لهم محمد الالفى .. واستمرت الحرب بين الاتراك والمماليك ، حتى وصل الى مصر (محمد على) ضابطا فى القوة الالبانية التابعة للجيش التركى ، ثم سرعان ما عين قائدا لها .

عقد محمد على حلفا مع المماليك لضرب الباشوات الاتراك ، ولما بدا للمصريين ان المماليك على وشك استعادة سلطتهم وممتلكاتهم ومعاودة النهب من جديد ، قرروا الامتناع عن دفع الضرائب وقتل الجباة ، وترأس الانتفاضه شيوخ الازهر ، ودارت المعارك فى شوارع القاهرة ، وحوصر قصر عثمان البرديسى قائد المماليك فى ١٢ مارس ١٨٠٤ ففر من القاهرة .

ولم يتردد محمد على .. انحاز للثوار بعد ما ادرك قـوة الحركة الشعبية ، وسارع الى الازهر معلنا نفسه حاميا لحقوق الشعب المصرى ، ووجه كتائبه الالبانية لمحاربة المماليك والاقطاعيين فى الوجـه القبلى تحت قيادته خلال عامى ١٨٠٤ ، ١٨٠٥ واختاره مجمع الشيوخ قائمقاما (أى نائبا لباشا مصر التركى) .. واختير خورشيد الحاكم التركى للأسكندرية باشا لمصر .. وهنا انتهى دور السيد عمر مكرم الرجل المثالى الذى سلم الحكم لمحمد على ثم انزوى فى بيته لمثاليته .

وتابع الاتراك اسلوبهم فى سلب جهد المصريين .. فقرر خورشيد جباية الضرائب مقدما لمدة سنة كامله ... ولكن الشعب المصرى الذى حارب الفرنسيين وطرد المماليك لم يقبل الخضوع للانكشارية حرس الباشا التركى .. واندلعت انتفاضة جديدة فى مايو ١٨٠٥ عمت القاهرة كلها ، ونادى مجمع الشيوخ بمحمد على حاكما على مصر ... واضطر السلطان سليم الثالث الذى تهتكت امبراطوريته بالانتفاضات التحررية الى الاعتراف بمحمد على واليا على مصر فى نفس العام ١٨٠٥ لانشغاله بانتفاضة وطنية تحررية فى صربيا ، وعدم استقرار الاوضاع فى بلغاريا واليونان .

وفى ذلك الوقت كانت الحرب قد استؤنفت بين انجلترا وفرنسا ، وامتدت الى الشرق .. واستطاع محمد على بمهارته ان يهزم محمد الالفى (صنيعة الانجليز) ثم تخلص من عثمان البرديسى (الموالى للفرنسيين).

وحاول الاسطول البريطانى ان يغزو استانبول لوقوف تركيا مع فرنسا ، ولكنه اتجه الى الاسكندرية وانزل فيها ٥ آلاف محارب فى ١٧ مارس ١٨٠٧ تحت قيادة (فريزر) .

وهنا اتجه محمد على لمقاومة القوة الغازية .

لم يعتمد على الانكشـــارية .. كانوا قـــد انتهوا .. ولم يعتمد على المماليك ... كانوا قد هزموا وتشتتوا ... ولم يعتمد على الالبانيين وحدهم فقد كانوا قلة لا تستطيع المواجهة .

ولكن محمد على اعتمد على المصريين للمـــرة الاولى كقـــوة شعبية مســلحة .

خاض المصريون الحرب وسحقوا ـ فى نهاية مارس ١٨٠٧ ـ وحدة عسكرية انجليزية عددها ٢٠٠٠ فى شوارع رشيد ، ثم سحقوا وحدة أخـــرى أكبر منها وجهها القائد البريطانى لنجدة قواته ..

اسهم فى معركة رشيد الفلاحون والبدو الى جانب العســاكر الاجانب المحترفين ... وانسحب الانجليز الى الاسكندرية ، ومن خلفهم محمـــد على .. واضطر القائد البريطانى الى طلب الصلح والانســحاب بعد حملة لم تتجاوز مدتها ستة شهور .

دخل محمد على الاسكندرية ... وارتفعت شـعبيته الى القمـــة .. واعتبره المصريون بطلا وطنيا ..

وقد تابع محمد على خطوات نابليون ، الذى كان جيشــــه أو جيش فرنسا الثورة ، هو بداية العســكرية العصرية الاوروبية .. وكـان بـــداية الانتقال من فرق الملوك والامراء والباشوات ، أى الجيوش الاقطاعيـــة ، الى الجيوش القومية النظامية (البرجوازية) .

كان محمد على قد اضطرته ظروف محاربة الانجليز الى مهــــادنة المماليك الذين اعتبروه واليا عليهم ؛ ولكنهم احتفظوا بالســـلطة فى الوجه القبلى وجعلوا منه وكرا لمؤامراتهم وتمرداتهم ..

وبعد ان سحق محمد على الانجليز صادر عام ١٨٠٨ امـــلاك الملتزمين الذين امتنعوا عن دفع الضرائب ، وفى عام ١٨٠٩ حرمهم من نصف الفائض ، وفى عام ١٨١٢ وضع يده على جميع الاراضى التى كانت فى حوزة المماليك ، وفى عام ١٨١٤ الغى نظام الالتزامات نهائيا . واصبح الفلاح يدفع الضرائب لاول مرة الى الدولة مباشرة ، كما قضى على تبعية الفلاحين الشـــخصية للملتزمين .

خلال هذه الفترة قام المماليك بانتفاضتين ضـــد محمد على عـــامى ١٨٠٩ ، ١٨١٠ بعد تقلص نفوذهم واخذ اقطاعياتهم ، الامر الذى دفـــع محمد على الى ارتكـــاب مذبحة المماليك الذين حاصرهم فى القلعة يوم اول مارس ١٨١١ خلال عرض عسكرى اشترك فيه ٥٠٠ مملوك بمناسبة ارسال

قواته الى الجزيرة العربية لمحاولة القضاء على الدولة الوهابية بناء على اوامر الباب العالي ٠

المماليك الذين نجوا من المذبحة هربوا الى دنقلة واقاموا حكما خاصا بها حتى تم غزوهم عام ١٨٢٠ ٠

بعد ماعزز محمد على سلطنته في مصر ، قرر ان يتخطى حدودها ساعيا وراء آماله وطموحه اللذين وصفهما فيما بعد الجنرال بوابيه في كتابه الى كيرمون ـ تونير وزير الحربية الفرنسي في اول ديسمبر ١٨٢٤ بقوله (ان محمد على يشكل في الامبراطورية التركية حدثا غريبا لا يخلو من العبقرية فله تفكير واسع صحيح وآراء جريئة في الاصلاح والتنظيم ، وهو يعلم ان عقبات عصيبة تقوم في سبيل مشاريعه ، ولكنه كبير الامل في تخطيها جميعا) (٤) ٠

ولذا فانه عندما اقترح السلطان محمود الثاني عليه تجريد حملة ضد الوهابيين في الجزيرة العربية سرعان ما استجاب لذلك ، وارسل ابنه طوسون ـ ١٦ سنة ـ على رأس حملة في سبتمبر ١٨١١ ، وارسل معه مستشارا سياسيا مصريا هو التاجر القاهرى محمد المحروقى ٠٠٠ وكانت الحملة موضع اهتمام التجار المصريين الذين تكبدوا خسائر فادحة من توقف الحج وما يتصل به من تعامل تجارى فقدموا الاموال بسخاء لتجهيز الحملة ٠

كان هدف محمد على المباشر هو السيطرة على التجارة معتبرا الجزيرة العربية مفتاحا لسوريا والعراق ، ناظرا الى الوهابيين نظرته الى خصوم يصارعونه من اجل الاستحواذ على الاقاليم العربية التابعة للامبراطورية العثمانية ٠٠٠ وكان محمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية يحلم بتحرير عرب سوريا والعراق من النير التركى ، ولم يعترف بخلافة السلطان التركى ، وكان يعتبر كافة العرب اخوة ويدعوهم الى الوحدة (٥) ٠

تعرضت الحملة التى استولت على مكة والطائف وجدة الى مصاعب ومقاومة شديدة وقتل حوالى ٥ آلاف جندى من حوالى ١٠ آلاف جندى شكلت منهم الحملة ، مما اضطر محمد على الى ان يقود الجيش المصرى شخصيا فذهب الى جدة مع امدادات جديدة في سبتمبر ١٨١٣ حيث انزل بالوهابيين هزائم ساحقة اباد فيها جيشا مكونا من ٣٠٫٠٠٠ شخص ٠

وعاد محمد على الى مصر في مايو ١٩١٥ لتواصل الحملة الوهابية

---

(٤) السياسة الدولية في الشرق العربى ـ الجزء الثانى ـ اميل خورى وعادل اسماعيل ٠

(٥) تاريخ الاقطار العربية الحديث ـ لوتسكى ٠

مسيرتها بقيادة طوسون ثم ابراهيم ، حتى ادخل القسم الاكبر من الجزيرة العربية ضمن الامبراطورية العثمانية ، وتحولت الحجاز الى آقليم مصرى يعين محمد على حكامه ؛ .

وقد كانت الحملة الوهابية أولى حملات محمد على خارج مصر نقطـــة تحول استراتيجية فى تفكيره ... اذ قـــرر خلالها عدة قرارات هامة :

اولا — القيام باصـــلاحات عســـكرية حديثـــة ، فالغى نظم الجيش القديمة واستعاض عنها بأنظمة اوروبية تتناسق مـــع تطور التسليح الذى تمخضت عنه الثورة الصناعية الاوروبية .. فبـــدأت تختفى الاســـلحة التقليدية مثل الســـيوف والدروع ... وارتبطت العســـكرية الحديثة بالصناعة الحديثة .

ثانيا — قرر — من أجل الوصول الى أفضل المستويات — الاســـتعانة بخبراء ومدربين عسكريين من النمسا وايطاليا وروســـيا وفرنسا بصـــفة خاصـــة .

ثالثا — اتخذ قرارا ثوريا بتجنيد الفـــلاحين المصريين فى الجيش النظامى لاول مرة فى تاريخ مصر الحديث ، مقتنعا بكفاءة وصبر المقاتل المصرى التى لمسها فى معركة رشيد ضد حملة فريزر وفى الانتفاضات الشـــعبية المتعددة .. ومقتنعا ايضا بأن فى ذلك تأمينا حقيقيا لحكمة المســـتقل عـن الباب العالى ... ومقتنعا اخيرا بأن ذلك ســـوف يخلصه من اخطار المماليك ايضا ... وقد اتخذ محمد على هذا القرار ضاربا عرض الحائط بنصـــيحة بعض الذين احاطوا به وصوروا له ان فى ذلك مخاطرة شديدة .

وجد محمـــد على ان طموحه لبناء مصر الحديثة لابد ان يعتمـد عـلى عسكرية حديثة .. وهذه لابد أن تعتمد على أمرين :

١ — تجنيد ابناء مصر بعد الاستغناء تدريجيا عن الجنود والفرســـان الاتراك والارناؤوط والمماليك ، وهم المرتزقة الذين لم يتعودوا تماما عـــلى انضباط الجيوش النظامية الحديثة .

٢ — بناء صناعة حديثة .

تمصـــير الجيش

وبدأ محمد على تنفيذ خطته فاقام معســـكرا تدريبيا فى اسوان ، جند فيه الآلاف من المصريين والسودانيين تحـــت اشراف مدربين فرنســـيين وايطاليين كان أبرزهم الضابط الفرنسى « جوزيف انتلم ســـيف » الـذى

حضر مصر عام ١٨١٩ وعرف فيما بعد باسم « سليمان باشا الفرنساوى » بعد أن أسلم وتزوج وانجب فى مصر .

ولم يكن تجنيد الفلاحين للجيش امرا سهلا ... فقد اخذوا من التجنيد موقفا سلبيا بعد معاناة قرون طويلة من الاضطهاد والارهاب والسخرة ، وحدثت بعض تمردات فى المنوفية والوجه القبلى وبلبيس قمعها محمد على الذى لم يقابل هذا الموقف بالعنف ، وانما طلب من الشيخ العروسى شيخ الازهر ان يوضح الامور للفلاحين عن طريق رجال الدين ...

وكتب محمد على رسالة يقول فيها للمسئولين عن التجنيد (انه لما لم يكن من عادة الفلاح ان يقبل هذا الوضع فلم يكن ثمة ما يجب ارغامه عليه ولا معاملته بالعنف فيه ، بل يلزم تحرير الفلاحين وتجنيدهم باستدراج عقولهم اليه ، وذلك بتفهيمهم تدريجا أنه أمر منطو على خير ، ولا تعتبر كمسائل السخرة) (٦) .

وقد اثبت الجنود المصريون تفوقهم وقوة احتمالهم ، وساندهم محمد على وابراهيم فى مواجهة المتاعب التى تعرضوا لها من الضباط الاتراك او مماليك محمد على ... فقد امر محمد على فعلا بجلد ناظر سلخانة تركى مائة جلدة لانه قال فى حفل استقبال أحد الآلايات بدمياط (صار الفلاحون العمى عساكر.) .

وبدأ الفلاح المصرى يتدرج فى رتب الجيش ... بعد ان قام محمد على بفتح المدارس الحربية لاعداد الكوادر القيادية المصرية مثل مدرسة المشاة فى دمياط ، ومدرسة الخيالة فى الجيزة ، ومدرسة المدفعية فى طره بضواحى القاهرة ، ثم انشئت اكاديمية الاركان العامة عام ١٨٢٦ ... وترجمت الانظمة العسكرية الداخلية الفرنسية الى العربية لتطبق فى الجيش المصرى الذى كان يسير على تنظيمات جيش نابليون تماما .

هكذا حقق محمد على هدفه الاول ... وهو تجنيد ابناء مصر ... وسجل التاريخ حقيقة هامة ، وهى ظهور جيش من الفلاحين يعتبر بداية فى الحركة القومية الحديثة للامة المصرية .

وعن الهدف الثانى وهو بناء صناعة حديثة تكون فى خدمة الجيش الحديث ، انشأ محمد على مصانع لصب الحديد بلغ انتاجها ٢٠٠٠ طن من حديد الزهر سنويا ومصانع للبارود ، ومصانع للأقمشة والاشرعة والحبال والزيوت والصابون وغيرها .

وبنى محمد على كذلك ترسانة الاسكندرية عام ١٨٢٩ بعد تحطيم

---

(٦) ميلاد ثورة ــ محمد عودة .

جميع سفن الاسطول المصرى فى موقعة(نفارين) وفى ينـاير ١٨٣١ انزلت الى البحر اول سفينة ذات مائة مدفع •

وظهرت (البروليتاريا الصناعية) لاول مرة فى مصر ••• الترسـانة كان يعمل بها ٨٠٠٠ عامل ، ومجموع العمال فى مختلف المصانع وصل الى ٤٠ر٠٠٠ عامل ••• وكان العمال يخضعون للنظام العسكرى ، يقسـمون الى فصائل وسرايا وكتائب ويعيشون فى الثكنات ، ويعملون فى المصـانع نتيجة التجنيد الاجبارى •

كانت الصناعة مرتبطة ارتباطا وثيقا باحتياجـات الجيش ••• وكان العمال يحصلون على اجور زهيدة ، وتشير ارقام ميزانية ١٨٣٣ فعـلا الى ان مصروفات الجيش بلغت ٢٨ مليون فرنك ، ونفقات محمد على الشخصية ٣ر٥ ملايين فرنك ، بينما دفع لنفقات المصانع واجور العمال ٢ر٧٥ مليـون فرنك لا اكثر •

وكما تقدمت الصناعة فى خدمة الجيش ، تقدمت الزراعـة ايضـا ، وتحسنت ظروف الفلاح نسبيا عن ذى قبل ••• واصبحت مصر مصـدرة للقطن والارز ، وانشئت الترع والمصارف وبدىء فى بناء « القناطر الخـيرية أول سد يقـام فى تاريخ مصر •• وزادت بذلك مسـاحة الارض المزروعـة من مليونى فدان عام ١٨٢١ الى ١ر٣ مليون فدان عام ١٨٣٣ •

وانتقل محمد على بمصر ـ التى كانت تعتبر شكليا احدى الولايـات التابعة للامبراطورية العثمانية ـ الى عصر جديد ••• اصبحت فى الواقـع دولة مستقلة ذات حكومة وجيش وقوانين ونظام ضرائب خاص بهـا ولا يربطها بالسلطان الا ضريبة سنوية يدفعها محمد على له وقيمتها ٣٪ مـن ميزانية الدولة •

واعيد تنظيم جهاز الدولة ، وانشئت الوزارات على النظـام الاوروبى ••• وتطلب تكوين الجيش وجهاز الدولة الجـديد توافر كثير من المثقفين والمتعلمين •• فأرسل محمد على الذى بدأ يتعلم القراءة والكتـابة وهـو فى الخامسة والاربعين (٧) بعثات كثيرة الى اوروبا لدراسة العلوم الحربيـة والهندسية والطب واللغات والحقوق •

ولكن هذه الدراسات جميعا كانت تدور حول محور رئيسى هـو الجيش والاهتمام به ••• ومثال ذلك ان رفاعة رافع الطهطاوى بدأ حياته واعظا واماما فى احدى فرق الجيش المصرى عام ١٨٢٤ ثم ارسل فى بعثـة

---

(٧) مقال رفاعة رافع الطهطاوى فى ذكراه المئوية ـ محمود يوسف ـ الهـلال ـ يوليو ١٩٧٣ •

الى باريس عاد منها عام ١٨٣١ ليعمل فى المدرسة التجهيزية للطب ثم مد
المدفعية فمدرسة الالسن •

لم يكن هناك حد فاصـــــل بين المدارس المدنية ومـدارس الجيش
بل ان الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى كان حاصلا على رتبة عســـكرية منذ
اماما فى الجيش ••• كان يوزباشى فى باريس ثم ترقى حتى وصـــل فى
حياته الى رتبة الاميرالاى (٨) •

هذا يوضح انه كما كان العمال يجندون للعمل فى المصانع كان
المثقفين يحصلون على الرتب العسكريه •

وقد زاد عدد الجيش المصرى حتى بلغ ١٨٠ الف جنـــــدى نظامى ،
الف جندى غير نظامى عام ١٨٣٣ ووصل عدد البحارة المصريين الى ١٥
بحار •• وهذا يعنى ان ربع مليون مصرى من ثلاثة ملايين كانوا مجنبـــدين
الجيش •

ومع ذلك ظلت ترقية الجنـــــدى المصرى حتى آخر عهد محمد
لاتتجاوز رتب صغار الضباط ، بينما كان هناك عدد كبير من الضباط الاج
فى رتب كبيرة ، وفى نفس العام (١٨٣٣) كان هناك اكثر من ٧٠ ضابطا اي
و ٧٠ ضابطا فرنسيا ممن خدموا مع نابليون ولم يجدوا عملا يناسب مه
بعد هزيمة الامبراطور ، و ١٢ ضابطا اسبانيا ، وعدد من الضبـــــــــ
البريطانيين ، وكان هؤلاء بمثابة الخبراء المكلفين بنقل مدنية أوروبا ونهضـــ
العسكرية الحديثة الى مصر •

وكان هؤلاء الضباط الاجانب يمثلون جانبا محدودا من ضباط الج
المصرى ••• الاغلبية كانوا من الاتراك ثم المماليك الذين دربوا على يد محـ
على بعد ان فقد الآخرون شوكتهم بعد مذبحة المماليك •

واغرى محمد على الضباط الاتراك والاجانب على الخـــدمة فى الج
المصرى برفع مرتباتهم عن نظيرها فى الجيش التركى نفسه ••• هذا ب
كان الجنود وصف الضباط المصريون يتناولون مرتبات اقل كثيرا من مرت
جنود السلطان التركى كما يتضح فى الجدول الآتى :

رتبة	الجيش المصرى	جيش السلطان	النسـ
عسكرى	١٥ قرشا	٢٠ قرشا	٧٥ر٠ الى
باشجاويش	٤٠	١٢٠	٣٣ر٠ الى
ملازم ثان	٢٥٠	١٢٠	١٠ر٢ الى

---

(٨) المصدر السابق •

رتبة	الجيش المصرى	جيش السلطان	النسبة
يوزباشى	٥٠٠	١٨٠	٢ر٨٠ الى ١
بكباشى	٢ر٥٠٠	٤٠٠	٦ر٢٥ الى ١
اميرالاى	٨ر٠٠٠	١ر٢٠٠	٧ر٧٦ الى ١

يتضح من هذا الجدول ان الاميرالاى فى الجيش التركى كان يحصل على مرتب يعادل مرتب الجندى ٦٠ مرة بينما كان يحصل فى الجيش المصرى على مرتب يعادل مرتب الجندى ٥٢٣ مرة ، وذلك حرصا من محمد على على الارتفاع بمستوى الجيش ٠

ولم تقتصر مكافأة الضباط فى مصر على هذه المرتبات المرتفعة وانما كانوا يمنحون ايضا وجبات طعام ودخانا ، والضباط العظام كانوا يمنحون قطعا من الأرض ٠٠ أما الخبراء الفرنسيون فقد أجزل محمد على لهم العطاء وخصص لكبار الضباط منهم راتبا لايقل عن ٣٦ر٠٠٠ فرنك فى السنة عدا الهدايا والهبات فى وقت لم يتجاوز فيه راتب المدرب الاوروبى ١٨٠٠ فرنك فى السنة ٠

وكان محمد على لقد عاد بعد تحويل الارض لملكية الدولة الى توزيع بعض منها لتصبح ارضا خاصة اعتبارا من اول ديسمبر ١٨٢٩ وهو التاريخ الذى بدأ يهب الارض فيه الى اقاربه وحاشيته وبعض كبار الضباط ٠

نشأت من ذلك فى صفوف الجيش فروق طبقية حادة بين الضباط والجنود ٠٠٠ أو بين الاجانب والمصريين ٠٠٠ واصبح هناك نوع من الاقطاعية العسكرية التى لا تتناسب مع اتجاهات محمد على التقدمية ٠

أدى ذلك الى بقاء الفلاح المصرى أو الجندى المصرى فى موقعه عاجزا عن التعبير عن الارادة الجماهير التى نبت بينها ، خاضعا لتعليمات قادته وضباطه الذين لا تربطهم بمصر اكثر من رابطة المصلحة المادية ٠

ورغم ذلك اشترك المصريون فى كل حملات محمد على العسكرية وخاصة تحت قيادة ابراهيم باشا الذى كانت له قدرة خارقة على استثارة حماسة الجنود ، وكان لا يرضى ان تعمل اصغر رتبة فى جيشه ما لا يطيق هو نفسه عمله ٠٠٠ وكان اسمه الشائع هو (أبو خليل) الذى كان يحمى الفلاحين من الجنود من التصرفات المهينة لبعض الضباط الاتراك أو المماليك ٠

ولا بد لنا من جولة قد تطول قليلا فى تاريخ حملات محمد على العسكرية ، ولكنها ضرورية لانها تظهر الدور الذى لعبة الفلاح المصرى فى ملابس الجندية ، والمؤهلات التى توافرت لنضاله وتضحياته ٠

محمد على وثورة اليونانيين التحررية

اسهم العسكريون المصريون ابناء الفلاحين فى حملات عديدة . بدأت بحملة لاحتلال شرق السودان مستهدفة ضرب فلول المماليك الذين تجمعوا فى دنقلة ، وقد بدأ زحف الجيش المصرى البالغ تعداده ٥ آلاف محارب تحت قيادة اسماعيل باشا احد ابناء محمد على فى اكتوبر ١٨٢٠ .

ولم يقابل الجيش المصرى مقاومة شديدة كما حدث فى الجزيرة العربية ، اذ لم يكن لدى السودانيين اسلحة نارية ... حاربوا بالرماح والحراب والتروس ، بينما كان الجيش المصرى مسلحا بالمدفعية .

وانتهت الحملة بالاستيلاء على شرق السودان ... واصبحت الخرطوم مركز الممتلكات المصرية ، وتحولت بسرعة الى مدينة تجارية كبيرة .
وقد زار محمد على السودان عام ١٨٣٨ حيث جهز بعثات للبحث عن الذهب فى النيل الابيض والازرق ، وقسم السودان الى سبعة اقاليم عين محمد على عليها باشوات من حاشيته الاتراك .

كان المصريون قد دخلوا صفوف الجيش ... ولكنهم لم يكونوا قد فرضوا أنفسهم بما يسمح بتعيينهم حكمدارات او حكاما للاقاليم المفتوحة .

كان محمد على قد سيطر بحملته على السودان على مجرى النيل كله تقريبا واستقر سلطانه فى مصر .

ولكن هذا لم يضع حدا لطموحه ... فان قدرات مصر فجرت فى نفسه كثيرا من الاهداف .
كان يأمل فى تكوين دولة عربية مستقلة ...
أخذ محمد على يجاهر بأن الشعوب العربية التى تكون مصدر قوة السلطان بالمال والرجال تعيش فى الامبراطورية العثمانية حياة التابع البائس المستضعف ، وقام ينادى باسناد المناصب فى الادارة والجيش الى العرب ليمارسوا حق السلطة كما يتحملون تكاليفها .
كانت مصر قد اصبحت اضيق من ان تتسع لاحلامه .
يؤكد الذين رافقوا ابراهيم باشا فى حملته على سوريا فيما بعد بأنه سئل اثناء حصار عكا الى اى مدى ستصل فتوحاته فأجاب :

(الى حدود البلاد التى لا يتكلم فيها الناس ويتفاهمون باللسان العربى) (٩) .

---

(٩) السياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى — اميل خورى وعادل اسماعيل .

وكان محمد على مصمما فى قرارة نفسه فى حال نجاح سياســته ان يدفع هذه الشعوب لمبايعته بالخلافة فيعزل الاتراك نهائيا عن العـــالم الاسلامى (١٠) ٠

ولكن الظروف التى تعرضت لها الامبراطورية العثمانية غيرت قليــلا من مسار خطة محمد على ٠٠٠ فقد كان القرن التاسع عشر عصر القوميــات فى البلاد الاوروبية ، وقامت فى انحاء الامبراطورية عــدة ثــورات تحررية وانتفاضات شعبية ٠٠٠ ثورة الصرب ١٨١٥ والحـــركة الوهابية ١٨١٨ واعلان العصيان فى حلب ١٨١٩ ٠٠ واخيرا ثورة اليونان ١٨٢١ ٠

واذا كان محمد على قد استجاب لاقتراح السلطان بالقضـــاء على الوهابيين مرحبا بخروج جنوده من مصر ، فانه تعرض مرة اخرى لموقــف جديد فى مواجهة ثورة اليونانيين التحررية التى كانت تعطف عليهـا كافـة الشعوب الاوروبية ٠

كان السلطان محمود الثانى قد تورط فى مقاومة الثورة اليونانية التى استطاعت البرجوازية اليونانيةـ النامية بسرعة شديدة من التجارة البحرية ـ ان تجذب اليها الفلاحين الذين قاسوا من اضطهاد الاقطاعيين الاتراك ، وارتكب جنوده فظائع وحشية شديدة توترت لها أعصاب الجماهـــير الاوروبيـــة ، وتطوع فى جيش الثوار عدد من القادة العســكريين ورجال الفكر فى اوروبا كالوزين سانتاروز الايطالى ، والشاعر لورد بيرون ، ولورد ستانهوب والسير ادوارد تشرش البريطانى ، والجنرال روش ، والكولونيل فافبيه ، والكولونيل فيليب جوردان الفرنسيين (١١) ٠

ولم يجد السلطان محمود الثانى بدا من الاستعانة مرة اخرى بمحمـــد على بناء على نصيحة مترنيخ الالمانى ، وكان يستهدف بذلك أمرين كلاهمـــا له فيه مصلحة ، الاول القضاء على الثورة اليونانية بسلاح محمد على ومـــا يؤدية ذلك الى خلاف بينه وبين الدول الغربية ٠٠ والثــــانى اضعاف محمد على بسلاح اليونانيين ومن ورائهم الشعوب الغربية ٠

ودعا السلطان محمود محمد على الى تركيا واحاطه بكل مظاهــــر العطف والتكـــريم واقطعه جزيرة كريت ثمنا لتدخله ، وفى ١٦ ديســمبر ١٨٢٤ صدر فرمان شاهانى بتعيينه قائدا عاما للقوات العثمانية فى المورة ، فندب لذلك ابنه ابراهيم مع ٣٠ الف جندى واسطول مؤلف من ٥٦ سفينة حربية كبيرة ، و ٢٥٠ سفينه نقل ٠

---

(١٠) الســياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى ـ اميل خورى وعادل اسماعيل
(١١) (نفس المصدر) ٠

ولكن لم يكن محمد علي جاهلا بنية السلطان ، ولكنه وجد فرصة لتحقيق اهدافه ... فان ضعف الباب العالي واشتعال ثورات التحرر في ارجاء الامبراطورية العثمانية يعطي محمد علي خير فرصة لتحقيق استقلال مصر .

ولعل اصدق توضيح لخلفية فكر محمد علي ما ورد في خطاب صديقه الجنرال بوابيه كبير المدربين العسكريين الفرنسيين بتاريخ ١٨ يوليه ١٨٢٥ مرسلا الى وزير حربية فرنسا :

« من واجبي ان اطلعك على حديث سري جرى لي مع الباشا اطلعني فيه على حقائق افكاره ومراميه وما هيأه من مشاريع . ان محمد علي يثق ثقة كاملة بعبقرية ابنه وصلابة عود جيشه ، ولا يشك مطلقا بأن حملته على المورة ستكلل بفوز تام . وقد قال لي « ان الانتصارات التي سأحرزها في هذا الجزء من الامبراطورية ستوسع مدى صيتي وتزيدني نفوذا . والسلطان لم يبق له من وسائل القوة والبأس ما يمكنه من أن يحول دون تنفيذ مشاريعي . ولقد أصبح النصر حليفي وبات اسمي ومجدي على كل شفة ولسان في الامبراطورية . انا من الترك ولهم . ولكني ايضا للتاريخ . لقد أقلت الدولة من عثراتها ونهضت بها مما كانت فيه من خراب وذلك على كره من الديوان الذي يأبى على غيره ان يكون عظيما ويريد ان تكون العظمة وقفا عليه . وانا مدرك ان الامبراطورية ماضية قدما الى هلاكها وان يوما سيأتي يستعصى على فيه امر انقاذها ، فلا مغنم لي ولا فائدة في ان اغامر بامكاناتي ووسائلي في سبيل امر مستحيل ، ولكني سأقيم على انقاضها مملكة واسعة . وانا املك كل ما يلزم لتحقيق هذه الغاية . ولي من جيوشي وعملائي المنتشرين في كل جانب ما يجعل كلمة واحدة مني كافية لفتح حصون عكا وابواب دمشق وبغداد . وشعب جبل لبنان سيحمل سلاحه عند أول اشارة مني للاسهام في تحقيق اهدافي وتنفيذ ارادتي . ولا اطلب من الزمن الا ان يكون حليفي لثلاث سنوات وهي مدة تكفيكم لتجهزوا وتنظموا لي جيشا اضافيا من خمسين الف مقاتل ومائة وخمسين مدفعا . وعندئذ أصبح مستكملا اسباب العمل . وسأفيد من السنوات الثلاث لتعزيز جيوشي في سنار وبلاد الحبشة والحجاز . وسأجد فيما تحت حكمي من البلاد الاسيوية وشعوبها الكثيفة عددا لا يستهان به من العساكر . وفي هذا الوقت يتم احتلال المورة وتنظيمها سلميا . وعندئذ اصبح بفضل قوتي متحررا من كل هم خارجي فينطلق ابني الظافر لتقرير المصير على ضفاف دجلة والفرات اللذين اريدهما حدودا حصينة للاراضي التي أنوى اقتطاعه اياها والتي له من البأس والشجاعة وقوة العزيمة ما يضمن انتزاعها

وبسط سلطاني عليها) .

يظهر هذا الخطاب ان محمد علي لم يأخذ موقفا مبدئيا فى مساندة حركات التحرر القومى . رغم ان محاولته الاستقلال بمصر كانت واحدة من أهم هذه الحركات التى تفجرت فى الامبراطورية العثمانيه مع مطلع القرن التاسع عشر .

ولكن ظروفه الخاصة فى مصر وظروف العصر الذى كانت تتناطح فيه الدول الاستعمارية الاوروبية دفعته الى الاقدام على مشاركة السلطان فى محاربة الثورة اليونانية مما بذر تناقضا محدودا بينه وبين فرنسا التى ساندت الحركة التحررية فى اليونان ، وفى ذلك يقول محمد على للجنرال بوابيه :

« انتم فى اوروبا لكم من تربيتكم ودينكم وتقاليدكم ما يجعلكم تستفظعون ما هو واقع فى بلاد اليونان فاكتب الى اصدقائك أنى فى الساعة التى يلقى فيها هذا الشعب المتمرد سلاحه ويعلن خضوعه ساجمع فى كل البلاد التى احكمها ، الارقاء الذين اسرهم جنودى واعيد عليهم ، ذكورا واناثا ، حريتهم وارجعهم الى بلادهم . فأنا اريد ان اكون ملكا على شعوب حرة لا على عبيد . ومتى تقدمت فى تنفيذ مشاريعى فانى ساطبق قوانينكم فى تنظيم الادارة واقتفى خطى الشعوب المتحضرة فى قارتكم السعيدة ، فكل ما يعمل عندكم ليس اعتباطيا بل مدروسا . وكل انظمتكم موجودة لدى بنصها وترجمتها ولن يمضى وقت طويل قبل ان اجعلها مطبقة ونافذة فى بلادى » .

« وانا لا اشعر بخوف الا من بريطانيا لان باستطاعة اساطيلها ان تشل ارادتى وفعاليتى وتخرب ماليتى بحصار تضربه على سواحلى ، ولكن لى سياسة ، وساسهر على الا يكون فيها ما يغضب هذه الدولة . فاذا ساعدتنى الحظوظ ومكنتنى من كسب الوقت الكافى فانى سأخرج من هذه الظروف الصعبة وانا على أطيب حال » . (١٢)

وكان وصول القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا انعطافا حادا فى طبيعة الحرب اذ توالت انتصارات الجيش المصرى ، فتم تدمير حصن ميسولونجى مركز مقاومة اليونانيين الرئيسى فى ٢٢ ابريل ١٨٢٦ ...

وشاءت مصادفات القدر ايضا ان يستسلم الاكروبول وتحتل قوات ابراهيم آثينا يوم ٥ يونيو ١٨٢٧ وهو نفس التاريخ الذى هزمت فيه القوات المصرية امام اسرائيل بعد ١٤٠ عاما .

---

(١٢) السياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى ــ اميل خورى وعادل اسماعيل .

اظهر الجندى المصرى قدرته على التحمــل والتضحية بأسرع مما توقعه اكثر القادة العسكريين تفاؤلا ٠

وقد جذبت انتصارات محمد على أنظار الدول الغربية اليه باعتبــارها خطرا يهدد اوروبا ٠٠٠ ونصحه القائد الفرنسى بليار خلال مستشـــارة بوابيه بقوله « غريب ان يستمر الباشا فى عمله ويواصل ارسال عساكره وامواله الى بلاد لاحظ له ببقائها تحت حكمه والتى ارادوا ان تكون مقبــرة لقواه ومجده » ٠٠٠ « ان سر عظمة محمــد على الحقيقيه هى فى ان يكـــون قويا جدا ومنيعا فى داره أى فى حدود ملكه ، وامامه مجالات واسعه لامتـداد سلطته ٠٠ امامه سوريا وافريقيا وآسيا ، ففى هذه البـــلاد ميادين تليــق بمجده » ٠٠٠ ونصحه أيضا بأن يسارع لعقد معاهدة تعاون وصــــداقة مــع اليونانيين اذا لقى من يحدثه فى ذلك (١٣) ٠

ولكن محمد على بقى مترددا فى الانســحاب من المورة وتــرك جيـــوش السلطان تحت رحمة اليونانيين وعبر عن حقيقة تفكــيره بما قاله للجنــرال بوابيه :

ولما تحرج الموقف بعد ســـقوط اثينا عقدت انجلترا وفرنسا وروسيا معاهدة فى لندن بعد شهر واحد من سقوط الاكروبول ـ يوم ٦ يوليـــــو ١٨٢٧ ـ وقررت فيها حل المسالة اليونانية بأن تصــبح اليونان دولة مستقلة تحت اشراف السلطان ، أى فصلها مدنيا عن تركيا ، وتضمنت بنودا سرية فى حالة رفض السلطان للمعاهدة تقضى باتخاذ اجراءات عملية لانهاء الحــرب والاعتراف بالدولة اليونانية ٠

رفض السلطان المعاهدة ، وطلب من محمد على تحـريك اسطوله الى اليونان فتحرك فعلا فى شهر اغسطس ١٨٢٧ ، وفى نفارين يوم ٢٠ اكتوبـر حدث تصادم بين بحارة سفينة عثمانية وملاحى احدى السفن البريطانيـــة انتهى الى معركة طاحنة انتهت بتدمير الاسطولين العثــمانى والمصرى تدمـيرا تاما ٠٠٠ ولم يكن ابراهيم وقتها فى مكان المعركة ، بل كان فى المورة ٠

وكانت معركة نفارين بداية حـــرب روسية تركية رفض محمــد على الاشتراك فيها واظهر من الحكمة والتعقل ما جعله يقبل طلب الدول الكبرى الجلاء عن اليونان بعد ان تكبد خسائر فادحة بلغت ٣٠ الف مقاتل واسطولا كاملا ٠

وغادر ابراهيم باشا المورة والتعاســة تثقل قلبه ، واثناء تسليمه للقائد الفرنسى جنرال ميزون قال الاخير أن الغاية من قدومه ليســت الا تكريس

---

(١٣) السياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى ـ اميل خورى وعادل اسماعيل ـ

استقلال اليونان ، ورد عليه ابراهيم باشا ساخرا « اذا كان الامر هكذا واذا صح ان فرنسا حريصة على استقلال الشعوب فلماذا تستعبد الاسبان وترسل اليهم الجيوش للقضاء على حركتهم التحررية .. أيكون الاسبان أقل حقا من اليونانيين بأن يكونوا احرارا ؟ » (١٤) .

وفى ٩ سبتمبر غادر ابراهيم باشا المورة مع فلول قواته بعد ان انتهى التعاون العثمانى المصرى ، وانفرط ايضا عقد التحالف الثلاثى بين روسيا وانجلترا وفرنسا ، خشية تسرب النفوذ الروسى ، ووعدت فرنسا محمد على بمساعدته فى بناء اسطول جديد .

من اجل دولة عربية مستقلة

ولم تصب هزيمة نفارين محمد على باليأس . وانما بعثت فيه نشاطا جديدا فى صراعه من اجل سوريا وفلسطين وتكوين الدولة العربية الكبيرة التى كان شديد الطموح لتكوينها .

وفى ذلك كتب كارل ماركس (لقد فقد الباب العالى هيبته فى عيون رعيته نتيجة لحرب ١٨٢٨ ـ ٢٩ الفاشلة ، وعندما تضعف السلطة العليا ـ كما هو مألوف عادة فى الامبراطوريات الشرقية ـ تستمر انتفاضات الباشوات

ومنذ اكتوبر ١٨٣١ نشب خلاف بين محمد على باشا مصر الذى كان قد آزر الباب العالى اثناء الانتفاضة اليونانية (١٥) .

كانت العلاقة بين السلطان ومحمد على تزداد توترا يوما بعد يوم .. رفض محمد على الاسهام مع تركيا فى حربها مع روسيا ، ورفض المساهمة فى دفع التعويضات مع السلطان .

وكان مفروضا ان تتول ثورة محمد على التحررية الى حرب فعلية ضد السلطان عقب انهاء حرب المورة ولكنها تأجلت مدة عامين بسبب الخطط المصرية الفرنسية الرامية الى فتح شمال افريقيا والتى انتهت الى رفض محمد على للمشاركة فى هذا الفتح لان الاتفاق كان على حد قوله للمفاوضين الفرنسيين « يعتبر تآمرا على الباب العالى مع دولة اجنبية » ... ويلقى محمد على مزيدا من الضوء على اسباب رفضه فيقول ايضا « لست مستعدا للمجازفة بمركزى وشعبيتى ، واذا قبلت الاتفاق فانى اخسر كل ما اكسبتنى اياه أعمالى وجهودى ، واخسر معه شرفى فيحتقرنى ابناء امتى

---

(١٤) السياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى ـ اميل خورى وعادل اسماعيل .
(١٥) تاريخ الاقطار العربية الحديث (لوتسكى) .

وينصرف الناس عنى ، وثقوا ان قرارى وما اقوله لكم الآن لا ينبع مـــ
عاطفة دنيئة فانتم تعرفوننى وتعلمون اننى متحرر من هـــذا الاعتبـــار
التى يتقيد بها قومى وان تفكيرى يسمو فوقها ، ولكنى افعـــل واقول ه
لانى لست كبيرا الا بفضل عطف امتى على وثقتها بى • قد تقولون ان مواط
حمير وثيران • هذا حقيقة اعلمها • ولكن هؤلاء الثيران والحمير هم قوتى
ان الاتفاق الذى تفرضونه على اذا قبلته كان قبولى حكمـــة منى على نف
بالهلاك ولا اقول لكم هذا اعتباطا ولكن عن علم صحيح وبعد تفكير طـويل
والبدوى فى الصحراء اصدق علما بمرض بعيره من اكبر طبيب فى اوروبا
وانا لا اجزع من القيام بالحملة ، ولكنى لن أقوم بها الا منفردا وعلى اسا
الاتفاق الاول» •

رفض محمد على ان يسهم فى حملة ضد السلطان مشتركا مـــع دو
غربية ، واصر على ان تكون حركته منفردة حتى لا توصم بغير حقيقتهــ
القومية التحررية ••• كمـا زاد ارتبـاطا واثقة بالشـــعب والجيش المصرى

وعندما وصلت محاولة الاتفاق لغزو شمال افريقيا مع فرنســـا
نهايتها ، بدأت فورا حركة محمد على للاستيلاء على فلسطين وســـوريا
اجل تكوين دولة عربية واحدة مستقلة مستندا الى ان جزيرة كريت ليســ
كافية وحدها لتعويض النفقات والمصاريف التى تكلفهـــا فى حملة المورة

واستخدم محمد على نزاعا نشب بينه وبين عبد الله باشـــا والى
الذى رفض اعادة ٦٠٠٠ جنـــدى هارب الى صـــفوف الجيش المصرى ••
وكان عدد من الجنود المصريين يعمد الى الهرب من العسكرية للمتـــاء
الشديدة التى يتعرضون لها فى الحملات الخارجية ، ولشـــعورهم بأ
يحاربون فى معارك (لا ناقة لهم فيها ولا جمل) كمـــا ان محمد على كان
ضاعف عدد المجندين لسد الثغرات التى فتحتها فى صفوف جيشه حـــرو
الحبشة وآسيا والمورة ـ على حد تعبيره ، وتجنيـــد عشرين ألفا مـ
البحارة لتعزيز اسطوله الجديد الذى انشأه بالتعاون مع فرنســا بعد هز
نفارين وضم ثلاث سفن ضخمة ذات ثلاثة طوابق ، وعشر بواخر ، وخمســ
عشر طرادا ، كما ان محمد على كان يتخذ اسلوبا عنيفا فى معاملة الهـــار
من الجندية اذا ظلوا فى مصر وهو فى ذلك يقول « ولا يخفى على ان عـــد
غير قليـــل من عساكرى البريين والبحريين يفرون من الخـــدمة العســـكر
ولذلك امرت بشنق كل رجل يأوى الى بيته جندى فار ســـواء أكان ه
الرجل شيخ القرية او القائمقام او حاكم الاقليم » (١٦) •

---

(١٦) السياسة الدولية فى الشرق العربى ــ الجزء الثانى ــ اميل خورى وعادل اسماعيل

ولذا استخدم محمد علي رفض والي عكا اعادة الستة آلاف من الجنود الهاربين ذريعة للهجوم على سوريا وفلسطين في وقت كان الشعور فيه معاديا للسلطان نتيجة لضيق الجماهير الشعبية من الضرائب التي اجبر السلطان على فرضها للنفقات والغرامات الحربية .

واستقبل المصريون كمنقذين ومحررين من نير السلطان ، لا من قبل سكان المناطق العربية فحسب ، بل من قبل سكان المناطق التركية الصرفة التابعة للامبراطورية (١٧) .

كانت حركة الجيش المصري في سوريا وفلسطين مختلفة تماما عن حركته في بلاد اليونان ... انه يناصر الشعوب العربية ضد الظلم الواقع عليها من السلطان التركي بينما كان في السابق يعادي حركة الشعب اليوناني التحررية .

بدأت الحملة تحت قيادة ابراهيم باشا في ٤ نوفمبر ١٨٣١ وتساقطت المدن واحدة بعد الاخرى : غزة ويافا وحيفا ثم عكا بعد حصار طويل ، واخيرا دمشق وحمص وحماة وحلب ... واثناء ذلك وجد الجيش المصري قوات الاتراك التي تمركزت قرب حمص ، وكبدها خسائر بلغت ٤٠٠٠ قتيل وجريح ... ودخل بلاد الاناضول حيث هزم الجيش التركي للمرة الثانية في بيلان في ٢٩ يوليو ١٨٣٢ وهرب قائده مع فلول قواته الى اطنه ... وواصل الجيش المصري زحفه حتى التقى بحشد من القوات التركية بلغ ٦٠٫٠٠٠ يواجهون ٣٠٫٠٠٠ جندي مصري في مدينة قونية ، وكانت النتيجة انتصارا باهرا للجيش المصري الذي أسر القائد محمد رشيد باشا الصدر الاعظم ، وفتح الطريق بعد ذلك الى الاستانة ووصل الى كوهية .

وكتب ابراهيم باشا الى والده بعد المعركة بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٨٣٢ يقول :

« اني اعتقد ان مشكلاتنا يجب ان تسوى في الاستانة لا في غيرها من الاماكن . ففي الاستانة اذن يجب ان ندق اوتادنا لنملي ارادتنا ونحقق اهدافنا .. ويجب الا ننسى ان الاتراك لم يعقدوا الصلح مع روسيا الا بعد أن وصلت جيوش القيصر الى ابواب الاستانة . لذلك يجب علينا ان نسرع بالتقدم الى بروسه على الاقل ونحتل البلاد الواقعة على ساحل بحر مرمرة ونتخذها قواعد بحرية لتموين جيشنا . ومتى دخلناها يصبح سهلا علينا نشر الاشاعات التي تؤدي الى اسقاط السلطان . واذا عجزنا عن خلعه

---

(١٧) نفس المصدر

(١٨) تاريخ الاقطار العربية الحديثة .. (لوتسكي) .

فاننا لن نعجز عن املاء شروط الصلح التى نريدها » (١٩) ٠

ولكن محمد على كان له رأى آخر صرح به لقنصل روسيا فى الاسكندرية بعد رؤيته لفزع الدول الكبرى من انتصاراته الخاطفة اذ قال له :

« انني لا اسعى للجلوس على عرش السلطان رغم علمي بما يدور فى الاستانة واطلاعى على امكانات الباب العالى الحقيقية ٠ ان باستطاعتى أن أنزل السلطان عن عرشه بهجمة موفقة يقوم بها اسطولى ولكنى لا احب الاعتداء على حقوق ابنائه لانهم خلفاء النبى ٠ وليس معنى هذا اننى ارهب جيوش السلطان ٠٠ ان السلطان يتهمنى بالعصيان وينسى اننى استوليت على مصر بسيفى وان احدا لا يستطيع ان يخرجنى منها الا بحد السيف ٠ انا تابع للسلطان ولكنى فى مصر بحق الفتح ٠ واذا كتب لى البقاء فى الشام فسأظل تابعا له ودعامة لعرشه » ٠

وكان محمد على ابعد نظرا اذ سرعان ما طلب السلطان محمود الثانى المعونة من روسيا فى ٣ فبراير ١٨٣٣ فدخل اسطولها مياه البوسفور فى ٢٠ فبراير وانزل فيلقا عسكريا من ٢٠ الف محارب ، واسرعت بريطانيا وفرنسا خوفا من تغلغل النفوذ الروسى الى مصالحة محمد على مع السلطان الامر الذى تحقق فى كوتاهيه بتاريخ ٤ مايو ١٨٣٣ عندما اصدر السلطان فرمانا يثبت فيه حقوق محمد على فى مصر والجزيرة العربية والسودان وكريت وتعيينه حاكما عاما على فلسطين وسورية ، بعد ان كان قد اصدر فى ٤ مايو ١٨٣٣ نطقا يعلن فيه خروج محمد على عن الطاعة هو وابنه ابراهيم وعزله عن ولاية مصر ٠٠٠

ظل صلح كوتاهيه شفهيا ورفض السلطان ان يسجل احكامه فى معاهدة خطية مما جعله بمثابة تجميد للمشكلة وليس حلا لها ٠٠ هدنة وليست صلحا ٠

كان السلطان يريد الانتقام من محمد على ، ولكنه كان عاجزا وحده عن ان يفعل شيئا ، فاتجه الى روسيا التى ساعدته على الاحتفاظ بعرشه ، وعقد معها معاهدة (هنكار اسكسى) فى ٨ يوليو ١٨٣٣ فور جلاء القوات الروسية عن الارض التركية ٠

واثارت هذه المعاهدة التى عقدت لمدة ثمانى سنوات ونصف وكانت احدى موادها السرية تشير الى تعهد الباب العالى باقفال الدردنيل بوجه كل اسطول

---

(١٩) السياسة الدولية فى الشرق العربى ٠

(٢٠) نفس المصدر ٠

اجنبي يرى الروس فيه ما يهدد سلامة ممتلكاتهم الواقعة على البحر الاسود مع فتح المضايق امام الاساطيل الروسية في سيرها الى البحر الابيض المتوسط في حال وقوع حرب بين روسيا واحدى الدول الاخرى .

اثارت هذه المعاهدة عاصفة في السياسة الدولية لانها تمت تحت ضغط حقد السلطان على محمد علي وفي ذلك قال لمندوبي انجلترا وفرنسا بأن « الدوله العثمانية وعاصمتها لا قيمة لهما في نظره وانه مستعد للنزول عن عاصمته لمن يجيئه برأس محمد علي » (٢١) .

ماذا فعل محمد علي في الارض التي احتلها الجيش المصري ؟

كتب بالمرستون عن محمد علي في عام ١٨٣٣ قائلا « ان هدفه الحقيقي هو تكوين مملكة عربية تضم كل الاقطار التي تتكلم بلغة الضاد » ... وابلغ البارون بوالكمث الممثل الفرنسي لدى ابراهيم بأنه يرمي « الى بعث الوعي القومي العربي واحياء الامة العربية وغرس شعور وطني اصيل عند العرب » (٢٢) . وسبق ان ذكرنا تصريحا لابراهيم قال فيه ان فتوحاته ستصل « الى حدود البلاد التي لا يتكلم فيها الناس ويتفاهمون باللسان العربي » .

وهكذا كانت القومية العربية تلهب خيال محمد علي وتدفعه الى تجريد الامبراطورية العثمانية من سكانها العرب .

وبذل ابراهيم في سبيل ذلك الى جانب خطواته الحربية خطوات أخرى اجتماعية .. فقام بعدد من الاصلاحات مثل التي قام بها والده في مصر لتصفية العسف الاقطاعي وتغيير اسسه ، فحرم الابتزاز واعفى الارض البكر من الضرائب وسكن البدو في الارض المناسبة .

زادت مساحة الارض المنزرعة في سوريا خلال العامين الاولين من ٢٠٠٠ الى ٧٠٠٠ فدان في حوران واستطاع الفلاحون ان يتاجروا بمحاصيلهم بدلا من تخزينها خوفا من الباشوات الاتراك وكبار الاقطاعيين الذين اجبرهم ابراهيم على الخضوع للسلطة المركزية .

واعاد ابراهيم تنظيم البلاد على اساس ست مديريات بنظام عصري مركزي ، كما اصلح نظم التعليم وانشأ المدارس الابتدائية في كافة انحاء سوريا ، والمدارس الثانوية في المدن الكبيرة ، وجعل كلوت بك مشرفا عليها طالبا منه غرس الوعي القومي العربي في نفوس الطلاب ... وانشأ ابراهيم

---

(٢١) السياسة الدولية في الشرق العربي .

(٢٢) تاريخ الاقطار العربية الحديث — لوتسكي .

ايضا اول دار للطباعة فى لبنان (٢٢) ٠

وكان ابراهيم مثل والده محمد على بعيدا عن التعصب الدينى فحـــرر المسيحيين من القيود التى فرضها عليهم الباشوات الأتراك ٠

ولكنه رغم كل ما قام به محمد على وابراهيم من اصلاحات فى ســـوريا وفلسطين الا ان تجمعا معارضا بدأ يتحد ضده من الاقطـــاعيين الذين قهـر نفوذهم ومن الفلاحين الذين بدأ يطبق عليهم قوانين التجنيد فقامت عـــدة انتفاضات من الفلاحين ضـــد التجنيد فى فلسطين وفى منـــاطق الدروز ، وتعرضت القوات المصرية وابراهيم نفسه لاخطار شديدة ، تغلب عليهـــا بعد مقاومة عنيفة ٠

وانتهز السلطان هـــذه الفرصة متذرعـا بالاضطرابات ليعاود موقفه العدائى من محمد على مســـتهدفا ابعاده عن سوريا لانه على حد تعبـــيره « غير اهل للحكم وعاجز عن تأمين الامن والراحة للاهلين » ٠٠٠ ولكن الامر كان يجاوز حدود قدراته لفقدان الباب العالى لهيبته وعجزه عن ارغـــــام محمد على عسكريا على الانسحاب ٠

ولكن تطورات السياسة الدولية ساعدت السلطان على اتخـــاذ موقف صريح ضد محمد على ، فان فرنسا فشلت فى انجاح المفاوضات بين السلطان ومحمد على ، وانجلترا برزت فى الميدان تستهدف تحطيم نفوذ فرنسا ووقف نمو النفوذ الروسى وانتصار محمد على فى وقت واحد ٠

كان محمد على يخشى انجلترا ٠٠٠ ولم تكن الحكـــومة البريطانية من جهتها مرتاحة الى نجاح محمد على والتقدم الزراعى والصناعى والعســـكرى الذى احرزه فى مصر وبسطه لسيطرته على الجزيرة العربية وسوريا ممـــا يجعل طريق الهند تحت رحمة رجل قوى منظم يقود قوة عسكرية هائلة ٠

ولعب بالمرستون وزير خارجية بريطانيا دورا خبيثا فى تحقيق هـــذه الاهداف معتمدا على ضعف السلطان ٠٠ وقد وصـــف كارل ماركس هـــذا الرجل الداهية بقوله :

« انه محافظ من رأســـه الى اخمص قدميـــه ، ألبس الســـياسة البريطانية نسيجا من الكذب والنفاق فكان فى هـــذا خير ممثل للمحافظين وأصبح ناطق باسمهم ٠ وكان ماهرا فى صب الآراء والافكار الاقطـــاعية فى قالب كلامى ديموقراطى ، وفى اخفاء ما فى صدره من اطماع تجارية رأسمالية وراء ســـتار الحـــرص على الســـلام والاستمساك الشـــديد بالقيم الروحية » (٢٤) ٠

---

(٢٣) السياسة الدولية ٠

(٢٤) السياسة الدولية ٠

وكان محمد علي قد استدعى قنصلي بريطانيا وفرنسا وابلغهما انه قرر اعلان استقلاله تمشيا مع سياسته الاصلاحية وتطور بلاده ، وان بقاء مصر وسوريا في حظيرة السلطان يتنافى والواقع السياسي والاجتماعي في الشرق ... وكان قد سبق له حديث قاس مع القناصل سألهم فيه كيف تقبل دولهم استقلال الولايات المتحدة واليونان وبلجيكا وتأبى على مصر ان تستقل قائلا لهم « خبروني ايها القناصل عن التاريخ الذي قرأتم فيه ان رجلا كان له من القوة والشأن مثل مالي فاستكفى بوضع التابع ولم يحطم الغير ليتحرر ويستقل » .

وكان بالمرستون يعتقد ان اى تصادم بين محمد علي والسلطان سيكون فيه القضاء على الجيوش العثمانية قضاء تاما فيتدفق الروس الى الاستانة ودمشق ويصعب اخراجهم منها ، كما ان انتصار محمد علي لا بد ان يحمل انتعاشا للنفوذ الفرنسي ... ولذا عقد معاهدة تجارية مع تركيا عام ١٨٣٨ ، حولت بها الامبراطورية العثمانية الى مصدر تابع للدول الاجنبية يزودها بالمواد الاولية ، والغت احتكار الخزينة الدولية لمختلف انواع المواد الاولية .

ولكن السلطان محمود الثاني عندما شعر بمساندة الدول الاوروبية له (روسيا وانجلترا والنمسا وبروسيا) استعد للحرب بصورة محمومه وعبأ جيشا من مائة الف جندي .

الحملة السورية الثانية :

عبرت القوات التركية الفرات في ٢١ ابريل ١٩٣٩ وهاجمت قوات محمد علي ولكنها منيت بهزيمة شديدة في ٢٤ يونيو قرب نصيبين رغم ان القوات العثمانية كانت تحت ادارة القائد الالماني المشهور (فون مولتكه) الذي اصبح فيما بعد القائد الاعلى للجيش البروسي في عهد بسمارك .

اصبح الطريق مفتوحا للمرة الثانية امام ابراهيم باشا الى الاستانة وتوفي السلطان محمود بعد ستة ايام من هذه الهزيمة . واعتلى العرش ابنه عبد المجيد ... وانضم الاسطول العثماني كله بقيادة الاميرال احمد فوزي الى جانب محمد علي .

ومع ذلك لم يتقدم ابراهيم باشا الى الاستانة ... واستجاب لرأي والده الذي اراد تفادي القيام بأي عمل استفزازي ضد الروس .

تردد محمد علي في فرض ارادته كما فعل بعد الانتصاره في المورة ... وكان عدد كبير من المفكرين الاوروبيين يرون أنه كان على محمد على ان

يعلن استقلاله بالقوة اثناء حرب المورة فتضطر الدول الى معاملة مصر على قدم المساواة مع اليونان • وكان من ابرز هؤلاء المفكرين الامير البروسي بوكلر ـ موسكو وهو عالم اثرى ، فكتب ان الدول الاوروبية ظنت واعلنت ان واجب الشرف قضى عليها بخوض معركة نافارين دفاعا عن حرية اليونانيين واستقلالهم ، وواجب الشرف يقضي علينا نحن بأن نسألها لماذا لم تنظر الى استقلال بلاد الفراعنة بالعين التى نظرت بها الى الحرية اليونانية • ان علماء الآثار ورجال التاريخ والجغرافيا لا يفرقون بين حضارة البلدين وحق كل منهما فى الاستقلال والحرية ، ولكن القوة العسكرية ليست بيدهم • ان راحة اوروبا وآسيا ومصلحة العلوم والفنون والحضارة أحق بالرعاية والاحترام من الغايات المادية • ولقد كان على محمد على ان يمضى الى هدفه غير متأثر أو متعثر بالاعتبارات الخارجية • واخشى ان ينطبق عليه قول حكيمنا شيللر « ان الفرصة التى أعطاكها الدهر فرفضتها لن تعيدها لك الابدية » •

وتحقق قول شيللر فعلا فضاعت الفرصة من محمد على ووقعت الدول الاربع مذكره الى تركيا تطالبها بعدم اتخاذ قرار نهائي وبدن مساعدتهم لها وان ترقب نتائج التعاون المشترك الذى اتخذ من قبلهم من اجل مصيرها (٢٥) •

وقامت فى فرنسا معارضة قوية ضد الرأى الذى بدأ يسود بتسوية الاوضاع فى الشرق على اساس اعادة سوريا الى السلطان دون تعويض محمد على •• وشنت الصحافة الفرنسية حملة شديدة على السياسة البريطانية التى استشعرت خطرها على مستقبل فرنسا فى البحر المتوسط وهم يحتلون أهم المراكز الاستراتيجية فى جبل طارق ومالطه وكورفو ويتحينون الفرصه للاستيلاء على الاسكندرية والسويس •

خطب الشاعر المعروف لامارتين فى الجمعية الوطنية الفرنسية فى اول يوليو خطابا كان له دوى عظيم فى المحافل السياسية قال فيه :

« اجل ان الدولة التركية تميل الى الانهيار • وكبار الرجال والعناصر الفتية والقوية ينفخون روح الرجولة فى الامبراطوريات الهرمة ويجددون لها شبابها • انظروا الى باشا مصر يبعث البلاد العربية فهل هو ابن سلطان • ان هو الا عبد متمرد • وهل فى هذا ما يحط من شأنه او من قيمته • هو الرجل الذى تتجسم فيه الشرعية الوحيدة فى الشرق الناهض • وقد حقق المعجزات • هو رسول الحضارة الى الشرق وسيد مصر وبلاد

---

(٢٥) تاريخ الاقطار القومية الحديث . لوتسكى •

العرب وسوريا . ولو انكم لم تحولوا دون زحفه بعـــد وصوله الى كوتاهيه لكان الآن في الاستانة رأس الامبراطورية يبعثها جديدة قائمة على انقـــاض دولة بني عثمان » (٢٦) .

ومضى ما يقرب من عام كامل والدول الكبرى تتفاوض حـــــول مصير تركيا ومصر ... مؤتمر للسفراء ينعقد بصفه مســـــتمرة في لندن ... وفرنسا تنجح في مايو ١٨٤٠ في عقد اتفاقية بين مصر وتركيا يمنح السلطان فيها محمد علي حكما وراثيا في مصر وسوريا ، ولكن الدول الكبرى تعمـــل على احباط هذه الاتفاقية .

وتنشط بريطانيا في استفزاز قوة محمد علي دون توريط قواتها التي كانت تعاني في الصين مما اجبرها على اجلاء الرعايا البريطانيين من الاماكن التي كانت تحتلها في ماكاو ، والاضطرابات عدن وهجمات البدو على الحاميـة البريطانية فيها ، وتدهور الحالة الداخلية في الهند .

اطلق البريطانيون الجواسيس والعملاء يشجعـــــون اللبنانيين على الثورة ضد ابراهيم باشا والامير بشير لزيادة الضرائب التي بلغت ثمانيـــه ملايين وسبعمائة وخمسين الف قرش عام ١٨٤٠ بعد ان كانت لا تزيد عن المليونين ونصف المليون قبل مجيء الجيش المصري قبل ذلك بثماني سنوات، وصدور قانون الخدمه العسكرية الاجبارية عـــلى جميع اللبنانيين مســـلمين ونصارى ، وكذلك استخدام الامير بشير للسخرة .

وعندما فشلت ثورة لبنان التي كانت ضـــعيفة التنظيم حـــاول البريطانيون خلق المتاعب لمحمد على بتحريض بحارة الاســـطول العثماني اللاجيء الى الاسكندرية على رفع رايه العصيان والعودة الى الآستانة .

وساءت العلاقات بين محمد علي والقنصل البريطـــاني هودجز الذى قال عند تقديم أوراق اعتماده بأن بريطانيا عازمة عزما أكيدا عـلى مواصـــلة سياستها القائمة على سلامة الامبراطورية العثمانية ووحدتهـــا مما يحمل شبهة اعلان الحرب على محمد علي الذى انصرف الى تقوية دفاعه وتوســـيع استعداداته العسكرية ، فبدأ بتشكيل فيالق جديدة ، وبناء تحصينات قـوية على الشواطيء وفي داخل القطر ، وجمع الضرائب واستنفار الرجال .فأقلقت استعداداته قناصل الدول في مصر وســـوريا فكتب هودجز الى بالمرستون في ٢٢ فبراير ١٨٤٠ « ان الدول الاوروبية تخطيء خطأ فادحا اذ تعتقـــد ان محمد علي زعيم عصابات من الافارقة السود الذين لا معنى عندهم للقيـــادة ولا قيمة للنظام ، فهو في الحقيقة رئيس لدولة غنية بالرجال والاموال وقائد

---

(٢٦) السياسة الدولية .

لجيش مدرب على احدث الطرق الاوروبية ٠ وهو ينظر بعين ملؤها الحذر الى تنكر أوروبا لنهضته وتجهمها له ويستعد للقائها ٠ وقد تلمست فى نشاطه ، فى كل نواحى هذا النشاط ، فكرة يقظة وارادة منظمة كنت بعيدا كل البعد عن الاعتقاد بوجودهما عنده » ٠ ولكن بالمرستون كان مصمما على القضاء عليه فكتب الى هودجز يقول له بكل صراحة ان الدول الاوروبية قد قررت استعمال القوة ضده اذا لم ينفذ مقرراتها واقام على موقفه من السلطان ٠

كان تفكير محمد على سليما فى استعداده لمواجهة بريطانيا بالقوة ، ولكن حيل بالمرستون لم تنضب فركز على النشاط الدبلوماسى ، ودفع عجلة المفاوضات بين السفراء فى لندن حتى نجح فى الحصول على توقيع النمسا وبروسيا وروسيا وتركيا على اتفاقية لندن فى ١٥ يوليو ١٨٤٠ وهى الاتفاقية التى قررت مصير محمد على ٠

اعتبرت اتفاقية لندن عام ١٨٤٠ نصرا كبيرا للدبلوماسية البريطانية ، والتى وجهت الى محمد على انذارا فى ١٩ اغسطس بشروط الاتفاقية وهى :

١ ـ تسلم محمد على مقاليد مصر كملك وراثى ٠

٢ ـ اناطة ادارة فلسطين (ولاية عكا) به كملك عليها مدى الحياة ٠

٣ ـ اعادة جميع الممتلكات الاخرى الى السلطان ٠

٤ ـ فى حالة عدم موافقة محمد على على الشروط المقترحة خلال عشرة أيام يحتفظ بمصر وحدها ٠

٥ ـ ان لم يوافق خلال عشرين يوما على هذه الشروط يعمل على عزله عندئذ بجهود الحلفاء المشتركة ٠

رفض محمد على الانذار ، واعلن انه ينوى ان يبقى بالسيف ما ربحه بالسيف ، وبدأت الحرب بنزول قوات بحرية بريطانية ونمسوية مشتركة على شواطىء لبنان وانتهت بسقوط بيروت واللاذقية والاسكندرية وعكا وتهديد الاسطول البريطانى بضرب الاسكندرية ٠

واضطر محمد على الى التوقيع على الاتفاقية يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٤٠ تحت فوهات المدافع البريطانية بعد ان اقتصرت مساعدة فرنسا حليفة مصر على الامداد بالاسلحة والتأييد المعنوى ، متحاشية دخول حرب أوروبية ضد روسيا وانجلترا فى وقت واحد ٠٠٠ فتركت مصر وحدها فى كفة الاقدار ٠

أصدر محمد على مرسوما بالجلاء عن سوريا وفلسطين ، واضطر ابراهيم باشا للانسحاب فى ظروف صعبة عبر السهول والصحارى الاردنية

فلم يصل من قواته التي بلغت ٦٠٫٠٠٠ جندى مصرى الا ٢٤٫٠٠٠ وهلك الباقون من العطش والجوع والبرد والمرض وهجمات العرب عليهم ٠

تمت تسوية الموقف في اول يونيو ١٨٤١ باصدار مرسوم سلطاني يحتفظ فيه محمد علي ضمن ممتلكاته الوراثية بمصر والسودان مع اعادة جميع الاراضي الباقية ، وانقاص عدد الجيش ليصبح ١٨٫٠٠٠ فقط مع حرمان محمد علي من حق تعيين اللواءات في جيشه او بناء السفن الحربية ، مع اعترافه بأنه تابع للسلطان ، يتعهد بدفع جزية كبيرة الى خزينته ٠

وهكذا تحالفت البرجوازية الاوربية وخاصة الانجليزية لضرب مصر التي حقق فيها محمد علي انجازات هائلة في ميدان الصناعة والزراعة والثقافة والحرب الحديثة ٠٠٠ وضعفت تبعية مصر الشكلية لتركيا لتقترب وتقع في دائرة النفوذ البريطاني ٠

لم يكن محمد علي مثلما حاول لامارتين الشاعر الفرنسي ان يصف صورة السيد في الشرق مظهرا الخلاف بينها وبين صورة السيد الذى يحكم في الغرب عندما وقف خطيبا امام الجمعية الوطنية الفرنسية قائلا :

« في الشرق لا وجود للنظم والاجهزة بمفهومها الصحيح ولا اثر للتقاليد السياسيه ٠ ولا وجود فيه الا لسيد من ناحية ولعبيد من ناحية اخرى ٠ والرجل الكبير فيه ليس سوى شخصية او حدث ، بل هو اشبه بنجم يتلألأ لحظة في ظلمات البربرية ٠ هو رجل يقوم بأعمال كبيرة يسخر لها آلافا من الناس الذين يحكمهم ولكنه لا يغير شيئا في مستوى هذا الشعب ولا يؤسس دولة وطيدة الاركان ، ولا يخلق اجهزة أو يضع قوانين ، فاذا غادر هذه الدنيا طوى عبقريته كما يطوى البدوى خيمته وتوارى معها تاركا المكان خاليا كما كان قبل قيامه » ٠

لم يكن محمد علي مثل البدوى الذى يطوى خيمته ويغادر الارض بلا اثر ٠٠٠ فانه أقام في مصر نظام اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا انتكس بعد موته ولكنه لم يندثر ٠

كان محمد علي قد وضع اساسا سليما لاقامة بناء ينفرد به المصريون ولا يخضعون فيه لسلطة لقوة خارجية عنهم ٠

وضعت اتفاقية لندن نهاية لحكم عصرى متحضر امتد ما يقرب من ٤٠ عاما استطاع فيها أن يستنفد جانبا من طاقات الشعب المصرى ، ويتيح الفرصة لابنائه في مجالات التعليم والثقافة والحرب ايضا ٠

وكتب كارل ماركس قائلا (ان محمد علي كان الشخص الوحيد الذى كان في قدرته تحويل تركيا من العمامة المفتخرة الى رأس حي حقيقي) ٠

الاميرالاى عرابى ثائرا وقائدا

(السلطة التى اتمتع بها الآن لم أقم باغتصابها بل قلدنى اياها الشعب) .

احمد عرابى

أثر الاستسلام على قدرة محمد على العقلية وهو فى الواحدة والسبعين من عمره فتنحى عن ادارة شئون الدولة لابنه ابراهيم باشا الذى ادارها

فى الاربعينيات حتى اصبح حاكم مصر الرسمى عام ١٨٤٨ الا انه توفى بعد ثلاثة شهور فقط فى ١٠ نوفمبر ولحق به محمد على الذى مات عن ثمانين عاما فى ٢٠ اغسطس ١٨٤٩ .

تولى عباس باشا الحكم فى ٢٤ ديسمبر ١٨٤٨ ومحمد على مايزال على قيد الحياة ...

وانحسرت خلال حكمه منجزات محمد على، لانه كان معاديا للتطور . نفورا من الحضارة الاوروبية ، منجذبا الى السلطنة التركية ... فأغلق المصانع والمدارس وهدم ما بنى من القناطر الخيرية ... وخضع لتعليمات الانجليز خضوعا تاما . واستند فى حكمه الى كبار الاقطاعيين الذين تكونوا فى عهد محمد على ، واضاف عباس لهم مزيدا من الارض ، وكان هو نفسه اكبر مالك فى مصر .

منح عباس الانجليز امتياز مد السكة الحديد من الاسكندرية الى القاهرة والسويس لتسهيل تجارتهم مع الهند ... واصبحت انجلترا هى الدولة الاولى فى التعامل التجارى مع مصر . فى اواخر الاربعينيات كان ربع الاستيراد منها وثلث الصادرات اليها .

ووصل الانحسار الرجعى فى مصر الى صفوف الجيش اساسا فانقص عدده عما حدد له حتى هبط فى وقت ما الى ٥٠٠٠ جندى ، حوله كما كان فى عهد بكوات المماليك الى حرس خاص له ... ومع ذلك كانت نهايته القتل بواسطة حرسه والاعلان فى بيان رسمى صدر فى يوليو ١٨٥٤ بأنه مات بالسكتة القلبية .

ولم يكن سهلا على عباس ان يرجع بمصر التى تألقت باصلاحات محمد على الى الانظمة التركية القديمة ...

كانت مصر قد بعثت فيها القوى الانتاجية ، واتضحت العلاقات الرأسمالية وتكونت البرجوازية ، وارتبطت بالسوق العالمية .

وفى ١٤ يوليو ١٨٥٤ تولى الحكم سعيد باشا احد اولاد محمد على الصغار وكان مختلفا فى طبيعته عن عباس باشا ... تميز بتفكير حر واعتبر نفسه مصريا الا ان ميوله كانت غربية ... منح صديقه فرديناند دى ليسبس امتياز شق قناة السويس بعد ثلاثة شهور فقط من حكم مصر .

كانت بعض شروط الامتياز شديدة الاجحاف بمصر التى تعهدت بتقديم اربعة اخماس العمال المطلوبين للحفر مجانا ، والذين بلغ عددهم بصفة مستمرة ما بين ٢٥ الى ٤٠ الف فلاح ، عملوا فى سخرة مطلقة وتحت ظروف رهيبة القسوة ، فمات منهم خلال العمل ٢٠ الفا ، شيدوا بحياتهم وعرق زملائهم اضخم مشروع للبرجوازية الاوروبية فى القرن التاسع عشر .

وفى نفس الوقت حرم سعيد باشا نظام وتجارة واستيراد الرقيق ، وحرر العبيد الذين كانوا يعيشون فى مصر ... واعطى للفلاح حق تملك الارض ، وحرية زراعة وبيع المحصولات الزراعية بعد ان الغى نظام الاحتكارات وقام بتصفية الجمارك الداخلية .. وقد كون هذا الوضع ظروفا ملائمة لتطور العلاقات الرأسمالية فى القرية حيث اتيح للتجار واثرياء الفلاحين شراء الارض مما نقل مساحات كبيرة الى المرابين والرأسماليين الاجانب .

وفى عهد سعيد اصبحت اللغة العربية هى اللغة الرسمية الوحيدة في مصر .

وكان سعيد باشا مع ضعفه وتناقضاته يحب مصر حبا عميقا ، ويتحمس للمصريين ، وانعكس ذلك على الجيش اساسا ، فأعاد له صبغته

الوطنية ، ونجح في تغيير بعض القيود التي فرضت على الجيش عـام ١٨٤١ فحصل في عام ١٨٥٦ على موافقة من البـاب العالي بزيادة الجيش المصري من ١٨ الفا الى ٣٠ الف جنـدي ، وكان يقضي معظم وقته مع الجيش ، يقدم لجنوده جيد الطعام ، ويوفر لهم افخر الملابس الزاهيـة ، ويشـجع المصريين على دخـول مدارس الجيش التي اعاد فتحهـا ٠٠ يقـول عرابي في مذكراته ان سعيدا أهداه تاريخ نابليون بالعربية طبع بيروت وهـو بادي الغيظ لتمكن الفرنسـيين من التغلب على البلاد المصرية ٠

وسن قاعدة جديدة تسمح بترقي صـف الضباط والضباط المصريين الى رتب كبار الضباط ٠٠٠ و دسر بذلك نهائيا الحاجز الذي كان يسـد طريق وصول المصريين الى قيادة الجنود لاول مرة في تاريخ مصر الحديث ، وفي نفس الوقت مهد الطريق لثورة حقيقية في المجتمع المصري ٠

وصل الى رتبة البكباشي ــ المقدم ــ في عهده ضابطان مصريان ، همـا احمد عرابي وعبد العال حلمي ٠٠ ووصل الاقباط كذلك الى رتب الضـباط لاول مرة ٠

واحمد عرابي ولد عام ١٨٤١ ابنا لشيخ بلد قرية (هـرية رزنة) بالشرقية ، تعلم القراءة والحساب على يد صراف قبطي ثم انتقـل الى الأزهر ومنه الى الجيش ، حيث سـاعده تعليمه وزيادة عـدد الجيش على سرعه الترقي حتى اصبح ملازما عام ١٨٥٨ وبكباشي وياورا لسعيد عام ١٨٦٠ ٠

ولكن احمد عرابي لم يواصل ترقياته السريعة في عهد اسماعيل الذي اقتصر منذ تولى الحكم بعد سعيد عام ١٨٦٣ على ترقية الضـباط الالبانيين والشراكسة الى المناصب القيادية ، وابعاد الضباط المصريين الى المناصـب الثانوية ، مما احدث خلافـا في صفوف الجيش بين العناصر الوطنيـة الديمقراطية من الضباط الذين كانوا يسمون انفسهم (الفلاحين) والآخرين الذين لقبوا باسم (الشراكسة) وزادت حدة التناقضات بتوزيعه خمسمائة فدان لكل لواء ، ٢٠٠ فدان لكل اميرالاي ١٥٠ لكل قائمقـام ٠٠٠ ومعنى هذا حرمان المصريين من هذه الهبات ٠

ومع هذا لم يكن عهد الخديوي اسماعيل يمثل انحسـارا في تطـور الجيش ٠٠٠ العكس هو الصحيح ٠

اتاحت الفرمانات التي حصل عليها من الباب العالي فرصـة كبيرة لتطوير الجيش والمجتمع ايضا ٠

وصل الجيش في السـبعينيات الى ثمانين الفا ، وارسل ١٥ فرقة عسكرية الى مولدافيا وكريت لمعـاونة الجيش العثماني في القضـاء على ثوراتها ، وكما حضر الضباط الفرنسيون بعد هزيمة نابليون للعمـل في الجيش المصري ، حضر ايضا عدد من الضباط الامريكيين بعد انتهاء الحـرب الاهلية الامريكية (١٨٦١ ــ ١٨٦٥) ٠

وقد احتجت انجلترا وفرنسا على ذلك ولكن اسماعيل قابلهما بالسخرية وعدم الاكتراث .

كان الخديوى اسماعيل يفضـــــل الضباط الامريكيين لان الولايات المتحدة الامريكية فى ذلك الوقت كانت بعيدة عن الاطماع الاستعمارية ... وخلال الفترة من ١٨٧٠ الى ١٨٧٩ كان هناك ٥٤ ضابطا امريكيا يخدمـــون فى الجيش المصرى ، احدهم فى رتبة لواء واثنان فى رتبة الاميرالاى ، ولكنهم سرحوا جميعا عام ١٨٧٩ كنتيجة للازمة المالية الطاحنة ، ولم يبق الا اللــواء ستون باشا الذى كان رئيسا لهيئة أركان الحرب من ١٨٧٠ الى ١٨٨٢ .

ولم يكن الضباط الامريكيون يعينون فى قيـــادة الوحـــدات ، ولكنهـم كانوا يتولون مناصب فى الرئاسات وفى الاسلحة المساعدة ... قام البعض منهم باعداد خرائط حربية لمنابع النيل وغرب السودان وتشاد .

ونتيجة لزيادة عدد الجيش المصرى ، وصدور قرار بتعيين ضـــباطه من خريجى مدارس الجيش فقط ، زادت نسبة الضـــــباط المصريين حتى اصبحوا الاغلبية التى ترأسها وتتحكم فيها الاقلية الشركسية ... كمـــا انتشر التعليم فى الجيش بحيث لم يكن فيه سوى ٤٢ جنديا اميا فقط (٢٧).

أحمد عرابى الذى وصل الى رتبة البكباشى فى عهد سعيد .. أمضى ١٩ عاما بلا ترقيه خلال حكم اسماعيل ، ولم يصل الى رتبة الاميرالاى الا بعد خروج اسماعيل فى صيف ١٨٧٩ .

وتالفت فى الجيش المصرى عام ١٨٧٦ اول (جمعية سرية) فى تاريخه الحديث برئاسة على الروبى للدفاع عن مصالح الضباط الوطنيين باســم (مصر الفتاة) وزاد نشاطها عقب انضمام احمد عرابى لها بعـــد حـرب الحبشه . التى اتهمه الاتراك خلالها ظلما بالرشوه ، عندما كان مأمور الحملة فى (مصوع) واصبح عرابى بجرأته وفصاحته الرئيس الفعـــلى لهذه الجمعية عام ١٨٧٧ .

واختبرت الاحداث قوة الضباط الوطنيين فى مواجهة السلطة ، عنـــدما تاخر صرف مرتبات الضباط ما يقرب من ١٥ شـــهرا ، ثم سرت اشـــاعة بنية رئيس الوزراء الارمنى نوبار باشا ووزير ماليته ريفرز ويلســـون الذى عينته الحكومة البريطانية لتســـوية الديون بتسريح ٢٥٠٠ ضابط مصرى ، وتخفيض رواتب الباقين الى النصف ..

وقام الضباط المصريون بقيادة لطيف سليم ناظر المدرســـة الحربية باول مظاهرة فى التاريخ يـــوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ وحاصروا نوبار وويلســـون

---

(٢٧) روزنتين — الثورة العرابية / صلاح عيسى .

امام وزارة المالية وانهالوا عليهما ضربا ، حتى حضر الخديوى شخصيا لانقاذهما ، غير انه لم يتخذ اى اجراء مضاد ، نظرا لعدم تحمسه للاثنين ... ومع ذلك فقد قدم احمد عرابى وعلى الروبى ومحمد النادى الى المحاكمة بتهمة تدبير التمرد واكتفى المجلس العسكرى بتوبيخهم رغم عدم اشتراكهم فى المظاهرة وهذا دليل على ان حركتهم كانت تحت الضوء ... وقد دفع ذلك عرابى الى التفكير فى تكوين جمعية لخلع الخديوى اسماعيل الذى اقترض ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه من بيت روتشيلد لدفع المرتبات المتأخرة ، واقال نوبار باشا فى ٩ مارس وعين ابنه توفيق رئيساللوزراء.

وكانت هذه الحادثة بمثابة الاكتشاف الجديد ، لقوة ضباط الجيش الوطنيين الملقبين باسم (الفلاحين) ، اذ ادركوا امكانية خوضهم النضال ضد الظلمة الاوروبيين ، واشتهرت بينهم اسماء احمد عرابى وعلى الروبى وعبد العال حلمى وعلى فهمى ومحمود فهمى وغيرهم من الضباط الوطنيين .

ولم تكن حركة الضباط منعزلة عن الجماهير .. بل كانت مرتبطة بها أشد الارتباط .. وكان احمد عرابى يعتبر نفسه من اتباع جمال الدين الافغانى الذى استقر فى مصر عام ١٨٧١ وابعد عنها فى سبتمبر ١٨٧٩ ، كما برز بعض المعبرين عن ايديولوجية الحركة مثل الشيخ محمد عبده واديب اسحق الكاتب والصحفى السورى الذى استوطن مصر عام ١٨٧٦ وعبد الله النديم وسليم نقاش وابراهيم اللقانى وغيرهم من المثقفين .

ولم يقف ارتباط حركة الضباط بالقوى السياسية عند هذا الحد بل وصلت اتجاهات المعارضة الى (مجلس شورى النواب) الذى كان مشكلا من اصحاب الاراضى ورجال الدين ، والذى تحولت جلسته الدورية فى يناير ١٨٧٩ الى ساحة لمهاجمة (الوزارة الاوربية) والتى اصبح الهجوم عليها اساسا لكافة الاتجاهات الوطنية فى الجيش وخارج الجيش .

وفى هذه الفترة حدث تجمع العناصر ـ الشراكسة الاذكياء والبرجوازية الزراعية فيما عرف باسم (الحزب الوطنى) بقيادة محمد شريف باشا ... ورغم ان جمعية (مصر الفتاة) كانت تعتبر اكثر تقدما الا انها تحالفت معه واندمجت فيه .. ولكن الحزب الوطنى فى تشكيله العام كان قاصرا عن الوعى بابعاد التناقضات التى تعيش فى الجيش ومدى ما يمكن ان تؤدى اليه .

وبدات تعقد الاجتماعات ضد (الوزارة الاوروبية) علانية ، وتوضع العرائض للخديوى من المدنيين والعسكريين مطالبة باقالتها . وثمة اختلاف فى عدد الموقعين على عريضة المطالب وعلى تصنيفهم ، يذكر مراسل التيمس ان هذه العريضة قد وقعها سبعون من العلماء على رأسهم شيخ الاسلام وبطريرك الاقباط وحاخام اليهود بالنيابة عن طوائفهم ، وستون من

الباشوات ومثلهم من البكوات واربعون من الاعيان وكثير من ضباط الجيش. ومعنى هذا أن الموقعين على البيان هم ٣٢٠ غير ضباط الجيش • بينما يذكر الاستاذ الرافعى ان عدد الموقعين جميعا ٣٢٧ منهم ٦٠ من اعضاء مجلس الشورى و ٦٠ من العلماء والهيئات الدينية و ٤٢ من الاعيان والتجار و ٧٢ من الموظفين والعاملين والمتقاعدين و ٩٣ من الضباط • ويقل العدد فى مصادر اخرى الى ٢٠٠ عضو فقط منهم ٦٢ من رجال الدين و ٤١ من كبار الملاك الزراعيين والتجار و ٦٠ من اعضاء مجلس الشورى و ٣٧ من الضباط (٢٨) •

وشرع مجلس النواب يعد خطة مالية خاصة بخلاف خطة ويلسن •• وقد ساعد المناخ السياسى على بلورة الاتجاهات السياسية فى الجيش كما ربط بين الضباط والمدنيين ••• وسارع فى خلق علاقة وثيقة بين المطالب المهنية والسياسية •

وجدت هذه الاتجاهات الوطنية صدى عند الخديوى اسماعيل الذى عقد اجتماعا يوم ٧ ابريل ١٨٧٩ فى قصر عابدين اعلن فيه أن الاستياء قد بلغ ذروته فى البلاد وان الامة تطالب بتاليف وزارة مصرية خالصة وقال « انى اعتبر واجبى المقدس كرئيس دولة وكمصرى ان اراعى وجهة نظر بلادى وان أحقق أمانى أمتى الشرعية بصورة تامة » •

واعلن الخديوى اسماعيل عزل الوزارة الاوروبية وتاليف حكومة مصرية برئاسة شريف باشا وزير العدل وكان من كبار اصحاب الاملاك وذوى الافكار الوطنية الحرة •

أثار موقف الخديوى اسماعيل ثائرة الدول الاوروبية فاخذت تصفه بأنه (طاغية شرقى) بعد ان كانت تثنى عليه باعتباره حاكما مثقفا تقدميا اثناء استدانته للقروض الخارجية •

وقدم القنصل البريطانى انذارا باسم اللورد سالسبورى وزير الخارجية رفضه الخديوى اسماعيل وتبعه انذار آخر من حكومتى المانيا والنمسا ثم وصل انذار نهائى فى ١٩ يونيو ١٨٧٩ قدمته انجلترا وفرنسا تطلبان فيه التنازل عن العرش ، تحت تهديدهما بالالتجاء الى السلطان التركى وخلعه بالقوة •

رفع اسماعيل الموقف بنفسه للسلطان فكانت النتيجة وصول برقية من السلطان يوم ٢٥ يونيو بعزله وتعيين ابنه توفيق خديوى على مصر ••• ورحل اسماعيل وقد ودعته مظاهرة شعبية قدرت موقفه الاخير فى تاليف حكومة وطنية وانتهاج سياسة مستقلة •

---

(٢٨) الثورة العرابية ـ صلاح عيسى •

وطويت صفحة الخديوى اسماعيل الذى يعتبر رائد التطور الرأسمالى فى مصر ، والذى حقق فى المجتمع انجازات كبيرة شملت الصناعة التى تقدمت فى مجالات النسيج والتسليح وصناعة السكر وبناء السفن التى وصلت باسطول مصر التجارى الى مستوى تفوقت به على الاسطول الفرنسى من الناحية الفنية .. كما ان نسبة البواخر الى السفن الشراعية كانت ٦٠٪ فى مصر ، ٢٥٪ فى انجلترا ، ١٥٪ فى فرنسا ... وسبقت مصر فى مجال السكة الحديد عددا من الدول الرأسمالية المتطورة ففى عام ١٨٧٦ مثلا كان فى فرنسا ٥ر٣٧ كيلو متر سكة حديد لكل الف كيلو متر مربع من الارض بينما وصلت فى مصر الى ٥ر٥ كيلو متر .

وارتفع عدد المدارس فى عهد اسماعيل من ١٨٥ مدرسة الى ٤٦٨٥ كان يدرس بها حوالى مائة ألف تلميذ وانشئت الاوبرا ودار الكتب والمتحف والجمعيات العلمية وانتشرت الصحافة المتطورة .

كانت سياسة الخديوى اسماعيل الاقتصادية هى السبب الرئيسى الذى أدى الى وقوعه فريسة لديون الدول الرأسمالية التى اطاحت بعرشه .

وكانت سياسته فى الجيش ايضا سببا فى وقوف الضباط المصريين منه موقف الجفاء ، اذ ادركوا انه لا يساندهم مساندة صريحة ، وانما يستخدمهم لاغراضه ... نبهه جعفر مظهر حكمدار السودان الى ضرورة ارسال ضباط مصريين بدلا من الضباط الاجانب لاكتشاف مناطق خط الاستواء ، ولكنه ارسل صمويل بيكر ثم عين جوردون خلفا له فى حكومة خط الاستواء ، واخيرا عينه حاكما عاما فى السودان ترضية لانجلترا وبناء على توصية البرنس اوف ويلز ولى عهد انجلترا .

وعقب مظاهرة فبراير ١٨٧٩ اصدر امرا بنقل احمد عرابى الى الاسكندرية مغضوبا عليه ... مما جعل الضباط يجتمعون مرتين ويفكرون فى عزل اسماعيل والتخلص من اسرة محمد على واعلان الجمهورية كما روى أحمد عرابى .

وكان المصدر الرئيسى الذى تشعبت منه هذه المظاهرة هزيمة الجيش المصرى فى الحبشة عام ١٨٧٦ عندما ارسل الخديوى اسماعيل حملة مؤلفة من ٢٠ الف مقاتل تحت قيادة راتب باشا التركى والجنرال الامريكى لورنج واركان حربه ... وحدثت خلافات فى القيادة العليا بين الاثنين انتهت بهزيمة منكرة للجيش كلفت الدولة اكثر من مليون جنيه ، وبذرت فى الشعب والجيش شعورا بالاستياء العام .

وكانت هذه الحملة هى الاخيرة فى سلسلة الحملات التى قام بها الجيش المصرى خلال ثمانين عاما تقريبا خارج وادى النيل (مصر والسودان)

وتحققت فيها انتصارات كبيرة ، اثبت فيها الفلاح المصرى انه محارب شجاع وصبور متى توافرت له القيادة القادرة .

وكان وصول المصريين الى مراكز القيادة فى الجيش ، وتوافر الاغلبية العامة بين الضباط لهم ، وتوحيد الافكار داخل الجيش وخارجه بين العناصر الوطنية ، دافعا الى اتخاذ مواقف وطنية اكثر جرأة وصلابة ضد الخديوى توفيق الذى بدأ حكمه بعد والده باتخاذ خطوات رجعية متهاونة ... رفض التوقيع على لائحة الدستور التى اعدها شريف باشا ، واعاد الرقابة المالية الثنائية ، ثم أقال وزارة شريف باشا واستبدله برياض باشا الذى كان شديد الخضوع للمسئولين البريطانيين ، فمارس المراقبون الاجانب واعضاء (لجنة دين الخديوى) وظائف الحكومة الفعلية فى البلاد .

وبدأ احتكاك الضباط بالخديوى يظهر فى صورة عملية بعد الغاء فرمان ١٨٧٣ الذى حصل عليه اسماعيل ، فتقرر حرمان مصر من عقد قروض خارجية الا بعد موافقة الباب العالى ، وخفض عدد الجيش المصرى مرة ثانية ليكون ١٨ الف شخص فقط . فأحيل عدد كبير من الضباط الى الاستيداع، ووقعوا فى ضيق مالى شديد .

عادت القسوة فى معاملة الفلاحين لسوء جشع المرابين الاجانب ... وتأخر صرف مرتبات الضباط عدة مرات .. وتربع الشراكة تماما فى المراكز القيادية التى أبعد عنها الضباط المصريون .

وحدث الصدام الاول بين الجيش والحكومة عندما أعد عثمان رفقى وزير الحربية فى وزارة رياض باشا مشروعا يقصر مدة التجنيد على اربع سنوات فقط ، الامر الذى يحرم ترقية الجنود الى ضباط ... او بمعنى أصح يحرم المصريين من ذلك ... لان المدة المقررة للخدمة لا تكفى لكى يصل العسكرى الساذج الخالى من المعارف العسكرية الى درجة تؤهله لان يكون ضابطا ، فلا بد أن ينحصر تعيين الضباط فيمن ينال المعارف العسكرية بالتحصيل فى المدارس الحربية لا غير . وهى حجة واهية لان المدارس الحربية فى ذلك الوقت كانت فى مستوى عادى ، ولم تكن تقدم معارف عسكرية ذات قيمة فضلا عن ان دخول العناصر المصرية اليها لم يكن ميسورا . وكان الهدف الحقيقى من اصدار القانون هو حرمان المصريين حرمانا تاما من الوصول الى مراكز قيادية فى الجيش .

وتقدم احمد عرابى قائد الكتيبة الرابعة بالجيش وعلى فهمى قائد الكتيبة الاول بعريضة الى رئيس الوزراء يطلبان فيها التحقيق فى الترقيات

الاخيرة ، وعزل عثمان رفقي وزير الحربية لانه فصل بعض الضـــــباط دون تحقيق •

واجتمع مجلس الوزراء برئاسة الخديوى يوم ٣٠ يناير ١٨٨١ واصـدر قرارا باعتقال احمد عرابي وعلى فهمى وعبد العـــال حلمى ومحاكمتهم لان عثمان رفقى اعتبرها (حركة فلاحين شيالين بالمقاطف) •

استدعى الضباط الثلاثة الى وزارة الحربيـــة يوم اول فبراير ١٨٨١ حيث كان كل شيء معدا للتنكيل بهم ٠٠٠ المحاكمة الصـــورية والاحكـــام المسبقة ٠٠٠ ولكن قرار مجلس الوزراء لم يكن سرا بالنسبة لهم ، فاتخـــذوا حيطتهم وابلغوا وحداتهم بأنهم اذا تأخروا عن العودة أكثر من ساعتين فعليهم التحرك مع آلاى مشاة آخر فى طره لانقاذهم •

وما ان بدأت تمثيلية المحاكمة حتى وصلت قوات المشـــاة المصرية الى الوزارة لطوقتها ، وهرب عثمان رفقى من الشباك ، واقتحم الجنود قاعـــة المحاكمة وحملوا قادتهم على الاعناق ، وتوجهـــــوا فى مظاهـــرة الى قصر الخديوى حيث طالبوا بعزل عثمان رفقى فورا ، واقرار حقـــوق متساوية فى الجيش •

وتلفت الخديوى حوله فلم يجد أحدا يسانده ، فعزل وزير الحربيـــة فورا وعين بدلا منه محمود سامى البارودى الذى كان شاعرا ووطنيـــا ديموقراطيا من الحزب الوطنى انجذب بعـد ذلك الى جناح عرابى أكثر من جناح شريف باشا ٠٠٠ وصدر قرار خديوى بتشكيل لجنة خاصة للتحقيق فى ترقيات عثمان رفقى وعين فيها احمد عرابى •

كانت هذه هى المظاهرة العسكرية الثانية بعد مظاهرة الضباط ضـــد نوبار باشا ٠٠٠ ولكنها كانت قاصرة أيضا على مطالب مهنية محـدودة،ولم تتجاوز ذلك الى مطالب وطنية اخرى فلم يعترضوا على صـــلاحيات المراقبين الاجانب وتركوا رياض باشا فى منصب رئاسة الوزراء •

يرجع ذلك الى السرعة التى تمت بها كرد فعـــل دون تدبير ٠٠٠ والى عدم اكتمال تنظيم الحزب الوطنى من المدنيين والعسكريين والاتفاق عـــلى برنامج واضح لهم •

وكانت هذه المظاهرة تعنى فقدان الخديوى لثقته فى ضـــباط الجيش وتربصه بهم وتدبيره الخطط للتنكيل بهم •

نظرة الخديوى توفيق للجيش كانت ترى فيه حاميا للطبقة الســائدة ووظيفته محدودة فيما رسم له وقد عبر الخديوى عن ذلك فى خطـــاب القاه فى احتفال أقيم فى ١٢ فبراير ١٨٨١ عقب الهجـوم على قصرالنيل وحضره

جميع الضباط الكبار فى الجيش ، وفى هـذا الخطاب اعلن الخديوى اسفه لما حـــدث فى اول فبراير ، وعفوه عنه ، ثم اكد للضباط انه « يلزمكم ألا تشـــتغلوا من الآن فصاعدا بشىء خارج عن حـــدود وظائفكم »ذلك ان « العسكر ليس لهم وظيفة سوى التمسك بالقوانين الجهادية والسـعى فى اداء واجباتهم العسكرية والامتثال لولى امرهم » . وان اكمل الصـــفات العسكرية هى « الاستقامة والامتثال فى كل الامـور والاحوال » . وكرر رياض باشا ــ رئيس الوزراء اذ ذاك ــ هذه الافكار ، فقـــد خاطب الضباط قائلا : « أنتم روح الضبط والربط وأنتم قوة الحاكم وآلته المنفـذة ، فاذا بدأكم الحاكم بحسن الالتفات ونظـر اليكم بعين الرأفـة والرحمـة فعليكم وجوبا كما اخذتم مالكم ان تؤدوا ما عليكم وهو طاعة ولى الامر الذى هـــو السبب الاعظم فى جميع هذه الخيرات التى شملتنا . فعليكم ان تكونوا دائما على قـــدم الاستعداد لتنفيذ احكامه والمحافظة على اوامره ونواميســــه العادلة » .

أما نظرة ضباط الجيش فقـد تمثلت فى رد عرابى على خطاب رياض وتأكيده بأنه وزملاءه « يريدون الاصلاح واقامة العـــدل على قاعدة الحـرية والاخاء والمساواة » ... وفى حديثه مع بلفت قال : « ان الجيش هـــــو القوة الواقفة الان بين مصر وحكامها الاتراك الذين لا يحجـــمون عن تجديد مظالم اسماعيل فى أى وقت اذا لاحت لهم فرصة » ويقول « ان المراقبــــة الاوروبية تحول بصفة جزئية بين اولئك الحكام وما يريدون ولكنها لا تؤهل البلاد لحكم نفسها حين ينقضى اجل المراقبة » وقال « لقد كســـب الجيش للمصريين حق التكلم فى مجلس النواب ، ونحن نؤيدهم ــ أى النواب ــ حتى لا يخدعوا ولا يضغط عليهم بالقوة ، ومتى عرف برلماننا كيـــف يتكلم تنتهى مهمتنا نحن الجنود ، ونحن مصممون على حراسة الشعب المصرى وحمايتـــه من الذين يحاولون اسكات صوته » وهو ما عبرت عنـــه المادة الرابعة مـن برنامج الحزب الوطنى حيث اشارت الى مجلس النواب التركى الذى اكـره على الصمت وقالت ان الوطنيين قد « فوضـــوا امرهم الى امراء الجهـــادية وطلبوا منهم ان يصمموا على طلبهم لعلمهم ان رجال العسكرية هم القـــوة الوحيدة فى البلاد ، وهم يدافعون عن حريتهم الآخذة فى النمو . وليس فى عزمهم ابقاء الحال على ما هى عليه ، بل متى تحصلت الامة على حقوقهـــــا عدلوا عن السياسة الحاضرة ، ولان امراء الجهادية عازمون على ترك التدخـــل فى السياسة متى فتح المجلس . فهم الآن بصفة حراس على الامـــة التى لا سلاح لهـــــا » . ومن هذا التصور لدور الجيش كســـلطة ثورية تحفظ

« حقوق الامة » انطلقت القوى الثورية لتحقيق مفهومها هذا عمليا .

وهكذا بدأ التناطح وظهر ذلك سريعا اذ لم تكد تهدأ الاضطرابات حتى عزل الخديوى توفيق محمود سامى البارودى ، وقرن ذلك باجتماع دعا اليه كبار الضباط وابلغهم انه يضع ثقته كاملة فى رياض باشا رئيس الوزارة وامر بزيادة مرتبات الضباط المصريين الذين احيلوا الى الاستيداع ، كما أصدر أمرا آخر يقضى بمعاملة جميع الضباط مستقبلا على قدم المساواة سواء أكانوا أتراكا أم شراكسة أو مصريين ، وحاول فى سنة ١٨٨١ أن يضم اليه القوات المرابطة فى الاسكندرية ، وان يتفاهم مع على فهمى ليضمه اليه هو وقوات حرس الخديوى وخدعه على فهمى واكد له انه معه تضليلا ... كما اصدر من جهة اخرى تعليمات بمنع اجتماعات الضباط فى المنازل او الاحياء ولكن هذه الخطوات لم تضعف من تأهب كل فريق للآخر وحذره منه ... كان الضباط يواصلون اجتماعاتهم السرية وارتباطاتهم العلنية مع الوطنيين والمثقفين ... وكان الخديوى يعد خطته للتخلص من الاتجاهات المضادة له فى الجيش ، فأصدر أمرا يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ بنقل بعض الآلايات الى الريف وكان ينبغى ان يرحل معها احمد عرابى وعلى فهمى وعدد من الضباط الوطنيين .

وقرر القادة الوطنيون عدم الاستجابة للامر اذ كانوا على ثقة من ان هذه كانت خطوة تمهيدية للتخلص منهم ، خاصة وان بذور شك كانت قد بعثت فى صدورهم بوجود مؤامرة لاغتيالهم .

وتحرك الجيش المصرى فى مظاهرته الثالثة خلال فترة أقل من ثلاث سنوات فى نفس اليوم الذى تلقوا فيه الاوامر بتحريك القوات للريف ... وكان عددهم حوالى ٢٥٠٠ ضابط وجندى اصطفوا فى شكل مربع مفتوح مواجه لسراى عابدين بقيادة احمد عرابى ، وعندما نزل الخديوى توفيق الى الساحة ومعه اوكلند كلفن المراقب المالى البريطانى ، بعد ان حاول عبثا استثارة وحدات موالية له ... تقدم له احمد عرابى ممتطيا جواده ومقدما ثلاثة مطالب محددة هى :

١ ــ اقالة وزارة رياض باشا .

٢ ــ اعلان الدستور وتشكيل مجلس نواب على النظام الاوروبى .

٣ ــ زيادة عدد الجيش .

وارتبك الخديوى ثم دار الحوار المشهور عندما قال له الخديوى ،

ــ كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وانا ورثت هذه البلاد عن آبائى واجدادى وما انتم الا عبيد احساناتنا .

وقال عرابى قولته المعروفة :

ـ لقد خلقنا الله احرارا ... واننا لا نستعبد بعد اليوم .

وخاف الخديوى من لهجة الحديث واشار عليه القنصل البريطانى الذى كان يقف الى جانبه بالعودة للسراى ، وتصدى هو وكلفن لمناقشة عرابى الذى وافقهما على تنفيذ المطلب الاول بتعيين شريف باشا رئيسا للوزراء وتأجيل الباقى لعرضه على الباب العالى فى تركيا .

ومرة ثانية ... لم تصل الحركة العسكرية الى غايتها ، ولم تحقق اهدافها كاملة رغم تعبيرها عن ارادة الجماهير كما قال عرابى للقنصل البريطانى « ان طلباتى المتعلقة بالاهالى لم اعمد اليها الا لانهم أقامونى نائبا عنهم فى تنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر الذين هم اخوانهم واولادهم » .

كان النصر مرة اخرى جزئيا ... لان المظاهرة الثالثة ايضا بعد مظاهرة ١٨٧٩ واول فبراير ١٨٨١ كانت من رد الفعل الذى اجبر الضباط على تنفيذه دون تخطيط او تدبير فى نفس اليوم ، حتى يكونوا فى الهجوم بدلا من الدفاع .

وكانت العلاقة بين الضباط الثوريين ابناء الفلاحين ... وبين كبار الملاك الارستقراطيين غير منسجمة بالقدر الذى يحقق لها الوحدة الشعبية الكاملة ... فعندما دعى شريف باشا لتولى الوزارة عارض فى ان تأتيه عن طريق ترشيح الجيش المتمرد .

ولم يذعن شريف لرجاء مندوبى انجلترا وفرنسا ... واراد احمد عرابى ان يحصل على تأييد مجلس النواب واعيان القاهرة فجمعه يوم ١٣ سبتمبر ، وعرض عليه نتيجة اتصالاته بشريف وموقف الاخير منها ، حيث كان يصر على إنسحاب الآلايات المتمردة الى المواقع التى يختارها له فى حالة توليه رئاسة الوزارة .

ولم يدرك احمد عرابى فى هذه اللحظة عمق التناقضات الطبقية بين الفلاحين الذين كان يفخر بتمثيله لهم ، وبين الاعيان الذين كان يمثلهم شريف ... كان كبار الملاك ينتابهم الخوف من اندفاع الحركة الشعبية ... كما ان العناصر المدنية كانت تخشى تاليف حكومة عسكرية كاملة .

ولذا وقف المدنيون من الاعيان وغيرهم الى جانب شريف ، وتوسطوا لديه بقبول الوزارة على ان يكون الجيش خاضعا لها ... وحدثت مساومة قبل فيها عرابى نقل الآلايات المتمردة من القاهرة ، وقبل شريف تولى الوزارة مع تعيين محمود سامى البارودى وزيرا للحربية وتنفيذ القانون العسكرى الذى تعتبر اهم مادة فيه زيادة الجيش الى ١٨٫٠٠٠ .

ورغم ذلك تعتبر انتفاضة ٩ سبتمبر ١٨٨١ نقطة انتقـــال فى تاريخ الحركه الوطنية المصرية ، اذ ربطت لاول مرة بين الشـــعب والجيش فى نضال مشترك ٠٠ ولم يعد عرابى زعيما لفريق من الضباط وانما اصـــبح فى مركز الصدارة من الزعامة الشعبية ورئيسا فعليا للحزب الوطنى واصبح الجيش هو المنظمة الوحيدة التى تتطلع اليها الجماهـــير لتحقيق امالها ٠٠ والدفاع عن حرياتها ٠٠٠ وتعزز مركز الوطنيين فى مصر ووقعوا توكيـــلات بانابة احمد عرابى عن الامة فى كل ما يتعلق بالسياسة الوطنية ٠

وانتهز شريف باشا الذى اسفر عن موقفه الطبقى المعـــادى لحـــركة الجيش فرصة تولية الوزارة فارسل الى الخديوى يطلب استمرار نظـــام المراقبه الثنائية الاوروبيه عـــلى الحكومة كمـــا شرع فى ترحيل الآلايات المتمردة ، فانسحب فى اكتوبر ١٨٨١ الاى عرابى الى أبو كبير والاى عبد العال حلمى الى دمياط ٠

وكانت تحركات هذه القوات فرصة لقيام مظاهرات شـــعبية ضـــد حكومه شريف ، واحشد عشرات الالاف من ســكان القاهرة لتوديع عـــرابى وجنوده والاحتجاج على نقلهم من القاهرة ٠٠ وقـــد زاد ذلك فى متانة النسيج بين الشعب والجيش ٠

ولم تنجح هذه التحركات فى اضعاف المد الثورى اذ واصـــل جنـود حامية القاهرة مساندتهم لعرابى الذى رجع الى القاهرة بحجـــة توعك صحة زوجته ، وبدأ يواجه الخديوى صراحة ويعارض اتجاهاته علانية ٠٠

وظهر عرابى بمظهر الرجل القوى الذى يهدد المصالح الاجنبية فى مصر مما دفع فرنسا وانجلترا لتهيئة خطة مشتركة للعمل فى مصر ٠٠٠ وقـــرر شريف عندئذ عقد مجلس النواب لكى يحرم الجيش من دوره النضـــــالى مصرحا بأن مجلس النواب سيصبح هيئة يستند اليها الخـــديوى وحكومته فى نضالهما ضد (الاستبداد العسكرى) ٠

ورفض شريف اقرار الدستور الذى اعده هو نفسه منذ سنتين ليظـــل المجلس محصورا فى حدود سلطاته المحدودة ٠٠٠ وهكـــــذا وقف عرابى والجيش مع دستور شريف ، واحتفظ شريف بقانون المجلس القديم ٠

وتالف المجلس فعلا فى ديسمبر ١٨٨١ برئاسة محمد سلطان باشا ، واتخذ موقف التأييد من الخـــديوى ، ولكنـــه اصر على حقه فى التصـــويت على الميزانية المصرية ٠٠٠ ممـــا دفع حكومتى انجلترا وفرنسا الى تقـــديم مذكرة اثارت استياء عاما فى مصر وجعلت المجلس يقرر ان حقه فى التصويت على الميزانية لا يمكن ان يكون موضع نقاش مع الدول الا[illegible] ٠

واستقال شريف الذى كان قد قبل المذكرة واقترح على المجلس اجراء مفاوضات مع انجلترا وفرنسا فى ٥ فبراير ١٨٨٢ وتولت الحكم وزارة يرأسها محمود سامى البارودى وعين احمد عرابى وزيرا للحربية ، وكان ذلك انتصارا للحركة الوطنية وانتصارا للجيش الذى وصل الى قمة المسئولية فيه جندى من الصفوف ، وهكذا نجحت ثورة الجنرالات التى عبرت عن حق المواطن المصرى فى تحقيق ذاته من السلطة الشركسية ومن اجل التغيير الاجتماعى ٠

وعبرت هذه الحكومة عن ذلك بعمل اجراءات هامة ٠٠ اصدر عرابى اوامره بترقية ٤٠٠ ضابط الى رئيس أعلى ، وترقية ١٥٠ صف ضابط الى رتب الضباط واحالة ٣٠٠ ضابط الى المعاش بحجة تجاوز السن القانونية واغلبهم من الشراكسة والاتراك ٠

وقرر زيادة المرتبات ايضا :

ملازم ثان من	٣٥٠ قرشا	الى ٦٠٠ قرش
يوزباشى من	٥٠٠ قرش	الى ٩٥٠ قرشا
بكباشى من	٢٥٠٠ قرش	الى ٣٥٠٠ قرش
رتب اعلى	٥٠٠٠ قرش	

وتلاحظ النظرة الاجتماعية فى هذه الزيادات اذ علت نسبة الزيادة للرتب الصغيرة عنها للرتب الكبيرة ، وقلت الفروق الى حد كبير بين الرتب العليا والرتب الصغيرة فى الجيش بعد ان كانت النسبة بين الحد الادنى والحد الاعلى فى فئة الضباط (ملازم الى فريق) هى ١ : ٣٧ فى القانون القديم ، قلت فى القانون الجديد الى ١ : ١٣ ٠ اما النسب بين الحد الادنى والحد الاعلى فى فئة صف الضباط (من أومباشى الى صول) فقد كانت فى القانون القديم ١ : ٤ زادت الى ١ : ٦ نتيجة لرفع مرتب الصول الى ما يوازى ٢٠٠٪ ٠ وهذا مع العلم بأنه بعد رتبة الصول مباشرة يحدث تقارب شديد بين فئات المرتبات ٠ اما رتبة النفر فقد زاد مرتبها الى ما يوازى ١٣٣٪ مما كانت عليه ٠ وبشكل عام فان النسبة بين ادنى فئة واعلى فئة (نفر — فريق) كانت فى القانون القديم ١ : ٣٧٥ قلت ١ : ٢٦٦ ٠وهو ما يمثل الى حد كبير تقدما لا بأس به فى ظروف العصر ٠

وهكذا تبدل الحال ٠٠٠ وبعد ان كان الضباط المصريون يعيشون فى خوف التشتيت او الاحالة الى الاستيداع ٠٠٠ فاذا بهم يشعرون بالامن والاستقرار ويحصلون على زيادة فى المرتبات سبق ان حصل عليها المدنيون ٠

ولم تتوقف الاجراءات عند حـــدود الجيش فقط ••• اذ ان الوزارة الجديدة ابطلت المراقبه الثنائية ، واعدت (لائحه اساسية) لمجلس النواب تضمن له حقوقه ، وأعدت قانونا انتخابيا جديدا اكثر ديموقراطية ، كمــا أعدت عدة قوانين تقدمية تقضي بالغاء السخرة وتأسيس البنــك الزراعي واصلاح المجالم المختلفه وتحريم استخدام جباة الضرائب للسياط ، كمــا اعد مشروع اقره مجلس النواب يقضي بانشاء مدرسة في كـــل قرية وتعميم التعليم لتخلو مصر من الاميين خلال عشر سنوات •

وقد ادت هذه المشروعات الاجتماعية المتتاليه الى بعث يقظة شـــعبية اضعفت من سلطة المديرين المطلقه ، ودفعت بعض الفلاحين الى أخـــــذ حقوقهم بالتهجم على اراضي كبار الملاك ، واعلن احد كبار الضـــباط اثناء زيارته للريف بأن الارض يجب ان تكون لمن يفلحونها ••• وارتفع شـــعار (مصر للمصريين) كأحد شعارات الجيش وحرص زعماء الحركة العســكرية الثلاثه ان ينهوا اســـماءهم بلقب (المصرى) تمييزا لهم •• ونبتت فكـــرة الانفصال النهائي عن الخلافة • وظهور فكـرة الجمهورية او الدولة العربية •

وهنا بدأ اصحاب الاملاك يتلمسون خطرا يهددهم ، وتراجـــع بعض اعضاء مجلس النـــواب في موقفهم • وقال ســـلطان باشـــا رئيس المجلس للقنصل الانجليزي ان استقاله شريف باشا تمت بضغوط من العســكريين تحت زعامة احمد عرابي •

وهكذا بدا تجمع رجعي من الخديوى والضباط الشراكســـة وبعض الافطاعيين •• واكتشف عرابى مؤامرة لاعتقاله فحوكم ٤٨ ضابطا شركسيا من بينهم عثمان رفقي واصدرت المحكمة في حقهم حكما معقولا اذ قـــررت تجريد ٤٠ من رتبهم العسكرية ونفيهم الى السودان ، ولكن الخـــديوى خفف قرار المحكمة في مايو ١٨٨٢ بايعاز من القنصلين الفرنسي والانجليزي واكتفى بالابعاد عن القاهرة الى الريف بديلا عن النفى •

وكان هذا الموقف من الخديوى تحديا للجيش ومفجرا لطاقات النضال فوقف احمد عرابى امام مجلس النواب مطالبا بخلع الخـــديوى • ولكن اعضاء المجلس لم يستجيبوا له ••• البعض كان عاطفـــا على الخـــديوى والبعض كان في خشية الوقوع تحت حكم عسكرى •

وطلب الخديوى عقد المجلس بصورة غير قانونية ، مطالبا بحله ، وهنا استقال محمود سامى البارودى ، ورفض الوزراء الوطنيون الاســتقالة حتى يصدر مجلس النواب قراره بذلك ••• ورفض كافة اعوان الخـــديوى تولى رئاسة الوزارة مادام الوطنيون في قيادة الجيش •

واضطر الخديوى امام هذا الموقف الى استبقاء محمود سامى البارودى رئيسا للوزراء .. ليدبر مع انجلترا وفرنسا خطة اخرى قضت بحضور بعض قطع الاسطولين الانجليزى والفرنسى الى الاسكندرية يوم ٢٠ مايو ١٨٨٢ وبعد خمسة ايام طلبت الدولتان من الخديوى رسميا فى مذكرة ٢٥ مايو الشهيرة ابعاد احمد عرابى عن مصر وابعاد على فهمى وعبد العال حلمى عن الجيش الى الريف واقالة محمود سامى البارودى .

قبل الخديوى هذه الطلبات واعلن اقالة الوزارة بعد ان كانت قد قدمت استقالتها يوم ٢٦ مايو على اساس قبول الخديوى للمذكرة ... وهنا تحركت قوات الجيش فارسلت حامية الاسكندرية يوم ٢٧ مايو برقية للخديوى ترفض موافقته على الانذار وتعطيه مهلة ١٢ ساعة للتفكير .

وقد حدد عرابى موقفه فى انه لا يعتبر استقالة الوزارة انتهاء لوجود القوة الثورية وانحسارا لتأثيرها . وقد صرح للضباط فى اجتماع عقد فى ٢٧ مايو بقشلاق عابدين « انه تنازل عن نظارة الجهادية ولم يتنازل عن رئاسة الحزب الوطنى » . واكد ذلك فى خطاب ارسله تلغرافيا لجميع مراكز العسكريه قال فيه « اننى وان كنت قدا استعفيت من نظارة الجهادية لكن لم استعف من رئاسة الحزب الوطنى » .

وعقد كبار ضباط الجيش والبوليس فى القاهرة اجتماعات متعددة لبحث الموقف على ضوء احتمالات التدخل الاوروبى . واجتمع كبارهم فى قشلاق عابدين حيث تعاهدوا على الدفاع عن الوطن . وحضر هذا الاجتماع الذى اقسم فيه المجتمعون على مصحف وسيف كل من عرابى وعبد العال وطلبه عصمت ويعقوب سامى وعلى الروبى وعلى فهمى ومحمد عبيد وعبد الغفار والزمر وحسن جاد وعلى يوسف ومحمود فهمى والبارودى . كما حضره عمر رحمى وابراهيم فوزى مأمور الفيلق . ويقال ايضا ان عبد الوهاب قومندان البوليس قد حضره . وقام الشيخ محمد عبده بتلقين الحاضرين يمينا من بين فقراته : « والله العظيم قاهر السماوات والارض اننى انا فلان لا اخون وطنى ولا اخون نفسى ولا أغش احدا من اهل بلادى واحافظ على عرضى وعلى دينى وعلى عرض اهالى بلادى ما دمت قادرا على منعه ، واننى احافظ على النظام وعلى القانون العسكرى بكل ما يمكننى ، واذا حنثت فى يمينى اكون مستحقا لقطع الرقبة وشق الصدر وان اكون محروما من مزايا الانسانية والاداب » . وذكرت جهات الامن انه قد ذكر فى اليمين ان « يكون الضباط يدا واحدة وعصبة واحدة ولا يسمعون اوامر من احد ما الا اذا اتفقوا عليها » .

واستبد الذعر بالخديوى فلجأ الى سلطان باشا الذى حاول اقنـــــاع الوطنيين بالطاعة فى نفس اليوم ، ولكن ردهم كان المطالبة بخلع الخـديوى الذى اصبح تابعا للدول الاجنبية • وقال احد قائمقامات الجيش على حسـب رواية كرومر بأن « الضباط يمزقـــون عرابى اربا اذا هو تخلى عنهم » ••• وكان هذا دليلا على ان جذور الحركة الوطنية قد ضربت بعمق فى صـــفوف الجيش والشعب معا ، فقامت المظاهرات وعقدت الاجتماعات مطالبة بعـزل الخديوى وتثبيت عرابى والوزراء الوطنيين فى السلطة •

وارتبكت افكار الخديوى فقرر اعادة عرابى ، واصـــبح هـو الوزير الوحيد بلا وزارة •• ثم اســتنجد بالباب العـالى الذى ارســل بعثة من درويش باشا وشيخ السعيد قام الخديوى برشوهما بمبالغ ماليــة كبيرة ، وطلبت البعثة من عرابى ان يذهب الى استانبول على وعــد بأن ينال منصبا كبيرا هناك •

رفض عرابى قائلا (ان السلطة التى أتمتع بها الآن لم أقم باغتصابها بل قلدنى اياها الشعب ويتوجب على أن أنزل عــلى ارادته وأعطى أذنا صـاغية لشكاويه) •

وعقب فشل مهمة البعثة بدأ تنفيذ خطة جديدة صـــاحب فكرتهـا المعتمد البريطانى مالبث وهى اثارة اصطدامات داخلية تكون سببا فى تدخل خارجى مسلح •

ويوم ١١ يونيو ١٨٨٢ استأجر مالطى كان فى خدمة القنصل الانجليزى بالاسكندرية حوذيا حمله الى احدى الحانات ، وعندما طالبه بأجـره حدثت بينهما مشادة اطلق فيهـــا المالطى النار على الحوذى وظهر عدد من الاجانب المشتبه فيهم فأطلقوا النار على الاهالى الهائجين ••• وفى توقيت معلوم ظهر فريق من البدو كان الخديوى قد استأجرهم فشاع الاضطراب فى الاسكندرية وقتل ١٤٠ مصريا و ٥٠ اوربيـــا فى المدينـــة التى كان الاجانب من المرابين والمضاربين والراسماليين قد بدأوا يتدفقون عليها بعـــد بداية الضـــائقة الاقتصادية الناجمة عن الديون •

ولكن عرابى استطاع السيطرة على الاضطرابات واعادة الهدوء الى المدينة وانكشف أمر المدبرين • وفشلت خطة التدخل •

وشقت هذه الحادثة المجتمع الى شقين ••• الخديوى وكبــار الملاك والاعيان فى جانب والقوى الوطنية من المدنيين والعسكريين فى جانب آخر •

وسار الخديوى الى الاسكندرية ومعه كبار الرجعيين والاقطاعيين مثل نوبار باشا ورياض باشا وانضم اليهم ايضا شريف باشا وسلطان باشا ••

وهناك ألف الخديوى وزارة خاضعة فى الاسكندرية برئاسة راغب باشا ..
بينما كانت القاهرة تحت سيطرة الوطنيين .

ونبتت خطة ثالثة للتدخل الاجنبى عندما قرر احمد عرابى ترميم الحصون الساحلية عقب زيارة الاسطولين الانجليزى والفرنسى للاسكندرية ، وارسل الباب العالى يطلب وقف الترميمات ووجد الاميرال سيمور قائد الإسطول البريطانى فى ذلك فرصة للتدخل فأرسل انذارا الى رئيس حامية الاسكندرية يوم ٦ يوليو ١٨٨٢ مطالبا بوقف التحصينات ... واجاب عرابى بأنهم يقومون بالترميم فقط دون اقامة اى تحصينات جديدة .

ومع ذلك قدم سيمور انذارا آخر يوم ١٠ يوليو مطالبا بتسليم التحصينات خلال ٢٤ ساعة ورفض عرابى ذلك رفضا باتا ... فأطلق سيمور مدافع أسطوله يوم ١١ يوليو على الاسكندرية فحولها الى أنقاض .. ومع ذلك ظل الخديوى وكبار الاعيان فى قصورهم بالضواحى بعد تحذير سيمور لهم فى الوقت المناسب ، واصدر عرابى امرا بانسحاب الحاميه من المدينة المحترقة .. وغادرها معه آلاف السكان ... وبعد ٤ ايام احتل الانجليز المدينة المهجورة ... وكان ذلك ايذانا بالحملة البريطانية على مصر التى صوت مجلس العموم البريطانى على اعتماداتها يوم ٢٧ يوليو ١٨٨٢ تحت قيادة الجنرال ولسلى .

وطلب الخديوى من عرابى ان يوقف العمليات الحربية ضد الانجليز ، ولكن عرابى رفض تنفيذ الامر مخاطبا الشعب بأن حربا قد بدأت بين المصريين والبريطانيين المعتدين محذرا الخونه ... واسرع الخديوى القابع فى الاسكندرية تحت حماية الغزاة باصدار امر يعزل به عرابى من وزارة الحربية يوم ٢٢ يوليو معلنا عصيانه !

وكان رد عرابى لجماهير الشعب يوم ٢٥ يوليو ١٨٨٢ بيانا قال فيه « ان الخديوى قريب الى الانجليز وكل مايقوله يعود عليهم بالفائدة ... وهو يقوم بتضحية مصالح البلاد والشعب ... واما فيما يتعلق بنا فنحن لا نتخلى عن الشعب ما دام لنا قلب ينبض » .

ونقل عرابى المعركة الى صفوف الشعب ... وتقدم آلاف المتطوعين من الفلاحين وسكان المدن مقدمين تبرعاتهم التى ساعدت على التسليح .

واعتبرت هذه الحركة امتدادا لنضال الشعب المصرى المسلح ضد الحملة الفرنسية . ثم غزو الانجليز للاسكندرية ورشيد عام ١٨٠٧ ، ولكن تميز هذه المرة بوجود قادة مصريين وعساكر نظاميين من العمال والفلاحين .

وتشكل (مجلس الطوارىء) من العلماء والمشايخ والاعيـــان ، ولكن بعضهم كان مترددا بين الولاء للخديوى وبين الاندفاع مع التيـــار الوطنى ، وذهب بعضهم الى الخديوى فى الاسكندرية ٠٠ وتشـــــكل ايضا (المجلس الحربى) من الضباط الوطنيين ٠

واعدت خطة الدفاع عن الشمال اعدادا تاما اعجز الانجليز عن التقـــدم عند كفر الدوار ٠٠ واعد رئيس اركان حرب الجيش محمود فهمى خطـــــة اخرى للدفاع عن الشرق تقضى بتعطيـــــل قناة الســـويس وسد ترعـــة الاسماعيلية ولكن فرديناند دى ليسبس فـــــزع من هذه الخطة حرصا على ارباحه وتآمره مع الغزاة فتعهد لعرابى بأنه ســـوف لا يســـــمح للقوات الانجليزية بالنزول فى منطقة القناة ٠٠ وقبل عرابى منه هذا التعهد ٠

وكانت هذه غلطته الاولى حربيا وسياسيا ٠

ونزلت القوات البريطانى فى الســــويس يوم ٢ أغسطس ١٨٨٢ ثم قاموا بعملية انزال فى بور سعيد والاسماعيلية يوم ٢٠ أغسطس رغم وعـود دى ليسبس وبدأوا بتنظيم القوات استعدادا للمعركة الحاسمة ٠

وحدثت موقعة التل الكبير يوم ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ بهجوم بريطـــانى مفاجىء لاذ البدو بعده بالفرار ورموا عرابى بالحجارة ٠

وهرع عرابى الى القاهرة حيث عقد (مجلس الطوارىء) مصرا عـــلى مواصلة النضال ، مقترحا تشييد تحصينات حـــول العاصمة ، مقترحـــا اغراق الوادى حول القاهرة ، وايده فى ذلك عبد العال حلمى وعبدالله النديم ومحمود سامى البارودى ، ولكن كبار الملاك والاعيان صوتوا من اجـــــل الاستسلام وخضع عرابى لهذا القرار ٠٠٠ رغم وجود قوات الجيش المصرى سليمة فى الشمال ٠

وكانت هـــــذه هى غلطة عرابى الثانية والاخيرة ٠٠٠ فقد استسلم للبريطانيين على مشارف القاهرة يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ، نتيجة لخيـــانة شيوخ البدو واعيان القاهرة ٠

وهكذا طويت صفحة مضيئة من صفحات نضال الشــــعب المصرى ، بعد ان تكالبت عليه بريطانيا كما تكالبت الدول العظمى على محمد على قبـل ٤٢ عاما فقط ٠

ولكن هناك فرقا فى الحالتين ٠

محمد على لم يكن مصريا صميما ـ قال ابنه ابراهيم « غيرتنا شـمس مصر وصهرتنا » ـ ولم يعتمد الا على الارستقراطية والبرجوازية التى كانت موجودة أو خلقها بهباته من الارض للمماليك والالبانيين ٠٠ كما لم يطـــور

النظم والمجالس التي كونها نابليون .. ولم ينقـــل من ديموقراطية أوروبا وفكرها السياسي مثلما نقل علومها وصناعاتها .. كمـــا ان غزواته اثارت ضده شعوب الدول المقهورة ومهدت ضده مؤامرات الدول الاســـتعمارية الكبرى التي وجدت فيه خطرا نابعا من الشرق ..

اما أحمد عرابي فكان مصريا صميما .. أقرب الزعماء في تاريخ مصر الحديث الى قلوب الفـــلاحين واول قائد لجيش كامل من المصريين ... واول ثائر تتجمع حوله الجماهير من العساكر والمدنيين بما استثاره فيهـــا من همة وحماسة ... وهو في حركته كان يستلهم افكار الثورة الفرنســية الديموقراطية ، ويحاول ان ينسج بين الشعب والجيش .. وان كان قـــد فاته ادراك التناقضات الاجتماعية العميقة التي ظهرت في المجتمع مـــع ظهور البرجوازية المصرية .. والتي خلفت لحركته اعداء طبقيين يرون خطرا كبيرا في اطلاق ارادة الفلاحين والبرجوازية الوطنية الصـــغيرة والبروليتاريا الناشئة ... كما انه لم تتوافر لاحمد عرابي النظرة العلمية الشاملة التي تجعله يحسن تصنيف الاصدقاء والاعداء فخدعه دي ليسبس وخضع لاصوات اعيان القاهرة .

وثورة عرابي لم تحصر في دائرة التناقضات القائمـــة بين الضباط المصريين والشراكسة ولكنها امتدت الى رحاب الشعب فكانت انعكاســا لما هو قائم في المجتمع من فروق طبقية وقهر اجتماعي بين الفلاحين والاقطاعيـين واغلبهم من الاجانب والمرابين والشراكسه .

وهزيمة ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ أدت الى نتائج وخيمة للحركة الشـــعبية وللقوى الوطنية في الجيش .

الفصل الثالث

الجيش المصرى .. تحت الاحتلال البريطانى

(من الحكمة الا نمكن العدو من رقابنا وانا لاأود ان يدخل ضباط الجيش فى حركتنا السياسية)

مصطفى كامل

اصدر الخديوى توفيق يوم ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ مرسوما من جملة واحدة (تسريح الجيش المصرى) .. وعاد الخديوى الى القاهرة فى حماية القوات البريطانية ليتابع اصدار قراراته بتجريد جميع الضباط من رتبة يوزباشى فما دون اشتركوا فى الثورة العرابية من رتبهم وحرمانهم من المعاش ، وتقديم اعداد كبيرة من الرتب الكبيرة للمحاكمة ، بعد اعتقال ٣٠٫٠٠٠ شخص ، وفرض المحتلون تعويضات على الشعب المصرى قيمتها ٩ ملايين جنيه استرلينى .

واختار الخديوى توفيق (السير فلانتين بيكر) لتنظيم جيش مصرى جديد .. وعين (السير ايفلين وود) قائد جيش الاحتلال ليكون قائدا عاما للجيش المصرى الذى تقرر ان يهبط عدده ليكون ٦٠٠٠ جندى .

وتبع ذلك خطوات اخرى اذ اغلقت كل المدارس الحربية عدا واحدة ،

واغلقت ترسانات الاسلحة والمدرسة البحرية ، وعطلت الترسانة البحرية ، وبيعت السفن الحربية ...

وفي بداية عام ١٨٨٣ كان هناك ٢٥ ضابطا بريطانيا يتولون المناصب القيادية في الجيش المصرى ، اما صغار الضباط فكانوا يختارون من الاسر الموالية للانجليز والخديوى .

وفي ديسمبر ١٨٨٢ حوكم عرابى وصدر الحكم باعدامه هو وانصاره ، ولكن دوفرين سفير انجلترا في تركيا الذى كان قد حضر للتنكيل بالمشتركين في الدفاع عن الاستقلال الوطنى قرر استبدال الاعدام بنفيه هو وسبعة من زملائه نفيا مؤبدا الى سيلان . مدركا ان اعدام أحمد عرابى يمكن أن يؤدى الى انتفاضة شعبية اخرى .

ودخل العسكريون المصريون في مرحلة جديدة ، لم تعد لهم فيها القيادة ... وادخل الاحتلال نظام (البدل النقدى) عام ١٨٨٦ ليصبح التجنيد في الجيش قاصرا على الفقراء ، ويعفى منه ابناء الضباط ورجال الدين وموظفو الحكومة وطلبة المعاهد الدينية مما أدى الى زيادة الفارق الطبقى بين الجنود والضباط ، كما عمل على قتل روح الجندية في جماهير الشعب . وكان الجيش المصرى عند وقوع الاحتلال موزعا بين مصر والسودان ... وكانت ثورة المهدى مشتعلة هناك ، وناور الاحتلال البريطانى اولا بعدم امداد الجيش في السودان باية امدادات ثم تعيين ضابط بريطانى هو الجنرال هكس ليقود الجيش هناك خلفا لعبد القادر باشا حلمى وذلك بناء على طلب من رئيس الوزراء شريف باشا .

واخيرا انتهز الاحتلال فرصة اشتعال الثورة المهدية ليتخلص من الجنود والضباط المصريين الذين اشتركوا في الثورة العرابية ، فأقاموا معسكرا للتدريب في القناطر الخيرية جمعوا فيه بقايا جيش عرابى المنحل ، وارسلوا ٥٠٠٠ جندى الى الخرطوم وارتفع العدد عندما وصل هكس باشا يوم ٧ مارس ١٨٨٣ ليصبح حوالى ١٣٫٠٠٠ جندى .

ولكن الجنود الذين ارسلوا الى السودان كانت في قلوبهم مرارة شديدة لشعورهم بأن بلادهم محتلة ، ولاحساسهم بأنهم انما يرسلون الى هناك للتخلص منهم ، وذلك كما ورد في تقرير كتبه كولونيل ستيوارت الذى ارسلته الحكومة البريطانية الى السودان لتقديم تقرير عن الحالة .

وقد وقعت الكارثة التى رسمها الاحتلال عندما خرج الجنرال هكس (باشا) يوم ٨ سبتمبر في حملته التعيسة لمهاجمة كردفان فلما وصل الى غابة شيكان فوجىء بالدراويش يحاصرونه من كل جانب بينما كان جنوده قد انهكهم التعب والجوع والعطش والبيد الجيش الذى تجاوز عدده ١٠٫٠٠٠ جندى عن آخره ولم ينج منه سوى ضابطين برتبة الملازم وثلاثمائة جندى معظمهم من الجرحى .

نمت هذه الكارثة بذور الريبة في موقف الحكومة البريطانية التي نادت اولا بعدم التدخل ثم ساندت الجنرال هكس باشــا في اعداد حملته عــلى كردفان رغم تحذير الكولونيل ستيوارت من خطرها في تقرير رسمي .

واكتملت ابعاد هذه الخطة بعد مصرع آلاف من جنــود الجيش المصرى عندما نصحت الحكومة البريطانية مصر باخلاء السودان .

ورفض شريف باشا .

وهنا ارسل اللورد جرانفيل وزير المستعمرات برقية في يناير ١٨٨٤ تفيد بأن من لا يريد اتباع نصائح الاحتلال فعليه ان يتخلى عن منصــــبه واستقال شريف باشا في ٧ يناير ١٨٨٤ قائلا (اذا تركنا السودان فالسودان لن يتركنا) .

وجاءت وزارة نوبار باشا يوم ١٠ يناير خاضعة للاحتلال البريطــاني ساجدة لاوامره مصدرة تعليماتها باخلاء السودان وترحيل الموظفين وسحب الحاميات المصرية التي بلغت ٢٥٫٠٠٠ جندى وصدر مرسوم في ١٥ ينــاير بالحاق ادارة السودان بوزارة الحربية بدلا من رئاسة الوزراء .
كان المستهدف هو افناء الجيش المصرى أولا ثم انســحاب مصر مــن السودان ثانيا .
ولذا لم تقف الكارثة عند حدود معركة (شيكان) فقط ، وانما امتدت لتشمل تدبيرا بريطانيا قضى باعلانهم استقلال السودان عن مصر في مقابــل تعيين غوردون حاكما عاما للسودان .

ووصل غوردون يوم ١٨ فبراير ١٨٨٤ الى الخرطوم ، واعلن اســتقلال السودان وعين المهدى سلطانا على مديرية كردفان ، محتفظا لنفسه بمنصــب الحاكم العام ، وقام بالغاء جميع الضرائب المتأخــرة ، وأعلن العفــو عن المسجونين الذين تأخروا عن دفعها ... الا ان المهديين اكتشفوا هــذه المناورة البريطانية ، ولم يكن في نيتهم تقديم السودان للسلطة الانجليزية .

وعندما فشلت هذه الخديعة في سرعة تقرر تكليف غوردون بتــدبير عملية انسحاب المصريين مدنيين او عسكريين من السودان ، ولكن دون ان تصله اية قوات لتأمين عملية الانسحاب ... الجنرال ولسلى وهو الجنرال الذى فتح مصر قاد جيشا من ٧٠٠٠ جندى ولكنه لم يصل الى الخرطوم .
وفي ذلك قال غوردون (لقد عينت لاخلاء السودان وليس للهرب مــن الخرطوم) وترك الحاميات الاخرى في جميع المواقع تواجه مصــيرها ... واعتبر التخلى عن هذه الحاميات عارا لا يمحى .
وفي ٢٣ يناير ١٨٨٥ توقفت الخرطوم المحاصرة عن المقاومة ، واحتلهــا الثوار المهديون وقتل غوردون والانجليز الذين كانوا معه اثناء اقتحام المدينة

وتركت الحاميات الاخرى تواجه مصيرها قبل سقوط الخرطوم وبعدها ٠

وكان من نتيجة موقف الحكومة البريطانية أن أبيد اكثر من ٣٣٫٠٠٠ جندى مصرى من حاميات المدن السودانية المختلفة واثناء سقوط الخرطوم وكسلا وسنار خلال عامى ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ ٠

نفذت الخطة الاستعمارية لابادة الجيش المصرى فى مصر والسودان لضرب الحركة الوطنية التى تولدت فيه ، ووقف نموها ٠٠٠ وكان انتصار ثورة المهدى عام ١٨٨٥ قد طوى صفحة الجيش المصرى فى السودان الى حين ٠ وبدأ الاستعمار البريطانى مناوراته لتحويل الاحتلال المؤقت الى احتلال دائم عن طريق المماطلة ، حتى عقدت فى ٨ ابريل ١٩٠٤ اتفاقية بين فرنسا وانجلترا ، انطوت على نص يقضى بأن الحكومة البريطانية ليس فى نيتها تغيير الوضع السياسى فى مصر مما يطلق يدها فى مصر ويد فرنسا فى مراكش ٠

وقبل هذه المعاهدة وخلال ثمانينيات القرن الثامن عشر ، وبعد الضربة الشديدة التى وجهت للقضاء على الجيش المصرى واعتقال ٣٠٫٠٠٠ مصرى بعد قمع الثورة العرابية غابت الحركة الوطنية المنظمة ، وتشتتت كوادر الوطنيين او مارسوا نشاطا سريا ٠

ولكن لم تكد تسعينيات القرن تهل حتى نشط مثقفو البرجوازية الوطنية المصرية بعد وفاة الخديوى توفيق وتعيين ابنه عباس حلمى الثانى الذى حكم مصر فى يناير ١٨٩٢ وهو فى الثامنة عشرة من عمره وبرز فى هذه الفترة الشيخ محمد عبده الذى سعى الى تطوير الشريعة الاسلامية بما يتناسب مع العصر ، وناضل ضد تتريك السكان العرب فى الامبراطورية العثمانية داعيا الى بعث اللغة العربية الفصحى ، وعبد الرحمن الكواكبى (١٨٤٩ ــ ١٩٠٣) المولود فى حلب والذى هاجم الاستبداد فى كتبه ودافع عن الفقراء والبؤساء واستنكر التعصب الدينى ودعا الى تكوين دولة عربية واحدة ، واضعا الوطن فوق الدين والوطنية فوق الخلافات الدينية ٠٠٠ ومصطفى كامل الذى كون حلقة من الشباب وهو مازال تلميذا ، وطالب بأبعاد الانجليز عن مصر ، ففتحت له الابواب فى فرنسا ٠

وكان مثقفو البرجوازية المصرية لا يؤمنون بامكانية الحركة المثقفة الجماهيرية فى هذه المرحلة ، تأثرا منهم بنكسة الاحتلال ، ولذا وجهوا اهتمامهم فى الحصول على التحرر الوطنى الى محاولة استغلال التناقضات بين الدول الامبريالية وخاصة انجلترا وفرنسا ٠٠ واتجه مصطفى كامل

ايضا الى اعتبار التثقيف والدعاية وسيلة اخرى من وسائل التحرر الوطنى وذلك بعد ان اجهده السعى وراء المنافضات .

ولكن الخديوى عباس الثانى كانت له وجهة نظر فى الجيش عبر عنها بقوله (انه الاداة الوحيدة القادرة على ضمان الحريات الوطنية) .. ولذا فقد ربط نفسه به واظهر اهتماما شديدا باصلاحه ... كان يلبس الملابس العسكرية ويزور الوحدات ويحضر التدريب والمناورات ويرعى حالة الجنود والضباط مما جعل قوات الجيش تتعلق به على عكس والده .

وانتهز الخديوى فرصة سفر كرومر الى انجلترا وعين محمد ماهر باشا وكيلا لنظارة (وزارة) الحربية . واعتبر هذا الاجراء بداية المتاعب . فقد اخذ ماهر باشا يحدد سلطة كتشنر سردار الجيش ، ورافق الخديوى فى زيارة تفتيشية مع كتشنر عند حدود مصر الجنوبية ، حيث أكثر الخديوى من انتقاد العيوب وخاصة التى لمسها فى تصرفات الضباط البريطانيين قائلا للجنرال كتشنر عقب استعراض فى وادى حلفا « انه من العار — فى رأيه — أن يكون الجيش المصرى على هذه الدرجة من عدم الكفاءة ».

وقدم كتشنر استقالته وارسل الى كرومر برقية بما حدث فاصر على ان ينقل الخديوى محمد ماهر باشا من (نظارة) الحربية ، تحت التهديد بوضع الجيش المصرى تحت سلطة الحكومة البريطانية رأسا .. وقد خضع الخديوى عباس للانذار ووجه الى السردار خطابا نشر فى الجريدة الرسمية يبدى فيه الرضى عن حالة الجيش ، ويسجل للضباط البريطانيين خدماتهم فيه .. وبعد ايام نقل محمد ماهر باشا محافظا الى بور سعيد .

كان هذا الموقف نقطة تحول فى تاريخ الجيش ... فبعد ان كان الخديوى توفيق يأخذ موقفا معاديا من رجاله ويلقى بنفسه فى احضان الانجليز ... اذا بالخديوى عباس يحاول ان يأخذ موقفا معاديا من الانجليز ويلقى بنفسه فى احضان الجيش .

ولكن خضوع الخديوى لانذار كرومر اضعف من نبت الحركة الوطنية فى الجيش التى انتعشت بالامل ... ولكنها لم تذبل تماما ... تكونت فى صفوف الضباط جمعية سرية اسمها (جمعية المودة السرية) من الضباط الموالين للخديوى لتزويده بالانباء والاخبار .

واتخذ البريطانيون موقفا اكثر تشددا فى تعيينات الضباط المصريين وترقياتهم ، وبدأوا بتعيين ادوارد زهراب باشا وكيلا للحربية وكان ولاؤه للانجليز كما يقول ملنر (امر لا يحتمل المناقشة) .

وهنا خلقت الظروف موقفا وضع الجيش المصرى امام مسئولية جديدة .

كانت خطة الاستعمار البريطاني لابادة الجيش المصري وابعاده عن السودان قد تحققت ... واراد الاستعمار بذلك ان يكسب السودان صفة الدولة التي لا يستعمرها احد في افريقيا لمدة سنوات مما يبعد صلته عن مصر ، ويضعف العلاقات الشعبية الوثيقة بينهما ... ثم يهجم الاستعمار البريطاني عليه من الجنوب ... من كينيا واوغندا ليحتله بقواته ويصبح مستعمرة بريطانية كاملة لا صلة لها بمصر .

كان الاستعمار البريطاني يريد ان يقيم (عازلا زمنيا) بين مصر والسودان .

ولكن عاملا هاما لم يكن قد دخل في حسابات الخطة البريطانية انقض عليها ، فغيرها تغييرا كاملا .

اعادة تكوين الجيش المصري

تسابقت الدول الاستعمارية على اقتطاع اطراف السودان والتوغل في ارضه على حساب حكومة الخليفة عبد الله التعايشي الضعيفة . وكانت فرنسا تزحف على افريقيا من الغرب ولما كان السودان بعد عام ١٨٨٥ يعتبر دولة مستقلة فانها قررت ان تحتله وزحفت عليه بعثة وارشان حتى وصلت حدوده عام ١٨٩٨ .

وحدث سبب مباشر عند هزيمة الايطاليين في موقعة عدوة اول مارس ١٨٩٦ على ايدي الاحباش ، وتهديد الدراويش السودانيين لكسلا التي كان الايطاليون قد اخلوها بصفة مؤقتة عام ١٨٩٤ ... وطلب الحكومة الايطالية من الحكومة البريطانية ان يهاجم الجيش المصري الدراويش في دنقلة للتخفيف من الضغط عليهم .

ولم يجد الاستعمار البريطاني امام هذه الظروف المتغيرة من سبيل الا اعادة تكوين جيش مصري لدخول السودان .

واتخذت الحكومة البريطانية قرارها في ١٢ مارس ١٨٩٦ باسترجاع دنقلة ، وكان في هذا نقطة تحول عن سياسة انشاء جيش مصري صغير للاعمال البوليسية ، الى انشاء جيش محارب قادر على خوض المعارك .

لم يكن قد مضى على حل الجيش المصري في مصر الا ١٤ عاما .. ولم يكن قد مضى على الابادة المتعمدة للجيش المصري في السودان الا ١١ عاما ... وبدأ تكوين جيش مصري جديد .

وكان الاستعمار البريطاني يعتمد في ضمان بقائه بمصر على وجود جيش الاحتلال ، وقيادة الضباط البريطانية للجيش المصري الجديد .

وزاد عدد الجيش المصري حتى بلغ ١٨٫٠٠٠ جندي عند بدء حملة

دنقلة وبدأت عملية استرداد السودان تحت قيادة كتشنر سردار الجيش المصرى .

كان هجوم البريطانيين على السودان من كينيا واوغندا متعذرا فى هذا الوقت الضيق لظروف طبيعية ... كما ان دخول السودان بالجيش المصرى كان يعطى للغزو سندا قانونيا امام فرنسا التى كانت قواتها قد احتلت (فاشودة) غرب السودان .

دخل كتشنر (أم درمان) عاصمة المهديين فى سبتمبر ١٨٩٨ مستخدما الرشاشات كسلاح جديد ، فاصيب جيش المهدى بخسارة فادحة بلغت ٢٠ الفا وانسحب الجيش الى كردفان . وعن هذه المعركة قال الكولونيل مساعد كتشنر « كانت تحركات المهديين دائما الى الامام تحت وابل رصاصنا ليلاقوا الموت المحتم وجها لوجه . وبعد المعركة التى سجلنا فيها انتصارنا كانت جثث قتلاهم بثيابها البيضاء تغطى ساحة القتال كما تغطيها الثلوج » ولم يقتف اثر المهديين ولكنه اتجه الى (فاشودة) حيث التقت القوات البريطانية وجها لوجه مع القوات الفرنسية ، وحدثت ازمة (فاشودة العالمية) المعروفة والتى قال لينين عنها « كانت انجلترا على شفا الحرب مع فرنسا » .وانتهى الامر بينهما الى توقيع اتفاق ٨ ابريل ١٩٠٤ تتعهد فيه فرنسا بعدم معارضة النفوذ البريطانى فى مصر او تحديد موعد لجلاء قواتها عنه . كما تعترف بريطانيا بسيادة فرنسا على المغرب .

ولكن صداما لم يحدث اذ حسمت المشكلة على أساس توازن القوى . وبعد مفاوضات طويلة امرت الحكومة الفرنسية (مارشان) بالتراجع يوم ٤ نوفمبر ١٨٩٨ عن (فاشودة) ، ووقعت فى مارس ١٨٩٩ اتفاقية انجليزية فرنسية لتوزيع مناطق النفوذ فى افريقيا .

وتم استرداد السودان فى ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ بعد حرب امتدت أكثر من ثلاث سنوات خاضها الجيش المصرى .

وبعد استرداد السودان واجه الاستعمار البريطانى مرة أخرى مشكلة وجود جيش مصرى ، بدأت تنتشر فى صفوفه افكار الحركة الوطنية التى كانت قد انتعشت فى صفوف الجماهير وبين المثقفين فى التسعينيات من القرن التاسع عشر .

ولم تجد الحكومة البريطانية مبررا يدفعها الى الغاء الجيش المصرى مرة اخرى .. كما فعلت فى بداية الاحتلال ... ولكنها ابقت معظم الجيش الذى بلغ فى مطلع القرن العشرين عددا يتراوح بين ٢٠ الفا ، ٢٥ الفا فى السودان لعدة أسباب أهمها :

١ ــ ابعاد الجيش المصرى الذى استرد ثقته بنفسه عن قاعدته الجماهيرية ــ على حد تعبير كرومر .

٢ ــ اطلاق الامر لجيش الاحتلال فى مصر دون منازع .

٣ ــ تثبيت الامن فى السودان .

٤ ــ وجود الجيش المصرى فى السودان اعفى الحكومة البريطانية كذلك من تواجد جيش كبير للاحتلال . وقد احتلت وحداتهم مواقع استراتيجية هامة مثل القلعة والعباسية وقصر النيل بالقاهرة . ومصطفى باشا ورأس التين بالاسكندرية .

وكان استرداد السودان وتوقيع اتفاقية ١٨٩٩للحكم الثنائى المصرى البريطانى وهى الاتفاقية التى وقعها بطرس غالى عن مصر ولورد كرومر عن بريطانيا ، والتى جاء فى مقدمتها ان الاسباب التى دعت الى الحكم الثنائى هى أن مصر حكمت السودان حكما سيئا مما أدى الى ضياعه (وموافقة) الحكومة المصرية على السماح لانجلترا بادارة السودانلقاء المعونةالتى قدمتها الى مصر فى السودان .

ولا شك ان هذه الاتفاقية التى فرضت على مصر ، كانت (اتفاقية اذعان) اطلق عليها الناس اسم (الاتفاقية المشئومة) .

اصبح الحاكم العام البريطانى هو السلطة العليا فى السودان تتجمع فى يده جميع السلطات المدنية والعسكرية والتنفيذية والتشريعية ، وبدأت الحكومة البريطانية ترسم سياسة جديدة نحو الجيش المصرى .

قررت تجريد الضباط والجنود المصريين والسودانيين فى السودان من سلحة والذخيرة بواسطة الجنرال مكسويل نائب الحاكم العام ... وكان تمردت بعض الوحدات ، فسجن الضباط المتهمون بالتحريض وحوكموا م طرد منهم سبعة من خدمة الجيش واحيل واحد الى المعاش وآخر للاستيداع .

واراد كرومر ان يستغل هذا الحادث لاهانة الخديوى وتحقيرم امام المتعاطفين معه فى الجيش ، فطلب منه احضار المحكوم عليهم وتوبيخهم ، ليضعه فى موقف حرج سواء بالرفض او القبول ... وقد قبل الخديوى ذلك ، وأحضر المحكوم عليهم ووبخهم وأعلن تأييده للسردار وتجت باشا .

وقررت الحكومة البريطانية أيضا انقاص الوحدات المصرية البحتة فى الجيش وزيادة الوحدات السودانية ، وألغوا (أورطتين) كتيبتى مشاه ، وسرحوا المدفعية ، وخفض عدد (الأورطة) الكتيبة المصرية الى ٦٠٠جندى بدلا من ٨٠٠ جندى للكتيبة السودانية ، ونقص عدد الضباط المصريين فى

الوحدات السودانية الى العشر .

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل شتت الجيش المصرى فى السودان الى حاميات صغيرة مبعثرة فى المدن البعيدة ، بينما تمركزت الحامية البريطانية فى الخرطوم .

وهكذا ضمر الجيش المصرى بعد أن أدى واجبه فى استرداد السودان ... واتخذ الاحتلال البريطانى يكلف وحداته بواجبات تعميرية مدنية .

ولما كان هناك نقص شديد فى الصناع المهرة بالسودان فقد استصدر اللورد كتشنر امرا خديويا يقضى بتجنيد ابناء القاهرة والاسكندرية ، وكان ذلك موقوفا منذ بدء الاحتلال منعا لتسرب الافكار الحضارية فى المدن الى صفوف الجيش ، وهكذا تضاعف عدد الصناع فى السودان عدة مرات .

وقام الجيش المصرى بدور حضارى فى السودان ... انشأ طرق السكك الحديدية فى ظروف بالغة القسوة والصعوبة ... قال اللورد كرومر انهم مدوا ٣٢٥ ميلا من خطوط السكة الحديد خلال ١٤ شهرا ... وقال احد الضباط المصريين (انه توجد تحت كل شبر منها جثة جندى مصرى) .

وكثير من منشئات السودان فى المدن المختلفة بنيت بواسطة الوحدات المصرية حتى اصبح ذلك طابعا للجيش ، وهدفا يقصد به صرفه عن التدريب والتماسك ... وعندما فكر الرئيس السابق اللواء محمد نجيب فى دخول المدرسة الحربية ، قال له ابراهيم عرابى بن احمد عرابى وكان مقيما فى السودان ، وهو يحاول يثنيه عن عزمه (يابنى ... ان الضابط فى بلد محتل ليس سوى مقاول عمال او رئيس فعلة ولا يتعدى عمله الحفر والردم) .

وكان كلام ابراهيم عرابى صحيحا الى حد ما ... فقط روى لى محمد نجيب ان اول عمل كلف به عقب تخرجه كان تمهيد بعض الطرق فى السودان .

بعد ان استقرت الاحوال نوعا ما صدر قانون القرعة العسكرية ـ التجنيد ـ عام ١٩٠٢ بعد ان تلاشت الحاجة لاى قوات مصرية من وجهة نظر المصالح البريطانية ، ولذا فقد تضمن اعفاء كل العناصر ذات الفعالية او التأثير فى الاتجاهات الوطنية لمكافحة الاستعمار ، حتى تظل بعيدة عن الجيش .

اعفى ابناء العمد والمشايخ وموظفى الحكومة والعلماء وطلبة الازهر وطلبة الجامعة وأبناء وأخوة ضباط الجيش .

انخفض بذلك مستوى المجندين ومستوى الجيش بالتالى •

استمر العمل بهذا القانون حتى ١٩٤٧ أى ٤٥ عاما متصلة •

وخلال السنوات الاولى للحكم الثنائى فى السودان قامت عدة انتفاضات شعبية لم يذكر السير (اللون جورست) الحاكم العام شيئا عن دور الجيش المصرى فى قمعها ، مشيرا فقط الى القوات البريطانية والسودانية ••• واذا صح ذلك فانه يشير الى خشية الاحتلال من تحريك الجيش المصرى حركة عسكرية فى مواجهة انتفاضة شعبية خشية حدوث التحام بينهما ، وخاصة ان ضباط الجيش كانوا ما زالوا يتذكرون انتفاضة عرابى ، ويقرأون سرا كلمات الزعماء والمثقفين فى مصر مثل محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى ومصطفى كامل وغيرهم •

وكان الاتجاه السائد فى الرأى العام المصرى هو الاستفادة من التناقضات الدولية ، والنضال ضد قوات الاحتلال البريطانية باعتبار مصر تحت السيادة الشرعية التركية •

وقد تعرض الجيش المصرى عام ١٩٠٦ لموقف شديد الحرج عندما ارادت الحكومة العثمانية ان تمد خط سكة حديد الحجاز من معان الى العقبة ثم الى قناة السويس ، وما يستتبعه ذلك من ضرورة اقتطاع جزء من سيناء •

وعندما وجدت قوات الاحتلال ان ذلك يهدد قواتها البحرية فى البحر الاحمر ، ارسلت قوة مصرية صغيرة يقودها مصرى هو الاميرالاى سعد رفعت لاحتلال بلدة (كابا) التى تقع على بعد ٨ أميال برا من قلعة العقبة، ولكنها عندما وصلت وجدت ان القوات التركية قد احتلتها ، واصبح الموقف يهدد بمواجهة عسكرية بين القوتين •

كان موقف الجيش المصرى غريبا فى هذه الازمة التى تتنازع فيها الارض المصرية دولتان اجنبيتان هما تركيا صاحبة السيادة الشرعية وانجلترا صاحبة قوات الاحتلال •

ولكن الرأى العام المصرى انجذب الى السلطان الذى كان اسمه يذكر فى خطب الجمعة بالمساجد ويدعى له بالنصر ••• وناقشت الصحف صراحة احتمال تمرد الجيش المصرى وانضمامه للقوات العثمانيه باعتبارها قوات اسلامية لا يجوز معاداتها •

ووجدت قوات الاحتلال البريطانى انها فى مأزق يهددها بتمرد الجيش فسارعت بزيادة الحامية البريطانية واستدعت قوات هندية للدفاع عن قناة السويس ، ونشرت الصحف البريطانية مقالات تثير بها الشك فى ولاء

ضباط وجنود الجيش المصرى ، ونشرت جريدة (ديلى اكسبريس) تصف الضباط الشبان بأنهم مصدر خطر لصلتهم بالضباط الاكبر سنا او المتقاعدين وانهم جميعا يعتبرون خطرا فى حالة القلق القائمة فى ذلك الوقت .

وكان فى حديث الصحيفة البريطانية اشارة غير مباشرة الى أن قوات الاحتلال كانت تختار صغار الضباط من ذوى الولاء لقبول الاحتلال دون معارضة .

واصبح مؤكدا ان قوات الاحتلال لم تعد تثق فى ولاء الجيش المصرى ، كما انها فطنت الى ان الرأى العام المصرى يلعب على التناقض القائم بينهم وبين الدولة العثمانية ... فكانت النتيجة هى زيادة الحامية البريطانية ، ووقوع حادثة دنشواى بعد شهر واحد من أزمة (طابا) التى انتهت بتفادى القتال .

ورافق هذه الحادثة نشاط عربى فى تركيا ، اذ كونت الجالية العربية فى القسطنطينية منظمة عربية جماهيرية فى ٢ سبتمبر ١٩٠٨ باسم (الاخاء العربى العثمانى) رأسها ضابط سابق لأركان حرب التركى اسمه صادق باشا العظم مرتبطا بجمعية (تركيا الفتاة) .

ولكن انتخابات البرلمان التركى فى ذلك العام وبرنامج جمعية (تركيا الفتاة) الذى نشر فى اواخر هذا العام ، قد انزل ضربة حاسمة بالاوهام التى كونها القوميون العرب حول جمعية تركيا الفتاة ..

كان تعداد الاتراك ٧ر٥ مليون وتعداد العرب ١٠ر٥ مليون من مجموع ٢٢ مليون نسمة هم مجموع سكان الامبراطورية العثمانية فى ذلك الوقت .
وتكونت جمعية سرية اخرى عام ١٩١١ باسم (الجمعية العربية الفتاة) فى باريس لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الحركة الوطنية العربية،حيث اعدت برنامجا يقوم على اساس الاستقلال العربى ومحاولة توحيد الحركات العربية المختلفة .

وفى نفس العام قامت الحرب الايطالية العثمانية (١٩١١ ــ ١٩١٤) حيث بدأت ايطاليا يوم ٣٠ سبتمبر ١٩١١ تستولى على الساحل الليبى فاحتلت طرابلس ودرنة وطبرق وبنغازى .. وفكرت الدولة العثمانية فى مرور جيشها عبر الاراضى المصرية بعد محاصرة الاسطول الايطالى لسواحل ليبيا ، كما فكرت أيضا فى الاستعانة بالجيش المصرى فى الحرب الى جانب الجيش العثمانى .
وقد أيد الرأى العام المصرى هذا الاتجاه وطالبت العناصر الوطنية ان يمر الجيش العثمانى دون استئذان الخارجية البريطانية ، ولكن بريطانيا

اسرعت باعلان حياد مصر فى الحرب تجنبا لاحتمال اشـــــتباكها مع ايطاليا ٠٠٠ ولم تحاول الدولة العثمانية من جهتها ارسال قوات عبر مصر ، وعنـدما اتصل بعض الوطنيين المصريين باللورد كيتشنر مطالبين بارسال قوات مصرية لمساعدة الجيش العثمانى ، اجاب بأن ذلك يعنى زيادة قوات الاحتـــــلال ٠٠ وعندما طلب بعض الضباط التطوع وافقهم على شرط أن يجـندوا أنفســهم فى الاستيداع بعد العودة ٠٠ وعندما طلب اولاد على من الاعراب التطـــــوع وافق بشرط الغاء النص الذى يعفيهم من التجنيد ٠

ولكن ذلك لم يمنع بعض المصريين من التطوع على نفقتهم الخاصة ٠٠٠ وكان على رأس هؤلاء عبد الرحمن عزام امين الجامعة العربية فيما بعـــــد ، وصالح حرب الذى رأس جمعية الشبان المسلمين بعد ذلك وتولى منصــــب الوزارة في احدى وزارات على ماهر ٠٠٠ وعزيز المصرى الذى اشــــترك فى العمليات الحربية وعين قائدا لمنطقة بنغازى وغيرهم كثير من المتطوعين ٠

وبدأت الاسلحة تتدفق عبر الصحـــراء الغربية الى ليبيا ، الامر الذى جعل قوات الاحتلال البريطانية تستبدل مأمورى الحـدود المصريين بمأمورين من البريطانيين ٠

وهكذا منعت قوات الاحتلال الجيش المصرى من المساهمة فى هـــــذه الحرب التى كان يدفعه اليها اتجاه الرأى العام المصرى ٠

وفى ذلك قال يوسف نجيب الضابط فى الجيش المصرى والذى مـــات ودفن فى السودان لولده محمد نجيب وهو يختار له مهنة المحاماة قبـــل وفاته (ان الجيش قوة اضافية تتلقى اوامرها من الانجليز) ٠

ولم يكن الجيش المصرى يتلقى اوامره من قوات الاحتلال التى يقـــودها ضباطها البريطانيون فقط ولكن قواعـــد جـــــديدة كانت تطبق عليه ٠٠٠ الوحـدات السـودانية الجديدة أصـــبحت تتلقى أوامرها بالانجليزية ٠٠ وبعض الفرق التدريبية كانت تقتصر على الضباط السودانيين والعـــرب دون المصريين مثل مدافع الماكينة فى مركز التدريب بملاكال ،وذلك حسب رواية اللواء محمد نجيب الذى تخرج فى المدرســـة الحربية ، وعين مثل والده فى الكتيبة ١٧ مشاة بالسودان ايضا ٠

وأوقف الاحتـلال البريطانى الترقية الى رتب الضباط بين ضـــباط الصف ، واغلق بذلك الباب امام الفلاحين والفقراء وحال بينهم وبين الوصـــول الى المراتب القيادية كما حدث مع احمد عرابى ٠٠٠ وبدأت الفروق الطبقيــــة تظهر بطريقة حادة فى صفوف الجيش ٠٠٠ الضباط كانوا يختارون امـــا من ابناء الضباط واما من ابناء العائلات الكبيرة الفاشلة فى التعليم دون التقيـــد

بشهادة مدرسية حتى صـــدر قانون ١٩٢٨ الذى يقصر دخــــول المدرسة الحربية على خريجي المدارس الثانوية ... اما الجنـــــود فكانوا من افقير عائلات مصر .

وعادت من جديد حـــــدود الترقية الى الرتب العليا ... المصريون لا يرقون اكثر من رتبة الاميرالاى ، والسودانيون لا يتجاوزون رتبة الصـــاغ ، بينما البريطانيون يبدأون من رتبة اليوزباشي الى اعلى رتب الجيش .

وحدث خلال هذه الفترة انحسار حقيقي في حالة الجيش ... تدريبا وتسليحا وعددا .. وارتباطا بالحركة الوطنية . أيضا فقد كان البريطانيون يختارون الضباط خلال ثقوب اختيار ضيقة ، ويحاولون ان يجتـــــذبوهم الى نموذج الحياة البريطانية وتقاليدها مما يعزلهم تدريجيا عن مجتمعهم .

وعندما نشـــبت الحرب العالمية الاولى وكانت تركيا ما زالت في مرحلة الحياد ، ضغطت الحكومة البريطانية على الحكومة المصرية لمنع اتخــــاذها قرارا بالحياد وأصدرت قرارا فى ٥ أغسطس ١٩١٤ يقضى بمنع التعامل مع المانيا ورعاياها ومنع الســــفن المصرية من الوقوف فى أى ثغر المانى ... ولما نشبت الحرب بين انجلترا وتركيا فرضت الحمـــــاية البريطانية على مصر واسقطت السيادة العثمانية يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤ .

وفى اليوم التالى مباشرة أى ١٩ ديسمبر خلع الانجليز الخديوى عبـــاس حلمى التانى الذى كان فى القسطنطينية فى ذلك الوقت ، وعينـــــوا الامير حسين كامل منعمين عليه بلقب السلطان .

واقترنت هذه الاجراءات باعلان الاحكام العرفية فى ٢ نوفمبر١٩١٤ واصبحت السلطة العليا فى يد الجنرال مكســـــويل قائد القوات الانجليزية فى مصر ، واعتقل آلاف الوطنيين من المثقفين البرجوازيين ، وعطلت الصحف الوطنية ووضع الباقى تحت رقابة شديدة .

ولم يعتمد الانجليز فى حربهم ضد الاتراك على قـــوات الجيش المصرى اعتمادا كاملا ، بل كلفوا وحدات قليلة منه بالاشتراك فى خطة الدفاع عـــن قناة السويس ... وحسب ما كتبه الليفتنانت كولونيل كيرزى ، كان يوجـد فى مصر فى اواخر عـــام ١٩١٤ ما يقرب من ٢٢ ألفا من القــــوات المصرية والسودانية ، بينما كان يوجد ٧٠ الفا من القوات الهنـدية والاســـــترالية والنيوزيلندية والبريطانية ثم زادت هذه القوات مع استمرار الحـــرب حتى وصلت ٢٧٥ الف جندى .

ولم يدفع الانجليز بكل قواتهم الى المعركة ... احتفظوا بحامية كبيرة فى القاهرة والاسكندرية خوفا من الانتفاضات الشعبية .

وكانت معاداة البريطانيين هى العامل المحرك للقوى الوطنية فىذلك الوقت ، وخاصة بعد دخول الحرب ضد الاتراك ... وان كانت قدبذرت ونمت ونمت فكرة الاستقلال والتحرر الوطنى بعيدا عن الدولتين .

وفى الصحراء الغربية كانت القوات المصرية تحت قيـــادة كولونيل بريطانى (سيسل سنو) بينما كان القائد المصرى هو اليوزباشى محمد صـالح حرب ـ باشا فيما بعد ـ والذى انتهز فرصـة انسحاب (سنو) من السلوم الى مرسى مطروح بعد نشوب القتال مع السنوسيين وعدم اهتمامه بمصـــير قوات الحدود المصرية فى سيدى برانى وبقبق ، فانضم صالح حرب ومعه حوالى ٨ ضباط واكثر من ١٢٠ جنديا الى السنوسيين ضد البريطانيين .

ومع ذلك فقد اشتركت وحدات مصرية صغيرة لمساعدة حركة القـــوات البريطانية فى الصحراء الغربية بعد ذلك .

الاشتراك الرئيسى للجيش المصرى فى الحرب العـــالمية الاولى كان فى السودان ضد السلطان على دينار فى دار فور بعـــد ان نبـــذ ولاءه لحكومة السودان فى ١٠ فبراير ١٩١٦ تحت تأثير الاتراك والسنوسيين ، وذلك بعد أن كانت قد اعترفت به حكومة السودان سـلطانا على دار فور عام ١٩٠٠ بعد استخلاصه لها من يد دراويش المهدية .

كانت الحملة تحت قيادة ضابط بريطانى اللفتننت كولونيل (كيـــلى) ولكن الضباط والجنود المحاربين كانوا من المصريين والسودانيين ... واقـــد انتهت الحملة بانتصار الجيش المصرى ودخول (الفاشر) عاصـــمة دارفور فى مايو ١٩١٦ ، وقتل السلطان فى احدى المعارك غرب دارفـــور فى نوفمبر ١٩١٦ ، مما دفع الملك جورج الخامس الى ارسال برقية تهنئة عند احتـــلال الجيش المصرى للفاشر ، واشادة الحاكم العام للسودان اثناء احتفاله بعيـــد الهجرة (١٣٣٥ ـ ١٩١٦) فى نادى الضـــباط المصريين قائلا « انه يذكر بمزيد الفخر والاعجاب الخدمة العظيمة التى قام بها الجيش المصرى وضباطه البواسل فى دارفور فانها ستبقى مسطورة بأحـــرف من ذهب فى تاريـــخ الجيش » .

واضح ان الاشتراك المسلح للجيش المصرى كان محدودا ومقتصرا عـــلى عمليات صغيرة او قوات مساعدة ... ولم يحاول البريطانيون ان يجنـــدوا وحدات كبيرة تدخل المعارك الحربية ، كما هو الحال بالنســـبة للقـــوات الهندية مثلا ، وذلك لادراكهم ان ذلك قد يصبح مكمن خطر عليهم لان الـــروح الوطنية فى الشعب كانت ملتهبة لا تخمد .

خرجت قوات الاحتياط التى استدعيت للخـــدمة يوم ٢٩ يناير ١٩١٦

من ثكنات عين شمس وسارت في مظاهرة جماعيــة حتى سراى عابدين وهم يهتفون ضد الظلم الذى تعرضوا له لاستدعائهم عقب مدة خدمة الزامية إمتدت ست سنين ٠

ولما لم يجدوا اذنا صـــاغية خرجوا في مظاهرة في اليوم التالى ، حيث تصدت لهم قوات البوليس ، وفرقتهم بعد ان تساقط عدد من الجرحى ٠

واستبدلت الحكومة البريطانية سير هنرى مكماهون المندوب الســامى البريطانى ، الذى لم يسبق له الخدمة في مصر بالسير ويجنلد وينجت حاكم عام السودان الذى كانت له صلات متعددة مع عـدد من ضـــباط الجيش المصرى ٠٠٠ وقـــد ابقى السير وينجت لنفسه الاشراف على الجيش المصرى وحكومة السودان وعين سيرلى ستاك نائبا للسردار ونائبا للحاكم العـــام للسودان حتى عين سردارا وحاكما عاما في ٩ مايو ١٩١٥ ٠

وقد ابتكر وينجت اسلوبا جديدا لاستغلال القــوة البشرية المصرية وقدرتها على الصبر والتحمل والتضحية فشكلوا ما سمى (فيلـــق العمـل المصرى) ٠٠٠ وكانوا يحشدون فيه العمال والفلاحين للقيـــام بالاعمــال العسكرية الشاقة مثل حفر الخنادق والآبار واقامة الاســتحكامات ومــد السكة الحديد وانابيب المياه عبر الصحراء ونقل الاثقال وتطهير القانورات وكان ذلك غالبا ما يتم في ظروف المعركة تحت نيران العـدو مما يعـرض افراد الفيلق لاخطار جسيمة ٠٠٠ الامر الذى جعل الناس يهربـون مـن القرى ويختفون من محال اقامتهم حتى لا تلحقهم يد (التطوع) لهذا الفيلق والذى أنشىء في البداية على أساس (التطوع) شكليا ثم لما نفر الناس منه نفورا شديدا ، وعجزت السلطة البريطانية عن اغراء الناس بالاعــلان عن الاعفاء من الخدمة العسكرية لكل من يقضى سنة واحدة في جيش اضـافى (أى جيوش الحلفاء) ـ تحول التجنيد له الى اجبار عام ١٩١٧ ٠

كان الحشد لفيالق العمل يتم ثلاث او اربع مـرات في العام وكل مـرة يحشد فيها حوالى ١٣٥ الف شخص ٠٠٠ يبقون مدة سـتة شـهور ٠٠٠ وجاوز مجموع من دخل هذه الفيالق رقم المليون ٠٠٠ وبلغ عدد الضـحايا ٣٠ الفا لاقوا حتفهم على حدود مصر او في فرنسا والدردنيل وفلسـطين حيث امتد نطاق عملهم ؛

وهكذا جند البريطانيون مئات الآلاف من المصريين وحشـدوهم في اعمال خشنة صعبة تحت ظروف شـديدة الخطر والقسوة ٠٠٠ ولكن بدلا من ان يضعوا في أيديهم السلاح وضعوا الفؤوس والمعـاول وأدوات الحفر والبناء ٠

كان (فيلق العمل المصرى) جيشا غير مسلح يتعرض لخطر المعارك وليس فى يده ما يدافع به عن نفسه ٠

وخلال سنوات الحرب كانت اقتصاديات مصر قد تأثرت ، فارتفعت اسعار القطن من ١٤ ريالا عام ١٩١٣ الى ٣٨ ريالا عام ١٩١٧ واثرى كثير من التجار والمضاربين والوسطاء ، وادت الحرب وقطع الصلات التجارية الى تطوير الصناعة المحلية ، وتنشيط رأس المال المصرى وخلق مئات من المشاريع اليدوية والصناعية ٠٠٠ وزاد عدد العمال حتى بلغ حوالى نصف المليون عام ١٩١٧ ٠

ومع ذلك لم يتحرر رأس المال المصرى المتطور من وصاية السلطات الاستعمارية ، فقد اودع فى الخزينة البريطانية الرصيد الذهبى للبنك الاهلى المصرى ، وانتزعت سلطات الاحتلال العملة الذهبية والفضية واستبدلتها بأوراق نقدية عام ١٩١٦ ، وزادت كمية هذه الاوراق المتداولة حتى حدث تضخم نقدى أدى الى ارتفاع الاسعار كمقارنة مع أسعار ١٩١٤ فوصلت ٢١١٪ عام ١٩١٨ ، ٣١٢٪ عام ١٩٢٠ وخاصة للمواد الاساسية مما ارهق الفلاحين والفقراء ، الذين صادرت سلطات الاحتلال حبوبهم دون ثمن مجز ، الامر الذى أدى الى شعور كامل بالسخط ضاعفه نظام السخرة والعمل الاجبارى ٠

وقد أدت مشاعر السخط العفوية ، الى نمو سريع فى الاتجاهات القومية وخاصة فى صفوف المثقفين والبرجوازية الصغيرة الذين التفوا حول الحزب الوطنى ٠٠٠ بينما جنحت البرجوازية الكبيرة الى التعاون مع الاحتلال بعد ان تضاعفت ارباحها ٠

ولكن ظروف الحرب والارهاب أوقفت نمو الحركة الوطنية ودفعت بأقسام منها الى الاعمال الارهابية ٠٠٠ تمت محاولتان لاغتيال السلطان حسين كامل فى ابريل ويوليو ١٩١٥ ومحاولة ثالثة لاغتيال رئيس الوزراء حسين رشدى باشا فى سبتمبر ١٩١٥ ٠

ولم تثمر المحاولات الارهابية الا مزيدا من ضغط قوات الاحتلال ٠٠٠ ومزيدا من انطواء الوطنيين على انفسهم ٠

وضعفت جماهيرية الحزب الوطنى التى كانت قد بلغت القمة بتأثير مصطفى كامل ، ويذكر ان ٣٢ ضابطا من حامية سواكن ارسلوا برقية الى مصطفى كامل عندما قدم عريضته المشهورة الى البرلمان الفرنسى قالوا له فيها « ان قلمك الحق امضى من سيوفنا ، وحججك القوية امضى من رصاصنا » ٠٠٠ وكان اخوه على فهمى كامل احد ضباط الحامية ٠

ولم يدر فى خاطر مصطفى كامل ان يكون عرابيا آخــر · فقــــــد كانت حركته بعيدة عن الارتباط بالجيش بعدا كبيرا ، ولذا فقد ارســـل لهم ردا قال فيه « من الحكمة الا نمكن العدو من رقابنا · وانا لا أود ان يدخل ضباط الجيش فى حركتنا السياسية دخولا ظاهرا لان هذا يضر بالمسألة ضررا بليغا حيث يجد الاحتلال مسوغا لخلق التهم الثورية بمصر وغير ذلك مما لايخفى عليــكم » ·

هكذا كان مصطفى كامل حريصا على عدم اثارة شبهة اتصاله بقـــوات الجيش علنا ، وما أظن ان القادة الوطنيين الذين برزوا بعد احمــــد عرابى كانوا راغبين فى الظهور بهذا المظهر تحت سيطرة قوات الاحتــلال البريطانى ··· خشية من ناحية ··· وحــذرا من ناحية أخـرى ·· ورغبة فى عدم تكرار مأساة الثورة العرابية ، وخاصة ان قوات الجيش كانت تشحـــــتت وتفنى تبعا لمخططات امبريالية ·

على فهمى كامل شقيق مصطفى كامل لم يطل به المقـــام فى الجيش ، وخاصة بعد نشاطه مع ضباط بحامية سواكن اذ حوكم وعــزل من رتبته ··· ووقف بجانبه بعـض الضباط من جانب الوفاء ولـكنهم كانوا أعجز من أن يتحركوا حركة اعتراضية ايجابية ··· وقـــــد مضى بعد ذلك على فهمى كامل فى خضم الحياة السياسية حتى اصبح وكيلا للحزب الوطنى ·

وما أن انتهت الحرب ، حتى بادر الشعب المصرى يعبر عن ارادته ·· وفى يوم الهدنة ١١ نوفمبر ١٩١٨ تقدم سعد زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية التى توقف عملها مع اشـــــتعال الحـــرب وعضوا الجمعية على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك بطلب مقابلة سير ريجنـــالد وينجت المندوب السامى البريطانى فتحدد لهما يوم ١٣ نوفمبر للمقابلة وهـــو اليوم الذى ظلت تحتفل به مصر عيدا للجهاد تعطل فيه الحكومة حتى قيـــام حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ·

ومنذ هذا التاريخ تشكل (الوفد المصرى) برئاسة سعد زغلول بناء على عرائض وقعتها الجماهير فى مختلف المديريات تفوضهم « فى ان يســـعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا سبيلا للسعى فى اســـتقلال مصر استقلالا تاما » ·

وحينما فكر سعد زغلول ورفاقه فى السفر الى الخارج لعرض قضية مصر على المسئولين فى الحكومة البريطانية ، رفض الجيش البريطانى السماح لهم بالسفر ، وكان هو جهة الاختصاص فى سفر كافة المواطنين ·

وانفجرت ثورة ١٩١٩ تحت ضـــــغوط اصرار البريطانيين على فرض

الحماية على مصر ، وحالة الارهاب التى امتدت سنوات الحرب ، والمعاملة الخشنة والسخرة للمصريين من جانب قوات الاحتلال وارتفاع الاسعار وما صاحبها من ضائقة اقتصادية ، والتطلع الى الاستقلال التام (مصر للمصريين) بعد المبادىء التى أعلنها (ويلسن) رئيس الولايات المتحدة الامريكية ٠

واشتعلت الثورة بين مختلف الفئات ٠٠٠ بدأت بالطلبة ثم العمال والفلاحين واضراب الطوائف وتظاهر السيدات ، واخيرا اضراب الموظفين ٠

ولم يكن للجيش دور ايجابى فى احداث ثورة ١٩١٩ ، كما كان فى ثورة عرابى ٠

الاعوام التى انقضت بين الثورتين نفذت فيها قوات الاحتلال مخططا يقضى بفصل الجيش عن الحركة الوطنية ، وتولية نوعية خاصة من الضباط ذات جذور اجتماعية وفكرية تجعلها فى موقع بعيد عن مرجل الثورة ٠

كان الضباط يدخلون المدرسة الحربية بتعليم محدود لا يتجاوز الابتدائية يمرون خلال مجهر استعمارى خاص يفحص أصولهم الطبقية ، وهم كانوا غالبا اما ابناء ضباط معروفين ، واما ابناء اسر اقطاعية او ثرية فشلوا وعجزوا عن مواصلة التعليم ٠

وقد أدى توقف النمو الفكرى والثقافى للضباط الى خلق هوة واسعة بينهم وبين المثقفين الذين انجذبوا الى حضارة الغرب ، ونقلوا الافكار العصرية مبشرين بمجتمع جديد ٠

احمد عرابى وضباط الجيش الوطنيين كانوا اقرب ما يكونون الى مثقفى عصرهم جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده واديب اسحق وعبدالله النديم ويعقوب صنوع (ابو نضارة) وسليم نقاش وغيرهم ٠

اما ضباط الجيش عام ١٩١٩ فكانوا ابعد ما يكونون عن مثقفى ذلك العهد ٠٠٠ محمد فريد ولطفى السيد وطه حسين ٠

خطب لورد كيرزون الوزير البريطانى يوم ٢٤ مارس ١٩١٩ والثورة فى قمة التهابها يثنى على « موظفى الحكومة ورجال البوليس والجيش المصرى » ويشيد بحسن سلوكهم اثناء الاضطرابات فى الوقت الذى اعلن فيه ان الحكومة البريطانية لا تنوى العدول عن الحماية ٠

وكان رد فعل هذا الخطاب عند الموظفين لقيامهم باضراب طويل شامل بدأ فى ٢ ابريل وانتهى بسقوط وزارة حسين رشدى باشا رغم الافراج عن سعد زغلول يوم ٦ ابريل وسفر الوفد بعد ذلك بخمسة ايام الى مالطة

ومنها الى باريس ... وذلك لشعورهم بالحرج لما انطوى عليه الخطاب من اتهامهم بالانحياز الى صف الاحتلال والحماية والتنكر للحركة الوطنية .

أما ضباط الجيش فلم يتحركوا حركة ثورية ... ليس لانهم قد تنكروا لوطنيتهم ... فان مواقفهم تدل على عكس ذلك ... فقد ذهب حشد منهم بملابسه الرسمية الى بيت الامة عقب نفي سعد زغلول ، وحملوا صورته أمام مصوري الصحف ، دون أن يعبأوا بأثر ذلك عليهم ، وكان من بينهم اللواء محمد نجيب وهو ما زال في رتبة الملازم .

والفلاحون والعمال الذين يشكلون الطبقة التى يجند منها الجنود قاموا بأعمال ثورية باهرة خلال الثورة ... كانت الاقاليم تلتهب بالمظاهرات وقطع المواصلات والسكك الحديدية الى الدرجة التى افزعت قوات الاحتلال من حراس الغفر للسكة الحديد فاستبدلوهم بجنود بريطانيين .

رفض الجنود ابناء العمال والفلاحين اطاعة الاوامر باطلاق النار على المتظاهرين ، كما حدث في المنيا عندما اصدر لهم البكباشي شاهين امرا بذلك ... فاطلق هو الرصاص على المتظاهرين وقتل ثمانية منهم .

بعض ضباط الجيش اندمجوا في خدمة قوات الاحتلال ونفذوا الاوامر بلا تردد حتى اشتهر بعضهم بالقسوة في معاملة الجماهير مثل البكباشي شاهين ، ومحمد حيدر الذى اصبح قائدا عاما للقوات المسلحة فيما بعد .

والبعض منهم كان متعاطفا مع الثورة ... بل مساهما فيها ... مثل عبد الرحمن فهمي الذى كان احد اعمدة التنظيم والتنفيذ والعمل السري في الثورة ... وهو ضابط سابق من ضباط الجيش المصرى اشترك في الحملة المصرية بقيادة كتشنر لاعادة فتح السودان ، ثم عين ياورا لوزير الحربية عام ١٨٩٦ ثم انتقل بعد ذلك الى سلك البوليس والادارة .

كانت القيادات العليا وقيادات الكتائب كلها للضباط البريطانيين . الذين رصدوا عيونا لهم تسجل كل كلمة ثائرة او حركة معادية ... كما ان قوات الاحتلال تضاعفت خلال سنوات الحرب في الوقت الذى جمد فيه الجيش المصرى ، واستقرت نسبة عالية من وحداته في السودان .

قال لى محمد نجيب انه كانت هناك (جمعية سرية للضباط الوطنيين) في السودان لا يعرف الضابط منها الا من ضمه اليها ... وعندما حضرت لجنة ملنر كلفت الجمعية محمد نجيب بالوقوف امام نادى الضباط بالخرطوم

خلف منضدة صغيرة عليها صورة البرقية التي قرر الضباط ارسالها للاحتجاج على لجنة ملنر ، والقول بأنه لا يجوز التفاوض الا مع الوفد المصرى برئاسة سعد باشا زغلول ، حتى يوقع الضباط عليها تضامنا مع الشعب المصرى ٠

ويقول محمد نجيب ان احدا لم يتخلف عن التوقيع ولكنه فوجىء باعتقاله فى اليوم التالى واغلاق نادى الضباط بأمر السردار ٠٠٠ وعرف فى المعتقل بعض اعضاء الجمعية لاول مرة وكان منهم اليوزباشى احمد الصاوى الذى اصبح وكيلا لوزارة الحربية عام ١٩٣٨ واليوزباشى محمود هاشم الذى أصبح مديرا لسلاح الحدود واليوزباشى عبد الوهاب البهنساوى الذى عين فيما بعد قائدا لقسم القاهرة واليوزباشى أحمد عطية والملازم أول طبيب سليمان أباظة والطبيب البيطرى اليوزباشى سليمان عزت ٠

واحتجز الضباط فى المعتقل حتى افرج عنهم بعد اسبوع تحت ضغط الضباط من زملائهم الذين ثاروا لاعتقالهم ولاغلاق النادى الذى فتح بعد اربعة ايام من اغلاقه ٠

كانت قوات الاحتلال تقبل مرغمة مثل هذه التحركات المحدودة ٠٠٠ ولكنها لم تكن تسمح ابدا بما يتجاوز هذه الحدود ٠

وقد استطاعت ثورة ١٩١٩ ان تحقق نتائج ايجابية محدودة ، اذ صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى اعلنت فيه انجلترا انهاء الحماية البريطانية على مصر واعلن استقلالها يوم ١٥ مارس وبذا انتهت مرحلة طويلة من عدم الاستقرار والتشتت السياسى فى وضع مصر التى كانت تعتبر لفترة طويلة (ولاية عثمانية تحت الحكم البريطانى) ٠

ولكن الاستقلال الذى ظلت مصر تحتفل به يوم ١٥ مارس وتعطل فيه المصالح كان استقلالا شكليا اذ احتفظت الحكومة البريطانية بتولى الامور التالية بصورة مطلقة :

١ ــ تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية فى مصر ٠
٢ ــ الدفاع عن مصر ضد كل اعتداء او تدخل اجنبى بالذات او بالواسطة ٠
٣ ــ حماية المصالح الاجنبية فى مصر وحماية الاقليات ٠
٤ ــ السودان ٠

واستطاعت ثورة ١٩١٩ أيضا أن تجبر الاستعمار والسراى على وضع دستور ١٩٢٣ الذى تشبث به الشعب ووجد فى تطبيقه تعبيرا عن ارادته رغم انه كان ناقصا من الوجهة الديموقراطية اذ كان يعطى للملك حق

حل مجلس النواب وتأجيل انعقاده واصدار مراسيم فى غيبته ٠

ومع ذلك فان القوى المعادية لانطلاق ثورة ١٩١٩ الى اهدافهـــا بادرت قبل ان تأتى وزارة الثورة الاولى الى اصدار (قانون الاجتمـــاعات العـــامة والمظاهرات فى الطرق العمومية وقانون الاحكام العرفية اللذين اصـــدرتهما وزارة يحيى ابراهيم فى مايو ويونيو ١٩٢٣ ٠٠٠) كمـا عينت سفنكس باشا البريطانى مفتشا عاما للجيش ٠

عقب ذلك ظهرت فى السودان حركة وطنية بين الضـــباط المصريين والســودانيين ، وكان أبرز قادتها الملازم أول على عبد اللطيف من الكتيبة التاسعة للمشاة والذى نشر منشورا فى مايو ١٩٢٢ بعنوان (مطالب الامـــة السودانية) يطلب فيه استقلال الســـوان وضمه الى مصر ٠٠ فقبض عليه وحوكم بتهمـة اثارة الشغب والاضـطراب وفصـل من الجيش وسجن لمدة عـــام ٠٠٠ ولكنه بعد خروجه من السجن كون جمعية (اللواء الابيض) فى اجتماع عام لم يحضره مصريون ، واختاروا للجمعية علما ابيض رســـمت عليه خريطة النيل وفى ركن منهـــا العلم المصرى الاخضر وقد كتبت عـــلى أرضيته البيضاء (الى الامام) ، وكانت لهذه الاحداث انعكاســـات فى (البرلمان المصرى) ٠

ووصلت المظاهرات فى الســودان الى ذروتهـــا يوم ٩ اغسطس ١٩٢٤ عندما تظاهر طلبة الكلية الحربية بزيهم العســـكرى وهم يحملون البنادق ، واتجهـــوا الى منزل على عبد اللطيف وهتفوا بســقوط الانجليز والحاكم العام ، الامر الذى أدى الى محاكمة على عبد اللطيف وسجنه ثلاث سنوات أخـرى ٠

واجتمعت حكومة سعد زغلول فى ١٥ اغسطس لدى الحكومة البريطانية بخطاب تقول فيه انها تتتبع بمزيد الحزن والاسف الحـوادث التى تتوالى فى السودان ، والتى اعتبرتها نتيجة طبيعية لاسلوب الموظفين البريطانيين ٠

ولكن الحكومة البريطانية ردت بأنها اتخذت العـــدة لتعزيز الحامية البريطانية ،وبجازت لحكومة السودان ان تبعد فى الحال أى وحـــدة مـــن وحدات الجيش المصرى يظهر منها عدم الولاء ٠

وخلال هـذه الفترة التى بدأت فيها ارهاصـات ثورة داخل الجيش وخارجه فى السودان قتل السردار الغنام سيرلى ستاك يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٤ فى أحد شوارع الزمالك بالقاهرة ٠وانتهزت انجلترا الفرصة وقدمت انذارا للحكومة المصرية عن طريق اللورد اللنبى الذى توجه الى سعد زغلول برئاسة الوزارة فى موكب من ٦٠٠ فارس بريطانى مطالبا بســحب الجيش

المصرى من السودان ، وتحويل الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى الى قوة سودانية تكون خاضعة وموالية للحكومة السودانية وحدها على أن تصدر الحكومة المصرية بيانا بذلك خلال ٢٤ ساعة .

رفض سعد باشا زغلول الانذار وقدم استقالته يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ بعد عشرة شهور فقط من توليه الحكم .

وأسرعت الحكومة البريطانية لتنفيذ مخططها بمحاصرة القوات البريطانية للقوات المصرية فى الخرطوم ... ورفضت الكتيبة الثالثة السفر الا بأمر وزير الحربية المصرى .

وثارت أيضا الكتيبة ١١ السودانية وحاولت الاتحاد مع الجيش المصرى فى الخرطوم بحرى فتعرضت لها قوة بريطانية ونشب قتال لم ينته الا عند منتصف الليل بعد أن نفذت الذخيرة وقتل قائدها الشهيد عبد الفضل ألمظ .

وأعدمت قوات الاحتلال ثلاثة شهداء هم الضباط حسن فضل المولى وسليمان محمد ... وثابت عبد الرحيم . .. وكان رابعهم على البنا الذى نجا من الاعدام وعمل فى مصر حتى أصبح كبيرا للياوران بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وفصل الاستعمار ١٧ ضابطا رفضوا أن يقسموا يمين الولاء للحاكم العام وفروا الى مصر كما حضر اليها عدد من طلبة المدرسة الحربية الذين سجنوا بسجن كوبر بخرطوم بحرى .. وقد عمل هؤلاء جميعا فى الجيش أو البوليس المصرى .

وهكذا حقق الاحتلال البريطانى خطته بفصل السودان عن مصر وسحب الجيش المصرى من هناك كما حدث عام ١٨٨٥ .

وأدت انتكاسة انتفاضة ١٩٢٤ الى انحسار موجة العمل السياسى داخل صفوف الجيش وذابت الجمعيات السرية أمام المحاكمات والضغوط الارهابية .

ومع ذلك ظلت جذوة الوطنية مشتعلة فى صدور بعض الضباط ، رغم انتهاء التنظيمات الخاصة بهم ، وحدثت بعض تصرفات فردية تدل على ذلك مثل ذهاب محمد نجيب متخفيا الى منزل مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد فى عام ١٩٢٩ عقب حل الملك فؤاد للبرلمان ومنع مجلس النواب من الانعقاد ، لوجود أغلبية وفدية ساحقة ليبلغه استعداد الجيش لمقاومة الاجراءات غير الدستورية التى يرتكبها الملك .

حضر هذه المقابلة مصادفة مكرم عبيد باشا سكرتير الوفد ومحمود

فهمي النقراشي أحد أعضائه ... ولكن مصطفى النحاس قال لمحمد نجيب انه يؤثر أن يكون الجيش بعيدا عن السياسة وأن تكون الامة مصدر السلطات ... ولو أنه يتمنى أن يكون ولاء الضباط للوطن والشعب أكثر مما هو لشخص الملك .

واذا تغاضينا عن فردية هذا الحدث فانه يستبين لنا أن الوفد المعبر عن ارادة الشعب كان لايستجيب لدعوة ضباط الجيش للتحرك . . . تقديرا منه لخطورة الصدام مع قوات الاحتلال أولا في وقت لم تنضج فيه الظروف لذلك بعد ... كما أن خضوع الجيش سنوات طويلة لسيطرة قوات الاحتلال كما يبعث الخفر في جدية التعاون ... اذ كان معروفا أن اليد العليا في تحريك الجيش هي لقوات الاحتلال ، وقائد الجيش وكبار قادته كانوا من البريطانيين منذ عام ١٨٨٢ .

عندما فكر البرلمان المصرى عام ١٩٢٨ فى زيادة وحدات الجيش المصرى وتحسين أسلحته ومهماته وترقية التعليم فى المدرسة الحربية ليصبح الدخول لها بالثانوية العامة (البكالوريا) والحد من سلطة المفتش العام البريطاني احتجت انجلترا وأرسلت ٣ بوارج من أسطولها الى الاسكندرية فاضطرت الحكومة المصرية الى التراجع ومد خدمة سفنكس باشا المفتش العام للجيش ومنحه رتبة الفريق وتعيين ضباط انجليز جنودا بالجيش .

وهكذا كان الفارق الفكرى والثقافى يزداد اتساعا بين الجيش والقوى السياسية أو بين قادة الاحزاب الذين تخرجوا فى الجامعات وحصل البعض منهم على شهادات عالية فى الخارج .. وبين ضباط الجيش الذين كانوا حتى صدور قانون عام ١٩٢٨ القاضي بقصر دخول المدرسة الحربية على خريجى المدارس الثانوية يتخرجون وهم لايحملون أكثر من الشهادة الابتدائية .

الضباط المتطلعون الى الحياة هم الذين كانوا يواصلون دراستهم لتأكيد شخصيتهم وصقل مواهبهم كما فعل محمد نجيب مثلا عندما درس أثناء خدمته فى الجيش حتى حصل على الشهادة الثانوية وليسانس الحقوق ودبلومين بعد ذلك .

واستمرت حالة الجيش على هذا المنوال ... بعيدا منذ استرداد السودان عام ١٨٩٩ عن خوض أية معارك حربية ، يتعرض للنقصان وليس للزيادة ، يزداد خضوعه لقوات الاحتلال والسراى ومظهر ذلك تدخل الجيش فى الانتخابات بالاقاليم وخاصة فى الانتخابات التى أجراها اسماعيل صدقى بعد الغاء دستور ١٩٢٣ وعمل دستور جديد ضد ارادة الشعب عام ١٩٣٠ .

نشرت مجلة روزاليوسف في عددها أول يوليو ١٩٣٠ ان زيارةالنحاس باشا الى الزقازيق مرت بسلام ، فأحيل قائد قوة الجيش الصاغ محمد أمين الى الاستيداع دون تحقيق .

ونشرت أيضا خبر تعيين اللواء عبد العظيم باشا على قائدا لحصار البرلمان وكان قبل ذلك قائدا لقوة المنصورة حيث جرت اضطرابات شديدة سقط فيها بعض الجرحى ، ثم عين لحراسة النادى السعدى وقد صرح بأنه يكون سعيدا يوم يفرغ رصاص مسدسه فى رأس مصطفى النحاس باشا .

وهكذا كانت حالة العسكريين فى مصر ، عندما عقدت معاهدة ١٩٣٦ ... لم يكن الجيش قوة سياسية ولم يكن خاضعا لقيادة وطنية ... وكان الاستعمار يسعى جاهدا لتغطية دوره الحربى التاريخى ،ونضاله مع جماهير الشعب ، تحت ستار من النسيان .

وكانت معاهدة ١٩٣٦ بذلك نقطة تحول فى تاريخ مصر الحديث .. ونقطة تغيير فى واقع العسكريين المصريين وفى تفكيرهم .

الباب الثانى
الجيش والحركة السياسية فى مصر قبل الثورة

الفصل الرابع **نضال الشعب ... وموقف الجيش .. بعد معاهدة ١٩٣٦**

(لن نطلق الرصاص على مظاهرات الطلبة والعمال)

قسم بعض ضباط الجيش اثناء وزارة اسماعيل صدقى
عام ١٩٤٦

الفصل الخامس **حرب فلسطين**

(اننى متفائل ونحن نعرف قوة اليهود ، وانا احب اطمئنك الى ان الانجليز هم الذين شجعونى على ذلك)

محمود فهمى النقراشى لفؤاد سراج الدين
فى مجلس الشيوخ يوم ٢٢ مايو ١٩٤٨

الفصل السادس **الضباط الاحرار**

(الشعب والجيش يقفان اليوم بالمرصاد لكل حركة ترجع بنا الى الوراء ... ان الشعب والجيش سيحطمان أى محاولة لضرب الحركة الوطنية ... لقد أيدنا الحكومة الوفدية فى خطواتها التى اتخذتها بالغاء المعاهدة الاستعمارية)

منشور للضباط الاحرار

الفصـــل الرابع

نضال الشعب وموقف الجيش بعد معاهدة ١٩٣٦

(لن نطلق الرصاص على مظاهرات الطلبة والعمال) ٠

قسم بعض ضباط الجيش

أثناء وزارة اسماعيل صدقى عام ١٩٤٦

الضمور الذى عانى منه الجيش المصرى ، والعـزلة عن المجتمـع التى فرضت عليه ، والخضوع المطلق لسلطات الاحتلال والسراى ، تغـيرت مـع عقد معاهدة ١٩٣٦ الى حد كبير ، ولم يعد الجيش محدودا بعدد ١٥٫٠٠٠ جندى فقط ٠

وقد عقدت معاهدة ١٩٣٦ فى ظروف كان الاحتلال البريطانى يجـنابه فيها موقفا لم يتعرض له من قبل ٠٠٠ تناقضات الامبريالية العالمية تشـتد وتقترب من حرب عالمية ٠٠٠ ايطاليا تغزو الحبشة وتنتصر عليها والامبراطـور هيلاسلاسى يهاجر الى انجلترا ٠٠ والنازية تصل الى الحكم فى المانيا ٠٠ الحركة الوطنية تشتعل من جديد ضد دستور صدقى ، وتعم المظـاهرات مصر ، ويسقط عدد من الشهداء ٠

ووصف النحاس باشا هذه المعاهدة بأنها (وثيقة الشرف والاستقلال)

ولكنها لم تكن كذلك ... فقد كان فى بنودها سلبيات وايجابيات .

أمنت المعاهدة نوعا من التحالف المشترك مثل الذى تم بين بريطانيا والعراق عقب انتهاء الانتداب فى اكتوبر ١٩٣٢ ، وبينما اعترفت المعاهدة بسيادة مصر على أراضيها وحرية التصرف فى الشئون الداخلية الا انها نصت على ضرورة التزام مصر بعدم انتهاج سياسة خارجية تتناقض مع التحالف ، كما نصت على وضع مميز للسفير البريطانى يتقدم به سائر الدبلوماسيين الاجانب .

واحتفظت بريطانيا بقواعد بحرية فى مصر ، مع حقها فى استخدام التسهيلات لقواتها التى تنسحب الى منطقة قناة السويس بعد ٨ سنوات، وقد اعترفت بريطانيا بسيادة مصر على القناة ، كما اعترفت مصر بأن القناة وسيلة دولية للمواصلات ، وانها وسيلة مواصلات حيوية بين الاطراف المختلفة للامبراطورية البريطانية ، وان من حق بريطانيا انتبقى قواتها فى منطقة القناة الى الوقت الذى تصبح فيه مصر قادرة عسكريا على حماية القناة . كما أن للجيش البريطانى حق العودة فى حالة الحرب أو خطر الحرب .

واعطت المعاهدة بريطانيا حق المطالبة بفرض الطوارىء واعلان الاحكام العرفية فى حالة قيام الحرب .

قال مستر ايدن امام مجلس العموم البريطانى يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٣٦ ان السبب الذى دعا حكومة انجلترا الى التنازل عن احتلال القاهرة والاسكندرية والاقتصار على منطقة قناة السويس . هو أن قوات انجلترا أصبحت ميكانيكية تستطيع الحركة فى سهولة على الطرق المعبدة ،ولذا نصت المعاهدة فى ملاحقها على أن تقوم الحكومة المصرية ببناء ثكنات القوات البريطانية فى الاماكن التى تحددها ، مع انشاء شبكة طرق بمواصفات خاصة عرفت باسم (طرق المعاهدة) بين القاهرة والاسكندرية وبور سعيد والاسماعيلية والسويس وغيرها .

والطريف ان المعاهدة قد أعطت للقوات الجوية المصرية حق الطيران فى اجواء بريطانيا ، لانها اعطت للقوات الجوية البريطانية حق الطيران فى الاجواء المصرية كلها .

معاهدة ١٩٣٦ لم تحقق اهداف ثورة ١٩١٩ .

ومع ذلك لم تكن المعاهدة قيودا كلها ... كانت هناك ايجابيات حققت جانبا من اهداف الجماهير .

ألغيت الامتيازات والمحاكم المختلطة ، وأصبحت مصر عضوا فىعصبة

الامم فى مايو ١٩٣٧ ، واقترب الاستقلال الشكلى الذى ورد فى تصريح فبراير ليكون اكثر واقعية رغم بقاء نفوذ وسلطة قوات الاحتلال ٠

وعادت القوات المصرية الى السودان بعد سحبها عام ١٩٢٤ ، واستقبلتها الجماهير هناك بترحيب كبير ٠

وحددت المعاهدة مدة عشرين عاما لبقاء القوات البريطانية فى مصر واقترن ذلك حسب نص المعاهدة بقدرة مصر على حماية القناة ٠

وكان ذلك حافزا على تطوير الجيش المصرى وانقاذه من جموده وعزلته وتشكل مجلس الدفاع الاعلى ،وعين اللواء محمود شكرى باشا قائدا للجيش المصرى بعد سفنكس باشا الذى خرج من قوة الجيش المصرى هو وجميع الضباط البريطانيين ٠

وكانت المعاهدة قد نصت ايضا على ان تقوم بريطانيا بتدريب الجيش المصرى وتزويده بالسلاح ٠٠٠ وتشكلت البعثة البريطانية من ضباط بريطانيين انتشروا فى مختلف اسلحة الجيش ، وكان لهم نفوذ كبير فى التوجيه والتدريب ٠٠٠ بعض هؤلاء الضباط كانوا صف ضباط فى الجيش البريطانى وحصلوا على الترقية عند الالتحاق بالجيش المصرى ولم يعينوا فى رتبة اقل من يوزباشى ٠٠٠ واتخذت البعثة البريطانية مقرا لها مبنى فى كوبرى القبه مجاورا للمستشفى العسكرى العام ٠

وبدأ مجلس الدفاع الاعلى برسم سياسة جديدة لزيادة الجيش ٠٠٠ ففتح ابواب المدرسة الحربيه التى تحولت الى كلية بعد المعاهدة لدفعات وصلت الى عدة مئات وخاصة عند اقتراب الحرب العالمية الثانية بعد ان كانت الدفعة لا تتجاوز العشرين او الثلاثين طالبا ٠

فتح ابواب الكلية الحربية لهذا العدد الكبير نسبيا فى وقت كانت المدارس الثانوية فيه محدودة ولا توجد الا جامعة القاهرة وحدها، ضيق من امكانية تحديد نوعية معينة من المقبولين ، وجعل عناصر جديدة من الطبقة الوسطى النامية تتسرب الى صفوف الجيش ، رغم وجود لجنة تكشف على المتقدمين (كشف هيئة) تفرز فيه أصولهم العائلية والاجتماعية ٠

ولكن المقبولين عموما كانوا فى حدود القادرين على دفع مصروفات الكلية التى كانت ستين جنيها فى العام وهو مبلغ كبير اذا قدربمتوسط الدخل العام ومرتب خريج الجامعة الذى لم يكن يتجاوز ثمانية جنيهات فى الشهر عدلت فيمابعدلتصبح ١٢ جنيها ٠ ولكن قدرةالدولة علىاستيعاب

الخريجين بهذا المرتب كانت محدودة ، الامر الذى خلق بطـــالة بين المتعلمين أو اضطرارهم للعمل بمرتبات أقل ١٠٠٠ واغرى فى نفس الوقت عددا كبيرا من حملة الثانوية العامة على الالتحاق بالكلية الحربية لضمان الوظيفة والمرتب الكبير نسبيا ٠

واعد المجلس الاعلى للدفـــاع خطة لتطوير الجيش وتسليحه عام ١٩٣٨ فى حدود مبلغ ٢٠٠ مليون دولار ، ولكن ذلك لم يتحقق لان شروط المعاهـــدة كانت تنص على ضرورة التسلح من بريطانيا فى وقت كانت تحتاج هى فيـــه لكل قطعة سلاح لما كان يبدو فى الافق من اخطـــار حرب عالمية ثانية لم تلبث ان اندلعت عام ١٩٣٩ واستغرقت جهد بريطانيا مما ترك الجيش المصرى دون تسليح يتناسب مع الرغبة فى الوصول به الى مســـــتوى معقـــول بعد عشرات السنين من الضمور ٠

ولم تكد وزارة الوفد التى أتت بها الانتخابات تبدأ تنفيذ سـياستهـــا حتى اقيلت فى ٢٩ ديسمبر ١٩٣٧ وكان الملك فاروق قد تولى ســــلطاته الدستورية فى ٢٩ يوليو من ذلك العام وهو فى الثامنة عشرة من عمره ٠

وهكذا عصف الملك بارادة الشعب وبروح الدستور وعين محمـــد محمود رئيس حزب الاحرار الدستوريين رئيســـا للوزراء وتولت الحكم وزارات احزاب الاقلية ، وكان قد انضم اليها حزب جديد هو الحزب الســـعدى الذى انشق على الوفـــد وتشكل برئاسة احمد ماهر باشا ومعه محمـــــود فهمى النقراشى باشا ، ولعب دورا كبيرا فى خدمة الرأسماليين المصريين ، فاصبـــح احمد ماهر رئيسا لمصانع نسيج القاهرة بعد ان كان من تقاليد اعضاء الوفـــد عدم تولى مناصب الادارة فى الشركات ٠

ولعب الجيش دورا سافرا فى تزييف ارادة الشعب أثنـــاء الانتخابات التى اعقبت اقالة الحكومة الوفدية ، لان الوفد رغم كل شىء كان يمثـــــل القوة السياسية الشعبية القادرة على نيل اغلبية الاصوات ومقاعد البرلمان فى انتخابات ديمقراطية حرة ٠

وزعت وحدات الجيش على الاقاليم ووضـــعت تحت تصرف رجـــــال الادارة يستعينون بها وقت الحاجة كما حدث فى سمنود مثـــــــلا وهى بلد مصطفى النحاس باشا التى رشح نفسه فيها ، عندما فتحوا الكوبرى لتعطيـــل المرور وانتقال الناخبين ٠

يروى اللواء صلاح الحديدى قائد المخابرات الحربية فيمـــا بعـــد ان العمدة دعا الضباط من رتبة البكباشى فما فوق الى مأدبة عشـــــاء ليلـــة الانتخابات تأييدا للمرشح المضاد للنحاس وكان اســـمه على النزلاوى ٠٠٠

وفى الصباح عندما ظهر التدخل سافرا ابلغ المرشحون النيابة التى قامت باستجواب الضباط ٠٠٠ ولم يتردد صغار الضباط فى القول بأنه حدث تدخل فعلا لمصلحة المرشحين المعادين للوفد ٠٠٠ ولكن التحقيق لم ينته مع ذلك الى قرار ٠

وخرج الوفد من الحكم بعد ان أدى الدور الذى رسمه الاحتلال له فى تكوين جبهه وطنية تقر معاهدة تتيح حدا أدنى من الاستقرار فى ظروف اقتراب خطر حرب عالميه ٠٠٠ واثبت ذلك أن معاهدة ١٩٣٦ لم تحقق المضمون الحقيقى للاستقلال الوطنى ، ولم ترسخ القواعد الديمقراطية فى المجتمع ٠

وكان ابعاد الوفد عن الحكم ٠٠٠ ابعادا له عن النفوذ الى الجيش ايضا ٠٠٠ حيث كان الدخول الى الكليه الحربية يتم خلال لجنه نشكل من بعض كبار القادة الخاضعين خضوعا كاملا لنفوذ السراى مما لم يتح للوفد فرصه تسريب عناصر كثيرة من أبناء أنصاره الموالين له فى العاصمه والاقاليم الى صفوف الجيش ، علاوة على بث روح من الجفاء بين الجيش والوفد باعتباره تنظيما يضم جماهير الشارع التى تتنافر فى حركتها مع النظام والانضباط الذى يسود الجيش ، والذى كان كبار الضباط الذين دخلوا الجيش من ثقوب الاحتلال يتشبثون به باعتباره المظهر الوحيد لقدرتهم وسلطتهم ٠

وكان الركود الذى اصاب الجيش خلال السنوات الماضية قد انعكس عليه ، عزله عن الجماهير وعن الحركة الوطنية ٠٠٠ وخاصة فى مناصب القيادة العليا ، بينما كان صغار الضباط المتخرجين فى الكلية الحربية ، والمتدفقين اليها فى دفعات متتالية بلغت ثلاث دفعات فى كل من أعوام ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ يحمل البعض منهم معه الى الكلية افكار الطلبة الذين تظاهر معهم من أجل عودة دستور ١٩٢٣ ، وسقوط الاستعمار ٠

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ بادر على ماهر الذى كان قد تولى الوزارة بعد اقالة محمد محمود باشا فى شهر اغسطس الى اعلان الاحكام العرفية تنفيذا لمعاهدة ١٩٣٦ ، والتى قضت بتوقيع عقوبات شديدة لا على كل من يرتكب الجرائم الضارة بأمن الدولة فقط ، وانما على كل من يرتكب أضرارا ببلد حليف أو شريك لمصر فى العمل ضد عدو مشترك ٠٠٠ وكان الغرض هو حماية انجلترا حماية كاملة ٠

والغريب ان على ماهر الذى تولى الوزارة بعد رئاسته للديوان الملكى لم يكن له حزب ولا عضو واحد فى البرلمان ٠

كان العبث بالدستور واقالة حكومة الوفد فاتحــــة لمزيد من العبـــث ومزيد من الاقالات ... حتى على ماهر نفســه لم ينــج منها عنــدما تلكأت وزارته في موقفها ازاء رعايا ايطاليا التي أعلنت الحرب فى ١٠ يونيو ١٩٤٠ فاجبر على الاستقالة فى ٢٨ يونيو وخلفه حسن باشا صــــبرى على رأس وزارة من الدستوريين والسعديين والحزب الوطنى الذى اشترك فى الحكم لاول مرة لانه كان يرفض دائما الاشتراك فى الحكم قبل اتمام الجلاء .

الجيش والحرب العالمية الثانية

لم تعلن مصر الحرب على المحور ، ولم يدخل الجيش المصرى فى اطـــــار جيوش الحلفاء ، ولم تستعن به بريطانيا فى عمليات حربية خارج حدودمصر، كما استعانت بجيوش الهند والسودان وليبيا وغيرها من الدول الافريقية .

بلغ عدد الجنود السودانيين فى صفوف الحلفاء ما يقارب ســــبعين الف جندى ،اشترك منهم حوالى ستين الفا فى معـــارك ليبيا والصـــحراء الغربية ...

ومع ذلك كان الجيش المصرى رغم تواضعه عددا وعــــدة محل اهتمام القوات البريطانية التى حاولت فى البداية ان تحتويه وتستعين به فى عملياتها الحربية ، ثم تراجعت عن ذلك لما لمسته من خطورة تحريك الجيش فى ظـروف لايحمل فيها الشعب أى ارتياح لقوات الاحتلال .

ورفض عزيز المصرى رئيس اركان حــرب الجيش فى ذلك الوقـــت اشراك المقاتلات المصرية فى خطة الدفاع البريطانية بدعـوى ان مصر لم تعلن الحرب على ألمانيا ، كما رفض تحريك قـوات مصرية الى سـيوة ضمن خطـة الدفاع عن الصحراء الغربية .

وكان الجنرال سير هنرى ميتلاند ويلسون قد عثر اثناء فحص الاوراق الايطالية التى وجدها فى مقر رئاسة القوات على الخطة الدفاعية البريطانيـــة عن الصــــحراء الغربية وهى الخطة التى كان قد ارسلها الى عزيز المصرى منذ شهور .

وطلب الانجليز اخراج عزيز المصرى وأذعن عــــلى ماهر لهم فمنحـه أجازة لأجل غير مسمى .

ويقول قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى عضو مجلس قيــادة الثورة فيما بعد ان الطيارين المصريين قد اشتركوا بعد ذلك فى خطة الدفاع عــــن القاهرة مع اسراب الطائرات البريطانية ، من مطار حلوان ، وخاصة بعـــد

ان دمرت الغارات الالمانية ٢٠ مقاتلة بريطانية ··· ولكن ذلك لم يستمر سوى شهور معدودة تغيرت بعدها الظروف ، وانعدمت ثقة البريطانيين فى امكانية التعاون مع الجيش المصرى ·

وكان خروج عزيز المصرى من الجيش بداية لاتصالات سرية قام بها مع عدد من الضباط الذين وجدوا فى الاتصال بالالمان فرصة لتحرير مصر من القوات البريطانية دون تقدير سليم لابعاد الفكر النازى القائم اساسا على التعصب والتفرقة العنصرية ·

وقد بدأت محاولات الاتصال بالالمان فى مجال سلاح الطيران حيث امكانية الحركة متوافرة ··· وكانت قد تكونت عام ١٩٣٩ مجموعة من قادة الاسراب والطيارين عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف ووجيه أباظة واحمد سعودى وحسن عزت وانضم لهم فيما بعد ضابط الاشارة أنور السادات ·

وكان محور تفكير هذه الجماعة هو ضرورة خلق دور للشعب المصرى فى المعركة الدائرة على ارضه بين الحلفاء من جهة والقوات الفاشية والنازية من جهة اخرى ·

وكانت هذه المجموعة منبهرة بالدعاية والنظم النازية ، تتطلع الى الانتصارات الاولى لالمانيا وترى خلالها النتيجة الوحيدة المحتملة للحرب العالمية الثانية ·

وعندما تقدم رومل فى هجومه السريع نحو الاسكندرية قررت هذه المجموعة ارسال قائد السرب احمد سعودى مندوبا عنهم الى رومل لشرح وجهة نظرهم فى التعاون ضد بريطانيا ··· واعدوا له حقيبة من المستندات بها مفجر يفجرها عند الخطر ··· وكلف حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد بحمل الحقيبة الى سعودى حتى الطائرة بعد اختفائه فى احد الخنادق ، كما كلف وجيه اباظة باعداد خط سير الرحلة ·

لم يصل احمد سعودى الى الالمان ، سقطت طائرته واذاعت الاذاعة الالمانية خبر اسقاط طائرة قتال بريطانية اقتربت من مرسى مطروح ··· وحوكم حسن ابراهيم باعتباره ضابطا مندوبا وتأخرت اقدميته ليصبح آخر دفعته ونقل الى المهمات ·

ولم تتوقف محاولة الاتصال بالالمان بعد اختفاء طائرة سعودى ··· سلك نفس السبيل الصول الطيار محمد رضوان الذي كان وجيه اباظه قد استعان به فى وضع الخطة · ووصل رضوان فعلا الى القوات الالمانية حيث تعاون معها تعاونا كاملا الى ان اعتقل فى برلين عندما دخل الحلفاء

وحوكم بمجلس عسكرى بعد انتهاء الحرب وحكم عليه بالسجن ١٥ عامـــا ، ٨٠٠٠ جنيه غرامة حتى أفرج عنه بعد الثــورة ، وعمل بعـد ذلك فى ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة .

ولم تكن هذه هى المحاولات الوحيـــدة للاتصال بالالمان ... عـــزيز المصرى ايضا قام بهذه المحاولة عقب اشتعـال ثورة رشـــيد عالى الكيـــلانى فى العراق ، وكان عزيز المصرى على اتصال بالالمان ، الذين اعدوا معــه خطــة للهرب بهبوط طائرة المانية فى منطقة (جبل رزه) على طـــريق الواحـــات البحرية .

وكان مفروضا أن يقود قائد الجناح عبد المنعم عبد الرؤوف ســيارة عزيز المصرى الى المنطقة المحددة ليستقـل الطائرة ولـكن الحـظ لعب دوره وتعطلت السيارة قرب منطقة الاهرام ... وفشلت خطة الهرب .

ولكن عزيز المصرى لم يقنع بذلك ... أصر على الهــــرب مرة اخـرى بطائرة مصرية كان يقودها له حسين ذوالفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف.

ولكن الطائرة لم تحقق هدفها لان الميكانيكى اخطأ فقفل مفتـاح الزيت بدلا من فتحه .. ولم تكد تحلق الطائرة حتى هبطت فى قليوب فى احدى الحدائق ... ولجأ عزيز المصرى الى مأمور المركز الذى كان تلميذا له فى كلية البوليس فأعطاه عربته دون أن يعرف سر رحلته الفاشلة ، أوصلته الى ميدان الاوبرا ثم لجأوا الى مدرس فى امبابه كان عضوا بجماعة مصر الفتاة .

وكان هذا المدرس مراقبا من البوليس بحثا عن احمـــد حسين رئيس حزب مصر الفتاة الذى كان هاربا وقتهـــا فى طنطا كـدرويش من دراويش السيد البدوى ...واعتقل عزيزالمصرى وحسين ذو الفقار صبرى وعبدالمنعم عبد الرؤوف لـــدة تزيد عن عام ونصـــف الى أن أفــرجت عنهم وزارة الوفد فى مارس ١٩٤٢ واعادتهم للجيش مع نقـــل حســـين ذو الفقار الى السودان وعبد المنعم عبد الرؤوف الى المهمـــات ، حيث لم يعد بعدها للطيران أبدا .. وكان قد نقل مع اعتقالهم ٢٣ ضابطا من الطيران الى أســـلحة الجيش المختلفة .

وانتهى عمل مجموعة الطيران مـــع فشل رحلة عزيز المصرى وانتهت صلاتهم التى لم تكن تنظيمية بالمعنى المعروف للتنظيم ، وانما كانت تضـمهم رابطة صداقة ووحدة هدف وطنى .

وكان هناك اتصال آخر بالالمان وضباط الجيش المصرى عن طـريق انور السادات وحسن عزت اللذين قدم لهما عبد الغنى سـعيد اثنين من رجـــال

المخابرات الالمانية هما (هانز ابلر) الذى تزوجت والدته الالمانية من مستشار مصرى (صالح جعفر) فى المانيا ، ثم حضرت الى مصر ومعها ابنها الالمانى الصغير ، واراد الزوج المصرى أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة فأعطاه لقب اسرته وعرف بأسم (حسين جعفر) ، ولكنه انحرف عن حياة المجتمع المصرى وهاجر الى وطنه المانيا ليعود بعد ذلك عميلا لمخابراتها هو وزميل آخر اسمه (ساندى) .

وقد انتهى اتصال انور السادات وحسن عزت بهما الى اعتقال الجميع فى اغسطس ١٩٤٢ بعد افتضاح أمر الجواسيس الالمان الذين اقاموا فى عوامة مع الراقصة حكمت فهمى .

وجرت محاولة لمحاكمة انور السادات وحسن عزت امام مجلس عسكرى يضم بعض الضباط الانجليز بتهمة التجسس ، ولكن محمد نجيب مساعد نائب الاحكام الجيش فى ذلك الوقت اعترض على تكييف التهمة ، وانتهى الامر بطردهم من الجيش فى ٨ اكتوبر ١٩٤٢ ثم اعتقالهم حتى نهاية الحرب .

وكان الضباط المصريون قد اخذوا موقف المقاومة عندما ظهرت بوادر تنفيذ الخطة البريطانية لنزع سلاح الجيش المصرى اذا حاول مقاومة البريطانيين ... وقد ظهر ذلك فى محاولة سحب الدبابات المصرية بدعوى شرائها بعد معركة (بنكرك) ورفض ضباط الوحدات المصرية تسليم أسلحتها كما حدث فى حامية منقباد ، وفى الصحراء الغربية حيث رفضت الوحدات المصرية تسليم اسلحتها للقوات البريطانية التى ستحتل مواقعها وعادوا بها الى القاهرة كاملة .

وكانت الصحراء الغربية فى ذلك الوقت هى المنفى الذى ينقل اليه الضباط الذين تظهر عليهم أية ميول سياسية ... نقل اليها انور السادات بعد الاشتباه فى تحركاته ، وتشكلت هناك مجموعة كان فيها مجدى حسنين احد الضباط الاحرار ومؤسس مديرية التحرير فيما بعد ، وكان هدف هذه المجموعة تدمير مهمات ومعدات الجيش الانجليزى ... وقاموا فى سبيل ذلك بالاتصال مع ضباط الفرقة الرابعة الهندية لاثارتهم ضد القوات البريطانية ، وقد حوكم أربعة من الهنود فعلا فى (فوكة) ونفذ فيهم حكم الاعدام لانهم رفضوا الخروج للحرب .

ومن مصادفات هذه الفترة ان قافلة عسكرية مصرية من ٦٨ عربة كانت متجهة الى سيوه تحمل تموينا لها وللتأكد مما اذا كانت محررة أو سقطت فى يد القوات النازية .. وعند العودة عثر مجدى حسنين قائد

هذه القافلة على ٦ عربات ميجورة للفرنسيين الاحرار وكان بها ٦ صناديق قنابل يدوية (٧٢ قنبلة) حملها الى الطيار حسن عزت ٠

وكانت هذه هى القنابل التى استخدمت فى الاعمال الارهابية بالقاهرة فيما بعد انتهاء الحرب العالمية ٠

زاد الشعور المعادى لبريطانيا مع استمرار الحرب ٠ وفشلت أحزاب الاقلية فى قيادة الدولة ، حتى بلغت ازمة التموين حدا اشاع القلق والسخط ، واطلق المظاهرات فى شوارع القاهرة ، واجبر بريطانيا على الاقتناع بضرورة رفع الحظر الذى فرضته على السراى ضد حكم الوفد ٠
كان الاستعمار البريطانى على حذر شديد من قيام ثورة شعبية فى مصر ضد صفوفه الخلفية ، ولذا فانه عندما ظهر فى الافق خطر الهجوم النازى رأوا ان يعيدوا الوفد الى الحكم ضمانا لسيطرته على الشعب فى هذه المرحلة الحاسمة ، وخاصة بعد انكان الملك وبعض المحيطين به على استعداد كامل للتعاون مع الغزاة الفاشيين والنازيين ٠
ولما تلكأ الملك فاروق فى الاستجابة لارادة الحكومة البريطانية لاستمرائه الحكم فى ظل حكومات ضعيفة تابعة ، ولأمله فى ان يتغير مسار الحرب لصالح المحور ، قدم السفير البريطانى انذارا للملك يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ بعد ان كانت وزارة حسين سرى قد استقالت يوم ٢ فبراير ٠٠٠ وحاول رئيس الديوان احمد حسنين المراوغة لتشكيل وزارة قومية رغم مقابلة السفير له يوم ٣ فبراير ، وطلبه أن يعهد الى النحاس بتشكيل الوزارة ، وهو تدخل كان يعتبر حتى هذه اللحظة طبيعيا فى مجال السياسة المصرية ٠٠ ولكن مراوغة الملك استمرت حتى يوم ٤ فبراير فقدم السفير انذارا هذا نصه « اذا لم اعلم قبل السادسة مساء ان النحاس باشا قد دعى لتاليف الوزارة فان الملك فاروق يجب ان يتحمل تبعات ما يحدث » ٠٠ ولما لم تتم استجابة فورية لذلك حاصرت الدبابات قصر عابدين فى الساعة التاسعة مساء ، ودخل السفير وقائد القوات البريطانية وامامهم ثمانية ضباط يحملون المسدسات ، ودخل السفير على الملك فى مكتبه وكان بجواره احمد حسنين فخيره بين التنازل او تشكيل وزارة وفدية فقبل الحل الثانى فورا (٢٩) ٠
أدت مظاهرة السفير العسكرية ، ودعايات احزاب الاقلية الى الاساءة للوفد ، واصبح ٤ فبراير مطعنا يطعنه منه كل معاد له أو كل من لم يكتشف حقيقة دور السراى المتعاونة مع السلطة الاجنبية فى الجنور ، او الذين جرفتهم الوطنية الى قبول الافكار الفاشية دون بحث او تمحيص ٠

---

(٢٩) من اسرار الساسة والسياسة محمد التابعى ٠

ولذا ترك حادث ٤ فبراير فى الجيش تأثيرات بعيدة المدى ••• قدم اللواء محمد نجيب استقالته ، ولكن الياور عبد الله النجومى السوداني الاصل اقنعه بسحبها ، واجتمع ضباط سلاح الطيران وقرروا تسجيل اسمائهم فى سجل التشريفات ، وذهب عبد اللطيف البغدادى وعبد الحميد الدغيدى الى احمد حسنين رئيس الديوان ليحصلوا منه على تقييم لموقف مصطفى النحاس (حتى اذا كان خائنا يقتل) على حد تعبيرهم ، ولكن احمد حسنين ابلغهم انه سيرفع الامر الى مولاه ليتصرف بحكمته ، واوقف مجدى حسنين حفلا فى نادى الضباط بالاسكندرية اقيم بمناسبة عيد ميلاد الملك فاروق فى ١١ فبراير أى بعد الحادث بأسبوع وكانت تشترك فيه الراقصة ببا عز الدين والمطرب جلال حرب ، وقام البكباشى محمد كامل الرحماني بحركة نشطة فى الجيش تأييدا للملك وانتهت بتشكيل مجموعة متعاطفة معه كنت واحدا من اعضائها هدفها منع البريطانيين عند انسحابهم امام الالمان من تدمير المنشئات المصرية مثل الكبارى والجسور وانتهى به الامر الى اعتقاله هو والقائمقام فؤاد صادق الذى أصبح قائدا للقوات المصرية المقاتلة فى حرب فلسطين بعد ذلك •

لم تكن هذه هى حوادث الاعتراض والاحتجاج الوحيدة ، فقد كان معظم ضباط الجيش قد تأثروا بهذا الحادث من الوجهة الوطنية ••• وأثر ذلك على اتجاهاتهم السياسية وابعدهم عن الوفد ••• وقد تأثرت حقيقة عندما قال لى كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة فيما بعد قراءته لمذكرات كليرن ووثائق الخارجية البريطانية من اكتشافه ان النحاس كان بريئا فى ٤ فبراير •••

البراءة بعد ٣٠ عاما تصبح كلمة فى التاريخ ولكن ادراك حقيقتها فى حينها كان كفيلا بتغيير كثير من الامور •

وانتهز الملك هذه الفرصة ، فأكثر من زيارته لنادى الضباط بالزمالك ••• وكانت هذه الفترة هى بداية ظهور حركات سرية بين ضباط الجيش بعد ركود طويل اعقب حادث السودان عام ١٩٢٤ وسحب الجيش المصرى من السودان •

وقد بلغت الاثارة بين الضباط حدا جعل ضابطا فى مصلحة خفر السواحل اسمه شبانة يلقى حذاءه على رئيس الوزراء مصطفى النحاس عند خروجه من مسجد الرفاعى بعد الصلاة فيصيب عربة عبد الحميد عبد الحق احد الوزراء الوفديين ، وتطوع عدد من الضباط للشهادة معه رغم عدم وجودهم فى مكان الحادث كان منهم اليوزباشى عز الدين ذو الفقار

المخرج السينمائى فيما بعد والملازم مجدى حسنين ·

وحتى هذه اللحظة كان المحرك الرئيسى لاتجاهات الضباط هو الامل فى انتصار الالمان وهزيمة البريطانيين ·· ولذا كانت هزيمة رومل فى معركة العلمين امام الفيلد مارشال مونتجومرى نقطة تحول هامة فى تفكير الضباط الذين استبدت ببعضهم الحيرة وهو يرقب الهزائم المتتالية تلحق بالجيوش النازية التى صورتها الدعاية فى صورة القوات التى لاتقهر ·

ولم يكن الضباط يتحركون وحدهم فى عزلة او فى فراغ ··· كانت لهم صلات بالقوى السياسية خارج الجيش ·

ومع ذلك لم تحل ارهاصات العمل السياسى والوطنى داخل الجيش المصرى بينه وبين تنفيذ واجبات محددة ضمن خطة الدفاع البريطانية ··· كان ابرزها ولا شك دور المدفعية المضادة للطائرات والانوار الكاشفة فى القاهرة والاسكندرية ومنطقة القنال ، رغم أن دخول سيناء كان محظورا الا بتصريح حتى لضباط الجيش ، وكانت السلطة فيها لقوات الاحتلال والمحافظ البريطانى ·

قال تشرشل « ان مصر قامت بدور مشرف مهم له قيمته لا فى دفاعها عن نفسها فحسب ولكن فى الصراع العالمى » وقال الجنرال اوكنلك قائد القوات البريطانية « ان المساعدة التى قدمها لنا الجيش المصرى عظيمة فقد حرس المرافق الداخلية ، وتولى اعمال المراقبة ، والانوار الكاشفة والبطاريات المضادة للطائرات وخفف بذلك الضغط على قواتنا الى حد كبير » ·

وعندما انفرجت ازمة العلمين سمحت القوات البريطانية لعدد من الضباط المصريين بالحصول على فرق تدريبية فى مدارس الجيش البريطانى بالشرق الاوسط بفلسطين مثل مدرسة المدفعية المضادة للطائرات فى حيفا ومدرسة مدفعية السواحل فى عكا ومدرسة المشاة فى صرفند وغيرها ·

وفى هذه المرحلة كانت حكومة الوفد تواصل مسارها ، بعد ان انجلب مكرم عبيد سكرتير الوفد الى السراى ونشر فى الاهرام مقالا يقول فيه عقب مقابلته للملك يوم ١٣ مارس ١٩٤٢ « لم البث طويلا حتى ادركت ان ملكنا الشاب قد ملك زمام الامور بفضل ما اوتى من رجولة مبكرة وخبرة متنوعة نادرة قلما اتيحت لملك من الملوك فكان يتنقل من موضوع الى آخر ومن نصح الى نصح فى عطف ووداعة وصراحة اخاذة ونفاذة » وشكل حزب (الكتلة الوفدية) التى اصبحت حزبا من احزاب الاقلية المنفرطة اساسا من مسبحة الوفد ، وتعرض الوفد خلال هذه الفترة الى حملات شديدة ضد سياسة المحسوبية والاستثناءات التى انتهجها لخدمة انصاره بعد ان أقصى

عن الحكم اكثر من خمس سنوات •

ولكن الوزارة الوفدية استطاعت خلال حكمها ان تقدم انجـازات ذات تاثير اجتماعي هام مثل اصدار قانون مجانية التعليم الابتدائي ، وانشـاء جامعة الاسكندرية ، وديوان المحاسبة ، واستخدام اللغة العربية في مكاتبات الشركات ودفاترها ، واصدار قانون استقلال القضـاء ، وخفض الضريبة المربوطة على صغار المزارعين ، ووضع مشروع المجموعات الصـحية ، واصدار قانون عقد العمل الفردي ونقابات العمال •

وبعدما أدت وزارة الوفد دورها في تهدئة الجماهير تخلى الاسـتعمار عنها واسرع الملك يصدر قرارا باقالتها يوم ٨ اكتوبر ١٩٤٤ ، بعد ان وقعت بروتوكول الاسكندرية الخاص بانشاء جامعة الدول العربيـة في اليـوم السابق مباشرة •• وكانما انتظر منها ان تختم دورها بتكـوين الجامعة التي بارك انطوني ايدن انشاءها •

وكان خطاب الاقالة مهينا مثل خطاب الاقالة السـابق اذ قال فيـه الملك وهو يقيل وزارة الاغلبية الشعبية انه يقيل الوزارة بدافع الحرص على ان تحكم البلاد « وزارة ديموقراطية تعمل للوطن وتطبق احكام الدسـتور نصا وروحا » وهكذا انتصرت حاشية السراى على ارادة الاغلبية الشعبية •

المد الثورى فى مصر

واعقب اقالة الوزارة الوفدية عودة احزاب الاقلية الى الحكم ومعها الحزب الجديد (الكتلة الوفدية) فى وزارة برئاسة أحمد ماهر رئيس حزب السـعديين الـذى حل البرلمان لاجراء انتخابات جـديدة لم يشـترك فيها الوفد ، واجتمع البرلمان الجـديد فى ١٨ يناير ١٩٤٥ ولكن لم تمض الا ايام حتى اغتيل احمد ماهر يوم ٢٤ فبراير اعتراضا على اعلانه اشتراك مصر فى الحرب اغتاله المحامى محمود العيسوى الذى كان يعمل محاميا فى مكتب الكاتب المؤرخ عضو الحزب الوطنى عبد الرحمن الرافعى •

وتالفت بعد ذلك وزارة محمود فهمى النقراشي •

كان انتهاء الحرب وانهـاء الرقابة على الصحف فى ٩ يونيو ، والغاء الاحكام العرفية فى ١٤ اكتوبر بداية مرحلة جديدة من مراحل النضال الوطنى ضد الاستعمار •

وتحت ضغط الشعور الشعبى العام الذى الهبته الصحافة الوفـدية وخاصة بعد المذكرة التي ارسلها مصطفى النحاس الى السـفير البريطـانى

يطالب فيها بالجلاء الكامل عن مصر ووحدة مصر والسودان ، ارسل محمود فهمى النقراشى مذكرة الى الحكومة البريطانية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ يطالب فيها بسحب القوات البريطانية وقت السلم ، مشيرا الى ان علاقات مصر وبريطانيا ستكون مستمرة على اساس من التحالف .

ومع ذلك جاء رد الحكومة البريطانية بعد شهر كامل ، ليقول ان المبادىء الاساسية التى قامت عليها معاهدة ١٩٣٦ سليمة فى جوهرها « وان سياسة حكومة جلالة الملك هى ان تدعم بروح من الصراحة والود التعاون الوثيق الذى حققته مصر ومجموعة الامم البريطانية والامبراطورية فى اثناء الحرب »

وكان لهذا الرد الذى ربط بين مصر وبمجموعة الامم البريطانية لاول مرة رد فعل شعبى مضاد ، تحركت معه جماهير الطلبة . فاصدرت اللجنة التنفيذية العليا للطلبة ، واتحاد خريجى الجامعة بيانات احتجاج ... وتقرر عقد مؤتمرات عامة فى المعاهد والجامعة لمناقشة الحالة .

وعقد مؤتمر فى الجامعة يوم السبت ٩ فبراير ١٩٤٦ ضم بضعة آلاف تحركوا بعده فى مظاهرة كبيرة نحو قصر عابدين تحت شعار (لا مفاوضة الا بعد الجلاء) .

وعندما وصلت المظاهرة فى طريقها الى كوبرى عباس وجدته مفتوحا فاصر الطلبة على عبوره وحاصرهم البوليس وانهال عليهم ضربا فى قسوة شديدة ، ثم اطلقت بعض طلقات الرصاص مما دفع بعدد من الطلبة الى القاء انفسهم فى النيل ، وعرفت هذه الحادثة يومئذ باسم (مذبحة كوبرى عباس) ، التى قدر عدد المصابين فيها بستين طالبا واعتقل ١٥٠ متظاهرا .

وعمت المظاهرات انحاء مصر احتجاجا على المذبحة وامتلأت الصحافة ببيانات الاحتجاج وصادرت الحكومة بعض الصحف التى نشرت صور المظاهرات يوم ١١ فبراير (عيد ميلاد الملك فاروق) وحطم الطلبة ترتيبات الحكومة التى اقامتها احتفالا بالعيد وداسوا صور الملك بالاقدام وأشعلوا فيها النار وهتفوا ضد الاستعمار والسراى ، وخرجت فى اليوم التالى ١٢ فبراير جنازة صامتة واقام طلبة الازهر صلاة الغائب .

ولم تجد الوزارة امامها بعد عجزها الفاضح عن مجابهة الانجليز بعد حديث متكرر عن (الصمت) و (الوقت المناسب) ، وبعد قسوتها فى مجابهة مظاهرات الطلبة ،وامام تصاعد المقاومة الشعبية حيث لم تعد المظاهرات قاصرة على الطلبة بل امتدت الى طوائف الشعب الاخرى ـ لم تجد الوزارة الا ان تقدم استقالتها يوم ١٥ فبراير، ليتولى الوزارة بعد ذلك اسماعيل

صدقي رئيس حزب الشعب السابق الرجل الذى كان قد شكل دستور ١٩٣٠ وعضو مجلس ادارة شركة قناة السويس ، وزئيس اتحاد الصناعات ٠

وقد مهد اسماعيل صدقي لوزارته بحديث كان قد نشره في الاهـرام يوم ٧ فبراير يدعو فيه الى المفاوضة بدلا من المباحثات التمهيدية مع السفير البريطانى وهي الخطة التى كانت وزارة النقراشي قد انتهجتها ، وهو فى مقاله يعتبر بريطانيا صديقا وحليفا ويعلن ان الرغبة في التحالف معهم لا تحتـاج الى تدليل ٠

وسهل الانجليز ايضا مهمة اسماعيل صدقي بسـحب لورد كيلرن السفير البريطانى الذى يرتبط اسمه بحادث ٤ فبراير وعينوا بدلا منه سـير رونالد كامبل ٠٠٠

وقد بدأ صدقي وزارته باسلوب ناعم ٠٠٠ اقنع السعديين الاحـرار بخطر عودة الوفد فضمن تأييد البرلمان له ٠٠ وصرح بقيام المظـاهرت لايام محدودة ، وصرح للطلبة باستعداده ورغبته فى التعاون مع مصطفى النحاس ، ولكن النحاس باشا صرح بأنه لا يقبل أى نوع من انواع التعاون الا عـلى أساس انتخابات برلمانيه جديدة وهو الامر الذى يعنى انتهاء التحالف القائم بين احزاب الاقلية التى ارتضت الاشتراك فى الوزارة عـدا حـزب الكتلة الوفدية ٠

لم تتوقف المظاهرات الشعبية لوعيها بطبيعة وتاريخ اسماعيل صدقي ، وتشككها وحذرها من تصريحاته عن التحالف مع بريطانيا ، واصدرت لجنـة الطلبة التنفيذية بيانا قالت فيه ان الاسباب التى دعت الى الجهـاد ما زالت قائمة ٠٠٠ وفى ١٨ فبراير تجمع بميدان عابدين نحو ٤٠ الف متظاهر ، كمـا تجمع نحو ١٥ ألفا بفناء الجامعة بالجيزة ٠

وخلال هذه الايام العامرة بالنضال التقى مندوبو الطلبة والعمـال وانبثقت (اللجنة الوطنية للعمال والطلبة) لتـؤدى دورا تاريخيـا بدأته باعلانها ان نقابات العمال وطلبة الجامعات والأزهر والمعاهـد العليا والمدارس الخصوصية والثانوية قررت ان يكون يوم الخميس ٢١ فبراير ١٩٤٦ يـوم الجلاء ويوم الاضراب العـام لجميع هيئات الشعب وطوائفه ، ونادت ايضـا بتعطيل المرافق العامة ووسائل النقل والمحلات العامة والتجارية ٠

ووصلت المظاهرات قمة النجاح وتعطلت الحياة العامة فى القـاهرة ، وعقد مؤتمر شعبي فى ميدان الاوبرا قرر مقاطعة المفاوضات والغاء معاهـدة ١٩٣٦ والغاء اتفاقية ١٨٩٩ وعرض القضية على مجلس الامن ، ثم تحـركت المظاهرات الى ميدان قصر النيل (التحرير بعد ذلك) حيث ظهرت عـربات

بريطانية مسلحة اخترقت الجموع ودهمتهم فالقى المتظاهرون الحجارة على الثكنات ، فردت القوات البريطانية باطلاق الرصاص من خلف الاسوار ... وتساقط عدد من الشهداء قدروا بعشرين شهيدا وثارت ثائرة الجماهير فانقضوا على بعض المحلات الاجنبية ومعسكر للجنود الافريقيين خلف المحكمة المختلطة ونادى الطيران البريطاني واعتدوا عليهم واستمرت المظاهرات تطوف شوارع القاهرة وتلوح بالمناديل المخضبة بدماء القتلى أمام قصر عابدين حتى منتصف الليل.

ولم تقتصر المظاهرات على القاهرة وحدها ... انتشرت في مختلف المدن ، ولم تنفع بيانات صدقى في التفرقة بين الطلبة والعمال ، وتقرر يوم ٤ مارس يوما للحداد العام على ارواح الشهداء ، فاضربت الصحف عن الصدور ، واغلقت المصانع والمدارس ، وفي الاسكندرية تحركت مظاهرة شعبية ضخمة من محرم بك الى محطة الرمل ، وحاول بعض المتظاهرين انزال علم بريطاني يرتفع على فندق يقيم فيه بعض رجال البحرية البريطانية فأطلق عليهم جنود البوليس الحربي البريطاني الرصاص من كشك في ميدان محطة الرمل ... وحدث صدام انتهى الى قتل ٢٨ متظاهرا ، ٢ من الجنود البريطانيين وجرح ٣٤٢ .

وكانت الحكومة البريطانية رغم تأييدها لاسماعيل صدقى قد اخذت عليه تهاونه في قمع المظاهرات الامر الذى يمهد لقيام ثورة شعبيه تهدد قوات الاحتلال ، فارسلت بيان احتجاج للملك مباشرة ، وقبل صدقى الاحتجاج دون ان يعلن ذلك ، ولكن وزير الدومنيون البريطاني اعلن الخبر في مجلس اللوردات وطيرته وكالة رويتر للصحف المصرية مما اوقع صدقى في دائرة الحرج ، وكشف تماما عن دوره المخادع عندما اصدر قرارا بمنع المظاهرات .

وسرعان ما الف في ٧ مارس ١٩٤٦ وفدا رسميا للمفاوضة مع الانجليز يضم الى جانبه محمد شريف صبرى وعلى ماهر ومحمد حسين هيكل وعبد الفتاح يحيى وحسين سرى ومحمود فهمي النقراشي واحمد لطفى السيد وعلى الشمسي ومكرم عبيد وحافظ عفيفى وابراهيم عبد الهادى ، وهي مجموعة من الاسماء المعروفة في السياسة المصرية ، يؤمن معظمهم بان التحالف مع بريطانيا امر تقتضيه الضرورة والمصلحة ... اما الوفد فقد أبى الاشتراك في هذه الهيئة مادام لا يملك رئاستها او الاغلبية فيها .

وكان رفض الوفد للاشتراك في وفد المفاوضة دافعا الى تساؤلات ظهرت في الصحافة البريطانية تشكك في سلامة تمثيل هيئة المفاوضة للواقع

المصرى ... وأدى هذا الموقف الى تدهور سريع فى علاقات صـــدقى مـــع الوفد تمثل فى مصادرة الحكومة لصحف الوفد ومحاصرة الجنود لدورها ، واوضح ذلك صبرى ابو علم زعيم المعارضة الوفدية بمجلس الشـــيوخ فى ٩ مارس ، واصدر صدقى بيانا فى ٢ ابريل هـــدد فيه الوفد بعنف واتهمـــه بأنه يضع العراقيل امام المفاوضات ، ويدفع الطلبة والعمـــال الى الاضراب والتظاهر .

وعندما اطمأنت الحكومة البريطانية الى موقفه المتشدد شـــكلت حكومة العمال البريطانية وفدا للمفاوضة برئاسة بيفن وزير الخارجية ولـــورد ستاتسجيت وزير الطيران ، واصدرت فى ٧ مايو بيانا حددت فيه سياستها على أساس سحب كافة قواتها من مصر على أسس ثلاثة هى :

اولا : توطيد التحالف مع مصر على اساس المساواة بين امتين تجمـــع بينهما مصالح مشتركة .

ثانيا : ان يتقرر بالمفاوضات تجـــديد مراحل الجـــلاء والمواعيد التى يتم فيها .

ثالثا : الاتفاق على ما يتخـــــذ بين الحكومتين من التدابير لتحقيـــق التعاون فى حالة الحرب او خطر حرب وشيكة الوقوع .

وقد قوبل هذا البيان بهجوم متعدد الاطراف ... حمل تشرشـــل على البيان فى مجلس العموم من ناحية ان القواعد العسكرية فى برقـــة وفلسطين لن تكون كافية لحماية قناة السويس ، وقال ايدن ان عدم تمثيـــــل الوفد فى وفد المفاوضة يجعل العرض البريطانى بالجلاء عرضا مقدما بغير ضـــمان استيفاء الثمن من مصر .

وفى يوم صدور البيان نقلت وكالة رويتر عن الدوائر الرســـــمية القول بأن الجلاء لا ينتظر ان يتم بالسرعة التى تم بها عن ســـوريا ولبنان وذلك بســـبب ضـــخامة حجم القوات البريطانية أولا وبســـبب ما يحتاجه الجيش المصرى من استعدادات تؤهله لحمل التبعات ثانيا .

هذا ما حدث فى بريطانيا ... اما فى مصر فقد اهاجت فكرة التحـــالف شعور المصريين وخرجت المظاهرات الى الشوارع . وفى ١١ مايو اصـــطدم البوليس بمظاهرة خرجت من الازهر وجرح فيها ثلاثون متظاهرا وعشرة مـــن رجال البوليس ، واصدر الوفد والحزب الوطنى بيانات هاجموا فيهـــا البيان البريطانى .

واستمرت المفاوضات حتى قبل الجانب المصرى فكرة تكوين (لجنة الدفاع المشترك) من عسكريين مصريين وبريطانيين ، وما ان عرفت موافقة الحكومة على انشاء هذه اللجنة حتى تحركت المنظمات الشعبية تعقد المؤتمرات وترتب المظاهرات ، واصدرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بيانا حددوا فيه يوم ١١ يوليو ١٩٤٦ (ذكرى ضرب الانجليز للاسكندرية عام ١٨٨٢) يوما للحداد العام وبدء الجهاد الوطنى .

وهنا اسفر صدقى عن وجهه الحقيقى وقام فى اليوم السابق على الاضراب باعتقال حوالى مائتين من الكتاب والصحفيين وزعماء اللجنة الوطنية ونقابات العمال والطلبة ، واغلق كثيرا من دور النشر والجمعيات الجديدة ذات الطابع التقدمى مثل دار الابحاث العلمية ولجنة نشر الثقافة الحديثة ودار القرن العشرين والجامعة الشعبية الاهلية واتحاد خريجى الجامعة وجامعة ام درمان ومؤتمر نقابات عمال القطر المصرى ونادى الشرقية ورابطة بعثات الجامعة والمعاهد ، كما اغلق نهائيا صحف الفجر الجديد والجبهة وام درمان والعراق واليراع والضمير والوفد المصرى وصادر لعشرة ايام جرائد المصرى والكتلة ومصر الفتاة ، ومنع الاحتفال بيوم ١١ يوليو .

واطلق على هذه الحملة (قضية المبادىء الهدامه) والصق بالمعتقلين تهمة الشيوعية ، وكان منهم سلامة موسى والدكتور محمد مندور ومحمد زكى عبد القادر وغيرهم ، ورغم الغاء تصريح جريدة (الوفد المصرى) فان معارضة الوفد لهذه الاجراءات لم تكن قوية بالدرجة الكافية ، وضحى الوفد بجريدته مطالبا بصدور جريدة أخرى بدلا منها (صوت الامة) .

وبقدر ما قوبلت حملة صدقى باشا بالارتياح فى الدوائر الاستعمارية ودوائر السراى والرجعية المصرية ، بقدر ما قوبلت بالرفض من جانب المثقفين والعمال والطلبة ، فما لبث ان اضرب عمال شركة الغزل الاهلية بالاسكندرية يوم ١٥ يوليو ، والقيت خمس قنابل يوم ١٧ يوليو على احد الاندية البريطانية .

وكانت هذه الحملة نقطة تحول فى اسلوب السلطة التنفيذية اذ جعلت تهمة (الشيوعية) سيفا مصلتا على رقاب كل الوطنيين الذين يقفون موقف المعارضة لربط مصر بعجلة الاستعمار .

وحاول صدقى جاهدا ان يصل الى عقد اتفاقية مع الانجليز بعد حملته الصليبية ، وسافر فعلا الى لندن فى ١٥ اكتوبر بعد ان كان قد قدم استقالته فى ٢٨ سبتمبر وكلف الملك خاله شريف صبرى بتشكيل وزارة تضم الوفد اليها ولكنه عجز عن تحقيق ذلك لرفض الوفد واصراره على اجراء انتخابات

جديدة ، وادى ذلك الى ذهاب مصطفى النحاس لتوقيع اسمه فى سجل التشريفات بمناسبة عيد الاضحى لاول مرة بعد اقالته .

وقع صدقى اتفاقية بالحروف الاولى مع بيفن ، وعاد يعلن ان الوحدة بين مصر والسودان قد تقررت نهائيا ، ولكن رئيس الوزراء البريطانى مستر اتلى كذب هذا التصريح مما اضعف من موقف صدقى ، الذى كان يعانى فى الداخل معارضة شديدة ، وخاصة من جانب الطلبة الذين عقدوا مؤتمرا يوم سفره الى لندن حضره ممثلو الطلبة الوفديين والحزب والوطنى والتنظيمات الماركسية والكتلة ورابطة الطلبة المصريين وقرروا الغاء معاهدة ١٩٣٦ وقطع المفاوضات فورا والالتجاء الى مجلس الامن ، وكان صدقى قد اجل الدراسة الى ١٧ نوفمبر .

وما كادت الجامعة تفتح ابوابها حتى بدأت المظاهرات ، دون توقف ، تزداد انتشارا وقوة فى مختلف المدارس والمعاهد والكليات ، وتصطدم بالبوليس يوميا ويتساقط الجرحى من المتظاهرين ، وخطب مصطفى النحاس فى ذكرى عيد الجهاد (١٣ نوفمبر) مهاجما مشروع صدقى بيفن ومحاولة فرض بريطانيا معاهدة التحالف على مصر متهما صدقى بأنه المسئول عما يراق فى الشوارع من دماء .

وتحت هذا الضغط الشعبى اصدر سبعة من اعضاء وفد المفاوضة بيانا اعلنوا فيه معارضتهم للمشروع الذى انتهى اليه صدقى مما اجبره على حل وفد المفاوضة فى ٢٦ نوفمبر ... وتعمد الانجليز احراجه ايضا بعد ان وجدوا انه لم يستطع التعبير عن ارادة الشعب المصرى ، فجعلوا الحاكم العام للسودان يصدر تصريحات تتنافى مع بيانات اسماعيل صدقى .

وفشلت دعاية الصحفى مصطفى امين لمشروع صدقى فى مقالاته التى كتبها فى مجلة آخر ساعة تحت عنوان (اوقعها والفها) واضطر صدقى لتقديم استقالته يوم ٦ ديسمبر ١٩٤٦ تحت ضغط النضال الشعبى العام والموقف الموحد للجماهير والتنظيمات السياسية والمهنية .

وهكذا انتصرت الارادة الشعبية ، وسقط مشروع صدقى بيفن . وسقط حكم صدقى بعد عشرة شهور فقط .

وعاد محمود فهمى النقراشى رئيسا للوزراء يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٦ .

وتعتبر الفترة التى مضت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة النازى حتى سقوط مشروع صدقى بيفن من أكثر فترات النشاط السياسى خصبا وتوهجا وتأثيرا فى المجتمع .

ولم يكن الجيش خلال هذه الفترة بعيدا عن الاحداث ... ولم تكن

هزيمة النازى التى حطمت احلام كثير من الضباط هى كلمـــة (النهــــاية) فى نضالهم ٠

تحول النشاط عند مجموعات الضباط التى اسقطتها هزيمـــــة النازى فى حيرة شديدة الى البحث عن موقع جـــديد يواصـــــلون منه نضـــالهم الوطنى ٠

وكان الجيش خلال الفترة التى عمت فيها المظاهـــرات مصر يؤدى دورا بوليسيا ٠٠ لم تســـحبه اليه وزارة محمـــــود فهمى النقراشى الاولى ، ولكن سحبته له وزارة اسماعيل صدقى التى اعلنت نظام الطوارىء ، وحشـــدت قوات الجيش فى مناطق مختلفة ٠٠٠ حديقة الاورمان المجاورة لجـــــامعة القاهرة ، وفى منطقة شبرا الخيمة وفى المحلة الكبرى والاسكندرية وغيرها ٠

وطبق نظام الطوارىء ٠٠٠ كان الجندى يحصل على علاوة طـــــوارىء عشرة قروش يوميا فى الوقت الذى كان مرتبه الشهرى فيه ٥٤ قرشــــــا ، ويحصل الضابط من الرتب الصغيرة على اربعين قرشا يوميا بينمـــا مرتب الملازم ١٢ جنيها شهريا ، وترتفع هذه القيمة حتى تصل الى جنيهين فى اليوم لرتبة اللواء ٠

كان خروج الجيش علنا لمقاومة المظاهرات ، واجتماع الضباط والجنــود قريبا من مناطق تجمع الطلبة والعمال دافعا لهم على مناقشـــــة الموقـــــــف السياسى ومحاولة التعرف على ابعاده ، وخاصة بعــــــد حرص كثير من الطلبة على الاجتماع بالضباط فى زيارات ودية اثناء وجودهم فى حديقة الاورمان ٠

واستقر راى صغار الضباط من مختلف الاتجاهات السياســـية اخوانا او شيوعيين او غير منتمين لتنظيمات سياسية فى عـــدد من الوحدات على عدم اطلاق النار مطلقا على مظاهرات الطلبة او العمال مهما كانت الظروف ٠

حرص اسماعيل صدقى على استخدام الجيش كوســـيلته الرئيســـية للارهاب والتهديد لم يكن مسايرا للتطور الذى احدثته معاهـــــدة ١٩٣٦ فى صـــفوف الجيش ٠٠٠ اذ لم يعد الجيش محدود العدد او خاضعا تمـــــام الخضوع لنوعية خاصة من الضباط تمتد من اعـــلى الرتب الى اصـــغرها ، وبالتالى لم يعد اداة طيعة فى يد السلطة كما كان فى عهد وزارة صــــدقى فى بداية الثلاثينيات عندما استخدمه لتزييف الانتخابات ٠

تطورات كثيرة كانت قد حدثت فى مصر وفى الجيش لم يدركهــــا ذكاء اسماعيل صدقى المعروف ٠٠٠ وظهر رفض ضباط الجيش لاداء هـــذه المهمة البوليسية التى اوكلت اليهم ـ الى جانب التقارب وتوحيـــــــد آرائهم ـ فى صورة منشورات كثيرة وزعت خلال هذه الفترة من الضباط المنضـــــــمين للاخوان او التنظيمات اليسارية ٠

وتولد شعور طبقي ناشيء وغير منظـــور عند صغار ضباط الجيش وعند عدد من صف الضباط الواعين ··· بأنهم يعملـــون في خدمة طبقـــة اقطاعية لا ينتمون اليها ··· ومن هنا كان اقتناعهم بألا يكونوا أدوات تطلـــق النار على جماهير الطلبة والعمال ·

ورغم هذا الموقف فان الضباط لم ينجذبوا الى الوفد العـــــدو المعارض لاحزاب الاقلية ، والذى لم يطلق خلال تاريخه رصاصـــة واحـــــدة على المتظاهرين ، والذى كانت صحفه في ذلك الوقت تلتهب بمقالات الاثارة بأقلام الدكتور محمد مندور والدكتور عزيز فهمى وغيرهما من شباب الوفد ·

يرجع ذلك اساسا الى الاسباب الآتية :

اولا : كانت فرص الوفد في التسلل الى صفوف الجيش عن طـــريق دفع مؤيديه الى صفوفه محدودة جـــدا لقلة الوقت الذى بقى الوفـــد فيه متوليا الحكم مقارنا بحكم أحزاب الاقلية ·

ثانيا : تشبث القيادة الوفدية دائما بمبـــدأ فصل الســلطات وابعاد الجيش عن السياسة وحرصهم على تنفيـــذ ذلـــك لادراكهم ان الجيش كان في هذه المرحلة يتحرك بأوامر السراى الخاضعة النفوذ الاستعمار البريطانى ، وهى العدو التقليدى للوفد ·· ولذا لم تكن هناك صـــلات او محاولة عقد صلات بين الوفد ورجال الجيش ·

ثالثا : كانت الدعاية المضاده التى صاحبت حادث ٤ فبراير قـــوية الى الدرجة التى أثرت فعلا فى سمعة الوفد داخل صفوف الجيش ، واظهـــرته بمظهر الحزب المتعاون مع البريطانيين فى وقت كان فيه الارتباط بالنازيين هو الصورة البراقة للوطنية ·

رابعا : ظهور تنظيمات سياســـية جديدة ذات اتجاهات فكـــرية واجتماعية مختلفة (مصر الفتاة ــ الاخوان المسلمين ــ الحـــزب الوطنى الجديد ــ التنظيمات الشيوعية) قادتهـــا أقرب من ناحية السن والتكوين الاجتماعى لصغار ضباط الجيش ··· وحركتهـــا التنظيمية اكثـــر انضباطا من الوفد الذى كان يعتمد على رصيد زعامته وجماهيرية اهدافه وقـــدراته المالية ، وبالتالى كانوا أكثر جاذبية للضباط الذين اعتادوا الانضباط والضبط والربط ــ على حد التعبير العسكرى ــ فى حياتهم اليومية ·

خامســـا : كان تكوين القيادة الوفـــدية متنافرا الى حد بعيد مـــع طبيعة الجماهير المؤيدة له ··· فمعظم القيـــادة كانت من الاقطاعيين ، ومعظم الجماهير كانت من العمال والفلاحين والمثقفين ··· ولذا فان الضـــباط لـــم يجدوا فى تكوين القيادة الوفدية ما يجذبهم اليهـــا باعتبـــارهم ابناء للطبقة

الوسطى ، تولدت فى صفوفهم افكار وطنية وثورية ، اكسبتها الروح العسكرية طابعا حادا يميل الى التغيير السريع .

انجذب الضباط بعد هزيمة النازى وفى مواجهة الموقف الذى انسحبوا اليه لمواجهة جماهير الشعب بطلقات الرصاص الى احزاب وتنظيمات اخرى .

تعددت الاتجاهات ... وتنوعت قوى الجذب المختلفة .

ويمكن بلورة الاتجاهات داخل الجيش فى ذلك الوقت فى ثلاثة اتجاهات رئيسية :

١ ـ اتجاه جذبه الارهاب واغتيال جنود الاحتلال وامتد حتى وصل الى بعض السياسيين المصريين .

٢ ـ الاخوان المسلمون كقوة سياسية جديدة تظهر على المسرح مصحوبة بدعاية هائلة وتأييد صريح من حكومة اسماعيل صدقى .

٣ ـ التنظيمات اليسارية التى كانت تنمو فى سرية مطلقة مستفيدة من المد الثورى ، ووضوح موقف الدول والقوى الاشتراكية فى تأييد قضيتنا .

اما بقية القوى والاحزاب السياسية فان فرصتها للعمل والنشاط داخل الجيش كانت محدودة .. بل معدومة تقريبا .

ومصر الفتاة لم تتح لها الحرب العالمية الثانية فرصة النشاط مع الضباط وخاصة الذين تأثروا بمبادئها خلال الدراسة الثانوية ، لانها كانت مطاردة من السلطات لاتجاهاتها الفاشية فى هذه المرحله .

اما احزاب الاقلية فان قدراتها كانت أضعف من التأثير على شباب الضباط لاتجاهاتها الرجعية المحافظة .

وهكذا انفردت هذه الاتجاهات الثلاثة لتنمو داخل صفوف الجيش .

اولا ـ الارهاب :

كان الاتجاه الارهابى أقدم فى وجوده من الحركة الشعبية التى انطلقت عام ١٩٤٦ ، وهو يمتد بجذوره الى افكار (الحزب الوطنى) الذى بدأ اعضاؤه يعتنقون الفكر الارهابى خلال ثورة ١٩١٩ وما بعدها ، بعد ان طغى الوفد عليهم بجماهيريته وشعبيته .

كان ضباط الطيران فعلا على اتصال ببعض الذين ناضلوا ضد

البريطانيين فى جماعة (عصابة اليد السوداء) خـلال ثورة ١٩١٩ وما بعدها مثل عبد العزيز على الذى اصبح وزيرا فى وزارة محمد نجيب وكان عضـــوا فى الحزب الوطنى ٠

وكان اعضاء الحزب الوطنى يعتبرون الاغتيال وسيلة من وســـائل النضال ، ومحود العيسوى الذى قتل احمـــد ماهر كان محـــاميا تحـــت التمرين فى مكتب عبد الرحمن الرافعى الذى اعتقل هـــو وفتحى رضـــوان عقب حادث الاغتيال ثم افرج عنهما بعد ان ثبت عدم وجود صلة لهما بعمليـة الاغتيال نفسها ٠

وحدث التقاء بين بعض الضباط وبين شـــباب من اعضـــاء الحـزب الوطنى ، كونوا مجموعة للاغتيالات ٠٠٠ وكانت المحاولة الاولى اغتيـــــال مصطفى النحـــــاس الذى اجتمع عليه رأيهم لما تركه حــــادث ٤ فبراير فى نفوسهم ، وقد قــــام بهذه العملية التى لم تنجح انور السادات ، وحســـين توفيق الذى اغتال امين عثمان بعـــد ذلك ، وســـعد كامل ابن اخت فتحى رضوان وعضو اللجنة التنفيذية العليا للحزب الوطنى الجديد فيما بعـــد ، ومحمد كامل السفير بعد ثورة ١٩٥٢ ٠

وتشكلت داخل الجيش مجمـــوعة اخـرى اتصلت بسعد كامل وضمت الضباط مصطفى كامل صــــدقى وحسن فهمى عبد المجيـــــد وعبد الرؤوف نور الدين ، والقوا قنبلتين على منزل عبد الفتاح عمرو ســـفيرنا فى لندن بالدقى ، وقنبلة اخرى على الاتحاد المصرى الانجليزى مكان نادى ضـــــباط القوات المسلحة بالزمالك الآن ، وقنابل دخان على دار اخبار اليوم ٠

وقامت المجموعة التى فشلت فى محـــاولة اغتيال النحاس باشا باغتيال امين عثمان بعد ذلك ، ولكنها اعتقلت وحوكمت وحكم على القـــاتل حســـين توفيق بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وكان والده وكيلا لوزارة المواصلات ٠

وامكن لهذه المجموعة تهريب حسين توفيق واخفاؤه فترة طويلة ٠

ولم يكن هذا النشاط خارج حدود الجيش ٠٠ بل تبلورت فى الداخل حركة مضـــادة لرئيس اركان حـــرب الجيش اللواء ابراهيم عطاالله الذى ابتعدت قيادته للجيش عن كل معانى الجدية والتطـــور ٠٠٠ ذهب مع بعثة من كبار الضباط لزيارة الولايات المتحدة وبعد عدة اســـابيع عاد ليصـــدر قرارا وحيدا يقضى بأن تلبس كل الرتب عـدا رتبة اللواء بنطلونات قصـــيرة اثناء التواجد بالمعسكرات الامر الذى اثار الضحك على بعضهم لكروشـــهم البارزة ٠٠٠ ونفاقا للسراى اصدر قرارا بأن يلبس ضباط الجيش ربطـــات عنق سوداء يوم ٢٨ ابريل ذكرى وفاة الملك فؤاد ، ولكن عددا ملحوظـــا من

صغار الضباط رفضوا تنفيذ الامر .. كما أنه أوحى لضباط سلاح المدفعية بأن يجمعوا نقودا لشراء (عصا الماريشالية) لتقدم هدية للملك فاروق عند زيارته للسلاح ، وقد رفض ايضا عدد من الضباط ان يسهموا في ذلك ... وكانت زيارة فاروق لميس المدفعية بالماظة هي زيارته الاولى والاخيرة ، اذ اثارت مشاعر الضباط لما حوته من بذخ في الطعام والترفيه ... اذ اقاموا مسرحا خارجيا استضافوا فيه فرقة الريحاني واحدى فرق الباليه الاجنبية التي حضرت من الطائرة الى المدفعية مباشرة قبل ان تظهر في كباريه الاوبرج ، واعدوا بيست للرقص لم يشارك فيه الا عدد محدود من زوجات الضباط اللاتي قبلن الحضور ، فقد رفض اغلبية الضباط احضار زوجاتهم في حفلة يحضرها الملك .... ويذكر خلال هذه الليلة ان الصاغ عبد المنعم رياض - الفريق الشهيد بعد عدوان ١٩٦٧ - كان خالعا طربوشه ، فاقترب منه كبير التشريفاتية وابلغه بان ذلك ممنوع في حضرة الملك ، وحدثت بينهما مناقشة انتهت الى استبدعائه في اليوم التالي للسراي وتصفية الامر بعد ما لمسوه من غضب الضباط واحتجاجهم على هذا الاسلوب في مخاطبة أحد الاثنين لضابط مرموق .

وقررت مجموعة من الضباط اغتيال ابراهيم عطاالله ، واصدرت منشورات أعدها مصطفى كمال صدقي الذي كان ضابطا للمخابرات في مكتب ادارته ، الامر الذي كشف مجموعته وأدى الى اعتقاله مع ٢٣ ضابطا وصولا من بينهم البكباشي رشاد مهنا واليوزباشية عبد الرؤوف نور الدين وحسن فهمي عبد المجيد وممدوح جبه والبكباشي احمد يوسف حبيب والصاغ عثمان نوري واليوزباشية عاطف سعد ومحمد احمد حسن والملازم عبد القادر طه واحمد فؤاد .

وسبب اعتقال افراد هذه الجماعة هو تبليغ احد صولات ادارة المخابرات (جمال الدين جلال) الذي استعانوا به في عملية تهريب سلاح للفلسطينيين عن طريق بور سعيد ، وذلك بعد اتصالهم بالحاج امين الحسيني في القاهرة .

ولم ينته اعتقال هذه المجموعة الى محاكمة عسكرية ، وانما انتهى الامر الى الافراج عنهم وعودتهم الى اعمالهم ، واعفاء ابراهيم عطاالله من منصبه وتعيين اللواء عثمان المهدي بدلا منه ، كما عين محمد حيدر وزيرا للحربية .

وكان هذا التعيين مفاجأة للجيش ... اذ المعروف ان محمد حيدر ضابط من السجون ، وكان له تاريخ مشهور اثناء ثورة ١٩١٩ في ضرب المتظاهرين ، وقد استاء من ذلك عدد ملحوظ من الضباط اذ وجدوا في

ذلك امتهانا لهم ، واتهاما بعدم كفاءة احد منهم لقيادة الجيش •

وكان تعيين محمد حيدر ربيب السراى وياور الملك خطـــوة لمزيد مــــن السيطرة على الجيش ، التقت فى خطوة اخرى تمثلت فى احتواء عدد ـ وليس كل ـ الضباط الذين اعتقلوا فى حادث ابراهيم عطاالله وتشكيل تنظيم خاص لهم للدفاع عن الملك والسراى عرف باسم (الحرس الحديدى) •

ولم يكن هذا التنظيم خاضعا للحرس الملكى او للجيش ، وانما كـــــان تنظيما سريا خاصا يرتبط بالسراى عن طريق يوسف رشاد الطبيب البحـرى وياور الملك ويضم من الجيش احمد يوسف حبيب ومصطفى كمال صــــدقى وسيد جاد وعبد الرؤوف نور الدين وخالد فوزى وحسن فهمى عبد المجيد •

وينفى خالد فوزى انه كانت له صلة بالحرس الحديدى •• ولاشــك انه كان الوحيد بين هؤلاء الذى انضم الى تنظيم الضباط الاحرار ، وكان له دور ايجابى معهم فى التحضير لحركة الجيش •

وقد بدأ (الحرس الحديدى) فور تكوينه يمــــارس عملياته الارهابية ••• اطلق عبد الرؤوف نور الدين الرصـــــاص ومعه انور الســـادات على مصطفى النحـــــاس يوم ٥ ابريل ١٩٤٨ من عـــربة من عربات القصر الملكى احضرها اليوزباشى عبد الله صادق من مطافىء القصر كان يقـــودها حســـن فهمى عبد المجيد فاخطأه رغم قرب المسافة ثم شرع مصطفى كمال صـــــدقى وعبد الرؤوف نور الدين فى نسف منزله بسيارة حملت كمية كبيرة مـــــن المفرقعات يوم ٢٥ ابريل • وكان ذلك نتيجة موقف النحاس باشــــا المتشـدد فى المسألة الوطنية ، ورفضه لكافة محاولات التقرب من الوفد على غير اساس اجراء انتخابات جديدة •••

واستمر هذا التنظيم يواصل عمليـــــاته الارهابية السريـة ، ويتعرف على اخبار الضباط ليبلغها للسراى ويحاول ان يحيط الملك بهالة مضللة تقنع الناس بأنه يمكن تحقيق الاصلاح عن طريقه •

وكان يساند هذا (الحرس الحـــــديدى) محمد حيدر وزير الحربية واسماعيل شيرين مدير ادارة شئون فلسطين وزوج الاميرة فوزية •

وهكذا انتهى الارهاب الذى اندفع اليه بعض الضباط ومعهم عــــــدد من المثقفين بعد هزيمة النازية لاغتيال جنود الاحتـــــلال الى ان اصبح اداة فى يد السراى للتخلص من اعدائها واعداء الاستعمار فى نفس الوقت •

لم يستطع الارهاب ان يفرض نفسه داخــــل الجيش بعد ان وصــــــل نشاط الحركة السياسية فى المجتمع الى ذروته وانعكس ذلك داخـــل الجيش ايضا ••• وعندما تنمو الافكــــــار يذبل الارهاب ••• ومــــع ذلك فان آثار الارهاب والاغتيال لم تنته تماما ، ولكنها حوصرت فى دائرة الحرس الحديدى والضباط الموالين للسراى •

ومع ذلك فانه فى لحظـــات اليأس من الموقف والرغبة الجــــارفة فى

التغيير ، وضعف الثقة في التنظيم ••• كان الفكر الارهابي عند الضباط الوطنيين يعاود الظهور ، بل ويتحرك للتنفيذ احيانا •• ولكنه لم يستطع أن يفرض نفسه سيدا للموقف كما سيأتي تفصيلا فيما بعد •

ثانيا ــ الاخوان المسلمون :

صلة الضباط بالاخوان تعود الى الحرب العالمية الثانية ، ولكنها لم تظهر كتيار رئيسي في مجال الحركة السياسية بالجيش الا بعد انتهاء الحرب •

ولم تكن اتصالات الاخوان المسلمين مقتصرة على فرد او افراد محدودين ••• وانما كانت منتشرة مع اكبر عدد متاح لهم من الضباط •

ونظرة تاريخية الى حركة الجماعة قد تفيد •

تحول النشاط عند مجموعات الضباط التى اسقطتها هزيمة النازى فى حيرة شديدة الى البحث عن موقع جديد يواصلون منه نضالهم الوطنى •

طوال حكم الوفد خلال فترة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٧ لم تتجاوز الجماعة حدود دعوتها الدينية ، ولم تظهر على المسرح السياسى بصورة سافرة الا بعد خروج الوفد عندما اصدرت مجلتها النذير السياسية عام ١٩٣٨ وقال أحمد حسين رئيس مصر الفتاة اثناء مرافعته فى قضية اغتيال محمود فهمى النقراشى بعد ذلك عام ١٩٤٩ ان حسن البنا وقادة الاخوان كانوا قد اعتقلوا فى بداية الحرب العالمية ، الى ان حضر حامد جودة الوزير السعدى وقابل حسن البنا منفردا ثم تم الافراج عنه بعدها بأيام ••• وقال كذلك ان عبد الرحمن عمار مدير الامن العام كان عضوا فى الجماعة •

وكان حسن البنا مرشد الاخوان ذا شخصية نفاذة يجيد الخطابة ويحيط نفسه بهالة من الغموض تتيح له حسب لائحة الجماعة زعامة فردية مطلقة لا منازع له فيها •

يقول انور السادات فى كتابه (اسرار الثورة المصرية) ان حسن البنا كان حريصا على ان يظل ما بينهما سرا خافيا (حتى على كبار الاخوان انفسهم) •

وعقب اقالة الحكومة الوفدية فى ٨ اكتوبر ١٩٤٤ نشط (الاخوان المسلمون) نشاطا شديدا وصرحت لهم وزارة محمود فهمى النقراشى بعقد الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية فى اواخر عام ١٩٤٥ بينما حرمتها على كافة الهيئات الاخرى •

وكان حسن البنا طموحا يبغي الاتصال بالملك ليخلق بين الاخـــوان والسراى نوعا من التعاون الوثيق ٠٠ ولجـــأ فى ذلك الى أنور الســادات بوسطه ـ حسب روايته ـ ليطرق باب صديقه الدكتور يوسف رشاد ليمهد له مقابلة مع الملك ٠

وقد وجد عدد ملحوظ من الضباط في هذه الجمـــاعة مركز جاذبيـة لهم يختلف عن الاحزاب السياسية التى تعتمد على التنظيمات الجمـــاهيرية المفتوحة ، حيث انه كان لهم تنظيم هرمى يقف المرشـد على قمتـه ، ولهم تنظيم عسكرى خاص لا يخلط بين المدنيين والعسكريين كان يســاعد المرشد فى الاشراف عليه ضابط مصرى سابق كان قد هاجـر الى المانيـا ثم عاد منها هو الصاغ محمود لبيب الذى اتصل بمعظم الضباط الذين جنـدوا فى الجماعة ، هـذا الى جانب تنظيم الجهاز السرى الذى كان يصـل اليه الموثوق فيهم وكان تحت اشراف عبد الرحمن السندى ٠

وفى الايام الاخيرة لوزارة الوفد عام ١٩٤٤ استدعى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية حسن البنا ، وابلغه بأن الوزارة لاتســمح بخروج جوالة الاخوان لاستقباله على المحطات او القيام بطوابير اسـتعراضية له ٠٠٠ وكان فؤاد سراج الدين قد زار المركز العام للاخوان خـلال الحـرب عندما كانت جمعية معانة مثل الشـبان المسلمين يحرصون على الظهـور فى مظهـر دينى ـ وكانت شعب الاخوان قد بلغت ما يزيد عـن ٥٠٠ شعبة تقـوم بمشروعات اجتماعية تحصل بها على اعانات من الدولة ٠

واستدعى مصطفى النحاس حسن البنا اثناء الحـرب العالمية لمقابلتـه فى مينا هاوس حيث أقام فترة وحذره من الانغماس فى العمـل السياسى وطلب منه الا يتجاوز حدود دعوته الدينية ٠

ولكن اقالة حكومة الوفد كانت نقطة بدء لتحـرك الاخوان المسـلمين ليس ضده فقط ٠٠٠ ولكن ضد كافة التنظيمات الشـيوعية والديموقراطية والاتجاهات الاشتراكية ٠

ووصلت ذروة المساندة لجماعة الاخوان المسلمين عندما تولى اسـماعيل صدقى الوزارة بعد مذبحة كوبرى عباس ، ووجد فى الوفد كتلة صـلبة لا تلين فى عدائها التقليدى التاريخى له منـذ مطلع الثلاثينيات ٠٠ هـرع اسماعيل صدقى عقب توليه الوزارة الى زيارة مركز الارشاد لجمـاعة الاخوان المسلمين فى الحلمية الجديدة ، ونسق سياسته معهم ، حتى اصبحوا من مروجى الدعاية له والمدافعين عن سياسته ٠

عندما كانت الجامعة فى عنفوان اشـتعالها الوطنى وقف مصطفى مؤمن

زعيم الاخوان فى الجامعة يعلق على وعود اسماعيل صدقى المعسولة بآية من القرآن « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » .

وعندما شكلت (اللجنة التنفيذية العامة للطلبة) شكل الاخوان (لجنة الطلبة التنفيذية العليا) وعندما تكونت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة) التى قادت مظاهرات ٢١ فبراير ، اسرع الاخوان الى تشكيل (اللجنة القومية) وفيها ممثلون ايضا لمصر الفتاة والحزب الوطنى وحزب الفلاح الاشتراكى وجبهة مصر ... والتنظيمان الاخيران من التنظيمات الشكلية التى تعتبر لافتات بلا جماهير . وقد ساندت الحكومة هذه اللجنة واتفق على ان يكون محمد حسن العشماوى وزير المعارف ممثلا للحكومة فى هذه اللجنة .

ومع ذلك لم يستمر الاخوان طويلا فى عضوية (اللجنة القومية) التى شكلت فى مركز الاخوان ، بل اعلنوا عقب يوم ٤ مارس ١٩٤٦ ـ يوم الحداد العام ـ انهم يعتبرون ان اللجنة قد شكلت لاظهار شعور الامة ، وان مهمتها تعتبر قد انتهت بذلك ... ولكن بقية اعضاء اللجنة اصروا على بقائها حتى تتحقق المطالب الوطنية بالجلاء والوحدة .

ورغم هذه المواقف السياسية الناشزة من الاخوان المسلمين فان اتصالهم بالضباط كان عريضا ومنتشرا لم يقتصر على افراد محدودين ... ضباط الطيران كانوا على اتصال بهم ... وانور السادات كان على صلة شخصية بحسن البنا الذى كان أول من اتاح له فرصة التعرف بعزيز المصرى كما ورد فى كتابه (اسرار الثورة المصرية) ... وقد لعب عبد المنعم عبد الرؤوف قائد السرب الذى حاول الهرب مع عزيز المصرى دورا نشيطا فى هذا المجال استمر الى مابعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ... وخالد محيى الدين عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد قال انه كان عضوا فى الاخوان ومجموعته التى وصلت الى مستوى الانضمام للجهاز السرى العسكرى لهم كانت تضم البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ كمال الدين حسين ... ولم يكن الانضمام لهذا الجهاز السرى مفتوحا الا للمخلصين موضع الثقة ... وكانوا يقسمون يمين الاخلاص للدعوة فى غرفة مظلمة خالية بمنزل عتيق فى حى الصليبة ويد الضباط على مصحف ومسدس معا .

الظاهرة التى تستلفت النظر هى قيام هذه المجموعة المنضمة للاخوان بعقد جلسات لتحضير الارواح ... يقول ثروت عكاشة وزير الثقافة فيما بعد أن مجموعة كانت تضمه هو وجمال عبد الناصر

وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين كانت تعقد جلسات لتحضير الارواح كل أسبوع بحضور الشيخ عبد الرحيم القناوى ، ويقول مجدى حسنين ان مجموعة اخرى كانت تضمه ايضا مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر واللواء طبيب حسين رياض كانت تحضر الارواح مع وسيط آخر هو الدكتور عزت خيرى الذى اصبح عميدا لكلية علوم جامعة القاهرة •

هكذا كانت الاخوان تضم اعدادا من الضباط ينتظمون فى جماعات تنتشر بينهم الافكار الآتية :

١ — معاداة الحزبية بأشكالها القائمة على اختلاف اتجاهاتها وأفكارها الاجتماعية ، مما رسب فى نفوسهم روحا معادية للديموقراطية ••• وكان الاخوان يعتمدون على شعار (الرسول زعيمنا) بمعنى الرفض الكامل للزعامات الشعبية القائمة •

٢ — التمسك بالغيبيات التى تنشر الضباب الفكرى وتحول دون انطلاق الرؤية الى آفاق جديدة كما يتضح من تركيزهم على عقد جلسات لتحضير الارواح يحضرها الضباط •

٣ — الانضباط التام للتنظيم والخضوع المطلق لشخصية المرشد الذى كان يقف وحده بصلاحيات مطلقة على قمة التنظيم الشعبى والعسكرى السرى معا •

٤ — تبنى مفاهيم عنصرية خاطئة لا ترتبط بالواقع بل تحرف الانظار عما يدور فى المجتمع مثل قول المرشد « ان الدور عليكم فى قيادة الامم وسيادة الشعوب ، وتلك الأيام نداولها بين الناس » وهى ترديد بصورة اخرى لبعض الافكار النازية العنصرية •

وكانت فرصة تجنيد الضباط لجماعة الاخوان متاحة اكثر من غيرها ••• فالارهاب يحتاج الى جرأة وشجاعة وسرية وتعرض البنات للخطر ••• كما ان التجنيد للتنظيمات اليسارية كان يتم فى سرية مطلقة فى وقت كانت كلمة (الاشتراكية) وحدها تكفى لالقاء الشبهات على الناطق بها ، وفتح ابواب المعتقلات له فى اول فرصة مناسبة •

ومع تدفق الضباط على تنظيم الاخوان وكثرة عدد الذين ارتبطوا به ، فان كثيرا منهم لم يجدوا فى الاخوان ما يرضى نزعاتهم الوطنية الايجابية ، ولم يجدوا اجابة وافية مقنعة على اسئلتهم واستفساراتهم ، كما سيتضح في مسار الحركة السياسية بعد ذلك •

ثالثا ـ التنظيمات اليسارية :

التنظيمات اليسارية لم تعاود نشاطها فى مصر بعد ضرب الحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٢٤ ، وحل تنظيماته ومطاردة وسجن اعضائه الا خلال الحرب العالمية الثانية بعد الانفراجة السياسية التى صبحت تحالف الاتحاد السوفييتى مع بريطانيا والولايات المتحدة فى حربهم المشتركة ضد محور النازية والفاشية ٠

وتشكلت عدة تنظيمات جديدة ٠٠٠

(اسكرا) وهى كلمة روسية تعنى (الشرارة) بالعربية وكانت واجهتها العلنية دار الابحاث العلمية ٠

(طليعة العمال) هى تنظيم سرى اصدر مجلة (الفجر الجديد) وعمل فى أوساط الطلبة والعمال ٠٠ كانت له داران للنشر هما دار القرن العشرين ولجنة نشر الثقافة الحديثة ٠٠٠ وكانوا على صلة وثيقة بالشباب الوفدى ٠

(الحركة المصرية للتحرر الوطنى) كانت أكثر الحركات الشيوعية ارتباطا بالواقع وانتشارا بين التجمعات الجماهيرية ، وكانت لها صحيفة (ام درمان) العلنية ٠

وقد حدث اندماج عام ١٩٤٧ بين (اسكرا) والحركة المصرية للتحرر الوطنى فى تنظيم سرى باسم (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) او حدتو ٠

وكانت الافكار اليسارية التى حرصت هذه التنظيمات على نشرها فى صفوف العمال والطلبة والمثقفين ، قد بدأت تمثل مركز جاذبية ملحوظة حتى لعدد من الضباط الذين بهرتهم الافكار والتنظيمات النازية فى المرحلة السابقة لهزيمة المحور ٠

اتصل عبد اللطيف بغدادى ومجموعة الطيران ضمن اتصالاتهم المتعددة مع (جمعية الرياضة وأوقات الفراغ) التى أسسها حسنى العراقى أحد الاعضاء السابقين فى الحزب الشيوعى المصرى القديم ، ولكنهم لم يستقروا بها لانها لم تشبع رغبتهم فى العمل والحركة ٠

كما حدث اتصال بين هذه المجموعة وبين ميكانيكية الطيران الذين بدأ انتشار الافكار الماركسية فى الجيش بينهم ٠٠ ولكن لم يحدث اندماج تنظيمى نتيجة فروق الرتبة والاتجاهات الطبقية والميول الفكرية المتنافرة بين الضباط وصف الضباط ٠

كانت الصلة قد بدأت بين (الحـــركة المصرية للتحرر الوطنى) وبين صف الضباط المتخرجين من مدرسة ميكانيكا الطيران ، والتى كانت قــد فتحت ابوابها كمدرسة جديدة بعد المعاهدة عام ١٩٣٧ ودخلهـــافى الدفعــة الاولى ٩٠ طالبا حاصلين على شهادات الكفاءة او البكالوريا او الفنـــــون والصنايع نظام الخمس سنوات .

تم اجتذاب الطلبة والخريجين خـــلال مطالب اقتصادية بدأت بالمطالبة بأن تتاح فرصة الترقى لرتبة طيار من ضباط الصــف ، وقد عــارض ذلك معارضة شديدة الطيارون القدامى ... ولكن تحقق ذلك بالنســبة للدفعــة الخامسة مما اثار خريجى الدفع السابقة مطالبين بمساواتهم بنظـــام الدفعة الخامســـة التى كانت دراستها تمتد خمس سنين ، مــع المطالبة بتغيير اللبـــاس .

كان قادة هذا النشاط من المنضمين سرا الى الحركة المصرية للتحـــرر الوطنى وبدأوا حركتهم بعمل برنامج يحقق المطالب الوطنية والاقتصـــادية ، وكونوا تنظيما سريا من ٤٢ شـــخصا بحيث يمثل كل سرب او قسم اثنـــان من المندوبين ، وتكونت لجنة تنفيذية عليا من ١١ شخصا كان النفوذ الرئيسى فيها للشيوعيين .

ولم يقتصر نشـــاط هذه المجموعة على سلاح الطيران وانما امتد ايضا الى ميكانيكية ســــلاح الصيانة ثم الطيران المدنى ... وعنـــدما تحققت مطالب ميكانيكية سلاح الطيران فيما يتعلق باللباس والمســـاواة ، ارتفعت معنويات زملائهم فى سلاح الصيانة ، وتحـــرك ٦٠٠٠ طالب وخـــريج منهم متوجهين الى قصر عابدين .. ولكنهم صرفوهم على وعد بتحقيق مطالبهم ، ثم اعتقلوا بعضهم .

وانتشر هذا النشاط حتى وصل الى خريجى مدرســـــة الكتـــاب العسكريين والموسيقيين ... ووجدت الافكار اليســارية مجالا للانتشار بعــد هزيمة رومل فى العلمين وظهور الاتحاد السوفييتى كقـــوة حربية وسياسية هائلة :

والملاحظ ان نشاط الاخوان كان مركزا على صغار الضباط ، ونشـــاط الشيوعيين كان مركزا على الميكانيكية وضباط الصــف ولم يكونوا قــــد وصلوا بعد فى هذه المرحلة الى صفوف الضباط ، كمــــا ان السراى كانت تواصل اعتمادها على كبار الضباط الذين خمدت عندهم طاقة الحماســـــة الوطنية وارتضوا التبعية للسراى والاستعمار ...

وكان موازيا لهذه الحركات فى صــفوف الجيش المصرى ، حــركات

أخرى في صفوف الجيش اليوناني المعسكر في مصر ... وكانت اليونان تحت دكتاتورية الجنرال ميتكساس منذ عام ١٩٣٦ ، ولذا كان الحزب الشيوعي اليوناني هو الذي يتولى قيادة الكفاح السرى المسلح فى اليونان ... وتشكلت جبهة التحرير الوطنى (ايام EAM) فى خريف ١٩٤١ ، وتشكل جيش التحرير الشعبى (ايلاس) فى ربيع ١٩٤٢ .

وكانت اليونان بالنسبة للحلفاء نعجة من النعاج السوداء لديكتاتوريتها السابقه ، ولكن الملك ورئيس وزرائه فى المنفى ايمانويل تسودوروس اعلنا أن اليونان حكومه ديموقراطيه تحكمها ملكيه دستوريه .

ومع ذلك ظلت (ايام وايلاس) تهاجمان الملك باعتباره عدوا للشعب اليوناني ، وممثلا لعصبه فاشيه ، وامتلأت جدران الشوارع في القاهرة والاسكندرية بكتابات يونانية وعربية تعلن شعارات المنظمتين ، واخذت احدى المجلات اليونانيه هذا الاتجاه الذى عارضته القوات البريطانية فى مصر لما استشعرته فيه من خطر ، وخاصة بعد ان حدثت اتصالات سياسيه بين القوى اليسارية الناشئة فى مصر « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » والقوى اليسارية اليونانية فى مصر .

وفى الوقت الذى كان البريطانيون يقدمون فيه أقصى مساعدة لايام وايلاس فى اليونان ، بدأوا هجوما على فروعهما فى مصر .. وحدثت فى مصر عدة تمردات فى صفوف الجيش اليونانى .

حدث تمرد في معسكرهم بمينا هاوس واحتل الكولونيل نيكولاميدس مقر قيادتهم فى شارع قصر العينى .. وتمرد اللواء الذى كان معدا للحركة فى ايطاليا ، وأعلنت خمس مراكب بحرية ولاءها للجمهورية ، وكذا بعض وحدات الطيران ...

وتمرد البحارة التجاريون لمدة ثلاثة اسابيع في الاسكندرية ... ولكن القوات البريطانية استطاعت قمع هذه التمردات ومحاكمة المسئولين عنها ... وكانت الحرب الاهلية قد ظهرت بوادرها فى اليونان عندما اصدر تشرشل يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٤٣ قرارا بتجهيز ٥٠٠٠ عسكرى بريطانى لتولية الملك جورج على عرشه .

وكان اليساريون في صفوف الجيش المصرى على صلة بهذه الحركات يقدمون لها المساعدة ويتخذون منها مادة للاثارة والهجوم على البريطانيين دون ان يتورطوا فى تأييد النازيين .

وخلال هذه الحركات السرية النشطة داخل الجيش ، التقطت التنظيمات السرية عددا من الضباط فى الفترة التى اعقبت الحرب مباشرة

وكنت اول ضابط مصرى تتاح له فرصـــــــة الانضمام لهـذه التنظيمـــات ، والعمل فى مجموعة واحدة مع صف ضباط الطيران وغيرهم ، وانفتح بذلك مجال لتجنيد عدد من الضباط ليصبحوا ماركسيين .

وكان التجنيد للتنظيمـــات اليسارية داخـل الجيش عملا شـــــديد الصعوبة بالغ التعقيد معرضا فى ذاته لاخطار العصف به من القـــوى الرجعية المتربصة بأى نشاط تقدمى وخاصة فى صفوف الجيش .

ومع ذلك فان حيرة الضباط الوطنيين بعد هزيمة النازية ، وعجـــز الاخوان المسلمين عن ارضاء نفوســـــهم بالاجـابة الوافية على أسئلتهم واستفساراتهم ، وحــــركة المد الثورى التى انطلقت فى المجامع وتمثلت فى حركة المظـــــاهرات والاضرابات المتزايدة ، وادانة الارهـاب من اصـــحاب الضمائر الوطنية والافكار السليمة ، الى جانب السمعة الطيبة التى احرزتهـــا الحركات المسلحة السوفيتية خلال الحرب والتأييد الواضح المعلن من جانب الدول الاشتراكية لقضيتنا فى هيئة الامم وخارجها ... مع توافر التصور الفكرى الواضح لمشاكل المجتمع ووجـــود اجابة وافيه عميقة على تســـاؤلات الضباط ، الى جانب الثقافه الملحـــوظة التى يتميز بها اليســـــاريون الذين يعتمدون فى حركتهم على عقولهم وأفكارهم ... دون الاعتماد على العضلات او الغيبيات .

كل هـــذه العوامل مجتمعة كانت تجعل من التجنيد للتنظيمات اليسارية امرا ممكنا رغم خطورة ذلك فى صفوف الجيش ، الا انـــه لا يمكن مقـــارنة نسبة التجنيد لهذه التنظيمات بنسبة التجنيد للاخوان المسلمين مثلا .

الامر عند الاخوان لم يكن يحتاج الى تغيير الافكـــــار والمعتقـــدات القديمة ، والقسم على مصحف ومسدس كان كافيا لضم العضــــو الجديـد ... اما فى التنظيمات اليسارية فان الامر كان يحتاج الى مباراة فكرية تهتـز فيها الإفكار القديمة الثابتة لتشرق الافكار الجديدة النامية ...

والانضمام للاخوان لم يكن يعرض الضابط لخطر الارهاب البوليسى. بينما الانضمام للتنظيمات السرية اليسارية كان يضع الضابط فى مركز خطر شديد لا يملك سلاحا لحماية نفسه به الا السرية والامان .

وخلال هذه الفترة امكن خلق نواة من صــــــف الضباط والضـــباط اليساريين فى صفـــــوف الجيش ، يصدرون منشورات تلاحق الاحـــداث وتفسرها وتنقد ما فيها من اخطاء ... وكانت تصـــدر بتوقيع (رجـــــال الجيش) .

ولم يحدث أن تعرضت هذه التنظيمات لكشف السلطة لها ومحاولة

العصف بها الا فى سلاح الطيران عندما أشتدت موجة المطالبات الاقتصادية وما كشفته من اتجاهات سياسية أدت الى نفى ٤٠ صف ضابط الى سيوة .

وكانت الاحداث السياسية قد بدأت تأخذ اتجاها جديدا مؤثرا ٠٠٠ كانت له انعكاسات هامة ايضا فى صفوف القوى العاملة داخل الجيش ٠

استقال اسماعيل صدقى وتولى محمود فهمى النقراشى رئاسة الوزارة بعد توقف المفاوضات ٠

واستغلت الحكومة قرار البريطانيين بالانسحاب الى منطقة القناة لتهدئة الخواطر ومنع الاحتكاك مع المصريين ، فاقامت احتفالات لرفع العلم المصرى على القلعة وثكنات قصر النيل وغيرها ، ولكن المظاهرات والاضرابات لم تتوقف للكشف عن طريقة (الجلاء الجزئى) والضغط على الحكومة لالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ واللجوء الى مجلس الامن ٠

وقدمت الحكومة عريضة المسائل المصرية الى مجلس الامن يوم ١٣ يوليو بعد ثمانية شهور من توليها الحكم وبعد يوم واحد من فض الدورة البرلمانية تفاديا لمواجهة المعارضة ٠

وسافر النقراشى الى نيويورك يوم ٢٢ يوليو ١٩٤٧ وعرض القضية المصرية بطريقة عبرت عنها صحيفة التايمز البريطانية « النقراشى يسير سفينته بشراع المعارضة » وركزت الدعاية على قوله « ايها القراصنة اخرجوا من بلادنا » ٠

أيد مصر فى مجلس الامن ثلاثة مندوبين ، المندوب السورى فارس الخورى والمندوب السوفييتى اندريه جروميكو والمندوب البولندى اوسكار لانج ، ووقفت فرنسا ضد مصر خوفا من اشتعال الحركة الوطنية فى شمال افريقيا ضد فرنسا ، بينما وقفت الحكومة الامريكية موقفا عبرت عنه صحيفة نيويورك تايمز بقولها انها « ليست مستعدة لتأييد مطالب مصر أو جلاء الانجليز عنها ولا الى التصويت ضدها وان مصلحتها تأجيل البت فى النزاع » ٠

وقد كشف عرض القضية المصرية على مجلس الامن حقيقة اتجاهات الدول الكبرى بطريقة عملية ٠٠٠ ارتفعت اصوات فى مصر تطالب بصداقة الاتحاد السوفيتى الذى وقف معنا ، ومثال ذلك مصر الفتاة التى غيرت موقفها بعد ان كان احمد حسين قد سافر الى الولايات المتحدة فى بداية ١٩٤٧ والقى تصريحات تؤيد السياسة الامريكية وتؤيد مبدأ ترومان :الذى

كان يقضى بالتدخل فى شئون ايران واليونان وتركيا ، وهى الدول المجاورة للاتحاد السوفيتى •

وارسل برقية الى ترومان من الف كلمة يهنئه فيها بقرار مساعدة تركيا واليونان ، ويرحب فيها باهتمامه بالشرق الاوسط ويقول له « ان السياسة الامريكية لمقاومة الشيوعية يجب ان تشمل مصر وهى لا تطلب مالا بل تطلب الحرية فانها اذا حصلت على استقلالها ووحدتها مع السودان ستكون سدا منيعا ضد الشيوعية » •

ولكن موقف مجلس الامن كان تجربة بددت اوهام احمد حسين فى صداقة الولايات المتحدة لمصر مما جعله يخفف حملته ضد الدول الشيوعية ويذهب بنفسه الى السفارة السوفيتية والبولندية ضمن الوفود التى توافدت عليهما للشكر ••• وكذلك حافظ رمضان زعيم الحزب الوطنى المعروف بمواقفه المحافظة اصدر بيانا يطلب فيه ان توثق مصر علاقاتها مع الدول التى ساندتنا فى مجلس الامن •

وكان محمود فهمى النقراشى قد طلب من الولايات المتحدة وهو بنيويورك ان تمنحه قرضا ومساعدات اقتصادية فلم تجبه ، وطلب اليها ان تمد الجيش المصرى بخبراء عسكريين فكان الجواب انه ليست لديهم خطة حول هذاالموضوع •

وامام غموض الموقف السياسى انفجرت المظاهرات الشعبية فى ٢٢ اغسطس ونادى الوفد بالحياد ، وظهرت الدعوة الى الكفاح المسلح برفع شعار (الجلاء بالدماء) وزادت اضرابات العمال زيادة ملحوظة من سبتمبر ١٩٤٧ ، وصلت الى ذروتها عندما أضرب عمال شركة الغزل والنسيج بالمحلة الكبرى البالغ عددهم ٢٦ر٠٠٠ عامل واطلق البوليس عليهم الرصاص فقتل اربعة عمال وأصاب ٢٠٠ وشبت بعض الحرائق قدرت الصحف خسائرها بنحو ٢٠ر٠٠٠ جنيه •

واستدعى الجيش للتدخل فحاصرت قواته المصنع ورابطت عرباته المصفحة بجوار المرافق العامة ، ولكنه كما حدث عام ١٩٤٦ لم يشتبك مع العمال باطلاق الرصاص ••• او لم يطلب منه الدخول فى هذا الاختبار •

وفى ٢٦ سبتمبر اضرب عمال الشركة الاهلية للغزل بالاسكندرية واعتصموا بمصنعى الشركة ، وارسلت اليهم قوات من الجيش ايضا ، واعلنت حالة الطوارىء فى الاسكندرية •

واضرب عمال شبرا الخيمة تضامنا مع زملائهم وخرجوا فى مظاهرة كبيرة منعتها قوات البوليس من دخول القاهرة •

توالت حركات الاضراب حتى اصبحت ابرز ظواهر هــــذا العام وبداية عام ١٩٤٨ فقد أضرب مدرسو التعليم الحـر ، وموظفـو التلغراف وامتنع نظار ومعاونو السكة الحديد عن العمل ، واضرب المدرسون عن تصـــحيح اوراق الامتحانات ، واضرب خريجو المدارس الثانوية الصناعية فى مســـابك السكة الحديد ببولاق وورش ابو زعبل ، والممرضون بالقصر العينى حيثقتل سليم زكى حكمدار العاصمة ٠

وتعددت اضرابات الطوائف وتصاعدت موجتها حتى وصلت الىغايتها عندما اضرب رجال البوليس انفسهم مطالبين بمساواة العســــكريين منهم برجال الجيش ومساواة الاداريين منهم برجال القضاء ، وقدموا بذلك عـــدة مذكرات لم يحصلوا منها على جواب فاجتمعوا بناديهم فى حديقة الازبكيـــة يوم ١٣ اكتوبر ١٩٤٧ وقرروا الامتناع عن العمل يوم ١٥ اكتوبر حتى تجـاب مطالبهم وقرروا تسجيل أسمائهم فى قصر عابدين حتى لايتهمون بالتمرد السياسى ٠

وفى صباح ذلك اليوم اعلنت الحكومة حالة الطوارىء كمحاولة منهـــا لمنع الاضراب ولكن ضباط القاهرة تركوا مكاتبهم وغادروا أقســـام البوليس واجتمع ٥٠٠ منهم بالنادى ووصلتهم برقيات تأييد من ١٧٧٢ ضابطا بالاقاليم ٠٠٠ وقرر ضباط الاسكندرية النوم فى ناديهم ٠

وبعد مقابلة الملك لعدد من مندوبى الضباط عـــدل الضبـــاط عـــن الاضراب ، ولكن الحكومة شتتت قادتهم ونقلتهم الى الاقاليم واحالت بعضـــهم

الى الاستيداع ٠

ولم يؤثر ذلك فى استمرار حركة ضباط البوليس اذ اجتمعـــوا بناديهم فى مارس ١٩٤٨ وقرروا ان يكون ١٥ ابريل موعدا لنهاية مدة الانتظار لاجابة مطالبهم مع المطالبة باعادة المنقولين والمحالين الى الاستيداع ٠

وفى اليوم المحدد للاضراب احتشد ضباط البوليس فى ناديهم يحاصرهم ضباط الجيش الذين كان مجلس الوزراء قد قرر ان يحتلوا اقســـام البوليس ويقوموا بحفظ النظام ٠

تضامن الصولات والكونستبلات وعساكر البوليس مـــع ضـــباطهم ، وعندما حاول رجال الحرس الجمركى فى الاسكندرية الخروج فى شـــبه مظاهرة اصطدمت بهم قوات الجيش وقتل ثلاثة منهم واصيب ٢٧ ٠

وحدث صدام آخر اطلق فيه الجيش الرصاص على المظـــاهرات التى خرجت فى الاسكندرية تضم العمال والطلبة وجنود البوليس وقد رفـــع بعضهم ارغفة الخبز فوق بنادقهم . وعندما امتلأ بهم ميدان المنشـــية اطلق

الجيش عليهم الرصاص ، وجاء رد الفعل فى صورة حرائق صـــغيرة بقسمى الجمرك والميناء واحترقت ١٥ عربة ترام وبعض المحال ودور السينما وقتل ٢٧ شخصا منهم ٧ من جنود البوليس ٠٠٠

واصدرت الحكومة قرارا بمنع التجول فى الاسـكندرية من السـابعة مساء ، وسافر النقراشى الى الاسكندرية بعد ان اتخذ مجلس الوزراء قـرارا بفصل كل من لا يعود الى عمله فى اليوم التالى مع تقديم المحرضـــين الى المحاكمة العسكرية ومنع النشر عن اخبار هذا اليوم وصودرت الصحف ٠

وكان هذا الاضراب فى صـــورته التى تم بها تعبيرا عن التفسخ الذى وصلت إليه الحالة ، وعجز الحكومة عن مجابهة الامور ٠

وكانت الطلقات التى خرجت من بنادق الجيش ضد جنود البوليس أو مظاهرات الشعب دليلا على أن الخطر قد وصل فعلا الى حد تهـديد النظام نفسه اجتماعيا وسياسيا ٠

ولم يكن الجيش نفسه بعيدا عن التأثر بهذه الحركات السياسية ـ مشروع صدقى بيفن ـ فشل القضية فى مجلس الأمن ـ عجز الحكومة عن مجابهه الموقف ـ تصاعد الاضرابات والمظاهرات ٠

وكان أمرا خطيرا أن يصل انفعال الجيـــش بحركات الجماهـير الى الذروة ، لانه يعنى فى مضمونه احتمال انفجار ثورة شعبية لا تخمدها قـــوة مسلحة خاضعة للسلطة الحاكمة ٠

كانت هذه الفترة من امجد فترات نضـــــال الشعب المصرى فى حركة سياسية واجتماعية مشتركة ٠٠ وفى تناسق ناشىء بين الشـعب والجيش ٠

ولم يكن منتظرا ان تصاب السلطة الحاكمة ومن ورائها الاســتعمار بشلل مفاجىء ٠٠٠ بل كان امرا منتظرا وطبيعيـــا ان يحـــدث تدبير ما يجهض هذه الانتفاضات الشعبية ، ينهى رد فعلهـا فى صـــفوف الوطنيين بالجيش ٠

وكانت قضية فلسطين :

حرب فلسطين ١٩٤٨

(اننى متفائل ونحن نعرف قوة اليهود ، وانا احب اطمئنك الى ان الانجليز هم الذين شجعونى على ذلك) .

محمود فهمي النقراشي لفؤاد سراج الدين
فى مجلس الشيوخ يوم ١٢ مايو ١٩٤٨

طلب ترومان رئيس الولايات المتحدة من الحكومة البريطانية فى أكتوبر ١٩٤٥ فتح أبواب فلسطين فى الحال لدخول مائة ألف مهاجر يهودى ... وقد أذعنت الحكومة البريطانية لذلك نتيجة أزمتها الاقتصادية واعتمادها على الولايات المتحدة لاعادة بناء ما خلفته الحرب العالمية الثانية، ولكنها رأت اشراك الامريكيين معها فى تنفيذ سياسة التوسع فى تهجير اليهود وذلك حتى لا تتحمل وحدها مسئولية ذلك امام جماهير الامة العربية ، فى الوقت الذى ستفيد منه الولايات المتحدة حيث زاد نفوذ اليهود الامريكيين داخل الحركة الصهيونية حسب ما ورد فى مذكرات وايزمان .

وكان من أهم جوانب هجوم تشرشل زعيم حزب المحافظين البريطانى على سياسة بيفن فى تصريحه بالجلاء عن مصر سنة ١٩٤٦ أن هذا الجلاء يقضى بالبقاء فى فلسطين الامر الذى يبعد امكانيات الاتفاق بين بريطانيا وامريكا ، ومع فشل مشروع صدقى بيفن فى اواخر ١٩٤٧ وضح ان اتفاقا

قد تم على أن تترك فلسطين للولايات المتحدة من خلال تمكين الصهيونية فيها على ان يستمر بقاء الانجليز فى مصر .

وفي خريف ١٩٤٧ اعلنت بريطانيا عزمها على انهـــاء الانتداب عن فلسطين فى ١٤ مايو ١٩٤٨ وعرضت الامر على الامم المتحدة التى أصـــدرت قرارها بتقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

وقد صدر هذا القرار فى وقت كانت الحـــركة الوطنية فيه ملتهبة فى مصر ، واضرابات الطوائف ومظاهرات الطلبة والعمال تتزايد ، وحـــركات الارهاب ضد البريطانيين وعملائهم تتجسد .

وكانت قضية فلسطين تشغل بال الرأى العام المصرى ، ولكنهـا كانت تأتى بالتأكيد بعد قضية الجلاء والوحدة مع السودان والديموقراطية .

ولكن بعض التنظيمات السياسية مثل الاخوان المسلمين ومصر الفتـــاة دفعت بهذه القضية الى المقدمة وجعلت منها موضوعهـــا الرئيسى ودعت الى الكفاح المسلح ضد الصهيونية ، ونظرت الى فلسطين كمجال لحـــرب مقدسة وطنية ودينية ... واخــذت جماهير هذه التنظيمات تتظاهر وتعتـــدى على بعض اليهود المقيمين فى مصر ... وارتفعت دعوة التطوع للقتال وســافر احمد حسين رئيس مصر الفتاة الى سوريا ، والف الاخوان المســـلمون كتائب الجهاد .

وكان حسن البنا قد وجد فى قضية فلسطين فرصة لمضاعفة نشـــاط جماعته خارج مصر ، فاكتسب تأييد امين الحسينى مفتى فلسطين ، واتصـــل بحكام البلاد العربيـــة وملوكها ، وشجعه على ذلك أمين الجامعـــة العربيـــة عبد الرحمن عزام .

وعندما رفضت وزارة النقراشى السماح لهم بادخال افواج المتطـــوعين الى صحراء النقب تسللوا عبر سيناء وانضم البعض منهم للجـــامعة العربية التى شكلت منهم ثلاث كتـــائب ، وقـــد بدأ قتالهم الفعلى فى فبراير ١٩٤٨. فى وقت كانت الاضرابات والمظاهرات الوطنية فى مصر من اجل الجلاء قــــد بلغت الذروة .

اما سياسة الوفد فكانت حسب تصريح لمصطفى النحـــاس الى جريدة الايام السورية تؤيد ان تكون فلسطين لاهلها مسلمين او نصـــارى او يهوداً ولكنه لا يقبل ان تكون وطنا قوميا للصهيـــــونية ، وقال انه اعلن ذلك فى بروتوكول الاسكندرية الذى صدر عام ١٩٤٤ بانشاء الجامعة العربيـــة ... وقد عارض الوفد بوضوح تقسيم فلسطين ولـكنه لم يدع الى الكفاح المسلح

او انشاء الكتائب او دخول الجيش المصرى للحرب واكتفى باسلوبه التقليدى فى النضال الجماهيرى .

اما الحركات الماركسية وهى (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى) (طليعة العمال والفلاحين) فقد اتخذت موقف العداء للصهيونية ودعت الى مقاومتها وكشف ارتباطها بالاستعمار الامريكى ، وشجعت اليهود المعادين للصهيونية الذين انتظمتهم (رابطة الاسرائيليين لمكافحة الصهيونية) و (الحركة المضادة للصهيونية) والتى نادت بالقضاء على الحركة الصهيونية والوقوف ضد هجرة اليهود من مصر وتأكيد ارتباطهم بمصالح الشعب المصرى وكفاحه الوطنى .

وعندما صدر قرار التقسيم عارضته (طليعة العمال والفلاحين) وأيدته (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى) مبررة ذلك بقولها « اننا لا نريد ان ننزع فلسطين من العرب ونعطيها لليهود بل ننزعها من الاستعمار ونعطيها للعرب واليهود ، ولا نوافق على التقسيم الا مضطرين كأساس لاستقلال فلسطين ثم يبدأ كفاح طويل للتقريب بين وجهات النظر فى الدولتين العربية واليهودية » .

وقد عارضت (حدتو) الدعوة المحمومة لدخول حرب دينية موضحة انه لن يفيد منها سوى المستعمر منادية كما جاء فى مجلتها الجماهير (لتوجه السلاح الى الاستعمار فى فايد وقنال السويس والسودان فلن يمكن تحرير فلسطين وظهورنا مكشوفة للعدو » وجاء فى بيان للحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى « ان الضمان الوحيد لوحدة فلسطين هو العمل على ايجاد جو من الالفة والثقة المتبادلة بين الجماهير الكادحة العربية واليهودية ، وانه اذا كان قد اتخذ قرار التقسيم فان طريق توحيد الدولتين هو طرد الاستعمار » وعلق البيان على موقف الحكومات العربية قائلا انها تهدف الى « وقف تيار الحركات الوطنية الصاعدة وتحويل حربنا المقدسة ضد الاستعمار الى حرب عنصرية دينية تدعم مركز الاستعمار وانه يرمى الى صرف أنظار الجماهير الكادحة عن الكفاح فى سبيل مستوى معيشتها الى امر خارجى ينسيها هذا الكفاح » . ولكن هذا الموقف لم يجد استجابة لدى الجماهير امام تيار الدعاية الذى شنته تنظيمات الاخوان المسلمين ومصر الفتاة وساندتهم فيه الجامعة العربية ، وموقف الوفد المتحفظ من القضية وخاصة بعد القرار الامم المتحدة لمشروع التقسيم .

وكان تيار التطوع يزداد تدفقا ... كتائب الجامعة العربية تسللت الى فلسطين تحت قيادة القائمقام احمد عبد العزيز ومعه كمال الدين

حسين عضو مجلس الثورة فيما بعد وعدد من الضباط كانوا جميعـــــا من المنتمين الى الاخوان المسلمين ٠

وقد كان لجمال عبد الناصر رأى فيالتطوع أوضحه لوجيه خليل أحد الضباط الوطنيين الذين سعوا الى العمل التنظيمي خلال الحـــرب العالميـــة ثم استشهد في فلسطين اذ طلب منه تأجيـــــل ذلك حتى يدرس الامر على مستوى الدولة كلها ٠

وأما مجموعـة الطيران فقـد اتصلت بفوزى القاوقجي قائد جيـش التحرير السورى عن طريق عبد اللطيف بغدادى الذى ابدى اســـــتعداده للتعاون معه بعد ان رفضت الحكومة المصرية تطوع الطيارين عـــــن طريـق الهرب الى سوريا بطائرات مقاتلة ٠٠٠ ولم يكن فى سوريا وقتئذ ســــــلاح للطيران ، ولا مطار سرى يصلح للهبوط ٠

وقال فوزى القاوقجي انه سوف يحتـــــاج لهم فى المعركة الفاصلة ٠ وسافر حسن ابراهيم عضو مجلس الثورة فيما بعـد وزكريا سليمان وهو فنى تسليح حيث قابلا وزير الدفاع الســورى وانشىء مطـار سرى شرق دمشق بستين كيلو ٠٠٠ وانتدب القاوقجي شابا كان قد تدرب فى المانيــــا ليكون ضابط اتصال مع الطيارين المصريين ، ولقـد حضر الى مصر مع جهاز لاسلكى وشفرة خاصة ٠

وطال انتظار الطيارين المصريين طويلا فلم يتصل بهم فوزىالقاوقجي حتى قامت الحرب فعلا ، بعد ان جندوا ١٥ طـــــائرة سبتفير صــــالحة للقتال ٠

وكانت فكرة التطوع تجد لها انصـــــارا كثيرين فى الجيش من بينهم محمد نجيب الذى آمن بأن الوسيلة المثلى للقتال فى فلسطين لا تكـــون الا باستخدام حرب العصابات ٠٠٠ وفى هذه الفترة اصـــدرت كتابا كان الاول من نوعه فى العربية عن (حرب العصابات) ٠

ولم يكن لجوء النقراشي للقوة المسلحة ودخول الحرب أمرا واردا حتى يوم ١١ مايو ١٩٤٨ عندما تغير رأيه فجـأة (بين عشـية وضحاها) عـلى حسب تعبير الدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشـــيوخ فى كتابه (مذكرات فى السياسة المصرية) وطلب فى ١٢ مايو عقد البرلمان فى جلســـة سريعة لطلب دخول القوات المسلحة أرض فلسطين ٠

كان هذا التغيير المفاجىء فى موقف النقراشي مثيرا للانتباه والدهشة ٠٠٠ وقد ساله فؤاد سراج الدين زعيم المعارضة الوفدية فى مجلس الشـــيوخ عما اذا كان قد قدر موقف الانجليز ووعـــد بلفور وعن احتمـــالات طعنهم

لجيشنا من الخلف ... فكان جواب النقراشي له « اننى متفائل ونحن نعرف قوة اليهود تماما ، وأنا أحب أطمئنك الى أن الانجليز أيضا هم الذين شجعونى على ذلك » .

واعترض ايضا اسماعيل صدقي على دخـول الجيش لانه غير مستعد من الناحية العسكرية ولكن النقراشي أكد انها نزهة للجيش .

ولم يكن الملك أقل تحمسا للقتال من غيره ... بل انه بادر بتحريك الجيش قبل موافقة البرلمان عن طريق اعطاء الاوامر لمحمد حيدر وزير الدفاع دون علم رئيس الوزراء ... وأدلى الملك فى اليوم السابق لعرض الامر على البرلمان بحديث الى مراسل اليونايتدبرس تجاوز به حدود اختصاصاته الدستورية وقال انه سيمد العرب بكل مساعدة عسكرية ومالية واقتصادية وانه لن يقبل قيام دولة صهيونية على حدود مصر ولذا فلابد من استعمال القوة .

إتخذ القرار فى لهفة وعجلة ودون دراسة متروية في وقت كان الجيش المصرى فيه ما زال يعانى من نقص التسليح فلم تكن بريطانيا قد امدته بالاسلحة التى طلبها بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ ، وكانت بريطانيا قد امتنعت عن تصدير الاسلحة اللازمة نتيجة الوضع الدولى واندلاع الحرب العالمية الثانية ولم تستأنف المفاوضات حول هذا الموضوع الا عام ١٩٤٦ حيث قطعت مرة أخرى بسبب الموقف الداخلى .

كان الجيش المصرى حتى هذه الفترة بعيدا عن تنظيم المعركة ... فلم يكن قد عرف نظام التشكيلات بعد . أى كان اسلحة منفصلة لا تنسيق فيها ولا تجميع للقتال ... وكان التدريب قاصرا ومتخلفا عن مناورات المعركة .

ولم تكن طوابير الجيش تشاهد الا فى المحمل والجنازات ... وكانت هذه الحقيقة يدركها كل ضباط الجيش ، ولكن الدعاية الجارفة اشعلت الحماس للقتال ، وجعلت رجال الجيش يقبلون على المعركة فى البداية بروح معنوية عالية .

حدث فى سلاح الطيران ان جمع اللواء شعراوى قائد السلاح ميكانيكية السلاح الجوى ليمهد لهم دخول الحرب ... وتساءل بعضهم عما اذا كانت المناقشة حرة فلما اجاب بالايجاب ، وقال له بعض الحاضرين ان سلاح الطيران تحت يد رجال البعثة البريطانية بطريقة عملية وانه لن تتوافر للمصريين حرية الحركة ، كما ان هناك تناقضا بين وجود القوات المصرية

فى سيناء ومن خلفهم القوات البريطانية ... ووجد هذا الرأى موافقة شبه جماعية ...

ولكن ذلك لم يحل دون دخول الجيش ارض فلسطين يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ .

وكان فى هذا الموقف انقاذ لنظام الحكم الذى كان يجابه المشاكل الآتية : ـ

١ ـ القضية الوطنية معلقة بعد فشل المفاوضات وفشل اللجوء لمجلس الامن والسياسة الاستعمارية تعمل على فصل السودان ، والجماهير لاتغفل لحظة عن مطالبها الجماعية .

٢ ـ التهاب الموقف الداخلى بالمظاهرات واضرابات الطوائف والهيئات المهنية والعمالية فى مطالبة جماعية بتحسين الاوضاع الاجتماعية ، وصلت الى ذروتها باضراب رجال البوليس .

٣ ـ ضيق الشعب بحكم احزاب الاقلية التى لا تمثل ارادته مطلقا .

٤ ـ استحكام الغلاء الى حد جعل الحياة شديدة الصعوبة بالنسبة للاغلبية الساحقة من الناس .

هذه هى الحالة التى كانت تسود مصر قبل حرب فلسطين مباشرة ، وهى مليئة بعوامل التفجر التى تهدد قواعد النظام الذى كان يستند الى ملكية فاحت رائحة تصرفات رجالها الى الحد الذى أضعف تماما من مركز الملك ، واحزاب الاقلية عاجزة عن مجابهة المستعمرين ، الامر الذى كان يحمل بذور ثورة شعبية .

وهكذا وجدت حكومة النقراشى فى دخول الحرب انقاذا لها مما عجزت عن مجابهته ، ووجد فيها الملك والاستعمار طوق نجاة يتعلقان به لانقاذهما من غضب المجتمع المتزايد يوما بعد يوم .

وصحب دخول المعركة عدة اجراءات أنهت فترة المد الثورى التى بدأت مع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، استصدرت الحكومة فى ١٣ مايو قرارا يخولها حق اعلان الاحكام العرفية وبدأت عمليات الاعتقال فى ١٦ مايو لعدد كبير من المناضلين اليساريين واليهود المصريين بلغ عدة مئات فى معسكر هاكستب .. وفرضت الرقابة على الصحف ، وقيدت الاجتماعات العامة ، وضربت الحريات الشعبية .

وهكذا تراجعت المسألة الوطنية والصراع الاجتماعى ... وبرزت هستيريا الدعاية الحزبية ..

بدأت قوات الجيش المصرى معاركها الاولى فوق أرض فلسطين ...
بعد فترة لم يشترك فيها الجيش فى حرب منذ عاد من السودان عام ١٨٩٩ ٠

خمسون عاما والجيش تحت الاحتلال البريطانى بلا قتال ٠
كان الجيش المصرى غير مهيأ للقتال تسليحا او تدريبا ... ولم يكن قد قام بمناورات قتال ضد وحدات عصابات متحركة ٠
قانون التجنيد الذى صدر عام ١٩٠٢ لم يتغير إلا عام ١٩٤٧ بعد عشر سنوات من معاهدة ١٩٣٦ وقبل عام واحد من حرب فلسطين ٠

كان القانون الجديد خطوة الى الامام نحو تطوير الجيش المصرى .. اذ الغى البدل النقدى وخفض مدة الخدمة العسكرية الإلزامية من خمس الى ثلاث سنوات ، وسنة واحدة لذوى المؤهلات ، وسمح بتأجيل تجنيد الطلبة حتى سن ٢٧ ٠

كان غريبا ان يتأخر صدور هذا القانون بعد معاهدة ٣٦ عشر سنين يظل الجيش خلالها تحت ظروف شديدة التخلف مما أدى بالتالى الى دخوله حرب فلسطين وهو غير مهيأ من ناحية المهارة والقدرة الفنية على القتال الحديث ٠

ومع ذلك صور له القادة المعركة وكأنها امر يسير لن يحتاج لتضحيات او جهد كبير ... قال اللواء عثمان المهدى رئيس أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت لاجتماع من الضباط (أنتم ذاهبون الى فسحة) ٠
ولم تكن الدولة قد عبأت نفسها للحرب ... بل لم تكن هناك ادارة للتعبئة ... اول كتيبة دخلت ارض فلسطين كانت تحملها عربات اوتوبيس أحضرها أحد المقاولين ٠
وبعد الهدنه الاولى التى فرضت يوم ١١ يونيو ١٩٤٨ قدم فؤاد سراج الدين استجوابا للنقراشى باشا فى جلسة سرية بمجلس الشيوخ قال له فيه انه قد تبين منذ اليوم الخامس للقتال ان الحكومة تستولى على وسائل النقل المدنية لحساب الجيش ٠
ولم تكن هناك قيادة مشتركة للجيوش العربية السبعة التى دخلت ارض فلسطين : جيوش مصر وشرق الاردن ولبنان وسوريا والعراق والسعودية وفلسطين والسودان .. وقال النقراشى فى الجلسة السرية ايضا ان نورى السعيد قد عرض عليه تكوين قيادة مشتركة ، ولكنه رفض لانه «لايستطيع أن يتحمل متاعبهم» ولا يود أن يضع رقبته فى أيديهم» ٠

وجهات نظر مختلفة للقضية الفلسطينية

عاد القتال فتجدد مرة اخرى يوم ٩ يوليو حيث توقف مرة ثانية يوم ١٨ يوليو ٠

وكانت قيادة اللواء أحمد المواوى للقوات المصرية محل شكوى كثير من الضباط ، وخاصة محمد نجيب الذى جرح فى هذه الحرب ثلاث مـرات ، وحدثت بينه وبين المواوى مشادة انتهت الى نقله مديرا لمدرسة الضـــباط العظام بالقاهرة ، حتى عين اللواء احمد فؤاد صادق بدلا من المواوى ٠

وقد تغير الموقف قليلا بعد تعيين اللواء احمد فؤاد صـــادق لانه كان يجيد الخطابة وأحاط نفســه بعناصر محبوبة من الجيش ٠٠٠ أعاد محمـد نجيب الى ميدان القتال قائدا للواء الضـارب ، وعين البكباشى محمـــد كامل الرحمانى الذى قاد حملة الاحتجاج على حادث ٤ فبراير واعتقل نتيجـــة ذلك ، اركان حرب له ٠

وقد فكر الضباط الذين كان قد فاض بهم من تصرفات كبار الضـــباط فى تعيين اللواء أحمد فؤاد صادق رئيسـا لأركان حـرب الجيش بطريقة مسرحية خلال حفل توديعه بعد انتهاء الحـــرب ، ولكنه عندما أحس بذلك خرج من القاعة بعد خطبته مباشرة ، وقبل ان يلقى الضابط المكلف باعـــلان هذا الخبر كلمته ٠

والحقيقة ان أحمـــد فؤاد صادق كان على صـــلة بعضــــو الحرس الحديدى مصطفى كمال صدقى الذى كان يهيىء له الامر ليكون رئيســـــا لأركان الحرب فعلا بارادة الملك والسراى،وليس بارادة الضباط الوطنيين٠ ومنذ هذه اللحظة تبين لصغار الضباط أن اللواء أحمـد فؤاد صادق ليس اهلا لتحمل مسئولية ثورية ، وقـــد اعترف هو بذلك فى خطاب كتبه الى محمد نجيب بعد الثورة قائلا له : انه كان اشـــجع منه يوم قبل المهمة التى كلفه بها الضباط الاحرار ٠

وقد حفلت حرب فلسطين ببطولات نادرة للضباط والجنود المصريين، الذين حاربوا ببسالة فى ظروف شديدة الصعوبة ، واستشهد منهم ٩٧ مـــن خيرة الضباط ٠

ولم تستمر الهدنة الثانية أكثر من شهرين وتجدد القتال بهجـــــوم صهيونى فى اكتوبر انتهى الى حصار الفالوجا فى ١٦ اكتوبر واســـتمرت محاصرة لمدة ١٣٠ يوما حتى بدأت مفاوضات رودس ووقعت بها اتفـــاقية الهدنه يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٩ بعد ان توقف القتال يوم ٧ يناير ٠

كان احد قادة الفالوجا قد أعد خطة لفك الحصار عنها مع التضـــحية بنسبة كبيرة من حاميتها ، ولكن جمال عبد الناصر احد ضباط حـــــرب الحامية المحاصرة عارض ذلك حتى تكون القوة المصرية بالفالوجـــا عامل ضغط

سياسى للمفاوض المصرى فى روذس ... وهذا يوضح بصيرته السياسية النافذة المبكرة .

وضعت اتفاقية الهدنة بسحب القوات المصرية من الفالوجا ، وتبادل الاسرى خلال عشرة ايام ، ومنع الفريقين من القيام بأى حركات عسكرية او زيادة للذخائر او المهمات الحربية ، وعدم انشاء مطارات فى فلسطين .

والمقارنة بين بنود اتفاقية الهدنة التى أقرت الاوضاع القائمة واعطت الفرصة لاسرائيل بالاستيلاء على صحراء النقب والوصول الى ايلات وبين قرار الامم المتحدة الخاص بالتقسيم يوضح ان العرب قد فقدوا فرصة اقامة دولة عربية مستندة الى قرار الامم المتحدة وفقدوا جانبا كبيرا من الارض التى كان قد منحها لهم قرار التقسيم .

صحيح ان التقسيم كان قد منح اليهود ٥٠٪ تقريبا من مساحة فلسطين بينما حجم الممتلكات اليهودية الفعلية لم يكن يتجاوز ٧٪ من هذه المساحة ... ولكنه صحيح أيضا ان العرب فى القسم العربى كانوا اغلبية كبيرة (٦٨٣ الف عربى ، و ٨٠ الف يهودى) وانهم فى القسم اليهودى كانوا ٥٨٤ الف مقابل ٥٨٣ الف يهودى (دراسة الكاتب الفلسطينى خيرى حماد)، وان فرصة النضال لتكوين دولة موحدة فى ظل السلام ، كانت أكبر من فرصة فرضها بالقتال .

كانت الدلائل توحى بذلك بعد ان تحولت الهاجاناه الى الهجوم بعد رفض العرب قرار التقسيم . وفى الواقع كانت اعمال المقاومة العربية تقتصر فى ذلك الوقت على قطع بعض الطرق أساسا ومحاولة حصار المناطق اليهودية لاحباط الاهداف التوسعية المتبقية ، فخلال الشهور التى اعقبت قرار التقسيم والى ان تدخلت جيوش الدول العربية فى منتصف مايو ١٩٤٨ لم تهجر او تدمر أى مستمرة يهودية ، بينما اقتحمت القوات الصهيونية الكثير من القرى العربية « التى تبعد اميالا كثيرة عن المستعمرات اليهودية بحجة مهاجمة العصابات العربية » .

ويمكن القول ان الفترة مابين اول ابريل ومنتصف مايو ١٩٤٨ تعتبر من اخطر مراحل المخطط الصهيونى وأعظمها أثرا رغم كونها لم تزد عن ستة اسابيع ، فقبل هذه الفترة كان العرب يسيطرون على معظم اراضى فلسطين الا انه خلال هذه الفترة كانت قوات الهاجاناه قد استولت على مدن طبرية وحيفا (عدا الميناء لوجود قوات بريطانيا) وصفد ويافا والاحياء الهامة من القدس كما حاصرت عكا واستولت على الجليل الغربى والشرقى (علما بأن الجليل الغربى بما فيه مدينة عكا وكذلك مدينة يافا كانت خارج نطاق

الدولة اليهودية) وتولت العصابات الارهابية (الارجون وشترن) اعمـــال الارهاب والعنف الرامية الى اجبار السكان المدنيين عـــلى ترك مدنهم وقراهم فهاجمت القرى الآمنة وارتكبت مجازروحشية ضد العـــرب دون تمييز بين الرجال والنساء والاطفال ومن اكثرها بشاعة مذبحة دير ياسين التى جـرت يوم ٩ ابريل ١٩٤٨ وانتهت بقتل اكثر من ٢٥٠ عربيا ٠٠٠ وقد بلغ عـدد القرى العربية التى تعرضت للهجوم حوالى مائة قريه عربية ٠

هكذا التقى رفض العرب لمشروع التقسيم ونقص قدراتهم العســكرية مع المخطط الصهيونى التوسعى القائم على استخدام القوة ، وانتهى الامـــر باعلان بن جوريون لدولة اسرائيل مساء ١٤ مايو ١٩٤٨ واعترفت حكـومة الولايات المتحدة بها بعد دقائق من اعلانها ووجه ترومان الدعوة لحاييم وايزمان رئيس دولة اسرائيل فى اليوم التالى لتعيينه مباشرة ٠

وقد ساعد على تثبيت دعائم اسرائيل رغم دخول الجيوش العـــربية ساحة القتال وعرض القضية امام مجلس الامن ، الظروف التى سـبق شرحها لحالة الجيوش العربية ، واستفادة الصهيونيين من الهـــدنة الاولى لاعادة تنظيم وحشد قواتهم واستيراد الاسلحة الثقيله كالمدافع والدبابات واستخدام الطائرات لاول مرة ، مع ان قرار الهدنة كان يحظر استيراد الاسلحة ٠

وخلال الهدنة وصل الكونت فولك برنادوت مبعوثا لهيئـــة الامـم المتحدة واعد مشروعا يدعو فيه الى توحيد فلسطين وشرق الاردن فىوحـــدة مكونة من جزاين احدهما عربى والآخر يهودى مـــع تخصيص النقب كله او معظمه للقسم العربى والجليل كله او معظمه للقسم اليهودى ، اما القـــدس فتبقى ضمن القسم العربى مع توفير حكم ذاتى للجالية اليهودية فيهـــا ٠٠٠ وكانت نتيجة تفكيره فى هذا المشروع اغتيال الصهيونيين له يوم ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ وتعيين رالف بانش بدلا منه ٠

وعندما استؤنف القتال فى ٩ يوليو تمكنـــت اسرائيل من متابعـــة هجومها ضد مناطق سبق تخصيصها للدولة العربية والســيطرة عـــلى ١٤ مدينة و ٢٠٠ قرية عربية ، واستمر القتال عشرة ايام بدأ خلالها الموقـــف العسكرى العربى يتعرض للاهتزاز خاصة بعد اخلاء الجيش الاردنى لمدينتى اللد والرملة واستيلاء الصهيونيين عليهما ٠٠٠ وكان الجنـــرال جلوب البريطانى هو قائد قوات شرق الاردن ٠

ورغم اغتيال برنادوت فان مشروعه عرض على هيئة الامم المتحـــدة فى اواخر سبتمبر وقبلته بريطانيا وأمريكا ولكن رفضـــه كل من العـــرب

والصهيونيين ... العرب رغم وضوح دقة موقفهم وبوادر هزيمتهم والصهيونيين بحجة (تسهيل الدفاع عن حدود اسرائيل) .

ولم يحافظ الاسرائيليون على الهدنه الثانية واستمروا يضيفون مزيدا من الارض حتى تجدد القتال فى اكتوبر وسقطت بئر سبع فى ٢١ اكتوبر ليتوقف القتال بعد ذلك يوم ٢٢ ، وتدخل الامور فى دائرة المفاوضات التى انتهت بالهدنة .

وبينما كان الوفد الاردنى يجرى محادثاته فى رودس اصدر جلوب اوامره بسحب القوات الاردنية من مناطق رأس النقب وام شرش على خليج العقبة ، حيث احتلتها القوات الاسرائيلية واقيم ميناء ايلات .

ترتب على الهزيمة رد فعل قوى خارج الجيش وداخل الجيش ... وكانت الحرب قد استغلت اسوأ استغلال وامتلأت المعتقلات والسجون بعدد كبير ، وتوقفت قسرا رحلة المقاومة الثورية ضد الاستعمار والنضال الشعبى ضد الظلم الاجتماعى .

وكانت جماعة الاخوان المسلمين قد انتهزت فرصة حرب فلسطين لتقوية جهازها السرى المسلح وامداده بالاسلحة والذخيرة فى الوقت الذى اسهم فيه بعض اعضائها بالقتال فى فلسطين واستشهدوا هناك فى أرضها .

وانتهزت الجماعة فرصة حرب فلسطين فقامت بعمليات ارهابية القت فيها القنابل والمتفجرات على المحال الكبيرة التى يمتلكها اليهود فى مصر كأريكو وشيكوريل فى يوليو ١٩٤٨ وبنزايون وجاتينيو فى اغسطس وشركة الاعلانات الشرقية فى نوفمبر ... وكان قد سبق لهم اغتيال احمد الخازندار رئيس محكمة جنايات مصر فى مارس ١٩٤٨ ، واغتالوا ايضا سليم زكى حكمدار بوليس القاهرة فى ٤ ديسمبر بقنبلة ألقيت عليه أمام كلية الطب ، وكان هذا مما دفع الحكومة الى حل جماعة الاخوان .

وردت على ذلك جماعة الاخوان باغتيال رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى باشا يوم ٢٨ ديسمبر فى بهو وزارة الداخلية ، ومحاولة نسف دار محكمة الاستئناف فى ١٣ يناير ١٩٤٩ .

وهنا تصاعدت موجة العنف من جانب الحكومة عقب تولى ابراهيم عبد الهادى رئاسة الوزارة ، وبدأت عمليات الارهاب والتعذيب تطفو فوق سطح الحياة المصرية ... واغتيل الشيخ حسن البنا مرشد الاخوان بتدبير من الحكومة والسراى يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ .

واعتقل فى موجة الاعتقالات عدد من ضباط الجيش ، وكان قاتل النقراشى عبد المجيد احمد حسن شقيقا لاحد ضباط سلاح المدفعية ...

واستدعى ابراهيم عبد الهادى البكباشى جمال عبد الناصر لمقابلته ، وحضر المقابلة اللواء عثمان المهدى رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، حيث حذره من أى نشاط او ارتباط بالاخوان المسلمين ·

وخلال فترة حرب فلسطين وما بعدها كانت صلة الاخوان التنظيمية بضباط الجيش قد ضعفت نتيجة عدة عوامل منها حركة الوحدات الى فلسطين وما يصحبها من تنقلات تضعف الاتصالات او انصراف البعض عن تنظيم الاخوان لما لصق به من تهمة الارهاب ، كما ان عددا من الضباط كانت عقولهم قد بدأت تتفتح على افكار جديدة ويطلب اجابات لتساؤلات يعجز الاخوان عن الاجابة عليها ، كما ان القتال فى المعركة فتح عيون الضباط على حقائق الحياة وجعلهم يرفضون الخضوع المطلق للتبعيات · ومثال ذلك عندما طلب الشيخ سيد سابق القائد الروحى للاخوان من المتطوعين ان يهجموا متراصين مستندا فى ذلك الى آية قرآنية ، وقد ناقشه فى ذلك ورفض الموافقة على رأيه بعض ضباط المدفعية ·

وقد نمت هذه التناقضات فى نفوس الضباط الى الدرجة التى طلبوا فيها مسئولا كبيرا من الاخوان يجيب لهم على هذا السؤال (ماذا ستعملون فى البلد لو انتصرنا ؟) وكان الجواب غامضا على عادة الاخوان ، خاليا من البرنامج المقنع المدروس ·

ولم تضعف صلة الاخوان التنظيمية بالضباط فقط ، ولكن ضعفت أيضا صلة الضباط بالتنظيمات اليسارية لعوامل اخرى الى جانب حركة القوات المفاجئة وما أثرت به على استقرار التنظيم ··· منها ان عددا من الضباط لم يقتنع بموقف التأييد لمشروع التقسيم وجرفته حماسة الشعور التى ألهبتها الدعاية المكثفة للقتال ، كما ان فتح المعتقلات واحتجاز المئات من الشيوعيين قد أضعف الصلة التنظيمية للحركة بصفة عامة · الامر الذى ادى الى كتابة المنشورات بخط اليد وبورق الكربون · (كنت اقوم بذلك مع البكباشى يوسف صديق فى منزله بثكنات العباسية) ·

وأدت حرب فلسطين ومواجهة الخطر المشترك وادراك ما يحيط بالجيش والمجتمع من فساد وتشوه وانحلال الى خلق رابطة فكرية مشتركة بين عدد من الضباط ذوى الميول الوطنية النابعة من اتجاهات سياسية مختلفة ··· وتركزت النقمة على الملك واشتد السخط على حاشيته وعلى احزاب الاقلية ايضا التى صادرت الحريات وانتهزت فرصة حرب فلسطين وحوادث ارهاب الاخوان لترد عليها بارهاب مماثل لم تشهده مصر من فترة بعيدة ·

كان العنف قد أصبح طابعا للمرحلة ... الاخوان بما يملكون من ترسانة سرية للسلاح وايديولوجية ارهابية ، والدولة بما تملكه من اجهزة مسخرة فى خدمتها مهما كانت الوسائل والغايات ... وقام الاميرالاى محمود عبد المجيد بتدبير معظم الاغتيالات التى كانت تستهدف تصفية العناصر المضادة مثل حسن البنا وعبد القادر طه .

وعندما وقعت الهدنة وتكشفت هزيمة الجيش بدأ النظام يدخل مرحلة اختناق جديدة تجسدت فى العوامل الآتية :

اولا : جابهت وزارة السعديين فشلا جديدا هو هزيمة الجيش يضاف الى فشلها السابق فى حل المشكلة الوطنية عن طريق الجلاء والوحدة مع السودان وعجزها عن حل مشاكل الطوائف الثائرة .

ثالثا : جاءت الهزيمة طعنة قاسية للجامعة العربية التى قامت تحقيقا للاستراتيجية البريطانية ووضح تماما شكلية دورها بالاجراءات التى اتخذها شرق الاردن ، وأدت الى استيلاء اسرائيل على مناطق كبيرة من الدولة العربية الواردة فى التقسيم ، وانتهت الى قيام المملكة الاردنية الهاشمية تحت قيادة الملك عبد الله المعروف بتبعيته للاستعمار البريطانى .

رابعا : كان انتهاء الحرب الى الهزيمة يفرض على الحكومة انهاء الاحكام العرفية والافراج عن المعتقلين ، واطلاق حرية الصحافة ، الامر الذى قوى الجبهة المعادية لحكومة الاقليات والسراى .

خامسا : سرعان ما طفت الى السطح من جديد المشكلة الوطنية واصرار الشعب على جلاء القوات البريطانية الامر الذى أدى الى نمو سريع للحركة الثورية التى طال كبتها تحت ضغط الارهاب والاحكام العرفية .

لم يجد الملك امامه من سبيل الا التضحية بحكومة ابراهيم عبد الهادى فأرسل اليه محمد حيدر وزير الحربية بعد منتصف الليل يأمره بتقديم استقالته قبل يوم ٢٥ يوليو ، دون ان يقابله ، بطريقة وصفها الدكتور هيكل باشا بأنها كانت غير كريمة ، وهللت صحافة اخبار اليوم التى طالما ساندت ابراهيم عبد الهادى بأنها هدية الملك الى شعبه فى العيد ...

والحقيقة أن الملك قد أجبر على ذلك اجبارا بعد أن كان موعد

الانتخابات قد اقترب ، وانتصار الوفد فيها مؤكد ٠٠٠ وبعد ان كان ارهاب حكم السعديين واحزاب الاقلية قد بلغ الذروة دون قدرة على حل المشاكل المتراكمة ٠٠٠

وكانت ظروف الهزيمة تفرض على الاستعمار البريطانى تغييرا استراتيجيا فى المنطقة بعد ان ظهرت اسرائيل الى الوجود ، وبدأت حياتها فى تعاون وثيق مع الولايات المتحدة الامريكية ، بينما الاستعمار البريطانى يواجه فى مصر أزمة شديدة ٠

ونشرت صحيفة الايكونوميست قبل اسبوع واحد من اجبار ابراهيم عبد الهادى على الاستقالة مقالا تعلن فيه افلاس السياسة البريطانية المعتمدة على الجامعة العربية وتقول « ان السياسة المستقبلة الوحيدة يجب ان تعتمد على التعاون الانجلو امريكى وان تكون نقطة البدء فى الشرق الاوسط هى التفاهم الوثيق بين الدولتين » ٠

كان تغيير وزارة ابراهيم عبد الهادى ضرورة تقتضيها الظروف السابقة التى استهدف الاستعمار بها محاولة الخروج من عنق الزجاجة بتكوين حلف عسكرى انجلو امريكى فى المنطقة يحفظ له قبضته وسيطرته ٠

وعين حسين سرى باشا فى يوليو ١٩٤٩ رئيسا لوزارة ائتلافية تضم أربعة وزراء لكل من الوفد وحزب السعديين والاحرار الدستوريين ووزيرين من الحزب الوطنى (جناح حافظ رمضان)واربعة من المستقلين ٠٠٠ وكان حسين سرى معروفا بميله للسياسة البريطانية التى رفعته من موظف الى احد كبار (الساسة المستقلين) الذين يلجأ اليهم عندما تتأزم الامور وتتطلب وجها مرضيا عنه من الجميع ٠

وكان ذلك أول اشتراك للوفد فى حكومة ائتلافية بعد ازمته مع الاحرار الدستوريين فى وزارة ١٩٢٧ عندما تآمروا ضده بعد وفاة سعد زغلول ٠

ولم يطل عمر الوزارة الائتلافية كثيرا اذ استقال حسين سرى بعد الانتهاء من تقسيم الدوائر الانتخابية تبعا للتعداد الاخير للسكان ، ومحاولة احزاب الاقلية تقسيم الدوائر للأحزاب ورفض الوفد ذلك رفضا باتا ٠٠٠ وتشكلت وزارة محايدة اخرى برئاسة حسين سرى فى ٣ نوفمبر ١٩٤٩ لتشرف على اجراء الانتخابات ٠

وحدثت خلال هذه الوزارة عدة احداث هامة ٠٠٠ اذ اجرى وزير التموين محمد على راتب تحقيقات تناولت سبعة من وزراء الحكومة السعدية وانكشفت كثير من الفضائح التى كانت تدور خلف ستار ٠

وكان الافراج عن بعض المعتقلين . ومحاكمه قاتل النقراشى ومحاوله اغتيال حامد جودة التى تراقع فيها محمود سليمان غنام وعزيز فهمى وتخفيف الاحكام العرفيه والرقابه على الصحف ، تمهيدا للانتخابات فرصة فريدة كشف ايضا اعوان التعذيب التى تعرض لها المعتقلون فى فترة حكم ابراهيم عبد الهادى سواء فى معتقل هاكستيب او الطور ... واستنكر الاحرار الدستوريون ذلك ونفوا ان تكون لهم مسئولية الا عن الوزارة التى يشغلونها ...

وتمزقت بصورة نهائية نياب احزاب الاقلية وانكشفت عورة سيئاتهم الامر الذى جعل فرصتهم للنجاح فى الانتخابات محدودة جدا .

واجريت الانتخابات فى ٣ يناير ١٩٥٠ وكانت النتيجة انتصارا واضحا للوفد اذ حصل على ٢٢٨ مقعدا من مجموع مقاعد مجلس النواب البالغ عددها ٣١٩ ، واطلقت صحيفة المصرى على هذا اليوم (يوم ثورة الشعب) .

وكانت نتيجة الانتخابات مفاجئة للملك ايضا ، فأسرع الى منزل حسين سرى ليلا وقرر تعيينه رئيسا للديوان الملكى حتى يمكنه التفاهم مع الوفد من جهة ويحاول تنفيذ الاستراتيجية الانجلو امريكية من جهة اخرى .

كانت نقطة الخلاف الاولى بين الملك والوفد اثناء تشكيل الوزارة عندما طلب استمرار بقاء محمد حيدر فى منصبه وزيرا للحربية ، وكان قد احتفظ بموقعه فى وزارات محمود فهمى النقراشى وابراهيم عبد الهادى وحسين سرى ، ليكون عونا للملك فى مجلس الوزراء ، واداة للسيطرة الكامله على الجيش ، وهو الذى حرك الجيش الى حرب فلسطين دون انتظار تعليمات رئيس الوزراء .

ولكن النحاس رفض ذلك رفضا باتا واصر على تعيين وزير وفدى هو مصطفى نصرت ، وتم الاتفاق على انشاء منصب جديد يعين فيه محمد حيدر وهو منصب (قائد عام القوات المسلحة) ... وبهذا لم يعد للوزير الوفدى نفوذ يذكر على الجيش وانقطعت صلة الوزارة الوفدية تقريبا بسياسة الجيش وترقيات الضباط وتعييناتهم وتنقلاتهم واستمرت السلطة العليا فى الجيش للسراى ولمندوبها محمد حيدر .

وكان قبول الوزارة الوفدية لهذا الحل الوسط تنازلا منها عن حقوقها الدستورية التى تمسكت بها منذ عام ١٩٣٧ عندما طالبت بأن يكون لها الاشراف على تعيين موظفى القصر نفسه ، وكان ذلك احد اسباب اقالتها ...

كانت سياسة الحكومة الوفدية تميل الى احتواء الملك بدلا من التصادم

معه منذ اللحظة الاولى .. وخاصة انه رغم التأييد الشـــعبى الجـــارف والاغلبية الساحقة فى الانتخابات فان اقالة الحكومات الوفدية اصبحت طابعا متكررا . وابتعادها عن الحكم سنوات طويلة كان يضعف نفوذها فى الاجهزة التنفيذية ، مع ان الوفد فى المعارضة كان دائما اشد أثرا واكثر جاذبية منـه داخل الحكم .

لم تكن سياسة الوفد تصعيد الخلاف مع الملك الى درجة التـــأزم حتى لا يقفز الملك خارج اطار دستور ١٩٢٣ ويفرض حكما ديكتاتوريا تستفيد منه القوى الاجنبية المتربصة ... وكان ذلك امرا طبيعيا من حزب ملكى دستورى لجأ انبه النظام عندما دخل فى أزمة الاختناق .

ولكن انتصار الوفد فى انتخابات ١٩٥٠ لم يكن انتصارا له كحـــزب بقدر ما كان انتصارا لارادة الشعب ضد السراى واحزاب الاقليـــة ، وتعبيرا عن الموجة الشعبية الجديدة المؤيدة للوفد ، المطالبة فى نفس الوقت بأهداف اجتماعية اكثر عمقا وشمولا .

ومع ذلك فان تشكيل الوزارة لم يأت معبرا عن الاتجاهات اليســـارية التى بدأت تنمو داخل الوفد ... بل استنت خطة جديدة هى الاســـتعانة بالكفاءات والطاقات العلمية لمواجهة مطالب الجماهير الاجتماعية .. كان فى الوزارة خمسة يحملون لقب (دكتور) لاول مـــرة فى تاريـــخ الوزارات المصرية .

الفصل السادس

الضباط الاحرار

كان الجيش فى عام ١٩٤٩ جريحا ومطعونا من أثر الهزيمة ... عندما انتهت الحرب وزعت قوات القتال فى الجبهة على المناطق العسكرية المختلفة ، وضعفت الصلات التنظيمية تبعا لذلك بين الجيش من جهة والاخوان المسلمين والتنظيمات اليسارية من جهة أخرى .

وضعف تيار العمل السياسى بىَ شعبة الرئيسية الثلاث التى تحدثنا عنها (الارهاب ـ الاخوان المسلمين ـ الشيوعيين) .

كان الارهاب الذى تركز فى يد (الحرس الحديدى) تقريبا ، قد عجز عن ايجاد دوافع جديدة للاغتيال ... وخاصة ان حادث ٤ فبراير كان قد ضعف اثره بعد نجاح وزارة الوفد فى الانتخابات نجاحا كبيرا معبرا عن تأييد شعبى جارف .

وهكذا توقفت حركة (الحرس الحديدى) .

اما الاخوان المسلمون فكانوا قد تعرضوا لحملة ارهاب حكومى شديدة بعد اغتيال النقراشى باشا ، ابعدت الضباط عن الاتصال بهم ... وان كان تنظيمهم قد استمر محتفظا بكيانه تحت قيادة قائد الجناح عبد المنعم عبد الرؤوف . وعاد البكباشى محمد انور السادات الى صفوف الجيش من جديد ضابطا فى سلاح الاشارة .

واستطاع قسم الجيش فى (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ـ حدتو) ان ينجو سليما من ارهاب الحكومة لشدة الاهتمام بالامن باعتباره السلاح الوحيد الذي يحمي قسم الجيش في وقت كان فيه معظم اعضاء

القيادة قد ضمتهم أسوار المعتقلات ... وكان المسئول السياسي لهذا القسم هو كاتب هذه السطور ومسئوله الثقافي احمد فؤاد وكيل النيابة في ذلك الوقت ، ورئيس مجلس ادارة بنك مصر فيما بعد .

ولكن ضعف تيار العمل السياسي بالجيش في شعبة الرئيسية الثلاث لم يدفع حركة الضباط الى الجمود ، ولم يمزق احلامهم او يبعثر جهودهم ... بل العكس هو الصحيح .

كان هناك في كل سلاح ضباط لحقتهم يد السياسة ولم يكن ممكنا لهم ان يتخلصوا منها وخاصة بعد هزيمة حرب فلسطين .

وفي هذه الفترة كان جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين قد تركا الاخوان مع عدد ملحوظ من الضباط .

وكانت طبيعة الامور تفرض على الضباط ان يتجمعوا ويتبادلوا الرأى في وحداتهم واسلحتهم .

كان هناك ضباط وطنيون باتجاهات فكرية مختلفة ، بعيدا عن اية صلات تنظيمية متناسقة .

كان هؤلاء الضباط يمثلون نواة خرجت من حرب فلسطين وهي غير مرتبطة بتنظيم موحد ... ولم يكن لهم حديث الا ما تركته الهزيمة في نفوسهم من مأساة .

وكان ابتعادهم عن التنظيمات السياسية القائمه (عدا التنظيمات اليسارية) دافعا لهم على البحث عن أرض مشتركة للقاء بعيدا عن التعصب والتحجر الفكرى .

وقد لعب البكباشي جمال عبد الناصر شخصيا دورا رئيسيا بارزا في تجميع الضباط من مختلف الاتجاهات السياسية . بدأ هذا الدور قبل حرب فلسطين بطريقة محدودة .

ومع انفراج الضغط الارهابي بتولى الوزارة الوفدية مسئولية الحكم في ١٢ فبراير ١٩٥٠ ، وتجمع الوحدات في القاهرة بعد تشتيتها عقب الحرب في منقباد والقنال والاسكندرية وغيرها ، نبت التفكير في تكوين تنظيم من الضباط المهتمين بأمور السياسة .

وجمع جمال عبد الناصر اللجنة التأسيسية التي كان يتصل بها في أواخر ١٩٤٩ خلال حكم وزارة حسين سرى ، وكانت مشكلة من خمسة فقط هم جمال عبد الناصر وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين وعبد المنعم عبد الرؤوف ... وهم ذوو ميول سياسية مختلفة مع انهم بدأوا جميعا في ساحة الاخوان المسلمين .

ولم يكن قد اطلق على هذه اللجنة اسم (الضباط الاحرار) بعد ، كما انه لم يكتمل الشكل التنظيمى الا مع مطلع عام ١٩٥٠ عندما زاد عدد اللجنة التأسيسية بانضمام صلاح سالم وعبد اللطيف بغدادى وعبد الحكيم عامر وانور السادات وجمال سالم الذى دخل عليهم الاجتماع فجأة أثناء وجودهم فى منزل شقيقه صلاح سالم ، وتم فى هذا الوقت انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجنة التنفيذية .

وكانت صلة جمال عبد الناصر قد بدأت بمحمد نجيب اثناء حرب فلسطين خلال عبد الحكيم عامر ، الذى قال لجمال انه قد وجد كنزا فى محمد نجيب لجرأته وشجاعته ووعيه بأن أزمة الهزيمة فى القاهرة وليست فى العريش .

وعندما بدأ العمل بين الضباط يأخذ شكلا تنظيميا نبت اسم (الضباط الاحرار) ليكون توقيع اول منشور لهم يصدر فى فبراير عام ١٩٥٠ .

وهنا كان تنظيم الضباط الاحرار قد بدأ يأخذ شكلا منفصلا عن القوى السياسية خارج الجيش ... أى انه لم يعد تنظيما تابعا للاخوان او الشيوعيين او الوفديين او السراى ... ولكن بعض اعضائه فى اللجنة التأسيسية لم يقطعوا صلاتهم التنظيمية القديمة ، ولم يغيروا افكارهم دفعة واحدة ... وانما اصبح انتماؤهم الى مجموعة واحدة يشكل جبهة وطنية متحدة .

كان كمال الدين حسين مازال على صلة طيبة غير تنظيمية بالاخوان المسلمين ، وكان خالد محيى الدين على صلة بالحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ، بعد أن كان قد انضم الى منظمة « اسكرا » عام ١٩٤٧ . وكان أنور السادات على صلة ببعض رجال السراى ... كما كان جمال عبد الناصر الذى انتخبوه رئيسا لهم فى بداية ١٩٥٠ شديد النشاط كثير الاتصالات بمختلف القوى السياسية من مختلف الاتجاهات .

ولم يكن محمد نجيب يحضر اجتماعات التنظيم اثناء تكوينه لانه كان محل رقابة سلطات الامن المسئولة باعتباره نجما محبوبا من ضباط الجيش ... ولانه كان فى رتبة كبيرة (اميرالاى) بينما كان اكبر الضباط فى ذلك الوقت يحمل رتبة (بكباشى) ، والاتصال يبدو مريبا ومثيرا ايضا ... ولذا تم الاتفاق بينه وبينهم على ان تكون الصلة به فردية وليست تنظيمية .

وتوالى صدور منشورات (الضباط الاحرار) ... المنشور الاول كتبه جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين وقام بطبعه مدنى اسمه (شوقى عزيز) ثم نقلت ماكينة الجستتر من منزله الى منزل عبد الرحمن عنان حد

ضباط سلاح الطيران ثم منزل حمدى عبيد أحد ضباط المشاة ووزير الادارة المحلية فيما بعد ، واخيرا استقر امر طباعة المنشورات وتوزيعها بأجهزة الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) وذلك فى مرحلة تالية بعد حريق القاهرة ... وكانت معظم المنشورات تكتب بأقلام الضباط اليساريين ومنهم خالد محيى الدين والقاضى احمد فؤاد وكاتب هذه السطور ، والبعض كتبه جمال عبد الناصر .

وكان استمرار صدور المنشورات بتوقيع (الضباط الاحرار) اعلانا عن بداية مرحلة جديدة بعد فترة امتدت خلال السنوات من ١٩٤٦ حتى ١٩٤٩ عندما كانت تصدر للجيش منشورات من تنظيم الضباط الاخوان وتنظيم الشيوعيين بتوقيع (رجال الجيش) ومنشورات مجهولة كانت تنتسب للحرس الحديدى .

منذ صدرت منشورات (الضباط الاحرار) توقفت القوى السياسية عن اصدار منشورات خاصة بها ، وكان هذا اعلانا عن نوع من الوحدة التنظيمية .

وكانت المنشورات تصل الى الضباط عن طريق عناوينهم المنزلية او فى الوحدات بالبريد ... واحيانا كانت توزع باليد داخل المعسكرات بطريقة سرية .

وكانت هناك ظاهرة غريبة يمكن القول بأنها قد بدأت مع فترة المد الثورى عام ١٩٤٦ ، وهى حرية الحديث والمناقشة بين الضباط فى تجمعاتهم اليومية سواء فى عربات الجيش الكبيرة التى تحمل الضباط من منازلهم الى المعسكرات او فى الميس او نادى الضباط .

وكانت هذه الاحاديث والمناقشات الصريحة تتابع الاحداث الجارية وتعمقها بالتحليل من وجهات نظر مختلفة ، كانت تلتقى فى النهاية على فساد الحكم والملك ورجال الحاشية .

ولكن هذا التيار الوطنى العام فى المناقشة لم يكشف عن سرية التنظيم الذى كان يتضاعف فى سرعة شديدة ، ذلك ان الضباط بعد هزيمة فلسطين كانوا يشكلون ارضا صالحة لبذر الافكار الثورية المضادة لنظام الحكم والملك شخصيا .

وعندما بدأ تساؤل الضباط عن البرنامج الذى يرتبطون به ... أعدت الاهداف الستة وصدرت فى منشور ... اعدها أحمد فؤاد وخالدمحيى الدين ... ووافق عليها جمال عبد الناصر .

أصبح اسم (الضباط الاحرار) يتردد في الجيش همسا احيانا وعلانية

احيانا اخرى كما ان القوى السياسية المختلفة وبعض الصحفيين أخذوا علمـــا به ... حتى المخابرات الحربية والبوليس السياسى كانا يعلمان بوجود هـــذا التنظيم الوليد .

ولكن اجهزة الامن سواء فى الجيش اوالداخلية كانت محدودة العـــدد والعدة ... كان ضباط المخابرات الحـــربية ١٥ ضابطا جند بعضهم فى الضباط الاحرار او كانوا على صلة هامشية بهم مثل عبد المنعم النجـــار مدير المعلومات الذى اصبح سفيرا فى باريس والعراق بعد الثورة ومســـاعده سعد توفيق واسماعيل فريد الذى اصـــبح سكرتيرا عسكريا لمحمد نجيب ثم محافظا للدقهلية فيما بعد .

وكان ضباط القسم المخصوص بالداخلية لا يتجاوزون ٢٤ ضابطا ، ولكن لم يكن يدخل فى اختصاصهم العمل داخل الجيش الا عن طريق المخابرات الحربية ،

كانت قبضة اجهزة الامن لينة ، وقدرتهـــا على النفاذ الى اسرار الجيش محدودة ، لانهم لم يكونوا قد استخدموا بعد نظام العمالة لرجال الجيش ، وشراء ضمائر البعض بمبالغ ومكافآت متنوعة .

يقول عبد المنعم النجـــار ان وزارة الداخلية قد اتصلت بالمخابرات الحربية للحصول على معلومات عن الضباط الاحرار وانهم حاولوا الكشـــف عن عناصرهم وخططهم دون استخدام (وسائل قذرة) ... ويقـــول أيضا ان كلا من المخابرات الامريكية والانجليزية كان لها خلايا خاصة بها ضـــد النشاط الشيوعى بالذات ... وقد أكد هذه الحقيقة الماجور سانســـوم المسئول فى البوليس السياسى المصرى ثم ضـــابط أمن السفارة البريطانية بالقاهرة بعد خروج الضباط الانجليز جميعا من البوليس المصرى فى كتـــابه (تجسست على الجواسيس I spied spies)

ومع ذلك لم يعتقل أى ضابط من الضباط الاحرار ..فى الوقت الذى كانوا فيه يزدادون عددا ووعيا .

ولم يكن فى سياسة الوزارة الوفدية ما يثير الضباط الاحرار ضـــدها ... ولم يكن عداء الاخوان التقليدى للوفد ذا تأثير فى اتجاهات الضـــباط الاحرار ... بل ان جمال عبد الناصر كان ذا ميول وفدية واضـــحة ... أمضى ساعات طويلة فى منزلى بالاسكندرية قبل ٢٣ يوليو يدافع عن الوفـــد فى مناقشة حضرها مجموعة من الضباط الاحرار (البكباشى صلاح مصطفى الملحق العسكرى فى عمان الذى استشهد بطرد متفجر وصـــله من اسرائيل والبكباشى عبد الحليم الاعسر اركان حرب منطقة الاسكندرية فيما بعد) .

وقد بدأت الوزارة الوفدية عملها باقرار الحـــــريات العامة ، فالغت الرقابة على الصحف ورفعت الاحكام العرفية بعد تردد فى مايو ١٩٥٠ وسمحت بالمظاهرات داخل الجامعة حيث مزقت صورة الملك وديست بالاقدام ...

والى جانب استقرار الحريات على أسس معقـــولة ، واصلت الحكومة الوفدية سياستها الاجتماعية ، فاقرت مجانية التعليم الثانوى عـــام ١٩٥٠ بعد ان كانت قد أقرت مجانية التعليم الابتدائى عام ١٩٤٢ ، وضـــاعفت جميع الضرائب بما فيها الضرائب العقارية الى ١٠٠٪ ، واعـــدت مشروعـــا لتعميم مياه الشرب فى القرى خلال خمس سنوات ، ودفعت وزارة التمـــوين فروق اسعار بعض السلع لتكون فى مستوى محدودى الدخل ، وعمـــل كادر جديد للموظفين لمصلحة الصغار منهم .

الاساس الثالث الذى بنى الوفد سياسته عليه كان اجلاء الانجليز عـن قاعدة قناة السويس قبل الموعد المحدد فى معاهدة ١٩٣٦ وهو عـــام ١٩٥٦ ، وتأكيد الوحدة بين مصر والسودان ، وقد بدأت المحـادثات فى ابريل ١٩٥٠ وكان يتولاها وزير الخارجية محمد صـــــلاح الدين وابراهيم فرج ، وحضر الفيلد ماريشال وليم سليم رئيس اركان حرب الامبراطورية البريطانية وعقـد ثلاثة اجتماعات مع الجانب المصرى برئاسة مصطفى النحـــاس يومى ٥ ، ٦ يونيو ١٩٥٠ . وقد أوضح له النحاس انه « لا يمكن ان يركن لوعود جـــديدة أو يقبل نظريات مستحدثة ترمى الى بقاء قوات أجنبيـــــة فى مصر تحت أى اسم وبأية صيغة » وذلك ردا على قول سليم بأن النحاس يســــتطيع بمركزه الشعبى ان يقنع الناس بأن « الجيش المشترك والوجود الاجنبى » مبدأ جديد لا ينطوى على الاحتلال ... وكذلك أصر النحاس على ضرورة جلاء القــــوات البريطانية واقترح أن تنتقل الى فلسطين ليسهل عودتها الى مصر فى حالة قيام حرب فعلية ، كما طالب النحاس ان تمد بريطانيا مصر بالطائرات مشيرا الى اهتمام مصر بتقوية جيشها ليدافع وحدة عن منطقة القناة .

استمرت المفاوضـــــات دون أى تقدم من جانب البريطانيين الذين لم يتراجعوا عن موقفهم خطوة واحدة . وبعد وفاة بيفن وتولى موريســون وزارة الخارجية البريطانية القى خطابا استفز شعور المصريين لما فيه من قبـــــول قاطع بعدم الجلاء ، مع مهاجمة الحكومة المصرية لمنعها مرور البضـــــائع الاسرائيلية فى قناة السويس وخليج العقبة ، ورد عليه محمـــد صلاح الدين ببيان عنيف أنهى به المحـادثات امام البرلمان يوم ١٦ اغسطس ١٩٥١ وخاصة

ان الحكومة الوفدية كانت قد تحملت بداية موجة هجوم ضد موقفهامن قضية المحادثات .

وهكذا يمكن تلخيص سياسة الوزارة الوفديه فى اتجاهات رئيسية ثلاثة : تأكيد الحريات العامة ، واقرار نوع من العدالة الاجتماعية ، ومواجهة الاستعمار لتحقيق الجلاء ووحدة مصر والسودان .

ولم يكن فى هذه الاتجاهات الوطنية ما يثير الضباط او يجنح بهم الى تيار المعارضة رغم ان الوفد لم تكن له فى الجيش آية شعبية نظرا للظروف التاريخية التى ابعدت الوفد عن جهاز الجيش ، وعن السيطرة على ادخال الطلبة للكلية الحربية ، والاساءة التى لحقت به بعد حادث ٤ فبراير . والتنافر الطبيعى الذى جعل من تأثيره الجماهيرى مطعنا له عند ضباط الجيش الذين لا تستقيم حياتهم الا على اساس من الانضباط والنظام .

ولذا تبلورت اتجاهات الضباط الاحرار كما ظهر فى منشوراتهم خلال حكم الوزارة الوفدية فى فضح مفاسد القيادات العليا فى الجيش ، والمطالبة بتحقيق الاهداف الوطنية .

وكانت مأساة حرب فلسطين قد عادت تطل على المجتمع بعد رفع الرقابة على الصحف ، وظهور عدة مقالات عن صفقات الاسلحة التى تمت خلال الحرب بوساطة بعض المقربين من السراى ، متابعة فى ذلك استقالة محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة ، والاستجواب الذى قدمه مصطفى مرعى عضو مجلس الشيوخ عن اسباب هذه الاستقالة .

ورغم ان محمود محمد محمود كان حريصا على الصمت الا انه افضى لمصطفى مرعى بأسباب استقالته ، وكان ذلك لانه سجل فى تقرير الديوان بعض الملاحظات على مسلك وزارة الحربية فى موضوع الاسلحة المشتراة اثناء حرب فلسطين ، بالاضافة الى حصول كريم ثابت المستشار الصحفى للملك على مبلغ ٨٠٠٠ جنيه من ميزانية مستشفى المواساة تحت باب (دعاية) ، وعندما ارسل التقرير الى المطبعة الاميرية ردت له البروفات .

وانتهزت الصحافة فرصة نظر الاستجواب فى آخر مايو ورفع الاحكام العرفية فشنت حملة على ما أسمته (الاسلحة الفاسدة) بدأت فى روز اليوسف يوم ٦ يونيو بمقال لاحسان عبد القدوس ومقالات لحلمى سلام فى مجلة المصور . ووجد بعض الضباط الذين لمسوا بأنفسهم فساد عمليات الشراء والسمسرة الفرصة المناسبة للاتصال بالرأى العام عن طريق الصحافة .

البكباشى عبد المنعم امين الذى كان مدرسا فى مدرسة المدفعية

المضادة للطائرات ، واصبح عضوا فى مجلس قيادة الثورة فيما بعد ، سافر فى بعثة لشراء أسلحة مضادة للطائرات ، بعد ان ألقت احدى الطائرات الاسرائيلية ٣ قنابل على القاهرة كشفت نقص وسائل الدفاع الجوى ... كان معه البكباشي حسين محفوظ ندا مدرس مدفعية الميدان ، وهناك اكتشفوا انحرافات من لجنة الشراء التى اشترت قنابل يدوية بمبلغ ثلاثة

ارباع المليون ، واشترت أيضا مدافع ماكينة هو تشكس من التى استخدمت فى حملة السودان (١٨٩٦ — ١٨٩٩) .

واهملتهم اللجنة على حد قولهم كخبراء واعتمدت على السماسرة المهربين .. ولجأ عبد المنعم امين الى مصطفى مرعى بما عنده من بيانات بعد تقديمة الاستجواب ، ولكن مصطفى مرعى تشكك فى اتصاله به قائلا له أنهم هددوه بالقتل ، وهو لا يعرف ان كان عميلا مدسوسا عليه ..

ولم يكن عبد المنعم امين هو الوحيد الذى لجأ الى مصطفى مرعى ... ولكن عبد اللطيف البغدادى اتصل به ايضا هو وحسن ابراهيم وضباط الطيران محمد شوكت ومصطفى مرتجى ، وعندما قالوا له انهم معجبون بمواقفه ، وانهم على استعداد لتنفيذ ما يستقر رأيهم عليه حتى ولو وصل الامر الى حد قتل الملك ... وهنا جفل مصطفى مرعى من هذا الحديث الخطير الذى ليست له مقدمات من الثقة ، وآثر ان يتحفظ معهم كما تحفظ مع عبد المنعم امين ، وسافر الى اوروبا .

هكذا كان الضباط غير المنتمين فى حيرة من امرهم ، تركز غضبهم على السراى وما ارتكبة رجالها من آثام ، ولكنهم لم يجدوا الطريق السليم الذى يسلكونه ... حتى ان احدهم وهو الضابط محسن عبد الخالق الذى تولى ادارة دار التحرير للطبع والنشر بعد الثورة لجأ الى امينة السعيد الصحفية ورئيسة تحرير (حواء) والتى اعتادت تحرير باب تحت عنوان (اسألونى) .

كان الضباط فى مرحلة نشاط شديد للاتصال بالعناصر المعبرة عما تطويه صدورهم ، وخاصة ان كثيرا منهم لم يكن قد انضوى واستقر فى (الضباط الاحرار) ، ولم يكونوا قد شعروا بعد بحرارة الانتماء الى تنظيم مقنع لهم ، بعد ان كانوا قد تجاوزوا مرحلة الخضوع المطلق لتنظيم الاخوان المسلمين أساسا .

ولذا كان النشر عن قضية الاسلحة الفاسدة مركز جاذبية شديدة لهم فانهالت منهم البيانات والوثائق والمعلومات على الصحفيين الذين تصدوا للكتابة فى هذا الموضوع الذى ألهب مشاعر الرأى العام ، ووجد فيه الضباط

مشجبا يعلقون عليه هزيمة حرب فلسطين · ويردون به الكرامة لضباط الجيش ·

ولم تجد الحكومة الوفدية بدا من تبليغ النائب العام للتحقيق رغم ان هذا يحدث تصادما مؤكدا بينها وبين الملك لان الذين مستهم البيانات كانوا من رجال الحاشية مثل انطون بوللي وادمون صهلان ومحمد حلمي حسين ··· ووصلت الاتهامات الى محاصرة محمد حيدر قائد عام القوات المسلحة باعتباره مسئولا ومتستراً على العملية من بدايتها عندما كان وزيرا للحربية ، مما اضطره الى الاستقالة ، هو والفريق عثمان المهدى رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، بناء على طلب النائب العام ابعادهما عن مناصبهما الحالية ·

بدأ النائب العام محمد عزمي التحقيقات بجرأة واضحة ، بعد ان وصله أمر كتابي من وزير العدل عبد الفتاح الطويل يطلب منه القبض على أى شخص سواء في الحكومة او السراى للتحقيق معه ، ولذا اصدر أمرا باعتقال ادمون صهلان الذى هرب الى سراى عابدين ، ولما اتصل حسن يوسف بوزير الداخلية الذى كان موجودا في بلطيم لم يوافق فؤاد سراج الدين على حمايته وأصر على تنفيذ أمر النائب العام ، فقام صهلان بتسليم نفسه ·

ولكن النائب العام لم يواصل حملته حتى نهايتها ، بل استجاب لاغراء السراى فافرج عن المعتقلين ، وحفظ التحقيق بالنسبة لرجال الحاشية ، ورفع الحظر عن عودة محمد حيدر وعثمان المهدى الى منصبيهما ·

وهاجمت الحكومة موقف النائب العام ، وخيرته بين الاستقالة او النقل الى منصب آخر ، فوافق على النقل ، وعين رئيسا لادارة قضايا الحكومة ··· واعلن الملك عن استيائه من موقف الحكومة عندما قرر منح جميع الوزراء نياشين أعلى عدا وزير العدل ، ورفض الوزراء قبول النياشين تضامنا مع زميلهم ·

وأبرزت هذه الحادثة التناقض بين الملك وبين ضباط الجيش ، وعمقت في نفوسهم الشعور بقدرة السراى على وضع الامور في طريق مسدود ··· ولذا كانت قضية الاسلحة الفاسدة من اولى القضايا التى اهتمت الثورة بتحقيقها وتقديمها للمحاكمة ·

بعد ان استغرقت القضية ٩٠٠٠ صفحة في محاضر التحقيق ، ٢٣٠٠ صفحة في جلسات المحكمة ، ١٣٠٠ صفحة امام قاضي الاحالة فانها انتهت بحكم بسيط هو ١٠٠ جنيه غرامة لكل من القائمقام عبد الغفار عثمان والبكباشى حسن منصور وبراءة بقية المتهمين ·

وهكذا كانت قضية الاسلحة الفاسدة ، قضية دعاية أكثر منها قضيـــــية مخالفة للقانون ٠٠٠ وقضية اثارة أكثر منها قضية اختلاس وسرقة ٠٠٠ والأقلام التى انجذبت اليها صورتها على اساس انها قضية رئيسية فى هزيمة الجيش، متجاوزة بذلك قضايا اخرى اكثر اهمية منها واكثر نفاذا فى التأثير على قدرة الجيش على القتال ٠٠٠ قضايا تمس صلب النظام الحاكم وقدرته على تعبئـة طاقات الجماهير بما فيها القوات المسلحة ٠

لم تكن الاسلحة الفاسدة هى السبب فى هزيمه الجيش المصرى فى حرب فلسطين ٠٠٠ ولكنها كانت بقعة سوداء ضمن بقع كثيرة لطخت وجه النظام واساءت الى قدرة الجيش ، وأثارت خلال فترة النشر والتحقيق مشـــــاعر الجماهير ضد الملك ورجال الحاشية ، لانهم ربطوا بين السرقات وهزيمــــة الجيش واعتقال الوطنيين الاحرار ٠

الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطانى

كان الموقف السياسى يتدهور ، وهيبة النظام تتآكل ، وحماقات الملك فى نفس الوقت تتضاعف وتتسم بعدم المبالاة او سلامة التقدير ... والتهبت الصحف بمقالات نقدية عنيفة تفضح التصرفات الشخصية للملك ورجـــــال الحاشية بعبارات مستهترة ، ولم يفلح قانون حماية اخبار القصر فى وقف هذه الحملة التى ظهرت فى عدة صحف منها الاشتراكية (مجلة حزب مصر الفتاة) واللواء الجديد (مجلة حزب الوطن الجديد) والجمهور المصرى (مجلة اثارة كان يملكها ابو الخير نجيب) والكاتب (مجلة أنصار السلام) والملايين (مجلة الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ــ حدتو) وروز اليوسف التى بادرت بالسبق فى شن الهجوم فيما اطلقت عليه اسم الاسلحة الفاسدة ٠

وكان محمد صلاح الدين قد صرح فى مجلس النــــواب بأن الدورة لن تفض قبل أن يدلى بحديث للمجلس عن نتيجة المفاوضات ، ولذا فان المجلس لم يكن ينعقد ، ولكن الدورة لم تنفض ٠

وكانت الحكومة الوفدية قد اعلنت فى خطاب العرش لهذه الدورة التى لم تفض تهديدها بالغاء معاهدة ١٩٣٦ اذا لم تسفر المباحثات عن نتيجه ٠

وعندما القى محمد صـــــــلاح الدين بيانه امام مجلس النواب يوم ١٦ اغسطس حمل حملة عنيفة على الاستعمار البريطانى والسياســـــة الانجليزية فى فلسطين التى انتهت بانشاء اسرائيل ، واشار الى ان الحكـــومة ما زالت

عند وعدها بالغاء المعاهدة كما اعلنه رئيسها مصطفى النحاس فى خطاب العرش .

والتقطت الجماهير خطاب وزير الخارجية ليكون نقطة انطلاق لها فى حركتها التى كانت تتصاعد يوما بعد يوم حتى يوم ٢٦ اغسطس - تاريخ توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، فقررت التنظيمات السياسية التظاهر ، وخرجت القاهرة عن (بكرة ابيها) على حد تعبير جريدة المصرى ، وخرج نحو ١٥ الف متظاهر من عمال الورش الاميرية والسكك الحديدية وورش ابو زعبل ... وحدث تصادم بين البوليس والمتظاهرين فأصيب البعض من الطرفين ، واستمرت المظاهرات تموج فى القاهرة حتى المساء .

وقد لعبت التنظيمات الوطنية واليسارية دورا بارزا فى تحريك الجماهير وقيادتها خلال هذه الفترة كما سيأتى ذكره فيما بعد .
ووجدت الحكومة الوفدية انها تفقد كثيرا من رصيدها الشعبى امام موجة الحماس التى تجتاح الشعب ... ووجدت ايضا انها قد اصبحت محاصرة بوعدها الذى قطعته على نفسها بالغاء المعاهدة .

واستقر الرأى على اصدار قانون بالغاء المعاهدة ، واصدار تشريعات بتعديل موقف السودان ، وكلف بذلك الدكتور وحيد رأفت المستشار الملكى لرئيس الوزراء .

توقع الوفد الخروج من الحكم بعد اعداد هذه التشريعات ، ولكن الملك الذى استشار نجيب الهلالى قرر التوقيع لان نجيب قال له ان الموقف لا يحتمل عدم التوقيع ... وعدم التوقيع سيكون له أثر سىء عند الشعب .

وجمع فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد الهيئة الوفدية البرلمانيه فى البهو الفرعونى الساعة الرابعة والنصف حيث أخذ يخاطبهم فى تنظيمات خاصة بالوفد لضمان تجمعهم لهذه اللحظة التاريخية الحاسمة .
ووصل النحاس باشا من الاسكندرية فى نفس اليوم ، والجماهير تستقبله بهتاف يكاد يكون واحدا (ألغ المعاهدة يا نحاس) .

ووقف النحاس باشا على منبر مجلس النواب ليعلن كلمته التاريخية « من اجل مصر ابرمت معاهدة ١٩٣٦ ومن اجل مصر اطالبكم اليوم بالغائها » وذلك فى يوم ٨ اكتوبر ١٩٥١ وهو نفس اليوم الذى أقال فيه الملك الوزارة الوفدية بخطابه المهين فى ٨ اكتوبر ١٩٤٤ .
فوجىء البريطانيون بالصورة التى الغيت بها المعاهدة ، فقد توقعوا ان يكون الالغاء شكليا وليس بهذه الصورة الدستوريه .

وحضر السفير البريطاني يحتج لدى فؤاد سراج الدين الذى قال له ان عندكم قواعد اخرى مثل عدن وقبرص ومالطة ، ولكن السفير البريطاني قال له انه لا يوجد فى أى قاعدة منها المزايا التى تتوافر فى قاعدة السويس ، وعندما سأله سراج الدين عن هذه المزايا ، قال السفير البريطانى ان قاعدة السويس تتميز بالآتى :

١ ــ توافر الايدى العاملة الرخيصة •
٢ ــ وسائل النقل متوافرة لها من طائرات وبحر وسكة حديد •
٣ ــ الحياة الاجتماعية فى مدن القناة ، وهى مسألة جوهرية للقوات المسلحة •

والتقط فؤاد سراج الدين هذه الكلمات لتبدأ منها سياسة الحكومة الوفديه بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ فى مواجهتها للاستعمار البريطانى •
وكان الغاء المعاهدة اعلاناً ببدء الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانيه فى منطقة القناة ، وحافزا لتجمع القوى الاستعماريه والرجعيه فى محاولة للاطاحة بالحكومة الوفدية التى استردت كامل شعبيتها وازالت كثيرا من التناقضات بينها وبين القوى الوطنية الديمقراطية التى فرضت نفسها على الساحة الشعبيه •

وبعد خمسة ايام من الغاء المعاهدة تقدم سفراء انجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا يطلبون مقابلة مشتركه مع وزير الخارجيه ، ولكن الوزير حدد لهم مواعيد متتالية قدموا له فيها مذكرة واحدة تطالب باستبدال الغاء المعاهدة بعقد اتفاقية دفاع مشترك ••• ولكن مجلس الوزراء قرر رفض المذكرة واعلن ذلك فؤاد سراج الدين فى اليوم التالى مباشرة امام مجلس النواب بعد سؤال من حامد العلايلى مراقب حزب الأحرار الدستوريين عن سر مقابلة السفراء الاربعة لوزير الخارجية •
وفى نفس اليوم كانت ٣ ناقلات جنود بريطانية وصلت الى بور سعيد تحمل امدادات لتنفيذ خطة بريطانية جديدة تقضى باحتلال كافة مرافق مدن القنال ووضع اليد على جميع وسائل عبور القنال ، وبذا تصبح قوات الجيش فى غزة وسيناء تحت سيطرة قوات الاحتلال .

وتحركت التنظيمات السياسية تعد نفسها للكفاح المسلح •

الوفد ممثلا فى الحكومة أصدر تشريعا بسجن كل عامل مصرى يعمل فى القاعدة البريطانية ، مع اذكاء الروح الوطنية فى الاذاعة مما ادى الى تحقيق بطالة كاملة لعدد من العمال المصريين كان يتراوح بين ٤٠٫٠٠٠ ، ٥٠٫٠٠٠ عامل ، واصدرت الحكومة فى نفس الوقت تعليمات لوزير الشئون

الاجتماعية بصرف مرتبات العمال كاملة وتهيئة العمل المناسب لهم خارج منطقة القناة ، وفى ايام قليلة تجمعت اكثر من ١٧ باخرة بريطانية فى القنال بغير تفريغ لشحناتها .

وصدر قرار وزارى يمنع السكك الحديدية من نقل اى مهمات أو مواد الى القاعدة البريطانية ... وكذا منع النقل البرى والنهرى .

وصدر تشريع بمعاقبة كل من يتعاون مع القوات البريطانية بالسجن .
وتوقفت الحياة الاجتماعية للجنود فى مدن القناة نتيجة لنشاط الفدائيين حتى اعتبرت المدن خارج الحدود للقوات البريطانية .

يقول فؤاد سراج الدين ان عددا كبيرا من ضباط البوليس فى ملابسهم المدنية قد شاركوا فى عمليات القتال وحرب العصابات ضد الجنود البريطانيين فى القاعدة ... ويقول ايضا انه قد ابطل كافة المزايا التى ذكرها له سير رالف ستيفنسون السفير البريطانى وهو يعدد له مزايا قاعدة السويس عن غيرها من القواعد الاخرى فى قبرص ومالطة وعدن .

وعندما تطور القتال فى منطقة القناة بدأت الحكومة تشترى السلاح للفدائيين من الصعيد ... كما قابل فؤاد سراج الدين سفراء يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتى وطلب منهم شراء اسلحة للبوليس ... ولكن هذه المقابلات التى تعتبر بداية الاتصال بالدول الاشتراكية فى موضوع شراء السلاح لم تسفر عن نتيجة ايجابية ، ويعلل فؤاد سراج الدين ذلك بأنهم لم يكونوا قد قرروا بعد مواجهة الغرب بطريقة استفزازية فى المنطقة .

وكانت الحكومة الوفدية تتصل بالسفير الامريكى جيفرسون كافرى عند مواجهتها بعض المصاعب ، فعندما منع الانجليز تدفق المازوت من السويس الى القاهرة الامر الذى يؤدى الى توقف المجارى والمصانع والمخابز واللوارى ، اتصل فؤاد سراج الدين بالسفير الامريكى وحذره من خطر الهجوم على الاجانب اذا نفد المخزون من المازوت وهو لا يكفى لاكثر من ستة ايام ... وبعد اتصالات بين الحكومة الامريكية والبريطانية عدلت القوات البريطانية عن منع المازوت عن القاهرة .

وكانت الحكومة الوفدية الى جانب اعطائها الاوامر لقوات البوليس بمهاجمة قوات الاحتلال البريطانى فى القناة ، تعقد حملات مع بعض القوى الفدائية غير الحكومية ... فعندما قدم الصحفى المعروف فكرى اباظة رئيس تحرير المصور قريبه قائد الجناح وجيه أباظه الى فؤاد سراج الدين

قامت بينهما صلة استمرت طوال معركة القناة كان يحصل فيها وجيه على مساعدات من الحكومة ٠

وتمت فى هذه الفترة مقابلة اخرى بين فؤاد سراج الدين واحمد انور احد الضباط الاحرار وقائد البوليس الحربى بعد الثورة ٠٠٠

وافق جمال عبد الناصر على المقابلة محذرا أحمد أنور من الارتباط بشىء لوجود زملاء يجب الرجوع اليهم ، كما حذره ايضا من محاولة فؤاد سراج الدين معرفة معلومات عن (الضباط الاحرار) ٠

يقول أحمد انور ان فؤاد سراج الدين حاول أن يعرف منه اسم قائد التنظيم فى سؤال عابر عمن يصلح رئيسا لاركان حرب الجيش ، فقال له : محمود سيف اليزل ، كما يقول انه قد بارك حركة الضباط دون ان يورط نفسه فيها ، وانه حمل له ذلك فيما بعد جميلا لانه كان يستطيع الاضرار به بعد المقابلة ٠

ويقول فؤاد سراج الدين ان احمد انور قد عرض عليه وقوف الجيش مع الحكومة الوفدية اذا أقالها الملك ، وانه قد علق على ذلك بقوله ان الملك لا يعتمد الا على الجيش ، ومع ذلك فقد اتفق بعد هذه المقابله مع مصطفى النحاس على ان يقترح مصطفى نصرت وزير الحربيه عزل محمد حيدر القائد العام للقوات المسلحة ، وفعلا ذهب مصطفى نصرت للسراى وطالب بتغيير حيدر ولم يصل الرد حتى اقالة الوزارة ٠٠٠ وتصادف ان احتفل الجيش فى نادى الضباط بعيد ميلاد الملك (١١ فبراير ١٩٥٢)فى حفل تغنى فيه أم كلثوم ، وأناب الملك محمد حيدر فى آخر لحظة حتى يفاجىء الوزارة بذلك، واستقبله الضباط بعاصفة من التصفيق بينما استقبلوا كلمة وزير الحربية بتصفيق فاتر ٠

عمق هذا الاستقبال شعور الوفد بانصراف الضباط عنه ، وبانهم القوة التى يستند اليها الملك ، رغم وجود حركة بين الضباط الوطنيين ٠

وظلت الحكومة الوفدية تواصل كفاحها ضد القوات البريطانية فى القناة بواسطة البوليس اساسا ٠٠٠ بينما تأمر قوات البوليس بضرب المظاهرات فى شوارع القاهرة ٠٠٠ وأدى هذا التناقض الى وجود نوع من الانفصام فى طبيعة عمل قوات البوليس فى هذه المرحلة الحرجة التى تواجه فيها الحكومة الوفدية عدوا اجنبيا فى القناة ، وتواجه مظاهرات تشب ضدها فى القاهرة ، تتهمها بالتقصير احيانا ، وتطالب بالسلاح احيانا أخرى .
ولم يكن الضباط بعيدين عن معركة الكفاح المسلح فى القنال ٠٠٠ كما

ان اتصالهم بالوفد لم يكن هو الاتصال الوحيد :
ولم يكن الوفد هو القوة السياسية الوحيدة المؤثرة في تحريك الجماهير للكفاح المسلح ... بل ان تنظيمات سياسيه ناشئة استطاعت ان تلعب دورا بارزا في هذه الفترة التي عمرت بالحرية والديموقراطية .

وحدث تغيير آخر في ترتيب القوى داخل الجيش ... بعد ان كانت الشعب الثلاث للعمل السياسي هي (الارهاب ـ والاخوان المسلمين والشيوعيين) ، حدث تحول مواكب للحركة الجماهيرية .

ضاع الاتجاه الارهابي في تيار الكفاح الشعبي المسلح ، وذبلت قدرة (الحرس الحديدي) على الاغتيال بعد تفجر طاقات الشعب الثورية ، واصيبت حيويته بالجمود .

وحدث تبدل في موقف الاخوان المسلمين جعل ارتباط الضباط بهم يضعف عما كان قبل واثناء حرب فلسطين ... وكانت الصلة بين (الضباط الاحرار) وتنظيم الاخوان قد استمرت قائمة على اسس غير عدائية وغير تنظيمية أيضا .

وكان الاخوان المسلمون قد تعرضوا لهزة شديدة بعد اغتيال المرشد الشيخ حسن البنا ، ونبتت داخل الجماعة خلافات وصراعات على تولى الزعامة من بعده وخاصة ان نظامها الأساسي كان يركز كل السلطات في يد المرشد العام ، وليس لمكتب الارشاد أو الهيئة التأسيسية الا وجود استشاري بجانبه طوال فترة توليه المسئولية التي تمتد حتى آخر يوم في حياته دون تحديد لفترة زمنية معينة .

ولذا كان اختيار المرشد يعتبر موضوعا حاسما في صراع الخلفاء ولم يفز الشخص القوى الذى يفرض نفسه ويدين له الباقون بالولاء ... فكان ان اجتمع رأيهم على تعيين شخص ضعيف . لكى يبدأ كل منهم محاولته في السيطرة على الجماعة خلاله .
واتفق الرأى على تعيين حسن الهضيبي مرشدا عاما ، وهو مستشار عمل بالقضاء ٢٧ عاما واتصل بالشيخ البنا عام ١٩٤٢ ولكنه لم يكن عضوا بمكتب الارشاد ولا بالجمعية التأسيسية المكونة من ١٥٠ عضوا ، ولم يكن عضوا بارزا معروفا للاخوان كما أنه كان قد أتم الستين من عمره في عام ١٩٥٠ .

واتخذ الملك موقف التأييد من انتخاب المستشار حسن الهضيبي مرشدا عاما ، بل قيل انه كان العامل الاول في انتخابه لان كان متزوجا من شقيقة ناظر الخاصة الملكية مرادحسن ، وقد نشرت مجلة اللواء الجديد

ان مزراحي باشا محامي الخاصة الملكية كان له دور في تحسين العلاقات بين الملك والاخوان ، ليستميلهم الى جانبه في حالة اتخاذ موقف العداء من الوفد .

ولم يمض شهر على انتخاب الهضيبي حتى ذهب في احدى عربات القصور الملكية مع بعض زعماء الجماعة لمقابلة الملك ، الذى ذكرهم بوعد حسن البنا لكريم ثابت عام ١٩٤٨ باتخاذ خطة معاداة الشيوعية اذا ألغى الملك قرار حل الجماعة ... وقد تكررت زيارة المرشد للملك عدة مرات صرح بعد احداها بأنها (زيارة نبيلة لملك نبيل) .

وكانت جماعة الاخوان المسلمين قد خرجت من حرب فلسطين ومن فترة الاعتقالات ، وقد مال ميزان قوتها ، وضعفت قبضتها على الضباط الذين نظمتهم في صفوفها خلال السنوات السابقه ...

ولذا لم تسهم جماعة الاخوان المسلمين خلال فترة الحكومة الوفدية في أى عمل ايجابي ضد الملك او الاستعمار ... بل انه عندما عين الملك حافظ عفيفي رئيسا للديوان ، وسارت المظاهرة تهتف ضد الملك وحافظ عفيفي ، كتبت مجلة الدعوة التي كان يصدرها صالح عشماوى عضو مكتب

الارشاد هجوما على رئيس الديوان الجديد ... وابرقت وكالات الانباء بهذا الموقف الجديد للجماعة من الملك ... ولكن عبد الحكيم عابدين سكرتير الجماعة سرعان ما اذاع بيانا هذا نصه : « يقرر المركز العام للاخوان المسلمين ان مجلة الدعوة لاتصدر عنه ولا تنطق بلسانه ولا تمثل سياسته وانها صحيفة شخصية تعبر عن آراء صاحبها ولا تتقيد دعوة الاخوان المسلمين بما ينشر فيها » .

وتخلفت الجماعة عن بقية القوى والتنظيمات السياسية التي حاولت أن تجذبها فى اتجاه ثورى ، أو تؤيد اتجاه صالح عشماوى ضد اتجاه الهضيبي المتحفظ والحريص على عدم حدوث احتكاك بينه وبين السراى باعتبارها مركز السلطة في مصر ... رغم انه كانت تتوافر لهم الاسلحة فى جهازهم السرى .

واقتصر نشاط الاخوان خلال هذه الفترة على الدعوة الى التربية الاسلامية وكانما هي تناقض الثورة ضد الاستعمار ، وفى حديث للهضيبي مع مجلة الجمهور المصرى يوم ١٥ اكتوبر ١٩٥١ أى عقب الغاء المعاهدة باسبوع واحد قال « هل تظن ان اعمال العنف تخرج الانجليز من البلاد ، ان واجب الحكومة اليوم هو ان تفعل ما يفعله الاخوان المسلمون من تربية الشعب واعداده فذلك هو الطريق لاخراج الانجليز » ... ثم نفى الهضيبي

ما أشيع من ان الجماعة طلبت من الحكومة تدريب ١٦ الف شخص ونفى أن في نية الجماعة التوجه بهذا الطلب ٠

وكان الهضيبى يردد « اذا كانت الحكومة تريد تسليح الشعب فعليها أولا أن تسلحه بالاخلاق فتغلق تلك المواخير الساهرة طوال الليل ودور اللعب التي تفسد الاخلاق » ٠

وخطب الهضيبى فى شباب الاخوان قائلا لهم « اذهبوا فاعكفوا على تلاوة القرآن الكريم » ، ورد عليه خالد محمد خالد متهما اياه بالابتعاد عن الدين الذى يفضل الكفاح على العبارة حسبما أثر عن رسول الله وقال « وجد الوطن فى التاريخ قبلما يوجد الدين وكل ولاء للدين لا يسبقه ولاء للوطن فهو ولاء ذاتى ليس من روح لله ، والوطن عماد الدين وسناده » ثم خاطب الاخوان قائلا « اطلقوا سراح الطاقة المحتكره » ٠٠٠ وكتبت روز اليوسف تقول انه يجب على الاخوان التحرك فى المعركة والا فقدتم مصر ٠

لم يسرع الضباط المنضمون للاخوان المسلمين لمعركة القناة ، كما اسرعوا للتطوع فى حرب فلسطين ٠٠ وبدت منطقة القناة خالية من أية حركة ايجابية لهم ٠

وبذلك تخلى الاخوان المسلمون عن أداء دور بارز فى الكفاح المسلح ، وآثروا مهادنة الملك ، وترقب نتائج تورط الوفد فى مواجهة الاستعمار واحتفظوا بأسلحتهم فى المخازن ليوم قريب ٠

ونتيجة لهذا الموقف المتهاون انصرف الضباط الذين انضموا للجماعة عدا قلة محدودة جدا وكانت هذه الفترة هى نقطة النهاية فى ارتباط الضباط بالاخوان المسلمين ٠

اما التنظيمات الشيوعية فقد اسهمت ايضا فى معركة الكفاح المسلح فى القناة ، ولكن بقدرات بدأت محدودة ثم نمت مع تطور القتال ٠

وصدرت فى هذه الفترة طبعة ثانية من كتابى (حرب العصابات) ، ودرست قيادة حدتو الموقف فوجدت أنه لايجوز أن تضيق حلقة الكفاح لتصبح محصورة فى الفدائيين وحدهم ، وانما يجب ان يتسع نطاق المعركة ليشمل الفلاحين فى القرى المنتشرة بالمنطقة ، وكثير منهم مسلح بطبيعته ، كما انه تم البحث فى انشاء تنظيمات سياسية لتوعية الجماهير وقيادتها فى القرى ، وجرت اتصالات كثيرة لخلق قيادة موحدة لكافة الكتائب والتنظيمات المقاتلة حتى يزداد تأثيرها وتتوحد أهدافها ، وتكون نواة لجبهة تخلق فى جو المعركة ٠

وكانت معركة (القرين) تجسيدا لهذه الاهداف التى رسمتها

(حدتو) فلم تكن معركة فدائيين فقط ، وانما كانت معركة فلاحين اساسا ، فقد خرجت القرية كلها ، وتسلق الفلاحون النخيل ، وصوبوا مدافعهم ضد دبابات الانجليز التى تراجعت ، وعجزت عن احتلال القرين .

وكانت مشكلة التنظيمات الشيوعية هى نقص السلاح عكس الاخوان المسلمين الذين توافر لهم السلاح ولم تتوافر ارادة القتال ...

كنا نحصل لهم على السلاح من داخل الجيش ... كان يحضره لنا جمال عبد الناصر من مجدى حسنين فى سلاح خدمة الجيش بثكنات العباسية ، وكنت احمله مع الصاغ عثمان فوزى سفير مصر فى هولندا بعد الثورة الى المقاتلين فى منطقة القناة .

وكان جمال عبد الناصر يعرف حقيقة الدور الذى نقوم به ويوافق عليه ، بعد ان كانت صلته قد توطدت بمندوبى قسم الجيش فى (حدتو) للعمل فى تنظيم الضباط الاحرار وهما القاضى احمد فؤاد واليوزباشى خالد محيى الدين .

وقد استشهد فى القتال عباس الاعسر الطالب بكلية تجارة الاسكندرية، وعضو لجنة انصار السلام بالمدينة ... وتحولت الجنازة الى مظاهرة شعبية كبيرة ، نظمنا اشتراك ضباط الجيش فيها رغم اتصال بعض ضباط القسم السياسى بنا ومحاولتهم أن يثنونا عن ذلك ... وسار ضباط الجيش فى صفوف منتظمة ومن خلفهم الجماهير تهتف ، وامامهم طالب يحمل تمثالا كبيرا لحمامة السلام البيضاء ... وكان عدد ملحوظ من الضباط وصف الضباط قد وقعوا بيان ميثاق ستوكهولم .

كان عدد الانصار يتزايد ، ومضمون المعركة يتعمق ... ويلتقى صوت طلقات الرصاص مع رنين الكلمات المطبوعة على صفحات المجلات الوطنية .

ولم تكن التنظيمات والقوى السياسية وحدها فى المعركة ... كان هناك بعض ضباط الجيش ايضا .

كان تنظيم (الضباط الاحرار) قد بدأ يتبلور وتتحدد معالمه ويزداد عدد المنضمين اليه يوما بعد يوم ... وكانت المنشورات هى الوسيلة الاولى لاثارة الضباط وتوجيههم .

كانت المنشورات خالية من الهجوم على الوفد او الحكومة القائمة ... لما كانت تقوم به من اعمال هى اقصى ما فى طاقتها ... وكان كتاب هذه المنشورات من اعضاء قسم الجيش (حدتو) وهم يدركون ان الهجوم على الوزارة الوفدية لاخراجها واسقاطها يلتقى تماما مع رغبة الاستعمار والملك والعناصر الرجعية خارج السلطة وداخلها .

ولكن المنشورات كانت تعلن « ان الجيش هو جيش الامة وليس جيش فرد من الافراد ، والامة هي التى تنفق عليه ودافعو الضرائب من ابناء الشعب هم الذين يدفعون مرتبات هؤلاء الجنود ، وهم الذين يسلحونهم فمهمتهم الأولى ان يكونوا فى خدمة الشعب لا فى خدمة أى انسان آخر » ..

وكانت تهاجم الاموال التى تنفق على زفاف الملك « اليكم يا من تجمعون المال من عرق الشعب لتنفقوه في غير صالح الشعب ... اليكم يا من تسوقون البلاد الى هاوية سحيقة لتصلوا بالبلاد الى مآربكم الخاصة ... اليكم كلمتنا هذه لتكون نذيرا لكم لعلكم تثوبون الى رشدكم وترجعون عن غيكم ... وانتم ايها الضباط اليكم هذا العرض الموجز لما يحدث اليوم من مهازل ، فكونوا متيقظين دائما لما يدبر لجيشكم وبلادكم ، ولا تتهاونوا فى حقوقكم قيد أنملة » ... وكانت تعلن موقفها السياسى كما يأتى : « الشعب والجيش يقفان اليوم بالمرصاد لكل حركة ترجع بنا الى الوراء ... ان الشعب والجيش سيحطمان اية محاولة لضرب الحركة الوطنية ... لقد أيدنا الحكومة فى خطوتها الوطنية التى اتخذتها بالغاء المعاهدة الاستعمارية) (١)

وكان جمال عبد الناصر الرئيس المنتخب لتنظيم الضباط الاحرار حريصا على اشتعال حركة الكفاح المسلح فى القنال ... يسهل امداد التنظيمات المختلفة بالسلاح والذخيرة اذا طلبت وكما كان يعطينى السلاح لمتطوعي (حدتو) كان يعطى السلاح والذخيرة لعبد القادر عودة وحسن عشماوى ، كما كلف كمال رفعت احد الضباط الاحرار المرتبطين فى البداية بالتنظيمات اليسارية والوزير وعضو مجلس الرئاسة بعد الثورة ، وحسن التهامى ضابط المخابرات وعضو الضباط الاحرار ثم الوزير بعد الثورة بالاشراف على معسكر تدريب الفدائيين فى صحراء الفيوم ، ليرسلوا بعد ذلك الى كتائب وجيه اباظة عضو الضباط الاحرار ، والمتصل بفؤاد سراج الدين وزير الداخلية .

واشترك بعض الضباط الاحرار اشتراكا فعلياً فى معركة القنال . ويروى لنا انور السادات الذى اعادته الوزارة الوفدية الى صفوف الجيش بعد فصله واعتقاله عقب ضبطه متصلا بالجواسيس الالمان فى القاهرة فيروى قصة (التيتل) وهو اللغم البحرى الكبير الذى تقرر اغلاق القناة به واشترك فى العملية تخطيطا وتنفيذا جمال عبد الناصر وأنور السادات وصلاح هدايت

---

(١) حرب التحرير الوطنية ـ كمال رفعت .

الضابط المتخرج بعد ذلك فيكلية العلوم ووزير البحث العلمي بعد الثورة وحسن التهامي وضابط خفر السواحل عبد الستار عرفة ... ولكن العملية لم تنجح لاخطاء غير مقصودة فى البداية ثم اخطاء فنية فى النهاية .

لم يكن (الضباط الاحرار) يشكلون وحدات مقاتلة ، ولكنهم كانوا يتصلون بالفدائيين يدربونهم ويعدون معهم الخطط ، ويشتركون احيانا فى بعض العمليات .

ولكن وحدات الجيش العادية فى منطقة القناة ظلت بعيدة تماما عن احداث المعركة ، تخضع لتعليمات قادتها التقليديين الذين يتلقون أوامرهم من محمد حيدر رجل السراى وقائد عام القوات المسلحة .

وكان غريبا ان تسهم قوات البوليس بالعبء الاكبر فى معركة الكفاح المسلح بالقناة ، الى جانب الفدائيين والاهالى الذين بدأوا ينضمون الى حرب العصابات .. بينما قوات الجيش تمارس حياتها الطبيعية دون اعتداء على قوات الاحتلال ، ودون تحرش من قوات الاحتلال .

ولولا نشاط بعض (الضباط الاحرار) وروحهم النضالية لعد الامر باعثا على التناقض الشديد . واظهر الجيش فى مظهر القوة المستكينة الخاضعة لتعليمات السراى المتعاونة مع الاستعمار .

ارسل ضباط العريش ورفح الى رئيس الوزراء ووزير الحربية ورئيس اركان حرب برقية قالوا فيها « ان مصر العزيزة اولى بدمائنا من فلسطين ، واذا لم تصدر الينا الاوامر بالتحرك الىالقناة فسنتصرف على مسئوليتنا » وقد حضر مفتش عام الجيش بعد البرقية للتحقيق ولكنه لم يصدر أى اتهامات ولم تحدث مساءلة .

وقد أهاجت هذه الحالة مشاعر الضباط ، وجذبتهم الى احداث البلد السياسية ، وسهلت فرصة التجنيد لتنظيم (الضباط الاحرار) ، وشاءت الظروف ان يدخلوا تجربة عملية لاختبار قوتهم .

وكانت هذه التجربة هى انتخابات نادى الضباط ، وهى فى العادة كانت تمر هادئة ودون اهتمام كبير من جانب الضباط .. ولكنها اقبلت هذه المرة فى ظروف مشحونة بالقلق والتوتر .

(الضباط الاحرار) يعيشون أزمة الوطن دون ان تنطلق طاقتهم فى حرية مثل بقية المواطنين ، يلمسون فساد السراى وتعاونها مع الاستعمار ولا يجدون وسيلة للتعبير الا فى المنشورات .

وقد تحدد موعد الانتخابات بعد اسبوع واحد من هدم البريطانيين

لقرية كفر أحمد عبده ، وهياج وثورة الرأى العام المصرى .

وقرر اللواء محمد نجيب ان يدخل الانتخابات رئيسا للنادى ، وكانت اللجنة التأسيسية للضباط الاحرار قد اختارته لما اتصف به من شجاعة وأمانة وبساطة خلقت له بين الضباط شعبية ملحوظة .

وتعتبر انتخابات نادى الضباط هى بداية المواجهة العلنية الصريحة بين الملك وبين (الضباط الاحرار) .

وعندما رشح محمد نجيب نفسه رئيسا للنادى لم يكن ذلك مما يريح الملك ، فقد سبق ان نقله منذ شهور من سلاح الحدود الى سلاح المشاة ، ردا على رغبته فى نقل الاميرالاى حسين سرى عامر وكيل الحدود المقرب من السراى والذى تولى قيادة السلاح بعده ، لما احاط به من شبهات سلوكية .

أراد الملك ان يفرض حسين سرى عامر على مجلس ادارة النادى واصدر أمره بتأجيل اجتماع الجمعية المحدد له يوم ١٨ ديسمبر ١٩٥١ ، ولكن الضباط اجتمعوا وقرروا ان تجرى الانتخابات يوم ٣ يناير ١٩٥٢ .. وفى اليوم المحدد رفضوا اعتبار سلاح الحدود من اسلحة الجيش التى يمثل مندوبوها فى مجلس ادارة النادى باعتباره سلاحا يضم ضباطا منتدبين من مختلف الاسلحة .

وكان فى هذا الاجراء صفعة شديدة لارادة الملك .. وتمت الانتخابات فعلا وحصل محمد نجيب على اغلبية ساحقة (عدة مئات من الاصوات) بينما حصل المرشحون الآخرون لمنصب الرئاسة وهم اللواء حافظ بكرى مدير المدفعية ، واللواء ابراهيم الأرناءوطى مدير المهمات واللواء سيد محمد مدير الصيانة على ١٥٨ صوتا فقط .

لم ينجح محمد نجيب وحده .. ولكن نجح معه ايضا مرشحو تنظيم الضباط الاحرار الذين شكلوا أغلبية المجلس وكان منهم زكريا محيى الدين وحسن ابراهيم وابراهيم عاطف ورشاد مهنا الذى عين سكرتيرا لمجلس ادارة النادى .

وكان هذا دليلا على تأثير وتفوذ تنظيم (الضباط الاحرار) بين ضباط الجيش كما كان دليلا ايضا على شعبية محمد نجيب .

ولم تكد تمضي عدة ايام على الانتخابات حتى قام جمال عبد الناصر ومعه حسن ابراهيم وكمال رفعت وحسن التهامى بمحاولة اغتيال حسين سرى عامر امام منزله يوم ٨ يناير ١٩٥٢ .

وهكذا اطلت فكرة الاغتيالات برأسها من جديد .. ولكن سرعان ماتبين

لجمال عبد الناصر بعد تجربته الاولى ان الاغتيالات لن تحقق الهدف لانها حتى لو نجحت فان فساد النظام سوف يبقى ، كما عبر عن ذلك فى كتابه (فلسفة الثورة) .. وهكذا لم يكد يطل الارهاب برأسه من جديد حتى عاد واختفى .

وصرح رئيس شعبة الاخوان بالسويس بأنه « ليس للاخوان أى نشاط فى حركة المقاومة » ، واثار هذا التصريح جدلا بين بعض قادة الاخوان مثل الشيخ محمد الغزالى الذى عارض هذا التصريح ، وسيد قطب الذى قال ان مسئولية التعبير عن رأى الاخوان ملقاة على عاتق المرشد العام وليس على سواه .. وعقب حسن الهضيبى على هذا الجدل منتقدا كثرة الحديث عن موقف الاخوان ومتسائلا « كأن شباب مصر كله قد نفر الى محاربة الانجليز فى القنال ولم يتخلف الا الاخوان المسلمون » .

وكتب كمال رفعت فى كتابه (حرب التحرير الوطنية) ان أحد الفدائيين عندما ذهب الى الشيخ فرغلى مسئول الاخوان فى الاسماعيلية يسأله عن موقف الاخوان من احتلال الانجليز للمدينة فقال « نحن لسنا على استعداد لتحمل تهور النحاس ولا يمكن ان نضحى بأولادنا من اجل الوفد .. الوفد عملها وعليه ان يتحمل نتائجها .. وما حدث فى الايام الماضيه كلام فارغ وقد راحت الناس ولا أحد يدرى بها .. كما ان الانجليز لا يمكن أن يخرجوا بالاتفاق مع الوفد وحده ، فهو حاليا لايخيف الانجليز لانهم يعلمون ان هناك قوة ثانية فى البلد هى الاخوان ، فاذا لم يقتنع الوفد بقوتنا فلن تفلح أى محاولة له ، وعلينا ان نترك الوفد يغرق وحده وينتهى » .

ويقول كمال رفعت انه كان لدى الاخوان اسلحة كثيرة مخبأة لم تستخدم فى القتال ضد الانجليز .

ومع ذلك لم يغب الاخوان المسلمون عن معركة القنال غيابا تاما ، فان بعض أعضاء الجماعة من الشباب لم يطق الدخول فى جدل حزبى والمعركة مع الاستعمار تدور فى القنال فاشترك البعض منهم ، وتشكلت منهم عدة مجموعات ، واستشهد منهم بعض طلبة جامعة القاهرة (فؤاد سابقا) عمر شاهين واحمد المنسى وغيرهما .

ولكن هذه الحركات المحدودة لم تكن تعبر تماما عن امكانيات وقدرات الاخوان المسلمين التى اندفعت الى معركة فلسطين بحماسة أشد .

تطور الكفاح الشعبى المسلح تطورا ملحوظا فى منطقة القناة ، وبدأت كتائب التحرير الشعبية تعالج نقط الضعف فيها ، وزاد اقبال (الضباط الاحرار) على المشاركة الصادقة فيها ، وتصاعدت العمليات حتى أصبحت

خسائر القوات المحتلة مصدر قلق شديد للقيادة البريطانية .. نشرت جريدة التيمز يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٥١ تقول « ان أعصاب الجنود الانجليز قد أصبحت شديدة التوتر ، وانهم (أى الجنود) يتساءلون عن جدوى الاحتفاظ بقاعدة عسكرية ، فقدت كل قيمة عسكرية لها نتيجة للشعور الوطنى المعادى » .. كما علقت نفس الجريدة على تصريح للشيخ ابراهيم حمروش شيخ الازهر يحل فيه دماء الجنود البريطانيين ، وكتبت فى صفحتها الاولى تحذر من أبعاد هذا الجهاد الدينى .. وعندما نسف الفدائيون قطارا كاملا محملا بالجنود والاسلحة والذخيرة يوم ١٢ يناير كتبت النيوز كرونيكل تقول « على الضباط الانجليز على هذه المعركة بانها اعنف من أية معركة خاضوها ايام الانتداب البريطانى فى فلسطين » .. وكتبت نيوستيتسمان « يبدو واضحا أن حرب العصابات قد اصبحت مسألة مقررة عند الفدائيين فى مصر .. أن مستقبل المصالح البريطانية قد اصبح الآن مظلما .. فاما جلاء مخجل عن مصر . واما اشتباك عسكرى وفترة طويلة من المعارك فى ظل الاحكام العسكرية » .

ووصل الى القاهرة نجيب الراوى موفدا من نورى السعيد رئيس وزراء العراق حيث قابل فؤاد سراج الدين فى مكتبه وقال له ان الانجليز قد افلسوا تماما ، وهم يطلبون حلا يحفظ ماء الوجه .. واستطرد قائلا بأنهم مستعدون للموافقة على كل شىء على شرط ايقاف أعمال الكفاح المسلح فى القناة .. وقال له فؤاد سراج الدين ان الموقف قد وصل الى الحد الذى لا يجرؤ فيه مصرى على اعلان ذلك ، وأنه على الانجليز أن يقرروا الجلاء ، وعلينا تأمين ظهرهم اثناء الرحيل .

وفى هذه الفترة كانت خطة تخلص الملك من الحكومة الوفدية تتحرك فى نشاط .. قال لى احد كبار ضباط البوليس السياسى فى ذلك الوقت ، ان تعليمات قد وصلت لهم خلال هذه الفترة بأنه قد تقرر التخلص من الحكومة الوفدية ، وأن عليهم ان يهيئوا انفسهم لذلك .. ويقول أيضا أن قوات بوليس القصور كانت عندها ملفات هى صورة طبق الاصل من ملفات البوليس السياسى الذى كان يرسل لهم كل الاخبار وكافة التقارير .

وعند محاكمة كريم ثابت أمام محكمة الغدر ، واستدعاء حافظ عفيفى كشاهد اثبات قال « ان الملك ابلغه انه يريد التخلص من حكومة الوفد فقلت له ان المعركة دائرة مع الانجليز ولا يمكن اخراجها الآن ، وانه لابد من حدوث

شيء هام لاخراجها .. ولم يملك المستشار نفسه عن التعليق قائلا .« واظن يا باشا وجدتم فى حريق القاهرة الحاجة المهمة »

وكانت الحكومة الوفدية تواجه انفصاما فى سلوكها .. تمد قوات البوليس وكتائب التحرير بالذخيرة والسلاح وتطلب منهم مقاومة الانجليز ، بينما هى تضطر الى مقاومة المظاهرات فى القاهرة والاسكندرية بالرصاص أحيانا .

وكانت المظاهرات عقب الغاء المعاهدة ظاهرة شملت معظم المدن المصرية ، وافرغت ما فى صدور الجماهير من رغبة فى القتال والمطالبة بالسلاح .. وكانت القوات البريطانية قد قتلت ٧ متظاهرين وجرحت ٤٠ فى الاسماعيلية وقتلت ٥ واصيب الكثيرون فى بور سعيد ثم وضعت منطقة القنال تحت حكم عسكرى مباشر تجاهل السلطة المصرية .. وفى ١٧ ، ١٨ نوفمبر اطلق الانجليز النار على ثكنات البوليس فى الاسماعيلية فرد هؤلاء وسقط القتلى والجرحى من الجانبين ، وشيعت جنازة الشهداء المصريين فى احتفال خرجت له المدينة كلها ، وفى اليوم التالى طلب الانجليز إلى محافظ القنال سحب قوات البوليس المصرى من الحى الافرنجي بالاسماعيلية وسحب جنود بلوكات النظام وعدم ظهور الضباط المصريين بهذا الحى بأسلحتهم فقبل الجانب المصرى هذه المطالب ، وفى ٣ ديسمبر اطلق الانجليز النار على بعض قوات البوليس فى السويس واستشهد ٢٨ مصريا منهم ٧ من رجال البوليس وقتل من الانجليز ٢٢ ، وتجدد الاشتباك فى اليوم التالى وسقط ١٥ شهيدا .

وفى ٨ ديسمبر طلب الانجليز اخلاء حى (كفر أحمد عبده) بدعوى تحصن الفدائيين به واجتمع مجلس الوزراء وقرر رفض الطلب ، فحشد الانجليز آلاف الجنود ودبابات ومصفحات لم يكن ممكنا لقوة بوليس لايزيد عددها عن ٤٠٠ ان تقاوم فانسحبت وهدم الانجليز كفر أحمد عبده .. وردت الحكومة على ذلك باستدعاء عبد الفتاح عمرو السفير المصرى بلندن فعينه الملك مستشارا له للسياسة الخارجية ، وهو المعروف بميوله الانجليزية ، واستولت على نادى الجزيرة الذى انشأه البريطانيون فور احتلالهم مصر عام ١٨٨٢ وقصروا عضويته على العائلات البريطانية ولا يدخله المصريون الا بعد المرور على مجهر بريطانى دقيق ، واباحت للشعب حمل السلاح .

كانت هذه الاحداث المتكررة تهيج مشاعر الشعب فى مصر فتنطلق المظاهرات ويحدث من بعض أفرادها اعتداء على الممتلكات .. وادرك بعض

الثوريين ان ذلك يمكن ان يكون ثغرة يتسرب منها المستعمرون ، فكتب سلامة موسى فى صوت الامة (٢٥ أكتوبر ١٩٥١) يذكر بأن ما حدث من فساد للنظام أمر يخيف الاجانب وان بعض الشعارات كانت سيئة مما يعطى للاعداء فرصة الاندساس فيها لافسادها .. وخاطب النحاس باشا الشعب طالبا منه الهدوء .

واصدر رؤساء تحرير الصحف بيانا يطالب بالعدول عن المظاهرات حتى لايستغلها الانجليز ، وقد وقع البيان معظم رؤساء التحرير بما فيهم رؤساء تحرير (الكاتب) و (الاشتراكية) ورفض أبو الخير نجيب رئيس تحرير مجلة (الجمهور المصرى) التوقيع لان مجلته كانت من مجلات الاثارة غير الواعية .

ولكن استشهاد المكافحين فى القنال جعل وقف المظاهرات امرا صعبا مما اضطر الحكومة عقب اعلان ٢٣ اكتوبر يوما للحداد الى اصدار بيان بأن عناصر غير بريئة اندست فى المظاهرات ، وقررت منع المظاهرات منعا باتا مع التهديد باستخدام العنف .

ومع ذلك لم تتوقف المظاهرات تماما .. ولم تستخدم الحكومة العنف تماما حتى يوم ١٤ نوفمبر حيث صرحت الحكومة بخروج أكبر مظاهرة شهدتها مصر تحت شعار (الصمت . الحداد . النظام) ، وسار فى طليعتها مصطفى النحاس وبجواره على ماهر ورجال الحكومة ، وشيخ الازهر والبطريرك والحاخام ورجال الدين والقضاء والجامعه والمهنيون وبعض العسكريين كما اشتركت وفود من الدول العربية والسودان .. وكانت كتائب التحرير تحرس المظاهرة فلم يحدث حادث واحد ، فى الوقت الذى قدر فيه عدد المتظاهرين بمليون متظاهر عدا المتفرجين على الارصفة ، حتى أنها وقد بدأت من ميدان الاسماعيلية (التحرير) لم يعرف لها أول من آخر ، ورغم الصمت المظاهرة الكبيرة ، وتساقطت على المتظاهرين المنشورات الثورية وارتفعت لافتات قدرت بعشرة آلاف لافتة كتب عليها (يسقط الدفاع المشترك) (الوساطة الامريكية خدعة) (يسقط الاستعمار) (الموت للخونة) .. الى غير ذلك من الشعارات الثورية .

ولم تكن هذه المظاهرة التاريخية هى خاتمة المظاهرات .. فقد كانت حوادث القنال تجد انعكاسا وردود فعل سريعة فى القاهرة لا تجد لها وسيلة للتعبير الا التظاهر رغم حظر ذلك ، حيث كانت المظاهرات تخرج بصفة تلقائية شعبية دون قيادة منظمة قادرة .

وزادت حدة المظاهرات في اواخر ديسمبر واحرق المتظاهرون بعض عربات الترام ، ورجموا البوليس بالحجارة مما أدى الى تعطيل الدراسة فى الجامعات ، وتجمع الطلبه رغم ذلك فى مظاهرات كانت تزداد عنفا وشدة طوال شهر يناير ٠

وبدت ظاهرة جديدة ايضا هى هجوم بعض الشبان على الملاهى والحانات كما حدث من تحطيم ملهيين بالقاهرة يوم ١٥ يناير ، وانفجار دارين للسينما يوم ١٩ يناير ٠٠ وهو اتجاه يتنافر مع المظاهرات الشعبية ، ويشير دون دليل الى فكر الاخوان المسلمين الذين كانوا يرددون دائما الحديث عن الملاهى والحانات ، ولا يخوضون مباشرة فى قضية الكفاح المسلح ٠٠ مما يكون قد دفع بعض العناصر لهذا اللون من التدمير ٠

ومن الاستفزازات البريطانية التي كانت تفتعل في القناة ردا على نشاط الفدائيين ٠٠ ومن ردود الفعل المنبثقة فى شكل مظاهرات فى القاهرة والاقاليم ٠٠ رسم الاستعمار البريطانى والملك وقوات البوليس السياسى خطتهم المشتركة للاطاحة بالحكومة الوفدية :

وصلت الاستفزازات البريطانية الذروة ليله الجمعة ٢٥ يناير عندما حاصر آلاف الجنود البريطانيين ومعهم المصفحات والدبابات مبنى محافظة الاسماعيلية وارسل الجنرال اكسهام القائد البريطانى بالمنطقة انذارا لقوات البوليس المصرى بمحافظة الاسماعيلية بتسليم اسلحتها والخروج من المحافظة والثكنات والرحيل عن منطقة القناة كلها .

وجد القائد المصرى نفسه أمام احتمالين كلاهما صعب ٠ تسليم السلاح أو المقاومة مع فارق العدد والعدة واراد ان يستطلع رأى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية فأرسل ضابطا صغيرا قفز من فوق السور ليتصل به بعد ان كان الانجليز قد قطعوا اسلاك التليفون عن المحافظة ٠

تمت المكالمة في الثانية بعد منتصف الليل وكان فؤاد سراج الدين نائما وعندما استيقظ وجد نفسه مضطرا لاعطاء قرار : فسأل الضابط بالايجاب عما اذا كانوا مستعدين للمقاومة حتى آخر طلقة ولما اجاب الضابط بالايجاب أعطى فؤاد سراج الدين قراره بالمقاومة ، ثم وضع السماعة وهو يبكى ٠

وكان عدد جنود بلوكات النظام فى الاسماعيلية الف جندى مع كل منهم الف طلقة ٠٠ وبدأت المعركة باطلاق قذائف المدفعية والدبابات على مبنى المحافظة ، وقاوم البوليس المصرى مقاومة باسلة واطلق مليون طلقة رصاص، وانتهت المعركة بمقتل ٧٠ عسكريا مصريا ، ٤٠ عسكريا بريطانيا ٠
ودخل الجنرال أكسهام مبنى المحافظة وصافح قائد القوة المصرية

قائلا له « اهنئك واهنىء جنودك على الروح التى قاتلوا بها ، ولذا فلن اعاملكم كأسرى حرب ، ولن تخرجوا من هنا رافعى الايدى » .

ورحل جنود بلوكات نظام الاسماعيلية فى عربات السكه الحديد الى القاهرة ، وعندما اذيعت الاخبار كانت لها ضجة عالمية .. وظهرت صحف انجلترا يوم ٢٦ يناير وقد كتبت (انها تخجل لان الجيش البريطانى يحارب البوليس المصرى) .

وتحركت فى القاهرة منذ الصباح الباكر دوامة من المظاهرات لا تهدأ ولاتتوقف .

اتصلت السفارة البريطانية فى الثانية بعد منتصف ليلة ٢٥ - ٢٦ يناير بقوات البوليس تطلب حماية طائرة بريطانية هبطت فى مطار القاهرة .. وموظفو المطار ممتنعون عن تقديم أى خدمات لها ولم ينزلوا الركاب وهددوا بحرق الطائرة بمن فيها .. وبعد اتصالات طويلة لم يعثروا على اللواء امام ابراهيم رئيس مكتب الاجانب ، فتحرك الى المطار بعض ضباط القلم السياسى . وبقوا هناك حتى السادسة والنصف صباحا .

وفى طريق العودة بلغهم ان عساكر بلوكات النظام قد خرجوا فى مظاهرة ، فغيروا خط سيرهم لتفاديها ، وذهبوا الى منازلهم للنوم حتى الحاديه عشرة صباحا .

وكان جنود بلوكات النظام فى ثكنات العباسية قد خرجوا بأسلحتهم فى السادسة صباحا فى مظاهرة صاخبة احتجاجا على ما اصاب زملاءهم فى الاسماعيلية ، واتجهوا الى جامعة فؤاد بالجيزة حيث اختلطوا بالطلبة المتظاهرين ، وتحركت الحشود المشتركة تنادى بحمل السلاح والسفر لمحاربة الانجليز ، وتهتف أمام قصر عابدين بسقوط الملك .

وتجمع المتظاهرون فى مبنى رئاسة الوزراء حيث خرج عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية يخطب فيهم ، وهم يهتفون بالمقاطعة الكاملة للانجليز وارسال القوات المسلحة للقناة . وابرام معاهدة للصداقة مع الاتحاد السوفييتى ، وتجاوزت المظاهرة بمطالبها قدرة عبد الفتاح حسن على احتوائها وقد اوقف وزير الداخلية حكمدار القاهرة لانه لم يمنع المظاهرات .

وكانت مظاهرة اخرى تسير امام كازينو أوبرا حوالى الحادية عشرة والنصف صباحا حيث استفزها بعض ما شاهدته فى شرفته فأحرقت الكازينو .

وهنا بلغ الامر فؤاد سراج الدين الذى اصدر اوامره بفض المظاهرات

بشدة ، وكان لدى الحكمدار اللواء مراد الخولى اوامر كتابية بأطلاق الرصاص ولكنه لم ينفذها . . وابلغ امام ابراهيم مرعوسيه بأن الوزير قد اصدر اوامره بعدم التعرض للمظاهرات رغم صحة ذلك ومعروف ان امام ابراهيم كان أحد كبار المسئولين فى القسم السياسى الذى لا يدين بالولاء الاول لوزير الداخلية وانما يدين بالولاء اساسا لسلطات السراى التى كانت لها دائما صـــلات مشبوهة علنية وسرية بالسفارة البريطانية .

وانتقلت مظاهرات هذا اليوم بعد ذلك الى مرحلة جديدة مشبوهة هى حرق سينما ريفولى ثم سينما مترو ثم نادى (الترف كلوب) البريطانى الذى اشتعل بمن فيه ، وتلاحقت الحرائق فى المتاجر الكبيرة والفنادق حتى شملت ٣٠٠ متجر وفندق شبرد ومترو بولوتيان ، وعشرات من الحانات والبارات ومعارض السيارات وبنك باركليز البريطانى وغيرها مما حول وسط القاهرة الى شعلة من النيران .

ومع بداية هذه المرحلة المثيرة كان ٦٠٠ من ضباط الجيش والبوليس يتوافدون بالمئات على سراى عابدين لحضور مأدبة غداء ابتهـاجا بمـولد (حضرة صاحب السمو الملكى الامير أحمد فؤاد ولى العهد) والذى كان قـد ولد يوم ١٦ يناير واصدر مجلس الوزراء قرارا بتعطيل المصالح (ابتهاجا) بمولده يوم ١٧ يناير ، وقرر منح كل مواليد هذا اليـوم عشرة جنيهات (لتكتمل البهجة) ، واجتمع البرلمان فى جلسة خاصة للاحتفال بالمناسبة (السعيدة) ، وذهبوا جميعا الى قصر عابدين لقيد اسمائهم فى سـجل التشريفـات .

وفى مناسبة مرور اسبوع على ميلاد ولى العهد استعرض الملك قـوات الجيش من شرفة عابدين وقال « فى هذا اليوم اهدى الى الجيش اعز شىء عندى وهو ابنى » .. واصدر حركة ترقيات كبـيرة فى الجيش ، وألقت طائرات الهليوكبتر اكياس الحلوى على سكان القاهرة الذين كانت افكارهم مع المكافحين فى القناة .

القاهرة تحترق وضباط الجيش والبوليس على مأدبة الملك يتناولون الغداء الشهى ويحتفلون بميلاد ولى العهد ، ووزير الداخلية يحاول الاتصـال بحيدر باشا تليفونيا ليصدر اوامره بنزول قوات الجيش ، ولكن حيدر باشا لايغادر مقعده على المائدة ويرسل له وحيد شوقى مدير خفر السواحل يحدثه مما دفع فؤاد سراج الدين الى مغادرة مكتبه بوزارة الداخلية والذهاب بنفسه الى قصر عابدين ، بعد ادراكه ان الحرائق خطة مدبرة » ومع ذلك ظل ينتظر حتى الساعة الثالثة الا ربع مساء حتى حضر له حيدر وحافظ عفيفى ثم ذهبا

معا لمقابله الملك وعادا فأبلغاه موافقة (جلالته) على نزول ضباط الجيش . .
وقد نصحهم عثمان المهدي قبل نزولهم بتفادي الشوارع المزدحمة بالمظاهرات

حتى الخامسة مساء لم تتحرك قوات الجيش ، وعندما وصلت بعد ذلك الى حديقة الازبكية اخذت موقفا سلبيا من الذين يحرقون القاهرة بدعوى انه لاتوجد عندهم اوامر كتابية بأطلاق الرصاص .

ومع الغروب كان كل شيء قد انتهى .. احترقت القاهرة وباتت فيها عصابات اللصوص والمخربين تسرق وتنهب .

واجتمع مجلس الوزراء ليلة ٢٦ يناير بعد ان كانت قد توقفت كل أعمال العنف ، وانطفأت معظم الحرائق ولم يقدم النحاس استقالته للملك كما جاء في بعض المصادر .

يقول فؤاد سراج الدين انه كان هناك احتمال قائم بتكرار اعمال العنف يوم ٢٧ يناير وخاصة بعد ثبوت ان الحرائق لم تكن تتم بطريقة مرتجلة .. وانما كانت تتم بوسائل حديثة كما ظهر في حريق شبرد اذ كانت هناك جماعات تفتح غازات معينة ثم تشعلها .

ويشير كمال رفعت في كتابة (حرب التحرير الوطنية) الى هذه الحقيقة عندما يقول ان هناك فرقا منظمة من محترفى الحرق والتخريب انقضت على قلب العاصمة فى سيارات الجيب ، تحمل احدث أساليب الحرق والتدمير واشدها فاعلية ، وكانوا يقومون بمهمتهم بأعصاب باردة دون ان يبدر عنهم شعار أو تصدر كلمة أو اشارة .. كان عملهم مدروسا وخريطتهم مرسومة .. الاماكن التى يقصدونها محددة سلفا تتقدم مجموعة لاقتحام الابواب اما بنسفها بقنبلة عند اسفلها أوعمل فجوة بمواقد الاستيلين ،وتسرع الى الداخل مجموعة ثانيه تقذف في جوف المبنى بالمواد الناسفة والحارقة وتندفع خارجة بعد ثوان معدودة ، وفى لمح البصر يكون المبنى كله شعلة من النار .

ويستطرد فؤاد سراج الدين فيقول انهم لم يجدوا امامهم من سبيل الا فرض الاحكام العرفية ، لسرعة اعتقال بعض الشبان المعروف عنهم التهور واجراء التفتيش للبحث عن المواد التى استخدمت .

فكرت الحكومة الوفدية فى الآثار التى يمكن ان تترتب على فرض الاحكام العرفيه وفكروا ايضا فى أمر الاقالة الماثل امامهم .

وكان حافظ عفيفى قد سأل فؤاد سراج الدين فى مكتبه بقصر عابدين وهو ينتظر حيدر عما اذا كانت الحكومة الوفدية قد قررت قطع العلاقات

السياسية مع بريطانيا ، لان السفير البريطانى ابلغه بوجود معلومات تشير الى ذلك ، وان هذا يعتبر بمثابة اعلان حرب بين الدولتين ، يمكن أن تدخل القوات البريطانية بعدم القاهرة .

وعندما قال سراج الدين انهم لو حضروا الى القاهرة لانقض عليهم الشعب .. ولكن حافظ عفيفى قال ان الامر خطير لانهم عندئذ قد يأخذون الملك أسير حرب وبهذه الطريقة يفرضون شروطهم على مصر .

ويقول فؤاد سراج الدين انه ايقن بعد هذه المحادثه ان عمر الحكومة الوفدية قد انتهى ، لانه طالما وصل الحديث الى احتمال أسر الملك فان الامر لابد ان يؤدى للاطاحة بالحكومة الوفدية .

وقد جاء فى مذكرات ايدن بعد ذلك انهم فكروا فعلا فى دخول القاهرة عندما ازعج الكفاح المسلح قوات الاحتلال ، ولكن القائد البريطانى ابلغه ان قواته لا تستطيع ان تؤدى هذه المهمة .

كانت الاقالة ماثله امام الوزارة الوفدية وهى تناقش ليلة ٢٦ يناير موضوع فرض الاحكام العرفية ، وكانوا يدركون ايضا ان هذه الاحكام ربما تجعلهم أول من يكتوى بنارها .. ومع ذلك « لم يكن امامنا مفر — صيانة للامة واحتياطا للمستقبل — من فرض الاحكام العرفية » على حد تعبير فؤاد سراج الدين .

التبرير غير مقنع . ومفاجاة الحريق جعلت الوفد يجنح الى طبيعة غير طبيعته ، لان قبضته على السلطة ضعفت ، واقتناع الناس بقوته قد تأثر من الاحداث ومن الحريق .

عين النحاس باشا حاكما عسكريا فى نفس الليلة ، واوقفت الدراسة فى الجامعة والمعاهد والمدارس الى اجل غير مسمى ، بدأت حملة اعتقالات شملت بعض الثوريين ، واغلق مبنى الحزب الاشتراكى ، وصدر قرار بمنع التجول فى مدينة القاهرة والجيزة من السادسة مساء الى السادسة صباحا وعين عبدالفتاح حسن رقيبا عاما على الصحف . وعين المحافظون والمديرون حكاما عسكريين فى مناطقهم وصدر امر عسكرى بمنع التجمهر واعتبار كل تجمع مؤلف من خمسة اشخاص أو أكثر مهددا للسلم والنظام العام ويعاقب من يشترك فيه بالحبس سنتين أو بالسجن خمس سنوات ان كان حاملا سلاحا .

ولكن هذه الاجراءات العنيفة ، ولبس ثياب الحاكم العسكرى لم تنقذ حكومة الوفد من مصيرها المحتوم فقد أصدر الملك امرا باقالتها بعد أقل من ٢٤ ساعة فى مساء يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ .

وتحديد مرتكبي جريمة حريق القاهـرة ، يأتي من تحـديد الذين استفادوا من هذه الجريمه .

كانت قوات الاحتلال البريطاني تعاني معاناة شديدة من الكفاح المسلح حتي كاد الامر يصل بهم الى حافة اليأس ، وجاء حريق القاهرة بالاحكـام العرفية التي قضت على الحركة الثورية الصاعدة ، ومنعت نشاط الفدائيين واخمدت الجذوة المشتعلة فى نفوس الشعب .

ويقول كمال رفعت فى كتابه (حرب التحرير الوطنى) ان المخابرات البريطانية اعدت معسكرا فى (كسفريت) كان معزولا تماما عن العـالم الخارجى ، وكان يضم مجموعة من عتاة المجرمين والمغامرين عملاء المخابرات والتجسس ، ويشير الى انهم كانوا العناصر المدربة التى اعتمـد عليهـا البريطانيون فى تدبير الحريق ، كما حدث بعد ذلك فى حريق طهران الذى صاحب أسقاط حكومة مصدق عام ١٩٥٣ .

وكانت قبضة الملك على السلطة قد ضعفت ، واهينت كرامته وهتف بسقوطه فى المظاهرات ، واتخذت الحكومة الوفدية قرارات واجراءات دستورية لم يفلح فى مقاومتها الا بالتآمر والتنسيق مع الاستعمار عن طريق تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان ، والذى قالت جريدة التايمز يوم تعيينه « انه أول شعاع ضوء يبدد ظلام الجو الشامل فى مصر » .

ولذا فان اقامة مأدبة غداء تضـم ٦٠٠ ضابط من قيـادات الجيش والبوليس فى اليوم والموعد المحدد لبدء الحريق ، وابقاء الملـك لهم شبـه محتجزين فى السراى امام موائد الطعام الى ما بعد الثالثة مساء ، وبعـد أن كانت الحرائق قد التهمت معظم شوارع وسط القاهرة ، وهو أمر لا يمكـن ان يرتفع فوق الشبهات ، وخاصة انه نفذ في اليوم التالى مباشرة لاكبـر الاعمال استفزازا لشعور المصريين وهو معركة الاسماعيلية يوم ٢٥ ينـاير ، مما يدل على وجود تنسيق مشترك محكم .

وكان إختيار اليوم مدروسا فى الخطة الملكية الانجليزية المشـتركة بعناية فائقة ، فانه كان مفروضا فى هذا اليوم ان تفى الحكومة الوفـدية بوعدها فى قطع العلاقات نهائيا مع انجلترا ، وعقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفييتى .. كما ان الاخبار اليوم نشرت لمراسلها البريطانى (ايار) صباح يوم الحريق برقية بأن لندن تتوقع اشتراك الجيش المصرى في معركة القتال وذلك بعد البرقيات التى ارسلها بعض ضباط الجيش يطلبون فيها المساهمة فى الكفاح المسلح .. كما ان يوم ٢٦ يناير كان اليوم السابق لعقد أول مؤتمر

لاتحاد عام نقابات العمال المصريين بتصريح من الحكومة الوفدية ٠

وقد اسهم البوليس السياسى فى تنفيذ المؤامرة بدوره المرسوم عن طريق غياب بعض قيادته أو اتخاذهم من المظاهرات موقفا سلبيا ، أو ادعائهم بأن الوزير قد أمر بعدم التعرض لها .. وهم الذين سبق أن ناقشوا سرا طريقه التخلص من الحكومة الوفدية حسب رواية اللواء صادق حلاوة ٠

هكذا تمت فصول الخطة الملكية الانجليزية المشتركة ٠٠ واحترقت القاهرة ، وانتكست الحركة الثوريه التحررية للشعب المصرى ٠٠ ودخلت الحياة السياسية في مصر مرحلة جديدة ٠

الباب الثالث
الجيش فى السلطة

الفصل السابع حركة ٢٣ يوليو

(انى لؤكد للشـــعب المصرى ان الجيش اليوم كله اصبح يعمل لصالح الوطن في ظـــــل الدستور مجردا من آية غاية)

محمد نجيب فى البيان الاول للثورة

الفصل الثامن الواقع الاجتماعى والطبقى للضباط الاحرار

(لم يكن بين قادة الجيش ضابط واحد مـــن اسرة اقطاعيـــة كبيرة ٠٠٠ ولـم يكـــن بين الضباط الاحرار أى باشا أو بك)

حقيقة تاريخية

الفصل التاسع سقوط الملـك

(انتم سبقتونى فى اللى عملتوه ٠٠ اللى عملتوه دلوقتى كنت أنا راح اعمله)

الملك فاروق لمحمد نجيب
وهو يودعه فى رحلته الاخيرة من مصر
بعد عزله يـــوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢

الفصل العاشر الضباط فى السلطة ٠٠٠ لاول مرة

(ليس من الدقة القـــــول بأن الجيش يملأ الفراغ ٠٠٠ ومن الافضل القول بأنه يفتـــح طريقا محجوزا بالقوة)

روستـــو

حـركة ٢٣ يوليـو

(انى أؤكد للشعب المصرى ان الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور مجردا من اية غاية)

محمد نجيب
من البيان الاول للثورة

احترقت القاهرة ، واقيلت حكومة الوفد ، وبقيت الاحكام العرفية التى اعلنتها .

وكان لحريق القاهرة اثر شديد على الضباط الاحرار .. البعض جمحت به حماسته الى حد المطالبة بضرورة الحركة الفورية مثل عبد اللطيف البغدادى الذى كان يتبنى دائما الرأى المطالب بالاندفاع لاعمال تنفيذية سريعة ، والذى وجد فى الحريق ما يثبت وجهة نظره من ان البلد كانت معرضة للدمار والفوضى وان نزول الجيش كان كفيلا باعطاء الضباط الاحرار فرصة فريدة لتغيير شامل فى بساطة شديدة .. وفى غمرة الدفاع عن موقفه قال عبد اللطيف البغدادى انه جاهز فى منزله عندما يقررون الحركة فقد سئم تكرار الاجتماعات والحديث .

ويقول عبد اللطيف بغدادى ان عدم تكامل تنظيم الضباط الاحرار كان هو السبب فى عجزهم عن الحركة فور الحريق .

والبعض دفعه الحادث الجسيم الى التفكير فى الهدف الحقيقى لهذا

التجمع من الضباط ·· حتى هذه اللحظه لم يكن التنظيم قد اخذ شكلا هرميا متعدد المسئوليات منضبط السرية ، ولم تكن له لائحة أو برنامج · كما أن بعض المجموعات لم تكن تواظب على دفع الاشتراكات ، ولم يكن نظام الخلايا قد استقر على أسس ثابتة وخاصه في سلاح الطيران ·

واذن أصبح من الواجبات الملحة ان يستقر التنظيم على اساس برنامج ولائحة ·· اللائحة لم يتسع الوقت لكتابتها ·· والبرنامج كتبه أحمد فؤاد وخالد محيى الدين وتمثل فى الاهداف الستة للثورة (القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين ـ القضاء على الاقطاع ـ القضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال على الحكم ـ اقامة عدالة اجتماعية ـ اقامة جيش وطنى قوى ـ اقامة حياة ديمقراطية سليمة) ·

كان الضباط الاحرار يعتمدون على منشوراتهم التى لم تتوقف والتى تبادل مسئولية طبعها وتوزيعها عدد منهم عبد الرحمن عنان وحمدى عبيد وزير الادارة المحلية فيما بعد ، وخالد محيى الدين .. واخيرا استقرت بعد حريق القاهرة لتكون من مسئوليه (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى)·

وفى هذا تفسير للافكار والآراء التى حفلت بها المنشورات والتى كانت تعكس اتجاها اكثر تقدمية ـ الاتجاه الحقيقى لمجموعة الضباط الاحرار ·

ظهر بعد حريق القاهرة منشور يقول :
ايها الضباط ··

« ان الخونة المصريين يعتمدون عليكم وعلى جيشكم لتنفيذ أهدافهم وهم يظنونكم اداة طيعة فى ايديهم للبطش بالشعب وارغامه على قبول ما يكره ·· فليفهم هؤلاء الخونة ان مهمة الجيش هى الحصول على استقلال البلاد وصيانته ·· وان وجود الجيش فى شوارع القاهرة انما هو لاحباط قوارات الخونة التى تهدف الى التدمير والتخريب ·· ولكننا لانقبل ضرب الشعب ·· ولن نطلق رصاصة واحدة على مظاهرة شعبية ·· ولن نقبض على الوطنيين المخلصين ·· يجب ان يفهم الجميع اننا مع الشعب الآن ، ومع الشعب دائما ولن نستجيب الا لنداء الوطن » ·

وفى منشور آخر صدر فى فترة وزارة أحمد نجيب الهلالى الاولى كتب ما يأتى :

« توالت مؤامرات الاستعمار الانجلو امريكى فى الفترة الاخيرة فى مصر لمحاولة القضاء على الحركة الوطنية ولصرف أنظار الشعب عن الكفاح المسلح ضد الاستعمار فى القنال الى مشاكل داخلية فى القاهرة فبعد أن

أعلنت حكومة الوفد قطع المفاوضات والغاء المعاهــــدة ورفض حلف الشرق الاوسط الرباعى الاستعمارى وتكوين الكتائب الوطنية ، واشتدت جـــذوة الوطنية فى البلاد حتى كادت ان تصل مصر الى حقوقها الكاملة ، دبر الاستعمار واذنابه انقلاب ٢٦ يناير الماضى وجاءت حكومة على ماهر وبدأت المفاوضات من جديد ، وكان الاستعمار والخونة المصريون يأملون كثيرا من على ماهر التسليم تسليما كاملا بمطالبهم بقبول واستعمال الاحكام العرفية للتنكيل تنكيلا واسعا بالشعب ، ولكن خاب رجاؤهم ولم يجبهم على ماهر الى مطالبهم ، فكان لابد من انقلاب جديد لتحقيق الاهداف الاستعمارية السابقة ، وتحويل الحركة الى الداخل ، والقيام بحركة تطهير واسعة بالبلاد بحجة تقوية الصفوف قبـــل مجابهة الاستعمار ٠٠ وهكذا وصل الهلالى الى الحكم بعد تدبير سابق ٠٠ وقد جاء الهلالى واعلن برنامج الوزارة بصراحة ، وان مهمتها الرئيسية هى التطهير وقد تناسى ان الفساد الاكبر مصدره الاستعمار وانه لايمكن القضاء على الفساد الداخلى الا اذا قضى على اسبابه ومصدره ٠٠ أن من أهداف الضباط الاحرار الكفاح ضد الفساد وضد الرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ ٠٠ ولكـــن يجب ألا تتجه الى ذلك الا بعد القضاء على الاستعمار » ٠

ابرزت المنشورات السابقة اتجاهات وطنية تقدمية تتعارض تماما مع التخطيط الامريكى للسياســـــة المصرية ٠٠ بل وربطت بين الاستعمارين البريطانى والامريكى فى محاولتهما القضاء على الحركة الوطنية وصرف انظار الشعب عن الكفاح المسلح ٠

وخلال هذه الفترة تبين ان حريق القاهرة لم يحرق الوفد وحده وانما احرق معه قواعد النظام الذى فقد قدرته على الاستقرار ٠

كان نجيب الهلالى ينفرد بالحكم وحده بعد ان عطل الدستور ومنـــع الصحف من النشر عن الانتخابات ، وحاصر البرلمان بقوات البوليس بعـــد قرار حل مجلس النواب خشية اجتماعه عنوة ، وصـــادر مجـــلات الملايين (التنظيمات الشيوعية) والكاتب (انصار السلام) واللواء الجديدة (الحزب الوطنى الجديد) واعتقل قادة هذه التنظيمات كما اعتقل فؤاد سراج الدين سكرتير الوفـــد ٠

أما الاخوان المسلمون فقد عادوا للنشاط مرة اخرى ٠٠ أيدوا على ماهر عندما تولى الوزارة ، وايدوا من بعده نجيب الهلالى لان وزارته « من رجال غير حزبيين عرفوا بسلامة القصد وبعد النظر واتصفوا بالجرأة والاقدام » كمـــا

نشرت مجلة (الدعوة) .. وقابل الهلالى الهضيبى ولم يعتقل واحــد من الاخوان المسلمين .

ولكن الافكار التى حوتها هذه المنشورات لم ترسب فى اعماق الضباط ولم يحتشدوا حولها ، ذلك انه لم تكن هناك جهود مبذولة لتثقيف الضباط ومناقشة المنشورات معهم والايحاء لهم بقراءة كتب معينة .. ولم يكن ذلك الامر ملحا لان احدا لم يكن يتصور ان الظروف سوف تدفع الضباط الاحرار الى حركة مفاجئة .

قال لى صلاح سالم انه لم يقرأ منشور الاهداف الستة ولم يناقش هذا الموضوع أو يتعرف عليه الا بعد نجاح الثورة ..

وقال جمال عبد الناصر للصحفى البريطانى دافيد مورجان فى حديث نشر بصحيفة الصانداى تايمز البريطانية فى يونيو ١٩٦٢ انه كان فى نيته القيام بالثورة فى عام ١٩٥٥ ، مما يوحى بأن الفرصة كانت ممتدة لمحاولة توحيد الضباط حول القضايا الفكرية الرئيسية ، واثارة اهتمامهم لتعميق مفهوماتهم السياسية والثقافية .

وخلال فترة ما بعد الحريق كان محمد رياض احد الضباط الاحــرار وقائد الحرس الخاص لمحمد نجيب فيما بعد قد اعتقل بتهمة الاشتراك فى حريق القاهرة ، وكان على صله شبه تنظيمية بأحمد حسين رئيس الحــزب الاشتراكى .. وصدر قرار بوضعه فى السجن اثناء التحقيق ، ولكن محمــد نجيب الذى كان يعرفه منذ حرب فلسطين توجه محتجا الى مكتب محمــد حيدر وزير الحربية ، ولم يخرج من عنده الا بعد ان نقل محمــد رياض الى الحجز فى ميس الضباط ، كما تقضى بذلك قوانين الجيش .

وكان لتوالى ظهور منشورات (الضباط الاحرار) وارتفاع اصواتهم الهامسة اثر على تحركات الملك ، وليس على تصرفاته .. وضاعف الحراسة على نفسه ، وكان خلال سهراته ومباذله سواء فى نادى السيارات أو ملاهى الليل يحيط نفسه بضباط من الحرس فى ملابس مدنيــة يمضون الليــل ساهرين ثم يحصلون على اجازة لمدة يومين ، وكان يقوم بهذه المهمة عدد من الضباط لمعت اسماؤهم فيما بعد (سعد متولى كبير الياوران بعد الثــورة ، ومحمد صادق وزير الحربية بعد ١٥ مايو ١٩٧١ ، وسعد الشاذلى رئيس اركان حرس الجيش ، وحسين عرفة قائد المباحث الجنائية التابعة للشرطة العســكرية) .

وكانت النقمة على الملك قد بلغت ذروتها واصبح التركيز عــلى نفســه قاسما مشتركا فى أحاديث الضباط .. وتسلط بذلك الضوء على محمــد

نجيب اساسا باعتباره اكثر الضباط شهرة وشعبية منذ حرب فلسطين .

زاره يوما اللواء احمد فؤاد صادق في مكتبه وروى له همسا انه كان في منزل الدكتور يوسف رشاد واذا به بعد اتصال تليفوني يعود له قائلا بانه (سوف يقبض على اللواء محمد نجيب لاتهامه بتزعم حركة ثورية داخل الجيش) ولما انفى له اللواء احمد فؤاد صادق احتمال ذلك — على حسب روايته ، قال له يوسف رشاد (ان المسألة خطيرة لانها تتعلق بحياة ملك)(١)

وادت هذه المعلومات الى اتخاذ الضباط الاحرار جانب الحيطة ، وخاصة بعد ان كانوا قد شكلوا لجانا قيادية للقاهرة ومنطقة العريش حيث تتجمع القوى الرئيسية للجيش .. شكلت لجنة القاهرة من جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين وحسين الشافعي وزكريا محيى الدين ومجدى حسنين وامين شاكر .. وشكلت لجنة العريش من يوسف صديق وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وجمال سالم (٢) .

وتصرف رشاد مهنا في هذه الفترة تصرفا اثار استياء زملائه ، وهو طلبه مغادرة القاهرة والانتقال الى العريش دون استشارة احد .. مما أدى الى توجه محمد نجيب الى مكتب حيدر محتجا على نقله باعتباره سكرتيرا منتخبا لمجلس ادارة نادى الضباط ولكنه فوجىء بأن النقل قد تم بناء على رغبته .. وذهب نجيب الى رشاد في منزله وسمعه يبرر طلبه للنقل برغبته في الابتعاد عن القاهرة في الوقت الذى يلاحقهم فيه غضب الملك .

وكان رشاد مهنا قد التقى باللواء حسين سرى عامر مدير الحدود بعد محاولة اغتياله وتمت بينهما مصالحة شخصية .

وعندما وصل رشاد مهنا الى العريش كانت التعليمات عند البكباشي يوسف صديق مسئول المنطقة هي معاملته باحترام مع ابعاده عن التنظيم وعدم ربطه بحركته .

وخلال هذه الفترة ايضا قررت اللجنة القيادية للضباط الاحرار فصل (عبد المنعم عبد الرؤوف) من عضويتها لالتزامه وارتباطه بتنظيم الاخوان المسلمين ومحاولاته المتعددة مع عدد كبير من زملائه لنقل ولائهم لتنظيم الاخوان بدلا من تنظيم الضباط الاحرار .. في وقت كانت فيه موجة المد

---

(١) كلمتى للتاريخ .
(٢) رواية خالد محيى الدين .

السياسى للاخوان قد انحسرت ، وانكشفت اتجاهاتهم المتهادنة مع الاستعمار والسراى .

ومع ذلك لم تتوقف اتصالات الضباط الاحرار بالقوى والتنظيمات السياسية المصرية من اليسار (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى) والى اليمين (الاخوان المسلمون) .. وكان ابرز العناصر نشاطا ودابا على هذه الاتصالات (جمال عبد الناصر) الذى كان قد اعيد انتخابه رئيسا للجمعية التاسيسية للضباط الاحرار بناء على طلبه ، عقب محاولته اغتيال حسين سرى عامر والنقد الذى وجه له من زملائه أعضاء اللجنة التأسيسية وخاصة عبد اللطيف البغدادى ، لعدم قيام الجيش بحركة فورية بعد حريق القاهرة .. وحصل جمال عبد الناصر على كل اصوات زملائه عدا صوته هو فقد اعطاه لحسن ابراهيم - كما ذكر لى عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم - وكان ذلك تعبيرا منه عن الرغبة فى ترك موقعه ، واصرار زملائه على بقائه وكان اختياره لحسن ابراهيم لانه اشترك معه فى محاولة اغتيال حسين سرى عامر .

اتصـــالات خارجية

ولم يقتصر اتصال الضباط الاحرار بالقوى والتنظيمات السياسية المصرية فقط ، ولكنه امتد ليشمل ايضا مندوبى وزارة الخارجية والمخابرات المركزية الامريكية الذين استثارتهم منشورات الضباط الاحرار ، وانتصارهم فى انتخابات نادى الضباط ، فبذلوا غاية جهدهم للتعرف عليهم ، واكتشاف آرائهم ومحاولة اجتذابهم .

وكانت حلقة الاتصال مع ضابط فى المخابرات المصرية طبيعة عمله تسمح له بالاتصال بالملحقين العسكريين الاجانب ، بينما هو مرتبط بالضباط الاحرار وبجمال عبد الناصر شخصيا .

ولم تتسع حلقة الاتصال بين المسئولين الامريكيين وبين الضباط الاحرار رغم اعتمادهم على الصحفى المقرب منهم محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة فى ذلك الوقت ورئيس تحرير الاهرام فيما بعد ، لانه لم يكن قد تعرف بجمال عبدالناصر أو غيره من قادة تشكيل الضباط الاحرار حتى ذلك الوقت أو اكتسب ثقتهم .

وكان حريق القاهرة حافزا لنشاط الامريكيين فى المنطقة فقد ارسل دين اتشيسون وزير الخارجية مندوبا عنه استعاره من وكالة المخابرات المركزية هو كيرميت روزفلت لدراسة الاحوال فى مصر .

وكيرميت روزفلت هو حفيد الرئيس الامريكي الاسبق تيودور روزفلت الذى زار مصر اثناء ولايته رئاسة الجمهورية (من عام ١٩١٦ الى ١٩١٩ واثار الشعور العام ضده عندما خطب فى الجامعة المصرية ممتدحا الاستعمار البريطانى لانما المصريين على تنكرهم لفضائله ومزاياه ، وارسل له محمد فريد زعيم الحزب الوطنى برقية احتجاج ، وخرجت المظاهرات التى شهدتها القاهرة لاول مــرة بعد اخماد الثورة العرابية ، تهتف بسقوطه وحياة الاستقلال .

بعد ان ظهرت اسرائيل ، وتمت هــزيمة الجيش المصرى فى حــرب فلسطين ، وتسربه النفوذ الامريكي للمنطقة ، لم تقف الولايات المتحدة موقفــا محايدا من نضال الشعب المصرى ضد الاســتعمار البريطانى ، فقد اعلــن دين اتشيسون وزير الخارجية الامريكية عندما الغى مصطفى النحاس معاهــدة ١٩٣٦ « ان مصر لم تعط الالتزامات الدولية احترامها اللائق » ووجه اللوم لالغاء المعاهدة .

ونشرت مجلة التايم فى اكتوبر ١٩٥١ مقالا جاء فيه « ان الموقف فى مصر اشبه ما يكون بالموقف فى اليونان سنة ١٩٤٧ ، حين اضطرت انجلترا نظرا لضعفها الى سحب قواتها من اليونان ، فحلت امريكا محلها ، واستأنفت القيام بدورها حتى لاتترك فراغا يتسرب منه النفوذ السوفييتى ..و امريكا اعــدت عدتها للموقف منذ زمن بعيد حتى لا تفاجأ كما فوجئت فى ايران ووضــعت مشروع الشرق الاوسط » .

وبدأ الصراع الخفى بين بريطانيا وامريكا .. ونجحت المخــابرات المركزية فى تدبير انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا ، وهو اول محاولة لنقل اسلوب الحكم المفضل لدى الامبريالية الامريكية والذى مارسته لزمن طــويل فى امريكا اللاتينية .. وهو حكم العسكريين الذين يقمعون الثورات والقلاقل الداخلية ، ويعملون مباشرة لحساب الشركات والاحتكارات الامريكية .

وابتدا الصراع الانجلو امريكى بانقلاب دبرته بريطانيا ، هو انقــلاب اللواء سامى الحناوى ، وردت عليه الولايات المتحدة بانقلاب ثالث بقيادة اللواء اديب الشيشكلى .

وركزت الولايات المتحدة اهتمامها بعد ذلك على مصر ، فعينت جيفرسون كافرى سفيرا لها بالقاهرة ، وهو من اشهر مدبرى الانقــلابات فى وزارة الخارجية الامريكية ، ويضم سجله سلسلة طويلة منها تقارب الثــلاثين فى امريكا الجنوبية والوسطى (كما ذكر محمد عودة فى كتابه « ميلاد ثورة »).

وكان كافرى اول سفير أمريكي في فرنسا بعد التحرير ·· في فترة ازيح فيها ديجول عن الحكم وطرد الشيوعيون من الائتلاف الوزارى ، وجذب الاشتراكيون للولايات المتحدة ، واصبحت فرنسا قاعدة لمشروع مارشال ثم لحلف الاطلنطى ·

ولكن كافرى جوبه في مصر بحركة شعبية متصاعدة ، اضعفت من فرص القدرة على احداث انقلاب مشابه لما حدث في سوريا ، وقد اسرع هو وسفراء انجلترا وفرنسا وتركيا لتقديم مذكرتهم المشتركة الى محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرى التى تدعو الى اقامة دفاع مشترك فور الغاء المعاهدة ·· وهى المذكرة التى اعلن مجلس الوزراء المصرى رفضها امام البرلمان ··

ولذا كان حريق القاهرة فرصة مواتيه انعشت آمال الامبريالية الامريكية في التسرب الى مصر ، ووضع قبضتها على مركز الحركة السياسية فيها ·· أعلن دين اتشيسون وزير الخارجية الامريكى ، في ٣١ يناير قوله « ان قيادة الشرق الاوسط ليست اقتراحا يمكن قبوله أو رفضه وحكومته مازالت تقر بريطانيا على عدم اعترافها بالغاء مصر لمعاهدة ١٩٣٦ » · ويقول تشرشل وترومان في بلاغ مشترك : « ان افضل وسيلة لازالة التوتر الراهن في مصر هى قبول قيادة الشرق الاوسط » ·

ولم يكن رجل المخابرات المركزية كيرميت روزفلت مندوب وزارة الخارجية الامريكية ورئيس بعثتها الى مصر بعد حريق القاهرة ، غريبا على المجتمع المصرى ، فقد عمل في مصر خلال الحرب ، وتوطدت صلته بالملك فاروق ، ووقف الى جانبه خلال أزمة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، واعد له مقابلة مع الرئيس فرانكلين روزفلت خلال زيارته لمصر عام ١٩٤٥ ·

ولم يبدأ كيرمت روزفلت مهمته الجديدة من فراغ ·· فأن السياسة الامريكية كانت لها نقط ارتكاز اقامتها خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ·· كانت الوزارة الوفدية قد وافقت على مشروع (النقطة الرابعة) الامريكى الذى يتيح للولايات المتحدة التغلغل باسم المعونات الاقتصادية والخبرة الفنية لها ، وتعرضت بسببه الى هجمات عنيفة ظهرت في الصحف خلال عام ١٩٥١ ، ووصلت الى حد مهاجمة الطليعة الوفدية له في بيان نشرته (الاشتراكية) يوم ٢٢ يونيو ١٩٥١ تتهم فيه أمريكا بأنها سند الاستعمار البريطانى في مصر ·

وكان جيفرسون كافرى نشيطا في مقابلاته وعلاقاته ·· فقد نشرت الصحف — مجلة الجمهور المصرى عدد ٢٢ يناير ١٩٥١ — أن هناك مشروعا

لانشاء مكتب أمريكى انجليزى مصرى لمقاومة الشيوعية ، ردا على المظاهرات المعادية التى تهتف بسقوط الاستعمار الانجلو أمريكى ، وان مكتب الصحافة الامريكى يعمل على كسب بعض كبار الصحفيين ويطالب بمبالغ كبيرة لزيادة نشـــاطه .

وكان مصطفى أمين صاحب دار اخبار اليوم قد اصدر كتابا باســـم (أمريكا الضاحكة) فيه دعاية للمجتمع الامريكى ، يمكن مقارنته بكتــاب (الانجليز فى بلادهم) الذى اصدره حافظ عفيفى .

وكانت السفارة الامريكية قد نشطت فى الاتصال بعــــدد كبـــير من السياسيين المصريين فى محاولة لاجتذابهم الى صفها .. كان حافظ رمضـان لايخفى صلته بالامريكيين ؛ ويقول فتحى رضوان ان حافظ رمضان كان يتصل بمستر ايرلاند مستشار السفارة الامريكية ، بأمل الضغط على البريطانيين كما صرح عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية بقوله « اننا على استعداد للتآلف مع أمريكا » .

ويقول مصطفى مرعى ان الامريكيين قد اتصلوا به ثلاث مرات للتعاون معهم على أسس رفضها ، قال لهم أنه ضد الملك وليس ضد النظام .. وأنه مع الديموقراطية وضد الحكم الفردى .. ورفض اقتراحا خاصا بتطبيـــق قانون الاصلاح الزراعى ، وابلغهم انه يفضل تطوير قانون عضو الشـــيوخ محمد خطاب بحيث يضطر كل من يملك اكثر من ٣٠٠ فدان الى بيعها .

ويدل اتصال الامريكيين بمصطفى مرعى على انهم كانوا يمهدون لنوع جديد من الحكم كان يرفضه لتنافره مع الديموقراطية ، ولتشجيعه للاصلاح الزراعى بطرق غير دستورية .. وهذا يفسر سياستهم التمهيدية لقبـــول انقلاب يتفادى اخطار الانتفاضات الشعبية بتحقيق بعض انجازات اجتماعية شكلية مع تثبيت قبضة السلطة الخاضعة للامبريالية الامريكية ، المهــــددة للديموقراطية الشعبية .

وكان أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعية فى وزارة الوفد والذى استقال منها فى صيف ١٩٥١ هو احد أصفياء السياسة الامريكية .. يدعو لسياسة اصلاح اجتماعى تتفادى خطر الثورة .. وقد اقترح على (على ماهر) ان يطلب الى الملك ـــ مكافحة للشيوعية وتصفية للسخط الشعبى ـــ اعـــلان تنازله عن املاكه أو عن نصفها للشعب مثلما فعل شاه ايران فيما بعـــد اثناء معركة البترول كمقدمة لضرب الحركة الشعبية هناك .. كما انه اعتذر عن عدم الاشتراك فى وزارة على ماهر عندما عارض فى رفع شعار (التطهير قبل التحرير) .

كان أحمد حسين يؤدى دورا نشطا بين الساسة المستغلين بدعوى محاربة الفساد ، وقد اتصل بعد خروجه من الوزارة الوفدية بنجيب الهلالى واتفقا على أسس التخطيط والعمل بعد التخلص من الوفد .

كان أحمد حسين يهدف مع المبعوثين الامريكيين الذين تركزوا فى القاهرة الى تنظيف ثوب الحكم الملوث ، ورتق ثقوب النظام المتفسخ عن طريق فصل بعض رجال الحاشية ، وتشكيل وزارة لايتدخل الملك فى اختيار أعضائها ، على أن يصدر الانجليز اعلانا بالجلاء من طرف واحد ، ثم يجرى تطهير الاحزاب بعد ذلك .

وكانت هذه هى المحاولة الاخيرة لمساندة النظام ، ووقع الإختيار على نجيب الهلالى الوفدى السابق ، ذى المواقف السابقة الشجاعة فى مواجهة الملك ، المشهور بنزاهته وصراحته .. ولكنه امام تكليفه بتشكيل الوزارة تغاضى عن المبادىء المتفق عليها ، وقبل وزراء الملك « مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال » ولم يتعرض لرجال الحاشية بسوء .. واكتفى بالحديث عن (التطهير قبل التحرير) مما دفع أحمد حسين الى الاعتذار عن عدم الاشتراك فى وزارة كان هو شخصيا احد المخططين لتكوينها ، واحد وسائل الاتصال بين رئيسها وبين الامريكيين خلال عام ١٩٥١ .

ولم تنجح وزارة نجيب الهلالى فى تنفيذ المخطط الامريكى .. لان الملك ظل سادرا فى عبثه ، مطمئنا الى سطوته بعد اقالة الحكومة الوفدية ، معتمدا على حسن صلاته بالانجليز والامريكيين معا .

ولكن كيرميت روزفلت كان قد كون من دراسته لمصر رأيا آخر .. وجد ان الملك أعجز من ان يؤدى دورا ايجابيا فى اصلاح النظام .. لم يكن الملك من ذلك النوع من الرجال الذين كان روزفلت يبحث عنهم فقد كان الملك فاقدا القدرة على تركيز افكاره ، وكم من جلسة ابدى فيها تفهما عميقا لما يدور فى مملكته ، ووافق على اتخاذ بعض الاجراءات الاساسية فى خطة روزفلت ، ولكنه فى اليوم التالى يختفى عن الانظار مفضلا ممارسة هوايته فى العربدة والجنس وضاربا عرض الحائط بكل ما اتفق عليه فى اليوم السابق ، ولا يحرج فى الاسبوع التالى من اتخاذ اجراء ينسف خطة روزفلت برمتها ، وقد أمضى روزفلت فى القاهرة الشهرين الاولين من سنة ١٩٥٢ مع الملك يلهوان بتنفيذ مخطط (الثورة السلمية) وذلك بأن دفعا رجلى الحكم القويين مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال لخلق ازمة وزارية ، بينما اوعز الملك الى البوليس السرى لجمع الادلة والوثائق ضدهما ليثبت — حين تحين الفرصة — انهما عميلان للمخابرات المركزية الامريكية، ثم قام الملك

بتكليف نجيب الهلالى ذى الشهرة الواسعة والسمعة الجيدة بتولى مهام رئاسة الوزراء ، ولكن الملك لم يستدعه بلباقة كافية ، مما جعل الهلالى يرفض تسلم الوزارة حتى اتصل به روزفلت سرا وامر له بأنه اذا لم يتسلم رئاسة الوزارة ، ويقوم بتطهير جهاز الدولة من المرتشين والفاسدين ، ويكون رائدا للثورة السلمية فأن الثورة لن تبقى سلمية ابدا .

وهكذا يفسر مايلز كوبلند فى كتابه (لعبة الامم) موقع وحركة مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال ... ويلقى الضوء على حقيقة الدور الذى كان مفروضا ان يؤديه نجيب الهلالى ويكشف محاولة التمسك بثورة سلمية تحاشيا لثورة غير سلمية .

ويحاول مايلز كوبلند فى كتابة (لعبة الامم) الايحاء بأن جمال عبد الناصر كان على اتصال بكيرميت روزفلت عندما ذكر « وقد اخبر عبد الناصر كيرميت روزفلت صراحة انه مع ضباطه لن ينسوا ذلك الاذلال الذى لاقوه على أيدى الاسرائيليين عام ١٩٤٨ ، الا ان نقمتهم ستنصب بالدرجة الاولى على كبار ضباط الجيش المصرى ثم بقية حكام العرب والبريطانيين ، واخيرا على الاسرائيليين » .

وكان ذلك فى معرض حديثه عن اهتمام الامريكيين بتوضيح موقف المصريين من قضيتين هامتين أولاهما اسرائيل وثانيتهما القومية العربية .. ويبدو حديث جمال عبد الناصر كأنما وجهه لروزفلت قبل ٢٣ يوليو ، اذ ان كبار ضباط الجيش جميعا عدا قلة محدودة جدا منهم قد عزلوا وأحيلوا الى التقاعد فور نجاح حركة الجيش .

ولكنه لايوجد دليل واحد على ان جمال عبد الناصر قد اتصل شخصيا بكيرميت روزفلت قبل الحركة .. ولو أن اتصالات بعض زملائه بالامريكيين قد جعلته يطلب من خالد محيى الدين عدم استخدام عبارة (الاستعمار الانجلو امريكى) فى منشورات الضباط الاحرار ، والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطانى ، وكان ذلك فى شهر مارس ١٩٥٢ ، وذلك للتأييد الذى لمسه هؤلاء الزملاء من المسئولين الامريكيين فى المنطقة .

والمقطوع به ان الامريكيين قد وجدوا فى النشاط السرى لحركة الضباط الاحرار بعض ما يحقق لهم اهدافهم فى المنطقة ، ولكنهم لم يستطيعوا ابدا ان يكونوا مسيطرين عليه .

وعندما عاد كيرميت روزفلت الى واشنطن فى مايو ١٩٥٢ بعد اقامة امتدت ثلاثة اشهر قدم تقريرا الى وزير الخارجية الامريكية دين اتشيسون حسب رواية مايلز كوبلند فى كتابه (لعبة الامم) تتضمن النقاط الآتية :

١ ــ لم تعد الثورة الشعبية التى كان يسعى اليها كل من الاخـــوان المسلمين والشيوعيين ــ وتخشاها وزارة الخارجية الامريكيـــة ــ واردة فى الحســـبان .

٢ ــ لم يعد هناك اى امل فى ابعاد الجيش عن القيام بانقلاب قـــريب واشائع عن عزمه على استلام السلطة ، برغم كل التحفظات التى كان يبديهـا واضعو مخططاتنا فى واشنطن من ان تكون النتائج مشـــابهة لما جرى فى سوريا على ايدى العسكريين .

٣ ــ ان قادة الانقلاب المحتمل ، يرفعون شعارات قياسية تخالف ما اقترحه كثير من المراقبين الدبلوماسيين وتجعل منهم وهم فى السلطة طرفا لينا ومرنا فى ايه مفاوضات نخوضـــها معهم كما انها تزيد من فرصتهم فى النجاح .

٤ ــ يجب ان توافق الحكومة الامريكية على اقصـــاء الملك فاروق ، وربما النظـــام الملكى نهائيـــا فى مصر ، ولا يمنع هـــذا من اتباع بعض الشكليات للدبلوماسيين بارسال مذكرة احتجاج رقيقة تفســـح المجال امام السفير كافرى لاظهار قلقه المصطنع على سلامة الملك فاروق .

واذا صح ان كيرميت روزفلت قد وصل الى هذه النتائج فان هذا لا يعنى ارتباط تنظيم (الضباط الاحرار) بالمسئولين الامريكيـــين ارتباطا عضويا ، ولا يدل على ان حركتهم تتم بتوافق وتنســـيق مع الاتجـــاهات الامريكية ، وانما يدل على اتساع دائرة معرفتهم ، وخبرتهم السياسية فى دول تتعرض لازمات وطنية وحركة جيوشها فى مواجهة هذه الازمات .

التحضير للانقـلاب :

دليل ذلك ان (الضباط الاحرار) لم تكـــن لهم خطة عمل .. ولم يحددوا تصورا لحركتهم ، ولم يقرروا اسلوب انقضاضهم الى ما قبـــل ٢٣ يوليو بأيام قليلة .

كانت الاتجاهات متضاربة ، والرغبات مشتتة ، والحلول المقترحـــة متعددة .

وظهر ذلك واضحا بعد ان اصدر الملك قرارا بحـــل مجلس الادارة المنتخب لنادى الضباط وتعيين مجلس مؤقت برئاسة اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة وشقيق اللواء محمد نجيب ، وعضوية يوســـف العجرودى ، وجلال صبرى ، ومصطفى كمال عبد الرازق ، ومحمد حسنى وعلى صبرى ضابط مخابرات الطيران ونائب رئيس الجمهورية فيما بعد .

وكان هذا القرار الذى صدر فى ١٧ يوليو صدمه جعلت (الضـــباط الاحرار) يهرعون الى التفكير فى تنفيذ شيء ما ٠٠ دون ان يستبينوا حقيقة هذا الشيء ٠٠ ودون ان يعدوا لكل أمر عدته ٠

وتأرجحت الآراء ٠٠

يقول محمد نجيب انه ظهرت أمام الضباط ثلاثه طرق مفتوحة :
الاول : ارسال برقيات احتجاج من الضباط للملك ٠
الثانى : احتلال النادى بالقوات المسلحة ٠

الثالث : تجميع كبار الضباط واعتقالهم وفرض شروط الضباط عـلى الملـــك ٠

ولم تكن هذه الحلول هى التى فرضت نفسها فقط على تفكير الضباط ٠٠ برزت مرة أخرى فكرة الاغتيالات بطريقة ملحة ٠٠ وساندت مجموعة الطيران فكرة اغتيال قادة الاحزاب ورجال السراى وبعض رجال السياسـة ٠٠ وسرت الفكرة الى مجموعات أخرى تجند للاغتيال ، وتشكلت مجموعـة لذلك فعلا من كمال رفعت وعباس رضوان وزير الداخلية فيما بعد واسماعيل فريد محافظ الدقهلية السابق ومحمد البلتاجى محافظ الجيزة الســـابق وعبد الحليم عبد العال الملحق العسكرى فى واشنطن فيما بعـــد ، كانت تنتظر اوامرها من عبد الحكيم عامر ٠٠ ولكن هذه الاوامر لم تصدر ولم تطلق رصاصة واحدة للاغتيال ٠

وكانت فكرة الاغتيالات تراود الضباط دائما ، فهى أقرب اسلوب يتفق مع منطقهم وطبيعتهم ٠٠ وساعد على ظهورها مرة أخرى فى هذه المرحلـــة ـــ بعد ان ذوت وتراجعت فى فترة الكفاح الشعبى المسلح ضـــد الانجليز فى القناة ، وتجمع الارهابيين فى تنظيم (الحرس الحديدى) التابع للسراى ، وعدم وجود ظروف تؤهل لهم خلق اعداء تتجسم فيهم فـــكرة الاغتيال ـــ ساعد على ظهورها اغتيال ملازم الصـــيانة الفنى (عبد القادر طه) فى مايو ١٩٥٢ الذى كان عضوا فى الحرس الحديدى ثم كفر به وبدأ اتصالاته مع القوى الوطنية واليسارية ٠٠ ونشرت الصحف وقتها اتهاما الى اللـــواء حسين عامر الذى بادر الى اعداد تكذيب له فى جريدة (الاهرام) ولكنه تراجع عن نشره فى آخر لحظة حتى لايكون فى هذا التكذيب توجيه لاتهام السراى فى وقت كان يتطلع فيه الى منصب الوزارة ٠

هكذا كانت فكرة الاغتيالات تطرح نفسها دائما ٠٠

ولكن الظروف كانت تتغير بسرعة شديدة ٠٠ والمناطحـــة اصبحت متوقعة بين السراى والضباط الاحرار فى أية لحظة ٠

السراى فى مركز السلطة وتملك القدرة على اعتقال المشتبه فيهم من الضباط .. والضباط الاحرار يشعرون باقتراب الخطر منهم دون ان يكون عندهم تصور كامل أو خطة معدة لحركتهم .

وكان حسين سرى قد اقترح عند تشكيل وزارته يوم ٢ يوليو ١٩٥٢ بعد استقالة نجيب الهلالى تعيين محمد نجيب وزيرا للحربية ولكن الملك رفض ذلك رفضا باتا .. وغضب ايضا على محمد حيدر الذى لم يجد سبيلا الا حل مجلس ادارة النادى ترضية للملك ونقل محمد نجيب من قيادة سلاح المشاة ليكون قائدا للمنطقة الجنوبية فى منقباد بأسيوط .

وفكر محمد نجيب فى الاستقالة .. بل وكتبها فعلا .. ولكن موقف بعض الزملاء منه دفعه الى التراجع عنها وسحبها قبل وصولها .. فقد قال له يوسف صديق (اذهب الى منقباد وسنعيدك الى القاهرة بالدبابات) واقتنع محمد نجيب ، وقرر أن يواصل المقاومة مع زملائه من موقعه فى اى مكان ..

وفى هذه المرحلة ايضا كانت صيحة المناداة بالحاكم (العاقل المستبد) قد علت وترددت ووصلت الى الذروة .. سواء فى الخارج او الداخل .

نشر الكاتب الامريكى ستيوارت السوب مقالا فى صحيفة (شيكاغوصن تايمز) يقول فيه « اذا كانت بريطانيا قد استطاعت فيما مضى ان تحافظ على سيادتها على مصر بخلق الباشوات وجعلهم اصحاب النفوذ ، وبرشوتهم بعد ذلك ليكونوا أداة تسهيل مصالح بريطانيا الاستعمارية فان هذه الطريقة لم تعد عملية ولا مجدية اليوم ، ان الشعب الفقير قد اخذ يستيقظ ويشعر بالضيق الفاحش اللاحق به » ثم انهى مقاله بقوله « ان الحديث عن انعاش الديموقراطية فى بلد كمصر يعيش فيه اغلبية الشعب عيشة أحط من عيشة الحيوانات ، هو لغو فارغ.، ان مصر لا تحتاج الى ديموقراطية بل تحتاج الى رجل فرد ، الى رجل ككمال اتاتورك ليقوم بالاصلاحات الضرورية اللازمة للبلاد ، لكن مشكلة مصر فى كيفية العثور على الديكتاتور ، فليس بين رجالها من لديه المؤهلات اللازمة للديكتاتور » .

وكتب احسان عبد القدوس مقالا بعنوان (ان مصر فى حاجة الى ديكتاتور .. فهل هو على ماهر ؟) تحمس فيه للدفاع عنه وقال انه معروف عنه انه يعتد برأيه الى حد لا يسمح معه للوزراء بالتفكير ثم قال « ومصر تقبل معه أن يعتد برأيه الى حد ان يصبح ديكتاتورا للشعب لا على الشعب ، ديكتاتورا للحرية لا على الحرية ، ديكتاتورا يدفعها الى الامام ولا يشدها الى الوراء » .

وفى نفس الوقت تقريبا ظهرت عدة مقالات كتبها جوزيف السوب (من نادى الجزيرة بالقاهرة) قال فيها أن فاروق قد فقد أهليته ، وان الوفد حزب لايمكن الاعتماد عليه ، وان الامل الوحيد في الجيش .. وقد اثارت هذه المقالات التى نشرت فى امريكا اهتمام المبعوثين المصريين هناك ، ودفعت الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي ومسئول معهد الدراسات الاشتراكية فيما بعد الى كتابة مقال لمجلة (الكاتب) دون توقيع ، تحدث فيه عن احتمال وقوع انقلاب عسكري .

وكانت صحف دار اخبار اليوم هى المنبر الذى تنطلق منه الدعاية للسياسة الامريكية ، فهى تمدح السراى والملك ، وتهاجم الوفد وتحاول التشهير به ، ثم تنقلب الى غمز السراى عندما تتبلور السياسة الامريكية وتفقد الثقة في قدرة الملك على الاصلاح . وقد اوضح موسى صبرى ذلك فى كتابه ملك واربع وزارات ، اتخذت موقفا معاديا للشيوعية فى وضوح وقو ونادت بالاصلاح ، وكان منطقها فى محاربة الانجليز ، خذ منهم ما تستطيع ثم حارب من جديد ، ولعل صحافة اخبار اليوم كانت تمثل حيرة الشباب فى البحث عن بطل ، وعبرت فى كثير من مقالاتها وتحقيقاتها عن هذا الامل الذى تجمع حوله الناس .

وفى غمرة البحث الامريكى وراء خفايا الحياة السياسية فى مصر ، ومحاولة معرفة (البطل) الذى تحدثت عنه صحف (اخبار اليوم) ، وقف جهاز اكتشافهم الحساس عند ظاهرة ، لم تكن وقتها ذات أثر كبير فى حياة الجماهير اليومية ، ولكنها اظهرت بادرة مثيرة فى اخطر جهاز منظم فى مصر .. وهى انتخابات نادى ضباط الجيش التى دفعت اسم محمد نجيب الى الضوء .

وفى يوم ١٨ يوليو فوجىء محمد نجيب بحضور مدير مكتب محمد هاشم وزير الدولة وزوج بنت حسين سرى بعد الغروب طالبا منه الذهاب معه لمقابلة محمد هاشم وزير الداخلية .

وذهب محمد نجيب الى شقة محمد هاشم فى الزمالك حيث انتظره الى ما بعد منتصف الليل لانه كان في اجتماع مجلس الوزراء ودار بينهما حوار عن اسباب التذمر فى صفوف الجيش ارجع نجيب فيه السبب الى ان البلد تحكم حكما بعيدا عن الديموقراطية غير معبر عن ارادة الشعب .

ويقول نجيب أن محمد هاشم ادار الحديث فجأة ليسأله عما اذا كان تعيينه وزيرا للحربية يعتبر أمرا كافيا لازالة اسباب التذمر وخلق حالة من الرضى بين الضباط .

كان الاقتراح مفاجئا ، ولكن نجيب رفضه مباشرة متعللا بأنه سبق أن عرضت عليه وكالة الوزارة ورفضها وانه يفضل ان يظل فى موقعه بالجيش ويقول نجيب ان رفضه انبعث فى الحقيقة من شعوره بأنهم يقومون بمناورة لابعاده عن الجيش ٠

وخلال الحديث الذى امتد الى الثانية بعد منتصف الليل ابلغه محمد هاشم بطريقة عابرة ان هناك اسماء ١٢ ضابطا عرفت السراى انهم يحركون (الضباط الاحرار) ولكن نجيب ابدى عدم اكتراث بهذه الواقعة مؤكدا له بأن هناك شعورا عاما وجارفا فى صفوف الجيش ضد كثير من تصرفات رجال السراى ٠

ونام محمد نجيب نوما قلقا مضطربا يستعجل الصباح ليبلغ اللجنة القيادية للضباط الاحرار ، وفوجىء قبل خروجه من المنزل بحضور الصاغ السابق جلال ندا المحرر العسكرى لدار اخبار اليوم ، ومحمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة يتحريان منه عما تم فى مقابلته مع محمد هاشم ٠

واندهش محمد نجيب لسرعة معرفتهما بالخبر ، ولكن تبين فيما بعد ان مصطفى امين كان قريبا جدا من محمد هاشم وانه التقى به قبل وبعد مقابلة محمد نجيب له ، وان ارسال ندا وهيكل كان من باب التعرف على وجهة نظر الضباط الاحرار ٠

ولم تقف المفاجاة عند هذا الحد ٠٠ فلم تكد تمضى لحظات حتى وصل جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والتزما الصمت حتى لا يدور الحديث مع نجيب امام الآخرين ٠٠ وهنا طلب هيكل تعريفه بالضابطين ، وكان هذا هو اللقاء الاول بين جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل ٠

انفرد نجيب بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، واسر لهما بتفاصيل المقابلة ، وركز على تلميح محمد هاشم له بمعرفة السراى لاسماء عدد من الضباط ، واحتمال اتخاذ اجراء مضاد لهم فى اية لحظة ٠
وفى هذا اليوم بالتحديد تقرر القيام بحركة عسكرية ٠٠ ولكن الصورة التى تتم بها كانت مازالت مهتزة وغير واضحة ، تتارجح بين الاغتيالات وبين الاعتقالات ٠

واتصل حسن ابراهيم بعبد اللطيف البغدادى يبلغه انباء قرارهم بالتحرك وكان ذلك استجابة لموقفه الذى جعله يبتعد منتظرا بعد حريق القاهرة ٠

واجتمعت اللجنة القيادية للضباط يوم ١٩ يوليو ١٩٥٢ وناقشت الحلول المقترحة فور المقابلة مع نجيب الذى لم يحضر الاجتماع لانه كان اكثر الضباط عرضة للرقابة وتسليط الضوء عليه .

وتراجعت فكرة الاغتيالات بعد وضوح صعوبة تنفيذها بصورة جماعية واحتمال القيام بحملة اعتقالات واسعة بعد تنفيذ الاغتيالات ، الى جانب احتمال تعرضها للفشل وتعرض القائمين بها للخطر .. ووافقت المجموعة كلها على ذلك .

ونبتت فكرة الانقلاب ، واخذت تنمو مع المناقشة ، بدأت بالتفكير فى الاستيلاء على قيادة القوات المسلحة دون الاذاعة أو غيرها .. ثم تطورت حتى اصبحت حركة واسعة وانقلابا عسكريا حقيقيا .

وكلف زكريا محيى الدين بوضع خطة الانقلاب رغم انه لم يكن قد اصبح عضوا فى اللجنة القيادية للضباط الاحرار ، ولكنه كان زميلا لجمال عبد الناصر وكمال الدين حسين فى التدريس بكلية اركان الحرب .

واستمرت اجتماعات قادة الضباط الاحرار بعد ذلك نشطة ومتلاحقة ومتواصلة بصورة ابعدت النوم عن عيونهم يومين كاملين .

وتم اعداد الخطة .
وبقى تحديد الموعد باليوم والساعة .

ليلة ٢٣ يوليو :

كان تحديد موعد الحركة يخضع للظروف المتجددة ، فلم يكن الضباط الاحرار وحدهم هم الذين يملكون تحديده باليوم والساعة .. كانت النية هى القيام بحركة عسكرية عام ١٩٥٥ كما قال جمال عبد الناصر للصحفى البريطانى دافيد دين مورجان مراسل الصانداى تايمز فى شهر يوليو ١٩٦٢ ولكن حريق القاهرة اصبح قوة ضاغطة تدفع للحركة ، واستقر الرأى فى البداية على ان يتم ذلك فى شهر نوفمبر ١٩٥٢ حيث يقضى الدستور بضرورة اجتماع البرلمان فى هذا الشهر ، فاذا حدثت مخالفة دستورية أو تزييف فى الانتخابات فان حركة الجيش عندئذ تكون لحماية الدستور .. ومضت الامور فى هذا السبيل ، حتى اصدر الملك قراره بحل مجلس ادارة نادى الضباط ، وكان هذا فى ذاته مؤشرا له دلالته بأن الصدام حتمى ، وان التأجيل لن يكون فى مصلحة الحركة .. وحددت اللجنة القيادية يوم ٥ اغسطس موعدا للحركة لسببين هما استكمال حضور كتيبة مدافع الماكينة

الاولى لتزيد القوة الضاربة للضباط الاحرار ، وحتى يكون الضباط قد استلموا مرتباتهم . ولكن معلومات محمد نجيب عقب مقابلته لمحمد هاشم ولقائه مع جمال عبدالناصر وعبد الحكيم عامر جعلت التأخير حتى ٥ أغسطس امرا لا مبرر له حذرا من مبادرة الملك بضربة تصيب الحركة بالشلل ..
وساعد على تبكير الموعد ليتم خلال ٤٨ ساعة حديث تلاه ثروت عكاشة عن صهره احمد ابو الفتح رئيس تحرير (المصرى) يبلغه فيه من الاسكندرية بأن انباء تتردد عن اعتقالات لعدد من الضباط ، وتعيين حسين سرى عامر وزيرا للحربية .

تقرر يوم ١٩ يوليو ان تتم الحركة ليلة ٢١ ، ٢٢ يوليو ، وكان الوقت محدودا جدا لوضع الخطة ودراسة كافة الاحتمالات وحشد كل الضباط الاحرار والتأكد من سلامة تقدير الموقف وضمان حركة المناطق الخارجية عدا القاهرة واهمها الاسكندرية والقنال والعريش .

ورغم ضيق الوقت لم يكن هناك من سبيل للتراجع ولم يعد هناك مفر من الاقدام .. واصبحت القضية هى قضية الاتصالات وتحضير الضباط للعمل الانقلابى ، بعد ان صرف النظر عن الاغتيالات وتبين تحت ضغط عامل السرعة ان التنفيذ فى الموعد المحدد (ليلة ٢١ ، ٢٢ يوليو) هو أمر شديد الصعوبة لتعذر تجهيز كافة الترتيبات والانتهاء من كل الاتصالات ، وتقرر تأجيل الموعد يوما واحدا لتكون الحركة (٢٢ ، ٢٣ يوليو ١٩٥٢) .. وقد اثر هذا التاجيل فى نفسية بعض الضباط الذين كانوا قد تهيأوا تماما للعمل وابلغوا قياداتهم بأنه اذا حدث تأخير جديد ، فسيتصرفون منفردين .

قرأ زكريا محيى الدين الخطة فى الاجتماع الاخير الذى عقد يوم ٢٢ يوليو بمنزل خالد محيى الدين ، ويبدى عبد اللطيف بغدادى ملاحظة شكلية اذ يقول ان جمال عبد الناصر قد انتحى به جانبا هو وحسن ابراهيم حيث قال لهما انه كان مفروضا ان يقرأ الخطة ، وان المسألة ليست مسألة (أقدمية) باعتبار زكريا محيى الدين أقدم منه رتبة .. بينما كان جمال عبد الناصر هو رئيس الضباط الاحرار انتخابا ولم يكن ذلك محل خلاف .

ورغم التأجيل يوما فان سرعة اعداد الخطة والتحديد المفاجىء للموعد احدث عدة مفارقات .. أنور السادات غادر رفح يوم ٢٢ يوليو ولم يتصور ان الحركة ستتم هذه الليلة ، فذهب مع اسرته الى دار صيفية للسينما ، ولم ينضم لزملائه من الضباط الاحرار الا بعد عودته من السينما وقراءته ورقة تركها له جمال عبد الناصر ، وعندما وصل كانت قيادة الجيش قد سقطت فى يد الضباط الاحرار فعلا .

ومنطقة العريش لم تعرف بتفاصيل الحركة موعدا أو مسـئولية ..
وكذا منطقة القنال فهما لم يعرفا الا من محادثة تليفونية تمت فى الثانية بعد منتصف الليل وفيها ابلغ القائمقام احمد شوقى الصاغ توفيق عبد الفتاح بنجاح العملية ، وطلب منه جمال عبد الناصر تبليغ الصاغ صلاح سالم فى رفح لتعذر الاتصال به تليفونيا .. ولم ينجح توفيق عبد الفتاح فى ذلك الا مع أول ضوء يوم ٢٣ يوليو .

وحدث ذلك ايضا مع حامية السويس حيث كان الصاغ لطفى واكـد يعرف التفاصيل والموعد ولكن نجاح العملية لم يعرف الا بعد اتصال انـور السادات باليوزباشى احمد طعيمة .

اما منطقة الاسكندرية فقد حضر لى عز العرب عبد الناصر وشـوقى عبد الناصر شقيقا جمال عبد الناصر يوم ٢١ يوليو ليبلغانى بالتوجه الى مصر لمقابلته دون توضيح الاسباب .

والتقيت بجمال عبد الناصر امام منزله بالقاهرة حوالى الخامسـة والنصف مساء يوم ٢٢ يوليو وترك عربته السوداء الصغيرة على مقربة من المكان الذى وقفت انتظره فيه ، بعد ان اعتذرت عن عدم الانتظـار بالمنزل لشعور ريفى بالحرج من دخول منزل فى غيبة صاحبة .. وكان فى العـربة الصاغ كمال الدين حسين والقائمقام أحمد شوقى والصاغ صلاح نصر .

وفوجئت تماما عندما ابلغنى جمال عبد الناصر بأن الجيش يتحـرك الليلة لفرض مطالبة على الملك ، فاذا لم يستجيب لها فسينظر فى امره .. وكان سر المفاجأة هو التوقيت الفورى ، الى جانب طبيعة الدور الذى سيقوم به الجيش .

كان تفكيرى مرتبطا بتفكير زملائى فى الحركة الديموقراطية للتحـرر الوطنى ، الذين لم يقدروا للجيش دورا فوق دور الشعب ، ولم يتوقعوا أن الجيش سوف يتحرك وحده والناس نيام فى منازلهم ، بل كانوا ينظرون الى الجيش كفصيلة من فصائل الشعب تتحرك فى توافق وتنسيق وتوقيت مشترك مع الفصائل الشعبية الاخرى الممثلة فى الاحـزاب والاتحـادات والنقابات .. لم يدر فى خلد احدا ان نتعاون من اجل انقلاب عسكرى .

واستفسرت من جمال عبد الناصر عن طبيعة الدور الذى يمكـن ان تقوم به قوات الاسكندرية فكان الجواب هو تأمين المنطقة والسيطرة عليها دون تحريك للقوات أو حدوث تناقضات بين حامية الاسكندرية وقتها الملك والحرس الملكى والوزارة وبين حامية القاهرة .
كان توجيها عاما اكثر منه توجيها للتنفيذ .. متروكا لمبادرة الضباط

الاحرار فى الاسكندرية ، ولطبيعة الموقف الذى يمكن ان نجابهه .
وشعرت بالمسئولية الثقيلة التى القيت على كتفى ووجدت من واجبى ان اشرك فيها زملائى .. فأسرعت الى احمد فؤاد وكان منزله قريبا وابلغته بحديثى مع جمال عبد الناصر ولم يكن الموقف قد اتسع للقائهما فلم يكن يعرف شيئا عن موعد الثورة .. وذهبنا معا حيث قابلنا خالد محيى الدين ولم نتردد فى ضرورة المشاركة بعد ان دارت العجلة واصبح وقفها مستحيلا .

وذهبت الى يوسف صديق وكان زميلا ايضا فى (حدتو) وفوجئت بالدماء تنزف من صدره ، وقد اخذ حقنه فى الرابعة مساء لمنع النزيف ، وهو فى معنوية عالية يهيىء نفسه لواجب الليلة .. وغادرت القاهرة بعد ان ابلغت سيد سليمان رفاعى أو (بدر) سكرتير (حدتو) بموعد الحركة المفاجئة ، فوصلت الاسكندرية مع منتصف الليل .

ولم يكن بدر وأحمد فؤاد هما المدنيان الوحيدان اللذان عرفا بتحرك الجيش قبل موعده .. كان جمال عبد الناصر قد ابلغ حسن عشماوى عضو مكتب الارشاد بالاخوان المسلمين كما ثبت من حديث له فيما بعد ، كما

ذهب جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين يوم ٢٢ يوليو لابلاغ صالح أبو رقيق عضو مكتب الارشاد ايضا واتفقا معه على ان يسهم بعض الاخوان فى مساندة حركة الجيش بعد انتصارها فى الصباح . وابلغ أحمد انور شيخا فى كلية الشريعة اسمه محمد الاودن كان يتبارك به ليدعو لنجاح الثورة .. فظل قائما يصلى طول الليل — حسب رواية احمد أنور — حتى أذيع البيان الاول للثورة .

اخطار غير متوقعة :

ولاشك ان اتصالات قد حصلت بين بعض الضباط والمدنيين قبل التحرك ولكن فى حدود معينة ، لا تتجاوز دائرة الاقارب أو الاصدقاء .

ولكن التسرب لموعد الثورة وحركتها جاء من ملازم اول حسن محمود صالح الذى ابلغ زملاءه فى المدفعيه انه عندما ذهب الى المنزل لتغيير ملابسه فهمت والدته انه مقدم على عمل ما فى هذه الليلة ، فأبلغت اخاه لواء جوى متقاعد صالح محمود صالح الذى أبلغ بدوره حيدر باشا تليفونيا بأن الضباط ينوون عمل شىء فى البلد .

عرف ضباط المدفعية بذلك فى السابعة مساء يوم ٢٢ يوليو ، فأعادوا الضابط الى والدته ليقنعها بأنه ليس هناك شىء جدى .

ولكن الخبر كان قد وصل الى السراى فعلا ، واصبحت الحركة مهددة بالفشل والتوقف قبل ان تبدأ .

ولم تكن هذه هى الثغرة الوحيدة .. حدثت ثغرة أخرى قبل الحركة بساعات فى سلاح الفرسان عندما اتصل أحد الضباط (ممدوح شوقى) بضابط آخر ليس عضوا فى التنظيم (يوزباشى فؤاد كرارة) الذى ابلغ ذلك

الى اللواء أحمد طلعت حكمدار العاصمة ، الذى اسرع بابلاغ القصر ، حيث استدعى اللواء حسين فريدا الى عابدين ومنها توجه الى القيادة .

كان واضحا ان العجلة والسرعة هى الطابع السائد للحركة ، وان الروح الاندفاعية هى المسيطرة وان السباق مع الزمن كان يدفع الى الاهتمام بالوصول مع عدم الوقوف عند كثير من الفرعيات .

ويقول عبد اللطيف بغدادى أنهم فى أثناء المناقشة الاخيرة للخطة توقعوا النجاح بنسبة ١٠٪ والفشل بنسبة ٩٠٪ ، ولكن لم يكن هناك مفر من الاقدام .

واعطيت الخطة اسما كوديا هو (نصر) وتحدد منتصف الليل (ساعة الصفر) .

وبدأ تنفيذ الواجبات فى حدود القوى المتاحة .

وقبل ان تتحرك أى قوة من موقعها .. وقبل الخطوة الاولى فى تنفيذ الخطة كان اللواء حسين فريد رئيس اركان حرب الجيش قد استدعى قادة الاسلحة والمناطق بالقاهرة ، عدا اللواء محمد نجيب مدير المشاه ، وقتئذ ، لخشيتهم منه واعتقادهم انه العنصر الرئيسى المحرك للضباط الغاضبين .. الى مؤتمر فى العاشرة مساء بمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بكوبرى القبة .

وقد تناسق عدم استدعاء محمد نجيب الى المؤتمر مع خطة الضباط الاحرار التى كانت تقضى ببقائه فى المنزل على أهبة الاستعداد ، دون أية حركة قد تثير الشبهات ضده ، الى ان تنجح الخطة فيستدعى لتولى القيادة .

ولكن محمد نجيب علم من شقيقه على نجيب قائد قسم القاهرة بطبيعة وموعد المؤتمر ، فأسرع بتبليغ ذلك شخصيا الى عبد الحكيم عامر ونصحه بأن يتم اعتقال القادة المؤتمرين اثناء خروجهم حقنا للدماء .

كان الوقت متأخرا لا يسمح بتبليغ الضباط تغييرا فى الخطة ، كما ان وقف التنفيذ لم يكن واردا مهما كانت الاخطار .

واتصل عبد الحكيم عامر بجمال عبد الناصر وخرج الاثنان معا فى عربة جمال الصغيرة يراقبان حركة القوات ٠٠ فلم يكن الاثنان مرتبطين بوحدات عاملة فى القاهرة ٠٠ عبد الحكيم عامر كان فى العريش وجمال عبد الناصر كان مدرسا فى كلية أركان الحرب .

ومعظم ضباط اللجنة القيادية للضباط الاحرار لم يكونوا مرتبطين بوحدات متحركة فى هذه الليلة عدا خالد محيى الدين الذى تحرك فى اطار خطة السوارى ، وكمال الدين حسين الذى تحرك فى اطار خطة المدفعية رغم انه كان مدرسا فى كلية أركان الحرب .. صلاح سالم كان فى العريش وانور السادات كان قد وصل للقاهرة فى نفس اليوم كما ذكرت ٠٠ وضباط الطيران عبد اللطيف بغدادى وجمال سالم وحسن ابراهيم لم يكن فى الخطة تحركهم الا بعد ضوء الصباح عندما يصبح للطائرات فرصة التحرك .

كانت لحظات حرجة ٠٠ مؤتمر للقادة فى كوبرى القبة ٠٠ والضباط الاحرار يتسللون لوحداتهم يجهزون اسلحتهم .

سباق خفى مع الزمن ٠٠ القادة لايعرفون ماذا يدور فى وحداتهم ٠٠ والضباط الاحرار لايعرف معظمهم حقيقة المؤتمر ولا ماذا استقر أمر المجتمعين عليه .

سقوط القيادة العامة :

وحدث خطأ بسيط ٠٠ ولكنه كان عظيم الاثر .

تصور البكباشى يوسف صديق ! ٠٠ ساعة الصفر هى ٢٣٠٠ أى الحادية عشرة مساء وليست منتصف الليل .

كان يوسف صديق قائدا ثانيا لكتيبة مدافع الماكينة الاولى ٠٠ وصل مع مقدمة كتيبته الى القاهرة منقولا من العريش يوم ١٣ يوليو ... وكان عدم وصول بقية الكتيبة سببا فى التفكير السابق لتأجيل الحركة الى ٥ أغسطس .

لم يخف يوسف صديق الموقف على ضباطه وجنوده ، خطب فيهم قبل التحرك وقال لهم انهم سيفخرون بما سينجزون فى هذه الليلة .

وتحركت القوة التى وصلت مصر من الكتيبة (سرية الرئاسة وسرية اخرى) من معسكر (هاكستيب) ابعد معسكرات ضواحى القاهرة (خلف مطار القاهرة الدولى) ٠٠ دون ان تدرى شيئا عما يدور فى قيادة الجيش

كان يوسف صديق راكبا عربة جيب فى مقدمة طابور عربات الكتيبة المليئة بالجنود ٠٠ وفى الطريق فوجىء باللواء عبد الرحمن مكى قائد الفرقة

يقترب من المعسكر ، فاعتقله ، وعند أوائل مصر الجـــديدة اعتقل أيضا الاميرالاى عبد الرؤوف عابدين قائد ثان الفرقة ، الــذى كان يسرع بدوره للسيطرة على معسكرات هاكستيب • وركب الاثنان فى عربتهما والمدافـــع موجهة عليهما من العربات الاخرى ، والعلم يرفرف على مقدمة العربة •

ولم تقف الاعتقالات عند هذا الحد فقد فوجىء بجنوده يلتفون حول اثنين تبين انهما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر •• وكانا وحســـب رواية يوسف صديق – فى ملابس مدنية •

كان اعتراضهما للقول المتحرك واقترابهما منه سببا فى اثارة شبهات الجنود ، ولما استفسر منهما يوسف صديق عن سر وجودهما فى هذا المكان أبلغاه بالموقف فى رئاسة الجيش •• وهنا أعد يوســـف صديق فجأة خطة

جديدة تقضى بمهاجمة الرئاسـة .

كانت قوات يوسف هى الوحيدة التى تتحرك فى شوارع القاهرة ،وهى الوحيدة التى تتحرك فى جرأة نحو مركز رئاسه الجيش •

وكانت الخطة التي اعدها يوسف صديق للاقتحام بسيطة •• فصيلة تقطع الطريق عند مستشفى الجيش امام كوبرى القبة ، وفصيلة اخـــرى تقطع الطريق عند كوبرى السيوفى امام سلاح خدمة الجيش ، وبقية القوة تقتحم بلا احتياطى •

واثناء نزول الجنود من عرباتهم ظهر الاميرالاى احمد سيف اليـــزل خليفة ، فكان ثالث المعتقلين ، وترك سائقه فقط حرسا عليهم وعنده اوامر باطـــلاق النار .

واقتحم يوسف صديق وجنوده مبنى القيادة وفتشوا الدور الارضى وكان خاليا ، وعندما ارادوا الصعود الى الطابق الاعلى اعتـــرض طريقهم شاويش حذره يوسف صديق ولكنه أصر على موقفه ، فأطلق عليه يوســـف طلقة اصابته فى رجله شفى منها فيما بعد •

وعندما حاول فتح غرفه القيادة وجد خلف بابها مقاومة •• فأطلـــق جنوده الرصاص على الباب ثم اقتحموا الغرفة •• وهناك كان يقف اللـــواء حسين فريد رئيس اركان حرب الجيش واللواء حمدى هيبه وضابط آخـــر يرفع منديلا ابيض •

كان حسين فريد رابط الجأش شجاعا •

وقال له يوسف :

– لقد طلبت مقابلتك من مدة ، ويؤسفنى ان تكون هذه هى مناسبة اللقـــاء •

وطلب منهم ان يتحركوا حيث سلمهم لليوزباشى عبد المجيد شـديد أمين التنظيم بالاتحاد الاشتراكى فيما بعد ليذهب بهم الى معسكر الاعتقـال المعد حسب الخطة فى مبنى الكلية الحربية ٠

وفى هذه اللحظة وصل ضابط ومعه ٥٠ جنديا كل منهم يحمل ١٠٠ طلقة حضروا بناء على استدعاء من رئاسة الجيش ، فضمهم يوسف الى قواته بعد ان عين عليهم قائدا من ضـباطه ٠

واخيرا جلس يستنشق انفاسه مع بعض ضباطه فى مكتب رئيس هيئة اركان حرب الجيش ٠

كانت قيادة الجيش قد سقطت ٠٠ وكان بعض كبـار الضباط قـد اعتقلوا ٠٠ وكان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يرقبان المـوقف من موقع مجاور تماما للقيادة هو المكان الذى اقيم فيه المسجد الذى استقر فيـه جثمانه بعد وفاته ٠

ولم يكن جلوس يوسف صديق على مقعد رئيس أركان حـرب الجيش يعنى ان الحركة قد انتصرت أو ان الخطة قد نفذت ٠٠ ولكنـه كان يعنى فقط ان اخطر مركز للسلطة قدسقط ٠ وانه لم يعد هناك ـ فى القاهرة ـ مركز يستطيع أن يعطى اوامر مضادة لحركة قوات الضباط الاحرار ٠

كانت جرأة يوسف صديق وبسالته عاملا مرجحا لقوات الحركة ٠٠ وكان كبار ضباط الجيش الذين غادروا القيادة عقب مؤتمرهم قـد بدأوا يتساقطون فى ايدى القوات الثائرة ٠

قوات المدفعية فى الماظة اعتقلوا اللواء على نجيب قائد المنطقة المركزية كما اعتقل اللواء حافظ بكرى قائد المدفعية والبكباشى عبد الفتـاح كاظـم اركان حرب السلاح ٠٠ اعتقلهم كمال الدين حسين ووضـعهم يوزباشى محمد أبو الفضل الجيزاوى اركان حرب مدفعية الميدان فى مكتبـه تحت الحراسـة ٠

وبعد منتصف الليل اتصل من الاسكندرية الفريق محمد حيـدر ٠ يطلب اللواء حافظ بكرى ، وكان قد سبق له الاتصال برئاسة الجيش فلـم يتلق جوابا مطمئنا ٠٠ ورد عليه اليوزباشى الجيزاوى مقلدا صوت اللـواء حافظ بكرى ودار بينهما الحديث التالى بعد سؤال حيدر عن الحالة :

ـ انا حافظ بكرى يا معالى الباشا ٠٠ وقد ارسلت اسـتدعى قادة الوحدات واحنا مسيطرين تمام على الموقف ٠

وقال حيدر وصوته يتهلل :

– انا متشكر على الهمة دى يا حافظ وانا حابلغ مولانا ، وخليك على اتصال بينا ٠

وفى الواحدة بعد منتصف الليل اتصل حيدر للمرة الثانية يطلب افادة عن الموقف ، فطمأنه أبو الفضل قائلا ان قادة الوحدات والضباط قد وصلوا فقال له حيدر :

– انا سامع ان فيه دوشة عند القيادة ٠

وقال أبو الفضل :

– المعلومات عندنا وسأرسل قوة لضرب هذا التجمع ٠

ولم تكد تمضى نصف ساعة حتى اتصل حيدر مرة ثالثة والقلق يتضح فى صوته وابو الفضل يجيب :

– ارسلنا قوات للعباسية واحنا مسيطرين على الموقف فى المنطقة العباسية وسنقبض على الضباط المتجمعين امام القيادة ٠

وفى الثانية بعد منتصف الليل اتصل حيدر للمرة الرابعة وواضح من صوته انه فى حالة نفسية سيئة وهو يقول :

– هناك معلومات وصلتنا بأن بعض الضباط قد استولوا على القيادة فعلا ٠٠ فما هى الحقيقة ؟

وحاول أبو الفضل ان يطمئنه قائلا :

– ان هذه المعلومات ليست صحيحة وان قواتنا فعلا هى المسيطرة على الموقف ٠

ولكن الشك كان قد دخل قلب حيدر الذى قال :

– انت باين عليك مش حافظ بكرى ٠٠ وصوتك متغير ٠

– لا يا افندم أنا حافظ بكرى ، وتغير الصوت من التليفون ٠

– ادينى امارة ٠

– امارة ايه يا معالى الباشا ٠

– ادينى امارة بخصوص العيد ٠

وقال أبو الفضل :

– هوه بعد العيد يتفتل الكحك ٠

وصدم حيدر بالرد فقال :

– مش عيب يابنى كده ٠

وحسم أبو الفضل الموقف قائلا :

– مصلحة البلد فوق كل اعتبار ٠٠ وارجو ان تتركنا لكى نكمل عملنا ٠

ولم يكن محمد حيدر هو الوحيد الذى اتصل بالمدفعية ، ولكن قائـــد البوليس الحربى خاطبها ايضا ، باعتباره (حافظ بكرى) وطلب منه قـوة مسلحة لان هناك وحدات تهاجم القيادة فى كوبرى القبة ٠

وعندما سأله محمد أبو الفضل الجيزاوى عما اذا كانت القوة يجب ان تكون معها الذخيرة قال قائد البوليس الحربى :

ـ طبعا ياافندم لازم نضرب فى المليان ونمنع الفتنة دى ٠

وقال له أبو الفضل وقد فاض به :

ـ انت بكره اللى حتنضرب بالرصاص فى ميدان عابدين ٠

واتصل بالمدفعية ايضا ، قائد ثان السلاح من منزله ، ومدير العمليات الاميرالاى سيد طه القائد السابق لقوات الفالوجا ٠

كانت هذه المكالمات تدور امام القادة المعتقلين ، ولم يملك على نجيب نفســه من الابتهاج عندما اعتقله كمال حسين قال له : (اننى أعتقلك ، بأمر اللواء محمد نجيب) فطلب من أبو الفضل الجيزاوى ان يقدم لهم (قهـوة وشاى وكازوزه) هذا بينما ظهرت الكآبة واضحة على وجه حافظ بكرى ٠

نفذت المدفعية بالماظة المطلوب منها فى الخطة وهو وضع قوات عـلى مداخل المنطقة العسكرية للتحكم فى الداخلين اليها ، وقد قاد هذه القـوات كمال الدين حسين واليوزباشى خالد فوزى واليوزباشى احمد كامـل رئيس المخابرات العامة فيما بعد واليوزباشى على فوزى يونس المحافظ فيما بعد ٠

استقر الموقف فى الماظة تحت قيادة الضباط الاحرار فى المدفعية ٠

اما فى سلاح الفرسـان المواجه تماما للقيادة فقد استعد تحت قيـادة ثلاثة من ضباطه هم البكباشى حسين الشافعى والصاغ خالد محيى الـدين والبكباشى ثروت عكاشة ٠٠ وكان به اكبر حشد من الضباط الذين كـان معظمهم مستعدا للتحرك فعلا من الليلة السابقة ، ولم يغادروا المعسكرات

وخرجت المدرعات والعربات المصفحة من السلاح بعد ان اعتقلوا قائـد الفرقة المدرعة الاميرالاى حسن حشمت ، وبعد ان كانت القيادة قد اصبحت معقلا للضباط الاحرار فعلا ٠

كانت مسئولية خالد محيى الدين قيادة المدرعات والمصـــفحات التى ترابط عند مدخل مصر الجديدة (سينما روكسى) ، وكانت هناك وحـدات اخرى اشرف حسين الشافعى وثروت عكاشة على توزيعها الى مطار الماظـــة ومدخل العباسية ومحاصرة سلاح الحدود ٠٠ وقد تم التوزيع على ضـــــوء البطاريات حيث كان النور قد انقطع مصادفة ٠

يقول ثروت عكاشة انه كان يسترجع فى هذه الفترة كلمـــات جمال

عبد الناصر له بأن لامجال للعواطف فى هذه الحركة فهى ليست نزهة للسينما وقد تكون هناك دماء ، واذا هددت الثورة فعليك ان تقتل .

واثناء انشغال السوارى باستعداد قواته وصل زكريا محيى الدين فمنعه الحرس من الدخول لولا تصريحه بكلمة السر (نصر) وطلب من السوارى ان يرسلوا بعض المصفحات الى الكتيبة ١٣ مشاة لرفع روحها المعنويه .

وبدأت المدرعات والمصفحات تتحرك الى مواقعها بعد منتصف الليل .. لم تجد فى الطريق مقاومة ، ولم تطلق رصاصة واحدة .. كان الاطمئنان يعمر قلوب الضباط وهم يشهدون انوار القيادة مضاءة ، ويعرفون ان زملاء لهم من الضباط الاحرار قد احتلوها واصبحت قاعدة لهم .

كما تحركت الكتيبة ١٣ مشاة لحماية مدخل العباسية من ناحية كلية البوليس ، واحتلت رئاسة الحدود ، وكانت تعمل تحت قيادة القائمقام أحمد شوقى اكبر المشتركين فى الحركة رتبة بعد اللواء محمد نجيب . وكان أركان حرب الكتيبة هو الصاغ صلاح نصر رئيس المخابرات العامة فيما بعد .

وقام سلاح خدمة الجيش تحت قيادة الصاغ مجدى حسنين بتعبئة عرباته بالبنزين وارسالها للوحدات المتحركة ، كما منع خروج عربات الضباط من معسكر العباسية حيث كانت تبيت .

وكان بعض ضباط مركز تدريب اللواء الثامن مشاة يعملون كقوة احتياطية تحت قيادة حمدى عبيد .. كما كان شمس بدران وزير الحربية فيما بعد ضابطا بلواء اساس المشاة وقوته من المجندين الجدد الذين لا يجيدون حمل السلاح ، وقد تولى هو مسئوليته ولكن لم يكن عليهم واجبات هامة فى هذه الليلة .

خروج قوات الكتيبة الاولى مدافع ماكينة من معسكر هاكستب لم يكن الخروج الوحيد .. كانت هناك المدفعية المضادة للدبابات التى صادفت بعض المتاعب عندما حرك ضابط عظيم المحطة (الصاغ المعتز بدين الله الكامل) قوات البوليس الحربى لاحتلال كشك التفتيش عند الباب الرئيسى لمنع الخروج ، عقب مكالمة تليفونية كانت قد تمت بينه وبين اللواء حسين فريد قبل اعتقاله .

ولكن مجموعة ضباط المدفعية الذين تحركوا تحت قيادة اليوزباشى فتح الله رفعت واليوزباشى كمال لطفى واليوزباشى محسن عبد الخالق واليوزباشى احمد شهيب اطلقوا النيران فى الهواء واعتقلوا جنود البوليس الحربى ، واقتحمت جرارة أحد المدافع البوابه المغلقة فحطمتها ،

وانطلقت قوات المدفعية فى الطريق الذى سبق ان سلكته قوات يوسف صديق قبل ساعتين ·

وبقيت فى المعسكر بعض قوات المشاة تحت قيادة الصاغ عبدالقادر مهنا واليوزباشى فؤاد المهداوى وعندما وجدت أن المدفعية قد خرجت ، بدأ تحركهم بعد أن اعتقلوا ضابط عظيم الفرقة (الصاغ المعتز) ·

وهكذا أصبحت المنطقة العسكرية من العباسية الى الماظة وهاكستب تحت سيطرة وحدات الضباط الاحرار والساعة تشير الى الثانية بعد منتصف الليل ، وقيادة قسم القاهرة احتلها أحمد أنور قائد البوليس الحربى فيما بعد ·

وبقى فى الخطة واجبان هامان .. احتلال الاذاعة واعتقال بعض كبار الضباط الذين لم يحضروا المؤتمر لانهم ليسوا قادة للاسلحة أو التشكيلات·

واحتلال الاذاعة ذو شعبتين ··· المبنى فى شارع الشريفين بوسط القاهرة ومحطات الارسال فى أبى زعبل ·

وتولى مسئولية احتلال المبنى اليوزباشى أحمد المصرى من السوارى ومعه سيارات مدرعة فوصلها حوالى الساعة الرابعة والربع صباحا حيث كانت تحيط بها قوات من البوليس ، استطاع أحمد المصرى أن يقنعهم بأنه موفد من السراى ، وان أحمد طلعت حكمدار العاصمة الذى أصدر لهم الاوامر قد سافر الى الاسكندرية لمقابلة الملك ··· وتم احتلال الاذاعة وتعيين نقط حراسة فى المنطقة المحيطة بها فى الساعة الخامسة والنصف صباحا .

أما محطات الارسال فى أبى زعبل فقد اتجه اليها تروب سيارات مدرعة تحت قيادة مجدى حسنين فى تمام الساعة الثالثه ··· ولكن مجدى أسرع وحده بعربته الى هناك لبطء سرعة تروب السيارات ووجد المحطة مضاءة

ومغلقة وبها شابان أحدهما كان (الجارحى القشلان) فتجاوبا معه على الفور ، ولكن النور قطع فجأة عن منطقة أبى زعبل بأوامر شخصية من كريم ثابت ··· وأسرع الى محطة النور بعد أن ترك السائق حارسا عليهم وهدد العاملين فيها بالمسدس ·

عادت الكهرباء ، ووصل تروب السيارات ومعه المهندس جمال علام أحد ضباط قسم الجيش فى (حدتو) وعبد الفتاح على أحمد محافظ الدقهلية فيما بعد ·

ووصل أنور السادات الى مبنى الاذاعة فى السابعه الا ربعا صباحا

ليجد كل شيء معدا لاذاعة البيان الاول للثـــورة الذى كان قـد كتب فى مجلس القيادة ٠

أما الاعتقالات فقد قامت بها مجموعة من الضباط ٠٠ كمال رفعت ٠ ومحمد البلتاجى وآمال المرصفى الذين اعتقلوا اللواء ســـعد الدين صـــبور واللواء الطيار حقى هارون الذى كسرت ترقوته لمقاومته ٠

وتعددت بعد ذلك حركات الاعتقال وامتدت الى بعض المدنيين مثـل عبد الرحمن عمار مدير الامن العام وكامل القاويش وقـد اشترك فى هذه العملية أنور السادات ومحمد أحمد رياض ٠

خلال هذه الليلة التاريخية كانت الخطة تقضى بأن يبقى محمد نجيب فى منزله حتى تتم التحركات العسكرية ثم يذهب الى رئاسة أركان الحرب لتولى القيادة ... وكان عنصرا هاما من عناصر نجاح الخطة ان تبعد يـد الاعتقال عن محمد نجيب والا يثير الشبهات بحركته حتى لا تفقد الحـركة الوجه الذى سيمثلها فى مواجهة الملك والاستعمار وكـل أخطار المرحلة ٠

وأمضى محمد نجيب الليلة ساهرا فى منزله ، كلما مضى الوقت اشتد به القلق رغبة فى معرفة نتائج العملية ، وكان يسكن وقتها فى الـزيتون بعيدا عن سماع أو معرفة مايدور حوله ٠

وعند منتصف الليل اتصلت زوجة شقيقه على نجيب تسأل عنه لانه ليس من عادته التأخر دون ابلاغها ٠٠٠ ولم يكن محمد نجيب قد حـدث أخاه عن الحركة خشية أن يتعارض ذلك مع واجبـه ، باعتبـاره قائد قسم القاهرة والمسئول عن الامن والنظام بها ٠

وبعد دقائق طلب على شقيقه وكأنما ليستوثق من وجوده بالمنزل ٠٠ ثم أبلغه أن معلومات وصلته من البوليس تفيد بأن قوات من الجيش تتحرك نحو عابدين ٠٠ وشجعه محمد نجيب على الذهاب الى عابدين للتـــأكد من صحة ذلك ، وكان غرضه أن تكسب قوات الضباط الاحرار فرصة للحركة لانه كان يعلم أن عابدين كان خارج مجال النشاط هذه الليلة ٠

ولم تكد تمضى بضــع دقائق أخـرى حتى تلقى مكالمة تليفونية من مرتضى المراغى وزير الداخلية وفريد زعلوك وزير الـدولة من الاسكندرية وهما يقولان له : «ان بعض أولادك قائمون باضطراب فى كوبرى القبة ورجاؤنا أن تمنعهم حرصا على مصلحة الوطن» وأنكر نجيب معرفته بحدوث شىء ما وبعثت هذه المكالمة فى نفسه الرغبة فى مخالفة الخطة والتحرك فورا ٠٠ ولكن قلقه لم يطل فان القيادة العامة للقوات المسلحة اتصلت به (البكباشى جمال حماد) وأبلغه نجاح المرحلة الاولى وأنهم سيرسلون له ثلاث عربـات

مصفحة ... ولكنه أبلغهم انه سيحضر بعربته الخاصة . . .ومع ذلك توجه اليه جمال حماد بعرباته المصفحة .

وكان جمال عبد الناصر قد كلف البكباشي جمال حماد بالذهاب له فى عربة رئيس أركان حرب الجيش ، فى الوقت الذى كان قد تحرك فيه محمد نجيب بعربته الصغيرة الى كوبرى القبة ، حيث قابله بعض الضباط الاحرار وركب عربة جيب دخل بها مركز قيادة الجيش .

واكتملت مظاهر الحركة ... وصل القائد الجديد الى مركز قيادته .. واحتلت الوحدات مراكزها التى تحاصر بها المنطقة العسكرية وتعزلها تماما عن القاهرة ... وأصبحت الاذاعة بشطريها تحت سيطرة الحركه . . . والاعتقالات تتم حسب الخطة المرسومة .

حققت الخطة اهدافها فى القاهرة .

وبدأت القيادة العامة تتصل بالمناطق الخارجية فى القنال والعريش لابلاغ الضباط بانتصار الحركة ... ولم يتيسر الاتصال بصلاح سالم فى منطقة رفح الا مع الصباح .

ولم تكن التعليمات للمناطق الخارجية تقضى باكثر من محاولة عزل القيادات الكبيرة والسيطرة على الوحدات دون تحريكها .

ولم تضع الخطة حلولا لأية مواقف اعتراضية مفاجئة من القوات البريطانية فى القنال ... وعندما تساءل يوزباشى احمد عبد الله طعيمة عن ذلك من السويس ، كان الجواب بان ذلك متروك لطبيعة الموقف وللمبادرة الشخصية .

كان ضيق الوقت والاسراع فى وضع الخطه سببا فى عدم دراسة كل التفاصيل ووضع الاجابات الحاسمة على كافة التساؤلات ..

اما فى الاسكندرية فقد وصلت اليها قرب منتصف الليل حاملا تعليمات جمال عبد الناصر التى تلقيتها منه مغرب نفس اليوم ٢٢ يوليو ، وأسرعت فى محاولة الاتصال بالضباط الاحرار . فوجدت ان بعضهم كانفى أجازة الصيف السنوية . والبعض مررت عليه فى منزله وذهبنا الىالمعسكر (رئاسة الآلاى الثانى أنواركاشفة) فى (سوتر) بعد منتصف الليل .

كان الموقف فى الاسكندرية مختلفا تماما عن القاهرة ... الملك هناك والحرس الملكى والقائد العام للقوات المسلحة والوزارة الجديدة التى أقسمت اليمين منذ ساعات برئاسة نجيب الهلالى .. اى أن فرصة السيطرة لها على المدينة كانت أكثر يسرا من القاهرة ، وخاصة لان قوات الجيش التى كان بها عدد من الضباط الاحرار كانت اقل نسبيا من القوات الخاضعة

طرة الملك والخالية تماما منهم مثل السلاح البحرى والحـرس الملـكى السواحل •

وارسلت اشارة الى قادة الوحدات بالذهاب الى وحداتهم وعندماحضروا سلك أسلوب القاهرة فى اعتقالهم ، لان التعليمات كانت تقضى بمحاولة طرة وتامين المنطقة وعدم تفجير تناقضات بين الاسكندرية والقاهرة • الموقف معلقا ••• الضباط الاحرار ينشطون فى الاتصال بزملائهـم دعائهم للوحدات ، والقادة فى مكاتبهم عاجزون عن التصرف ، للغموض يحيط بهم •

وكان الفصل فى تحديد الموقف هو البيان الاول للحركة الذى أذيع الشعب باسم اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة ، وقرأه ته البكباشى السادات :

(اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الاخير من الرشوة والفساد استقرار الحكم ، وقد كان لكل هذه العوامل تاثير كبير على الجيش بب المرتشون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين) •

(وأما فترة مابعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفسادوتآمر ة على الجيش وتولى أمره اما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر جيش يحميها ، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا فى داخل س رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب) •

(أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهـم وسيطلق سراحهم فى الوقت المناسب ، وانى أؤكد للشعب المصرى أن ش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور مجـردا من اية ية) •
(وانتهز هذه الفرصة واطلب من الشعب الا يسمح لاحد من الخـونة يلجأ لاعمال التخريب أو العنف-لان هذا ليس فى صالح مصر وان اى من هذا القبيل يقابل بشدة لم يسبق لها مثيل ، وسيلقى فاعله جزاء ئن فى الحال ، وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس) •

(وانى اطمئن اخواننا الاجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهـم بر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولى التوفيق) •
عقب اذاعة هذا البيان وضحت الصورة فى القاهرة والاسكندرية وكل طق •• وبدت ظاهرة فريدة هى اقبال الضباط وصف الضباط والجنود

جميعا على تأييد الحركة والانضمام للضباط الاحرار حتى انه لم يظهر موقف معاد للحركة فى أى مكان ٠

وكان الجيش مع الصباح قد خلا تماما من الرتب الكبيرة (قائمقام أو عقيد فما فوق) فقد حظر عليهم الذهاب لوحداتهم وطلب منهم العودة إلى منازلهم حتى يستبين الامر ٠

ومع الصباح تحرك ضباط الطيران الى المطارات ، وتم اعتقال أعضاء السرب الملكى (قائد سرب مهندس عبد الحميد محمود وقائد جناح عادل حافظ ومدكور أبو العز وحسن صالح وعبد المجيد نعمان) ٠

كان قائد الجناح مدكور ابو العز ضابطا شديد الالتزام يرفض تنفيذ الاوامر الا من رئيسه المباشر الياور حسن عاكف ، الامر الذى أدى الى صدور الامر باعتقاله مع زملاء رغم صلته الطيبة بالضباط الاحرار فى الطيران

ـ صلة شخصية غير تنظيمية ـ ٠٠ وكان عبد المجيد نعمان ايضا من الضباط المنتمين لقسم الجيش فى (حدتو) ولم يرتبط بالضباط الاحرار حتى لاتكشف سريته فى موقع حساس كالسرب الملكى طالما استخدمت رحلاته فى اداء مهمات سياسية سرية ٠

واحتجز ضباط المدفعية المحاصرون لمصر الجديدة قائد الجناح على صبرى وهو فى طريقه الى القيادة حيث استدعى لتبليغ السفارة الامريكية عن طريق مساعد الملحق الجوى الامريكى الذى كانت تربطه به صلة صداقة خاصة ، حيث كان يعمل ضابطا فى مخابرات الطيران ٠٠٠ ولم يسمحوا له بالمرور الا بعد الاتصال بالقيادة ٠

ويبدو ان الوقت بين تبليغ السفارة الامريكية واذاعة البيان كان قصير حتى أن مايلز كوبلند مؤلف (لعبة الامم) يقول ان الحكومة الامريكية لم تعلم بوقوع الانقلاب الا من الصحف الصادرة صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠
وقام البكباشى عبد المنعم أمين بابلاغ القائم بأعمال السفارة البريطانية٠

وكان نجيب الهلالى رئيس الوزراء قد اتصل بمحمد نجيب يطلب منه الحضور للاسكندرية فاعتذر له عن عدم استطاعته مغادرة القاهرة ووصل مرتضى المراغى بالطائرة ليقابله فى القاهرة وكان موفدا من السراى مباشرة ٠ وعندما طلب محمد نجيب من المراغى الحضور الى مبنى القيادة العامة تردد المراغى ووصلته أنباء اعتزام الوزارة تقديم استقالتها فعاد الى الاسكندرية٠
ولم يجد نجيب الهلالى مفرا من تقديم استقالته قبل ان يمضى عليه فى الحكم يومان ٠

الفصـــل الثامن

الواقع الاجتماعى والطبقى للضباط الاحرار

(لم يكن بين قادة الجيش ضابط واحد من اسرة اقطاعية كبيرة)

حقيقة تاريخية

نجحت حركة ٢٣ يوليو ، واصبحت مصر على واقع جديد ٠٠ ضباط الجيش خرجوا من نطاق عملهم التقليدى ، تمردوا على قادتهم ، وثبوا الى السلطة فى الجيش ٠٠٠ لم يعد فى العاصمة لواء مطلق السراح ينعم بحريته الا محمد نجيب والباقون ضمهم معتقل الكلية الحربية حتى شقيقه على ٠٠ وكافة الرتب العليا من قائمقام أى عقيد فما فوق ، منعوا من الذهاب الى وحداتهم ، وتركوا حتى يستبين الامر ٠٠ ولم يبق الى جوار اللواء محمد نجيب الا القائمقام احمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ والذى انضم للضـــباط الاحرار فى الايام القليلة السابقة للحركة ٠

الصف الاول من الجيش اصـــبح فى رتبة البكباشى أو المقدم ٠٠ والذين عادوا للعمل بعد ذلك فى القوات المسلحة برتب أعلى من هذه الرتبة ، عادوا وهم يدركون أن تغييرا عنيفا قد حدث ، وأن الاقدمية المطلقة لم تعد هى أساس السلطة ٠

اهتزت قواعد التنظيم فى الجيش ٠٠ وخرج من الخدمة كل الـذين يحملون رتبة فريق أو لواء وكل الذين يحملون رتبة الاميرالاى أو العميـد

(عدا اثنين هما محمد ابراهيم الذى عين رئيسا لاركان الحرب ، وعبد الحميد نعمت الذى عين وكيلا لوزارة الحربية)

أصبح واضحا أن جيلا جديدا قد وثب الى السلطة ، واذا استثنينا محمد نجيب الذى كان فى الثانية والخمسين من عمره ، فاننا نجد انجمال عبد الناصر الرئيس المنتخب للجنة القيادية للضباط الاحرار لم يكن قد اكمل بعد عامه الخامس والثلاثين .

ثغرة الفرق فى العمر ، ووثوب جيل جديد الى السلطة ، يظهران أن حركة ٢٣ يوليو كانت منذ لحظتها الاولى تعبيرا عن شيء جديد فى مصر .

شيء جديد لايقتصر على حدود الجيش فقط ، أو على فارق العمر وحده .. وانما يمتد أيضا خارج الجيش والى ابعاد أعمق مما يشير اليه فارق السنين .

والضباط الاحرار الذين تحركوا فى هذه الليلة التاريخية كانوا يمثلون واقعا اجتماعيا خاصا الى جانب أنهم كانوا يعبرون عن ارادة جيل معين ، كما ان قيادتهم كانت تمثل نوعية خاصة من الضباط .

واختلفت حركة ٢٣ يوليو عن انقلابات العراق وسوريا من عدة وجوه .. عندما قام بكر صدقى بأول انقلاب عسكرى فى العالم العربى سنة ١٩٣٦ كان فى رتبة الاميرالاى ويعمل رئيسا لاركان حرب الجيش العراقى بالنيابة ، وكذلك حسنى الزعيم كان رئيسا لاركان حرب الجيش السورى عندما قام بانقلابه عام ١٩٤٩ ، وكان سامى الحناوى وأديب الشيشكلى قادة الانقلابات التالية فى رتبة الاميرالاى برئاسة الجيش .

أما حركة ٢٣ يوليو فقد تمت فعلا بجهد ضباط من رتب صغير لاتتجاوز رتبة البكباشى .. حتى محمد نجيب لم يكن كمدير لسلاح المشاة فى موقع يسهل له فيه تحريك قوات الجيش اذ انه منصب اشرافى وتدريبى اكثر منه منصبا تنفيذيا .

لم يكن انقلاب جنرالات .. وانما كانت حركة صغار الضباط .

كان محمد نجيب استثناء بين زملاء رتبته ، معظمهم استكان لواقع الحياة وارتضى حالة المجتمع والجيش كما هى عليه ، واصبح رغم ارادته اداة من ادوات الملك للسيطرة على الجيش وبالتالى على الشعب . هذه الفئة من الضباط الكبار فى الرتبة الذين ناضلوا ضد الاستعمار البريطانى منذ لحظته الاولى والذين شرد وفصل الكثيرون منهم على مدى سنوات طويلة انتهت بنكسة ١٩٢٤ كانوا قد اصبحوا يمثلون بواقعهم وبتفكيرهم

وبمصالحهم عائقا كبيرا ضد الانطلاق الى اصلاح ثورى وجذرى فى الجيش او المجتمع .

وبعض الذين اخذهم الغضب عقب حادث ٤ فبراير مثل اللواء أحمد فؤاد صادق الذى تعرض مع زميله محمد كامل الرحمانى للفصل والاعتقال عادوا الى الهدوء ومساندة النظام بعد الافراج والعودة الى الجيش .. ووصل أحمد فؤاد صادق الى منصب قائد القوات المحاربه فى فلسطين وعين الرحمانى اركان حرب له .. ومع ذلك عندما حاول الضباط الاحرار أن يتلمسوا موقفه وجدوا انه أقرب فى حركته الى الانجذاب نحو (الحرس الحديدى) منه الى (الضباط الاحرار) .

وهكذا كان محمد نجيب شخصيه استثنائيه بين زملاء رتبته جذوة نضاله القديم لم تخمد فى قلبه ، وشجاعته ظهرت اروع ما تكون فى حرب فلسطين وما بعدها من اتخاذ موقف المجابهه الصريحه مع قيادات الجيش الخاضعه لنفوذ السراى .

والضباط الذين قادوا حركة الضباط كانوا يشكلون نوعية خاصة .

ثلاثة منهم حصلوا على ترقية استثنائية فى حرب فلسطين هم عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وصلاح سالم .

وثلاثة حصلوا خلال الحرب على نجمه فؤاد وهم جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين .

وثلاثة كانوا مدرسين ليلة الحركة فى كلية أركان الحرب هم جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين .

واثنان تخرجا من الجامعة هما محمد نجيب الذى حصل على ليسانس الحقوق وحصل بعد ذلك على دبلومين فى القانون الخاص والقانون العام الى جانب تخرجه من كليه اركان الحرب . وخالد محيى الدين الذى تخرج من كلية التجارة .

هذه الشريحة تظهر انهم من اكثر الضباط ثقافه ، وانهم لم يكونوا من الخاملين .. بل أن شخصياتهم ومراكزهم كانت مصادر الجاذبية لتجمع الضباط الاحرار حولهم .

ومع ذلك يصعب القول بأنهم فى مجموعهم أو فى الاغلبية من قياداتهم كانوا من المثقفين .. لان طبيعة الضباط وتعليمهم وعزلتهم عن المجتمع تجعل منهم فئة خاصة تتعامل مع الحياة بالاسلوب الذى اعتادته فى الجيش والذى يغلق دائرة التفكير غالبا فى حدود اعطاء الاوامر وتنفيذها .
وما ورد فى منشورات الضباط الاحرار لا يعكس المستوى الفكرى

نهم ولا يعطى مقياسا صحيحا لدرجة وعيهم ‏٠٠ بل هو تعبير عن افكار عدد محدود منهم ٠

ولاشك أن قصر الفترة الزمنية لتشكيل تنظيم (الضباط الاحرار) والتى لم تتجاوز الثلاثة اعوام بكل ما صاحبها من ظروف التجنيد واستكمال شكل التنظيم ، كانت سببا رئيسيا فى عدم خلق وحدة فكرية ووعى ثقافى مشترك لهؤلاء الضباط القادمين من مدارس فكرية مختلفة وتنظيمات سياسيه متباينه ٠

كانت الافكار الوطنية العامة والنقمة على الاستعمار هى الدافع الرئيسى لتحريك الضباط . ولكن تفصيل الامور كانت متباينة فى عقولهم وصورة المستقبل غير واضحه امامهم ٠
وتجاوبا مع طبيعه الضباط فى تقبل الحركة البدنية التنفيذية عن الحركة الفعلية الذهنية . تحركوا ليلة ٢٣ يولية ، ولكن اغلبيتهم العظمى لم تكن تدرك . أو تحاول بذل الجهد فى معرفة ما يحمله الغد ٠

كان (الضباط الأحرار) فى حركتهم دعاة تغيير واصلاح ‏٠٠ لم يكونوا مثل جنرالات باكستان أو جنرالات السودان فيما بعد ، الذين استولوا على السلطة دون ان يكون فى احلامهم تغيير شكل المجتمع او القيام باصلاحات جذرية . بل انهم كانوا استمرارا لنظام الحكم القائم بملابس عسكرية بدلا من الملابس المدنيه ٠

كان الواقع الطبقى والاجتماعي للضباط الاحرار مختلفا عن الواقع الطبقى والاجتماعى للسلطة التنفيذية ٠

لم يكن بين الضباط الاحرار ابن من ابناء الاسر الاقطاعية او ابن لكبار الرأسماليين ‏٠٠ كانت هذه الاسر تتعالى على الجيش ولاتدخل ابناءها فيه ‏٠٠ فلم يكن هناك فى الجيش ضابط من أسرة البدراوى عاشور أو شعراوى أو سلطان أو لملوم أو الطرزى . . حتى زكى شقيق فؤاد سراج الدين دخل الكلية الحربية عام ١٩٤٢ وخرج هاربا بعد عام واحد ‏٠٠ حتى كبار الضباط الذين وصلوا الى مراكز عالية لم يدخلوا ابناءهم الجيش ‏٠٠ الاميرالاى محمود ماهر (١٨٥٤ ــ ١٩٠٩) هو والد على ماهر واحمد ماهر . . وسردار الجيش المصرى (١٨٦٤ ــ ١٨٧٩) كان من عائلة راتب التى لم يدخل اولادها الجيش ‏٠٠ وفى كتاب (تاريخ الملكة الزراعية فى مصر الحديثة) ان ١٠٠ عائلة اقطاعية فى النصف الاول من القرن العشرين ٣٠ منهم ممثلون فى البرلمان نوابا وشيوخا واحيانا باكثر من عضوين ، ١٨ منهم عينوا وزراء ولكن لا ضابط واحد ٠

ولم يكن فى الجيش احد من ابناء الاسرة المالكة كما كانت العادة من قبل ٠٠ تعين الامير اسماعيل داود قائدا لسلاح الفرسان فى الفترة من عام ١٩٤٢ الى ١٩٤٤ ، وكان تعيينه تعبيرا عن نزوة خاصة ، اساء اليها سلوكه الشخصى المتسم بالشذوذ ٠ كما عين الملك زوج شقيقته الاميرة فوزية الاميرالاى اسماعيل شيرين مديرا لادارة فلسطين دون ان يكون متخرجا فى الكلية الحربية ، ثم عينه وزيرا للحربية فى وزارة نجيب الهلالى الاخيرة ٠

لم يكن الجيش المصرى فى ذلك الوقت مثل الجيوش الاوروبية الاستعمارية ، التى يشكل الضباط فيها طبقة متميزة تتوارث حمل السلاح جيلا بعد جيل ، وتنتمى الى طبقة النبلاء من بقايا الاقطاع الاوروبى ٠٠ ومن المعروف ان الجيش الالمانى كان يعتمد بصفة خاصة على الضباط (اليونكر) من البارونات الاقطاعيين البروسيين ، والذين تتحلى أسماؤهم بكلمة (فون) التى تنسبهم الى ارض معينة كان لاجدادهم عليها سلطان اقطاعى ٠٠٠ وفى فرنسا أعرق الديموقراطيات البرجوازية يعين فى قمة جيشها القادة الذين يحملون المرادف الفرنسى لكلمة (فون) وهو (دى) ديجول ، دى لانتر ، دى كاستر قائد قاعدة ديان بيان فو الذى كان يفخر بأنه جنرال ابن جنرال حتى القرن السابع عشر ٠

يعمل الضباط عادة فى تلك الجيوش على غرس روح الطاعة العمياء وازدراء الحركات الشعبية واستنكار العمل السياسى والاعجاب بالقادة الرجعيين والشوفينية المتطرفة والاستمتاع بالبطش بشعوب المستعمرات ٠

كان الموقف فى مصر مختلفا ٠٠ عدم نضج الاقطاع او نظام النبالة الطبقى ، وابتعاد ابناء هذه الاسر مع ابناء الاسرة المالكة وابناء الاسر الرأسمالية الكبيرة عن الحاق ابنائهم بالكلية الحربية كان عاملا من عوامل خلخلة نفوذها وضعف سيطرتها على القوات المسلحة التى تحمى نظامها وطبقتها ٠ وقد ادى ذلك الى محاولة اكتشاف رتب كبيرة من القيادات تؤدى دورها فى خدمة الطبقة الحاكمة باخلاص دون ان ترتبط معها بمصالح ذاتية خاصة ٠٠ فلم يكن بين قادة الجيش اقطاعى واحد حتى ولا الفريق محمد حيدر ، الذى كان رغم ولائه الشديد للملك وعدائه الشديد ايضا للحركة الشعبية فى بدء حياته العسكرية ، لم يكن يجارى النظام فى حماس ولم يكن يبادر لتنفيذ مايحمى النظام من وجهة نظره ٠٠ وعن طريقه مثلا تسربت الى الوفد خلال عبد الفتاح حسن اسرار الجلسه التى حضرها هو وحافظ عفيفى والياس اندراوس والملك ، وتقرر فيها اقالة الوفد وذلك ليلة ٢٦ يناير

١٩٥٢ . ولم يكن نشاط الضباط الاحرار بعيدا عن حاسة الشم عنده .. ولكنه آثر الصمت والسكون .

لم يكن بين كبار ضباط الجيش المصرى رغم خضوعهم وتبعيتهم للنظام الملكى من يعتبر مدافعا فى حماس عن الاقطاع أو من ترتهن مصلحته الذاتية بمصلحة الاقطاعيين ..

وهكذا لم تكن الطبقة الاقطاعية أو الراسمالية الكبيرة تسيطر بذاتها على القوات المسلحة .. وانما كانت تسيطر بابناء الطبقة الوسطى ، الذين لم يطل بهم الصبر .

كان الضباط الاحرار من الطبقة المتوسطة الذين يتأرجحون بين ابناء الموظفين صغارا أو كبارا وبين بعض اثرياء الفلاحين اصحاب الملكيات الصغيرة .

وفى بحث قمت به مع كافة الضباط الذين تحركوا ليلة ٢٣ يوليو تبين ان احدا منهم لم يكن والده قد حصل على رتبة (باشا) أو (بك) ، كما ان احدا منهم لم يكن يملك والده ليلة الثورة ما يزيد عن خمسين فدانا .. كما ان اصولهم لم تكن تنحدر من عائلات عسكرية ، أى توارث الابناء فيها مهنة الآباء ، اذا استثنينا محمد نجيب الذى كان والده وخاله وجده جميعا ضباطا فى الجيش خدموا فى السودان ودفنوا هناك .. وكان ذلك امرا طبيعيا فى فترة دخول نجيب للمدرسة الحربية التى لم تكن تشترط شهادة معينة ، ولذا كان الضباط يدفعون ابناءهم اليها ، كما كانت بعض الاسر الكبيرة تلحق الابناء العاجزين عن مواصلة التعليم بها ليصبحوا ضباطا .. وقد اشتهرت بعض العائلات بوفرة عدد الضباط من ابنائها مثل عائلة الشاهد وفهمى وشكرى .

كان الضباط الاحرار بحكم واقعهم الاجتماعى من الطبقة البرجوازية المتوسطة عدا قلة منهم كانت من أبناء فقراء هذه الطبقة .. ابناء صغار الموظفين الذى تثقل اعباء الحياة كاهلهم ويضطرون الى الاستدانة لدفع مصروفات ابنائهم فى الكلية الحربية التى كانت تصل فى مجموعها الى ٨٠ جنيها فى وقت كان مرتب خريج الجامعة ١٢ جنيها شهريا .

هذه الحقيقة توضح ان الذين تحركوا ليلة ٢٣ يوليو كانوا من ابناء الطبقة الوسطى ، ولم يكونوا من ابناء الطبقات الكادحة (عمالا أو فلاحين) .. كانوا تعبيرا عن شريحة طبقية معينة من المجتمع ، ولم يكونوا تعبيرا عن الاغلبية الساحقة للمجتمع .

وهناك ظاهرة ملحوظة ايضا وهى قلة عدد ابناء رجال الدين فى الضباط

الاحرار لقد كان رجال الدين يفضلون أن يتبع أولادهم خطاهم . أو ينطلقون الى الحياة المدنية غير العسكرية .

كما يلاحظ أيضا أنه لم يكن هناك ضباط أقباط بين الضباط الاحرار سوى ضابط واحد ، وذلك لان نسبة الضباط الاقباط داخل الجيش كانت محدودة ، كما أن جذور الضباط الاحرار كانت تمتد في غالبيتها الى الاخوان المسلمين .

لم يكن هناك في ليلة ٢٣ يوليو من يحمل رتبة لواء سوى مسيحي واحد ، كما انه لم يكن هناك من يحمل رتبة أميرالاي الا مسيحيين .
ولا يعني هذا ان الجيش المصري كان يعاني من الطائفية كما كانت الجيوش تعاني في سوريا ولبنان مثلا .. ولكنه يوضح واقعا مختلفا عما كان في المجتمع اذا كانت كل وزارة تضم وزيرين قبطيين ، كما ان ثورة ١٩١٩ كانت قد نجحت في ازالة التفرقة الدينية التي حاول الاستعمار ان يبذرها بين الشعب ليمزق وحدته الوطنية .

كان حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين قد طالب بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ بحجز نسبة من طلبة الكلية الحربية لخريجي الازهر حتى يضمن بذر الافكار الدينية داخل الجيش ، ولكن الحكومات المتعاقبة لم تأخذ هذا الطلب بمأخذ الجد ، لانها لم تكن تفرق بين مسلم تخرج في الازهر أو تخرج في المدرسة الثانوية ، كما أن افتقاد خريجي الازهر لمعرفة اللغات الاجنبية كان أمرا يعرقل قدرتهم على متابعة الحياة العسكريه الحديثة

ولم يدر في خلد احد لحظة واحدة ان حركة ٢٣ يوليو كانت حركة دينية اسلامية ، ولم يقف الاقباط منها موقفا متحفظا .. بل اتضح منذ اللحظة الاولى ان هذه الحركة كانت بدافع وطني أصلاحي ، منبثقة من واقع جديد مختلف تماما عن واقع الاحزاب الحاكمه وقتئذ ، والتي كانت قياداتها اما من الاقطاعيين أو كبار الرأسماليين .

كان واقع الضباط الاحرار الطبقي والاجتماعي أقرب الى قيادات الاحزاب الوطنية الناشئة (الحزب الاشتراكي – الحزب الوطني الجديد – الاخوان المسلمين – انصار السلام – الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني – الحركات الماركسية) الذين كانوا في معظمهم من الطبقة الوسطى رغم تنافر نظرتهم الاجتماعية ، واختلاف أهداف نضالهم الطبقي منه الى قيادات الاحزاب المتبادلة للحكم (الوفد – الحزب السعدي – حزبه الاحرار الدستوريين – حزب الكتلة – الساسة المستقلين) .
ومع ذلك كانت هناك فروق واضحة في نظرة الضباط وفي نظرة

السياسيين المدنيين للامور . كان الضباط الاحرار رغم ادراكهم للمأساة التى يعيش فيها الشعب ، وللفساد الذى يهترىء المجتمع بسببه ، يعيشون حياة بعيدة عن الجماهير الى حدما .

مهنة الضابط كانت تفرض عليه نوعا من العزلة تتمثل فى ملابسه الخاصة وفى القوانين واللوائح التى يتعامل بها مع الجنود .

واذا قلنا مهنة فانما نعنى الخبرة والمسئولية والتعاون فى بناء المجتمع .. فالضابط حتى القرن التاسع عشر لم يكن يشكل مهنة من المهن المعروفة كالطب والهندسة والمحاماة . ولكنه كان يمارس عملا يستطيع الانسان العادى أن يؤديه ربما بفارق فى المهارة ولكن دون عجز فى الاداء ، وهو الاشتباك من فوق صهوة جواد .

ولكن مع استهلال القرن التاسع عشر وحروب نابليون بدا عمل الضباط يتحول الى مهنة ، لانه اصبح مع تطور العلم فنا خاصا يحتاج الى علم ودراسة وخبرة .. ولم يعد كالمماليك الذين سادوا ساحة القتال فى مصر منذ منتصف القرن التاسع حتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر بتدريب بسيط يتحولون بعده الى فرسان مقاتلين .

عمل الضابط اذن اصبح مهنة ولكنها تختلف عن بقية المهن لما يحيط بها من ظروف وملابسات خاصة .

والضباط قبل ليله ٢٣ يوليو كانوا يعيشون بفارق اجتماعى حاد بينهم وبين الجنود .. كان الجندى يتناول مرتبا شهريا قدره ٥٤ قرشا فقط زيد بعد ذلك ليصبح ٦٩ قرشا ، كما انه كان يتناول معظم وجباته من العدس .. اللحم اربع مرات فى الاسبوع فقط .. والامية كانت سائدة بين الجنود فنظام البدل النقدى كان يتيح فرصة التهرب من الخدمة العسكرية للجميع عدا فقراء الفلاحين .

ولم يكن ممكنا لصف الضباط والجنود ان يترقوا الى رتب الضباط ، كانت القوانين تسمح لهم تحت ظروف خاصة ان يصلوا الى رتبة (صول) فقط .

وكان الضباط يدركون الظروف البائسة التى يعيش فيها الجنود .. البعض منهم كان يحلم بتغيير هذه الظروف ، باعتبارها انعكاسا لحالة المجتمع .

وهكذا يمكن القول بأن الضباط لم يكونوا فى عزلة كاملة عن واقع مجتمعهم رغم حياتهم المنعزلة .. كما انه لايمكن القول بانهم كانوا مرتبطين

بمجتمعهم ارتباطا عضويا كاملا رغم صلاتهم بالقوى والتنظيمات السياسية المختلفة .

تنظيم (الضباط الاحرار) تحرك ليلة ٢٣ يوليو منفردا دون اتصال وثيق بالجماهير أو بالتنظيمات والاحزاب السياسية الوطنية والتقدميه ، معتمدا على السرية التى احاط نفسه بها ، متخذا الطابع الانقلابى المفاجىء ، واثقا فى نفس الوقت من احتضان الشعب لحركتهم بعد ان فاض به كيل الغضب من تصرفات الاستعمار والسراى .

ولا تدل حركة (الضباط الاحرار) فى هذه الليلة التاريخية على انهم أكثر الفئات الوطنية ثورية وتقدمية .. كما أنها ليست دليلا على أن تنظيم (الضباط الاحرار) كان هو الطليعة الوحيدة فى مصر .. ولكن هذه الحركة تظهر حقيقة دور الجيوش فى الدول النامية وتثبت ان الضباط يشكلون أكثر اقسام المثقفين الوطنيين تنظيما ، وقدرة على فرض ارادتهم بقوة السلاح .

ولكنه تبين منذ اللحظة الاولى لنجاح حركة ٢٣ يوليو ان هذا القسم المحدود من المثقفين الوطنيين الذين كانوا يشكلون فى وقتها فئة محدودة ايضا ، لا يستطيع وحده ان يقرر بصورة مستقله تماما النهج السياسى لمصر التى عاشت حياة سياسية خصبة عامرة بالثورات والانتفاضات والاضرابات ، مليئة بالاحزاب والتنظيمات السياسية .

الفصل التاسع

سقوط الملك

(انتم سبقتونى فى اللى عملتوه .. اللى عملتوه دلوقتى كنت أنا راح أعمله)

الملك فاروق لمحمد نجيب

وهو يودعه فى رحلته الاخيرة من مصر بعد عزله يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ .

ساعات محدودة فى ظلام ليلة حولت (الضباط الاحرار) من شبان يلتهب الغضب فى صدورهم الى مسئولين عن سياسة مصر دون أن يستعدوا لذلك بدراسة عميقة أو تخطيط واضح .

وعلى قدر ما دفعتهم الظروف والاحداث وخشية تحرك الملك ضدهم .. على قدر ما كان الوقت أضيق من ان يتسع للتفكير والتأمل .. وخاصة انهم كما ذكرنا لم يكونوا قد اجتمعوا على وحدة فكر ، أو منهج أو برنامج سياسى تفصيلى ..

كان انتصار الحركة مفاجئا لاكثرهم تفاؤلا .. تهاوت قلاع الملك وسقط أعوانه من كبار الضباط دون مقاومة .. واشتعل الحماس بين رجال الجيش مع شروق شمس ٢٣ يوليو . واحتشد الجميع لتأييد الحركة . كاد يتلاشى الخط المميز بين الضباط الاحرار الذين تحملوا مسئولية الأعداد والتنظيم والتنفيذ ، وبين زملائهم الذين لم تتح الظروف لهم فرصة الانضمام لتنظيم (الضباط الاحرار) .

كانت الفرحة تغمر الجميع داخل الجيش وخارج الجيش .. والتف الشعب حول أجهزة الاذاعة يسمعون البيان الاول ويفسرون ما شاء لهم التفسير .

تمت الحركة في سرية بعيدا عن الجماهير .

وكان السؤال الاول الذي تردد في قاعة اجتماعات مبنى القيادة العامة بعد أن استقبلوا يوسف صديق وقوفا وهم يصفقون باعتباره الضابط الشجاع الذي اقتحم هذا المكان وأتاح لهم فرصة الاجتماع فيه هو :
ماذا نعمل ؟

لم يكن هناك من شيء معد في الخطة سوى تقديم عدة مطالب للملك ، ثم يكون التصرف بعد ذلك تبعا لرد الفعل ، ولحركة الملك .

وعندما اتصل نجيب الهلالي بمحمد نجيب تليفونيا من الاسكندرية أبلغه بأن مطالب الجيش تنحصر في الآتي :

١ ــ تكليف علي ماهر بتشكيل الوزارة .

٢ ــ تعيين محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة .

٣ ــ ابعاد كريم ثابت والياس اندراوس ومحمد حسن وحلمي حسين وانطون بوللي ويوسف رشاد من حاشية الملك .

كانت هذه الطلبات بمثابة جس نبض لموقف الملك ، والتعرف عما اذا كان في مركز ضعف أو قوة .. يستند الى قوات الاحتلال أو لايستند اليها .

ولم يكن معقولا ان يطلب الجيش تعيين علي ماهر رئيسا للوزراء دون إستشارته والتفاوض معه ولذا تحرك محمد نجيب وانور السادات الى منزل علي ماهر بالجيزة حيث عرضا عليه تولي رئاسة الوزراء .

وافق علي ماهر واشترط ان يصدر له امر التكليف من الملك صاحب السلطة الشرعيه .. ووافق نجيب فلم يكن قد حدد حتى هذه اللحظة موقفا نهائيا من الملك .

وأبلغ علي ماهر الملك بمقابلة نجيب له ، ورغبتهم في تكليفه بالوزارة .
كان الخبر قد وصل الى الملك أيضا عن طريق مصطفى صادق ضابط الطيران السابق ، وعم الملكة ناريمان ، الذي أسرع الى القيادة في الساعة العاشرة صباحا يستفسر عن حقيقة ما يدور ، فقابله محمد نجيب وجمال عبد الناصر وابلغاه بالمطالب السابقة .

ويقول مصطفى صادق ان المطالب تركزت حول قضيتين اساسيتين .. حكم الاغلبية وتطهير الحاشية .. ويقول ايضا انه عندما طلب صبور

بيان يعلن فيه الجيش الولاء للملك ، قال عبد الناصر له ان البيان يتضمن الولاء للدستور وهو ما يعنى الولاء للنظام الملكى .

كان فى ذلك محاولة لتحويل النظر عن اهداف الحركة .

واتصل على ماهر بمحمد نجيب فى الثانية والنصف بعد ظهر ٢٣ يوليو ليبلغه بأن الملك قد كلفه بتشكيل الوزارة ، ويطلب منه زيارته .. وذهب اليه نجيب وانور السادات فوجدا انه يحاول التعرف منهما على ابعاد حركة الجيش ولكن نجيب موه عليه وابلغه ان الامور لاتتعدى المطالب السابقة . ويقول محمد نجيب انعلى ماهر كان مشرقا وشديد الحيوية فى هذه الجلسة.

والتقى محمد نجيب بعلى ماهر للمرة الثالثة فى الصباح الباكر ليوم ٢٤ يوليو قبل سفره الى الاسكندرية لمقابلة الملك ، حيث تمت المقابلة عصر ذلك اليوم وصرح بعدها على ماهر بأن الملك قد قبل (كل) مطالب الجيش وانه وقع مرسوما بتعيين محمد نجيب قائدا عاما برتبة (الفريق) .. وهو تحصيل حاصل لان البيان الاول اذيع بصفته قائدا عاما ، ولكن برتبته (اللواء) .

وكان اختيار على ماهر رئيسا للوزراء قد تم تحت دافع انه مستقل عن الاحزاب فلا تبدو الحركة حزبية منذ لحظتها الاولى ، كما انه اسم مقبول لدى الملك فلا يعترض عليه ويحدث تناقض يفرض ظروفا قد تخلق صعوبات غير منتظرة ، هذا الى ان على ماهر لم يكن ذا سمعة سيئة بل ان موقف وزارته بعد حريق القاهرة كان يفضل موقف وزارة نجيب الهلالى فقد خرجت من الحكم نتيجة خلاف واضح مع السفير البريطانى .

ذهب على ماهر الى الاسكندرية وهو يتصور فى نفسه صورة المنقذ التى هيأت له الظروف فرصة رد اعتباره امام رجال القصر الذين احاطوا بالملك .. فشكل وزارته من اغلبية اعضاء وزارته السابقة التى استقالت فى فبراير ، وتولى هو شخصيا وزارات الداخلية والحربية .

وتكليف على ماهر بتشكيل الوزارة لم يضع حدا لحركة الضباط ولم يوقف عجلة اندفاعها ..

النشاط الشديد الذى بدأ قبل الحركة بيومين وظهر فى صورة اتصالات ومناقشات لا تنقطع فى الليل أو النهار ظل مستمرا لا يهدأ ... وحيرة الضباط ورغبتهم فى المعرفة تركزت على سؤال اعضاء مجلس القيادة الذين استقروا فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، بعد ان وصل صلاح سالم وجمال سالم من العريش .

كانت كلية اركان الحرب هي اكبر مكان لتجمع الضباط اذ كانت تعقد فيها الدورة الثانية عشرة ٠٠ وفي صباح ٢٣ يوليو حضر الجميع ، ولم يتغيب أحد الا جمال عبد الناصر وزكريا محيي الدين وكمال الدين حسين من المدرسين ،وعباس رضوان واسماعيل فريد من الطلبه ٠٠ هؤلاء فقط هم الذين اشتركوا في حركة ٢٣ يوليو ، أما بقية الطلبة وكان عددهم ٦٣ ضابطا فلم يشتركوا في الحركة ومنهم اسماء لمعت فيما بعد مثل عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام ، ومحمد فوزي وزير الحربية ، وعبد المحسن أبو النور أمين عام الاتحاد الاشتراكي ٠

وزع افراد هذه الدفعة من الضباط الذين لم يكملوا دورتهم ،ولم تكن قد حددت بعد وحداتهم فمدة الدراسة كانت عاما كاملا — على الاجهزة والمصالح الحكومية أو في الجيش تبعا للرغبات الطارئة ، والمعرفة الشخصية٠

ومثال الدفعة ١٢ في كلية اركان الحرب يظهر نسبة عدد الضباط الاحرار المحدودة ، كما يفتح بداية لتوزيع الضباط في غير الاماكن التي هيأتها لهم الدراسة التي كانت تعتبر بمثابة (الماجستير في العلوم العسكرية) مثل تعيين الضباط مصطفى لطفي واحمد عبد السلام كفافي وعبد العزيز صادق لانشاء مكتب اشرافي في وزارة الداخلية .

وظل مجلس القيادة في شبه اجتماع مستمر يناقش الموقف بعد اذعان الملك لمطالب الجيش ، وتقرر في اجتماع استغرق ليله ٢٣/٢٤ يوليو عزل الملك على ان يظل الامر سرا حتى بالنسبة لعلي ماهر نفسه ٠

ولما كان الملك في الاسكندرية فقد اخذت الانظار تتجه اليها وخاصة بعد ان استتب الامن في القاهرة ، وحوصر قصر عابدين ، وتم اعتقال كبار ضباط الجيش ، والقلم السياسي ، ومدير الامن العام ٠

لم تكد تهدأ أنفاس الضباط الاحرار في القاهرة حتى كان الامر قد استقر على ارسال وحدات الى الاسكندرية تمهيدا لعزل الملك ، بناء على خطة كلف زكريا محيي الدين بوضعها كما وضع من قبل خطة تحريك القوات ليلة ٢٢/٢٣ يوليو ٠

لم يكن تحريك القوات الى الاسكندرية مجرد مظاهرة عسكرية ولكنه كان ضرورة تقتضيها ظروف الحيطة والحذر من تصرفات الملك ، الذي كان مجرد وجوده يمثل خطرا حتى اللحظة الاخيرة ، فالبحرية مثلا كانت خاضعة له خضوعا كاملا ولم تسهم بأي دور في الحركة ٠٠ وقوات الجيش هناك كانت محدودة ٠

الملك لم يكن يائسا .. كان يبحث عن طريق للخروج من هذا المازق .. كانت كلماته التى حملها مرتضى المراغى الى محمد نجيب تحمل تلميحا باحتمال تدخل القوات البريطانية فى الموقف كما حدث فى أيام احمد عرابى .

واستدعى الملك جيفرسون كافرى سفير امريكا لمقابلته فى سراى المنتزه يوم ٢٣ يوليو ، وطلب منه فاروق ان يطلب من حكومته اقناع الحكومة البريطانية بحاجة الملك الشديدة لتدخل قواتها .

ويقول ايدن فى مذكراته انه كان قد اوضح للسفارة البريطانية بالقاهرة ان القوات البريطانية لايجوز ان تتدخل لابقاء فاروق على العرش ، ولذا فان السفارة لم ترد على السفير الاميركى كافرى ردا مشجعا بعد اتصالات عاجلة تمت بين لندن وواشنطن كما يقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) .

ومع ذلك فانه بعد ليلة ٢٣ يوليو تحركت بعض القوات الى طريق مصر - السويس للدفاع عن القاهرة فى حالة حدوث اى تحرك بريطانى .. وكلفت القوات المصرية فى منطقه القناة بمراقبة تحركات القوات البريطانية والابلاغ عنها .

لم تثمر جهود الملك فى استجلاب تدخل بريطانى أو أمريكى لحماية عرشه .

وكانت تعليمات جمال عبد الناصر لى باعتبارى ممثلا للضباط الاحرار فى الاسكندرية تقضى بالسيطرة على المنطقة فى هدوء دون عمليات استفزازية قد تفجر الموقف وتخلق تناقضا لامبرر له بين الموقف فى القاهرة والموقف فى الاسكندرية .

وكان محمد حيدر قد دعا الى مؤتمر فى مبنى القيادة بمصطفى باشا صباح ٢٣ يوليو حضره قادة الوحدات بالاسكندرية ، وابلغهم ان ما يدور فى القاهرة هو عملية محدودة ، والقى عليهم مسئولية قيادة وحداتهم .

ولكن الضباط الاحرار بتعاون وثيق مع كافة الضباط الذين فجر البيان الاول ، كل طاقاتهم الوطنية وكل احلامهم الثورية كانوا قد سيطروا على الوحدات ، وعقدنا مؤتمرا لشباب الضباط فى رئاسة الالاى الثانى المضاد للطائرات ظهر نفس اليوم ، واخترنا البكباشى عاطف نصار ليكون قائدا للمنطقة والصاغ عبد الحكيم الاعسر ليكون اركان حرب لها .

واستقر الوضع فى الاسكندرية ايضا بعد ان نصحنا كبار الضباط بالذهاب الى منازلهم فاستجابوا دون معارضة .. وبعد ان أوقفنا محاولات

للاثارة فى البحريه وخفر السواحل عن طريق الاستعداد بالمدفعية والاتصالات الشخصيه ..

وقد اتصل بي اللواء محمد نجيب وجمال عبد الناصر عصر ذلك اليوم فأبلغتهم بهدوء الحالة واستقرار منطقة الاسكندرية .. وابلغني الاثنـــــان باحتمال هروب حسين سرى عامر عبر الصحراء الغربية الى ليبيا وضرورة ملاحقتـــه .

كان علي ماهر قد وصل الى الاسكندريه يوم ٢٤ يوليو واقســـمت وزارته اليمين القانونية ، واستدعى اليه سليمان حافظ مستشار رئاســـة مجلس الوزراء المنتدب من مجلس الدولة ليعد له التشريعات المطلوبة بنـاء على طلبات محمد نجيب .

ومع ذلك كان علي ماهر في حيرة من أمره لايعرف ابعاد حركة الجيش ويشعر أن شيئا ما لا يدرك حقيقته يدبر فى الخفاء .. ولما علم من سليمان حافظ ان فتحي رضوان يعتبر صديقا لانور السادات وانه معتقـــل فى هاكستيب والحكومة لم تفرج عنه رغم حكم مجلس الدولة ، اصدر قـرارا فوريا بالافراج عنه هو ويوسف حلمي وسعد كامل (ابن شقيقته) واستدعاه الى الاسكندرية فورا على متن طائرة حربية .

كان الثلاثة من أعضاء الحزب الوطنى الذى كان ينتمى اليه سليمان حافظ ايضا .. ولم يستطع فتحي رضوان ان يشبع رغبة عـــلى ماهر فى معرفة تحركات ضباط الجيش لأنهم لم يفصحوا عن ارادتهم لأحد ، حتى وصل محمد نجيب الى الاسكندرية بالطائرة ومعه يوسف صديق وجمال ســالم وانور السادات وحسين الشافعي وزكريا محيي الدين صباح ٢٥ يوليـــو .

كان مفروضا حسب الخطة أن يتم عزل الملك فى نفس اليوم ، ولكنه كما حدث تأجيل لحركة الجيش ليلة واحدة ، تقرر تأجيل العزل يوما واحـــدا ايضا ، بناء على طلب زكريا محيي الدين واضع الخطه الذى وجد ان الجنود فى حاجة الى الراحة لان بعضهم لم ينم منذ ليلة ٢٢/٢٣ يوليو ، والطابور المدرع كانت تنقصه بعض التجهيزات الادارية .

كان محمد نجيب على موعد مع علي ماهر لتبليغه بالانذار ، ولكنه غير رأيه وابدى له بعض ملاحظات شكلية على التشريعات التى كان سليمان حافظ قد أعدها .. والتقى محمد نجيب مع سليمان حافظ وتبين انهما كانا أعضاء فى احدى المحاكم العسكرية العليا خلال الحرب العالمية الثانية .

بقى يوم على عزل الملك .. والاسكندرية فى حالة ابتهاج شديد تلاحق

مواكب الضباط بالهتاف .. وتفسر حركتهم تفســيرات شتى ٠٠ كان الجيش مازال يدبر خططه فى سرية بعيداً عن الجماهير ٠

واثار جمال سالم اشكالا استغرقت مناقشته عدة ساعات ٠٠ قال أن مجلس القيادة قرر عزل فاروق ولكنه لم يقرر شيئاً عن مصيره ٠

وكان جمال سالم اكثر الموجودين حماسة لاعدام فاروق أو محاكمته ، مستنداً فى ذلك الى اخطائه التى ارتكبها والضحايا الذين سقطوا نتيجة لها ٠٠ وتأثر بحماس جمال سالم كل من عبد المنعم أمين وزكريا محيى الدين نوافقا على الاعدام ، بينما وقف ضد هذا الرأى كل من محمد نجيب وأنور السادات ويوسف صديق وحسين الشافعى ٠٠ واستقر رأى الحاضرين وقد بلغت الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٢٥/٢٦ يوليو أن يسافر جمال سالم بالطائرة الى القاهرة ويعود حاملا رأى زملائهم هناك ٠٠ جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وعبد اللطيف البغدادى وكمال حسين وحسن ابراهيم وصلاح سالم ٠

يلاحظ ان جميع اعضاء مجلس قيادة الثورة بقوا فى القاهرة لم يغادروها للاسكندرية سوى انور السادات وجمال سالم فقط ٠

هل يعدم الملك أم يحاكم ويسجن أم يطرد فقط ؟

سؤال لم تكن الاجابة قد اكتملت عليه حتى اليوم الذى تقرر فيـــه تقديم الانذار ٠٠ أو بمعنى أصح اليوم التالى لليوم المحدد لتقديم الانــذار لولا تأجيل الخطه ٠٠ وهذا يدل على ان تلاحق الاحداث ، كان فى غـــير حسبان الضباط الاحرار ٠٠ وان ضغط الوقت لم يسمح لهم بالتفكير الهادئ والتخطيط المتزن ٠

كانت كل مشكلة تحل فى وقتها ٠٠ وكل ازمة تعالج فى لحظتها ٠

سافر جمال سالم بالطائرة حرصا على عدم الاتصال تليفونيا بأعضاء مجلس القيادة بالقاهرة تأكيداً للامان ٠٠ وعاد فى الصباح الباكر يحمـــل الرأى المرجح وهو (يترك فاروق حيا ويحكم عليه التاريخ) ٠

النوم منذ الحركة لايتم الا لحظات خاطفة ٠٠ فى المكاتب وبملابس العمل ٠٠ وفى التاسعة صباحا كان محمد نجيب يتجه الى رئاســة مجلس الوزراء فى بولكلى لتسليم الانذار الى على ماهر حتى يستطيع الملك أن يتدبر امره فى الساعات الباقية ٠

وكان الملك قد غادر قصر المنتزه الى قصر رأس التين فى اليوم السابق مع الملكة والاميرات ٠٠ وكانت قوات الجيش التى وصـــلت من القاهرة قد

حاصرت قصري رأس التين والمنتزه .. وحدث اشتباك محدود بين قوات الحرس الملكي والقوات المحاصرة لرأس التين ، اتصل بعده الملك بالمستر جيفرسون كافري سفير الولايات المتحدة ، وعلى ماهر الذى هرع لمقابلة الملك .

وعندما وصل محمد نجيب ابلغه سليمان حافظ ان مستر (سباركس) مستشار السفارة الامريكية قد حضر منذ مدة وانه فى حالة اضطراب وانفعال شديدين ويقول انه موفد من مستر كافرى للتحرى عن حقيقة اطلاق الرصاص على قصر رأس التين ، ومدى ما يترتب على ذلك من أضرار قد تسيء الى مصلحة البلاد .

وهدأ محمد نجيب مستر سباركس قائلا له ان هذه القوات قد وزعت فى الاسكندرية كاجراء روتينى لحماية الامن ، وانه قد اصدر اوامره بوقف الضرب الذى بدأ على اساس تصور خاطيء من الحرس الملكى بأن هذه القوات تريد ان تقتحم القصر .

وانصرف مستر سباركس وقد خف اضطرابه وهدأت حدة انفعاله .

وكان الملك فى هذه اللحظة قد جمع انطوان بوللى ، كافاتسى (مدرب الكلاب) وجارو (الحلاق) والقائمقام حلمى حسين (السائق) ومحمد حسن (الشماشرجى) والاميرالاى محمد أبو النصر مدير مشاة الحرس - والياور على مقلد والياور الجوى حسن عاكف ، وطلب منهم صد الهجوم عن القصر بتوجيه نيران الهجانة ومدافع الماكينة على الدبابات الرابضة خارج الاسوار .

وبدأت الطلقات المتبادلة ، ثم أمر الملك بوقف الضرب عندما ابلغ ان مدفعا كبيرا مصوبا فوهته على صالة القصر .

وغادر على ماهر القصر بعد ان عاد الهدوء .

ولكن على ماهر فوجيء فى بولكلى بتقديم انذار الجيش للملك بضرورة توقيع وثيقة التنازل عن العرش قبل الثانية عشرة ظهرا ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة مساء .. وارتجفت شفتا على ماهر وهو يسمع حديث محمد نجيب وشحب وجهه ولكنه تجلد وقال (زى ما تشوفوا) ثم غادر بولكلى الى القصر مرة ثانية فى نفس الصباح بعد ان قرأ كلمات الانذار التى تقول :

من الفريق اركان الحرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله الى جلالة الملك فاروق الاول :

انه نظرا لما لاقته البلاد فى العهد الاخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب حتى

اصبح كل فرد من افراده لايطمئن على حياته أو ماله أو كرامته ـ ولقـــد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم فى هذا المسلك حتى اصبح الخونة والمرتشون يجدون فى ظلكم الحماية والامن والثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير ، ولقد تجلت آية ذلك فى حـرب فلسطين وما تبعها من فضائح الاسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما افسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى فاثرى من أثرى وفجر من فجر ، وكيـــف لا والناس على دين ملوكهم ٠

لذلك قد فوضنى الجيش الممثل لقوة الشعب ان اطلب من جلالتكـم

التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الامير أحمد فؤاد على ان يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم (السبت الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢ والرابع من ذى القعدة ١٣٧١) ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج) ٠

توقيـــع : فريق (اركان حرب) محمد نجيب

عاد محمد نجيب الى ثكنات مصطفى كامل ٠

وابلغ على ماهر الملك شفاهة بانذار الجيش لقســـوة بعض كلماته مشفوعا برأيه ونصيحته فى النزول عن العرش لابنه أحمد فـــؤاد الثانى استبقاء للعرش فى ذريته ٠٠ ولكن الملك قال انه ليس جبانا وأن عنـــده قوات موالية اكثر مما عند الثائرين ٠٠ ولكن على ماهر اوضح له مخاطـر تعريض مصر لحرب اهلية لا يعلم مداها الا الله ٠٠ واقتنع الملك دون نقاش طويل ، وعندما سأله على ماهر اذا كان يفضل السفر جوا ٠ اجاب بأنه يفضل السفر بحرا على الباخرة (المحروسة) وهى يخته الخاص مشـــترطا الآتى :

١ ـ ان يستصحب معه زوجته ناريمان وابنه الطفل أحمـــد فـؤاد وســـائر اولاده ٠

٢ ـ ان يودع على الصورة التى تليق بملك نزل عن العرش باختياره ٠

٣ ـ ان تشترك الحكومة فى وداعه ممثلة برئيسها وكذلك القوات المسلحة ممثلة بقائدها محمد نجيب ٠

٤ ـ ان يمكن من مقابلة السفير الامريكى جيفرسون كافرى قبل سفره ٠

٥ ـ ان تقوم قطع الاسطول المصرى بحراسة الباخرة التى سيستقلها حتى وصوله الى ايطاليا ٠

عاد على ماهر الى بولكلى يحمل الموافقة ومعها هــذه الطلبات ٠٠ وبدأ تســليم رجال الحاشية المطلوبين الى القــوات المحاصرة للقصر ٠٠ اســتلم عبد المنعم أمين قائد القوة ، حلمى حسين ومحمد حسن وانطون بوللى ٠

واعــد الدكتــور عبد الرازق السنهورى رئيس مجلس الدولة وثيقــة التنازل فى صيغة أمر ملكى يستلهم ديباجته من الدستور ٠٠ ووافق محمد نجيب الذى اجتمع مرة ثانية مع على ماهر وجمال سالم وأنور الســادات فى بولكلى حوالى الحادية عشرة صباحا ٠

حدث تعديل وحيد على الصياغة اقترحه جمال ســـالم ووافق عليــه الدكتور السنهورى وهو اضافة عبارة تفيد بأن النزول عن العــــرش كان (استجابة لرغبة الامة) ٠

وكلف على ماهر المستشار سليمان حافظ بحمل الوثيقة الى الملـــك لتوقيعها قبل الثانية عشرة حسب الانذار الموجه له ٠

ويقول سليمان حافظ أن الملك أقبل عليه وهو عارى الراس فى حلة القائد الأعلى للقوات البحرية يسير بخطى سريعة تاخذ بخناقه سلعة عصبية متواصلة ، وقرأ الوثيقة على مهل ثم تساءل عما اذا كان ممكنا اضــــافة بعد عبارة (بناء على ارادة الأمة) كلمة (وارادتنا) وقال له سليمان حافظ أن صياغة الوثيقة فى صورة أمر ملكى ينطوى على هــذا المعنى ٠ وقال الملـك (فما الضرر اذن من اضافتها) وقال سليمان حافظ (اننا لم ننته من صياغة الوثيقة على صورتها الا بصعوبة لا تسمح بادخال أى تعديل) فقال الملـك (اذن كانت هناك وثيقة أخرى) فلما أجاب سليمان حافظ بالايجاب طلب الملك الاطلاع عليها فقال له أنه لم يطلع عليها وهى ليست معه ٠٠٠ فقــال الملك (لعلك لا تريد ذكر شيء عنها لما قد يكون فيهــــا من معـــانى تجرح شــعورى) ٠

وقع الملك الوثيقة وهو فى حالة انفعـــال شديد ، ثم وجد أن توقيعه ليس منضبطا فوقعهـــا مرة ثانية فى أعلى الكلمـــات التى تعلن تنازله عن العرش فى كلمات موجزة تقول :

أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢ ٠

نحن فاروق الاول ملك مصر والسودان ٠

لما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البـــلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة ونزولا على ارادة الشعب ٠

قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الامير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا

يهدا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الوزراء للعمـــل بمقتضـــاه .

صدر بقصر رأس التين في ٤ ذي القعدة ١٣٧١ (٢٦ يوليو ١٩٥٢)

حمل سليمان حافظ وثيقة التنازل الى على ماهر في رئاسة الوزراء ثم ذهب الى محمد نجيب وزملائه في ثكنات مصطفى كامل ليعرض عليهم رغبة الملك في اخذ انطوان بوللي معه في رحلته الاخيرة ، ولكن أعضاء مجلس القيادة رفضوا التراجع عن مطالبهم لتحقيق مستهدف يمس نزاهة الحكم ، كمـــا رفضوا طلب الملك ان تصحب (المحروسة) بعض قطع الاسطول المصرى حتى تصل الى ايطاليا .. وقد طلب الملك من جيفرسون كافرى فيما بعد حراسة بعض قطع الاسطول الامريكى له اثناء رحلته .

كان محمد نجيب معتزما ان يكون فى وداع الملك على مرسى رأس التين .. ولكن المظاهرات التى اعترضت طريقه فى شوارع الاسكندرية وخطأ السائق في معرفة الباب الصحيح جعله يصل متأخرا أربع دقائق عن رحيل الملك فى تمام السادسة .

كان فى وداع الملك على المرسى على ماهر وجيفرسون كافـــرى وزوجا شقيقتيه اسماعيل شيرين ومحمد على رءوف وبعض ضباط الحرس والجميع فى وجوم شديد .. وكان الملك ينظر الى ساعته بين لحظة واخـــرى حتى اعلنت السادسة فقرر الرحيل ، وهنا عزفت الموسيقى السلام الملكى . ثم انزل العلم الملكى . وطواه ضابط من ضباط الحرس سلمه الى على ماهـــر الذى سلمه بدوره الى الملك ، واطلقت المدفعية ٢١ طلقة .. وأدى حـــرس الشرف التحية العسكرية .. وصافح الملك مودعيه بينمـا خـــدم القصر والمودعون يجهشون بالبكاء .

وعندما وصل محمد نجيب كانت آثار الدموع مازالت تلمع فى عينى على ماهر ، واصر نجيب على توديع الملك فركب لنشا ليلحق بالمحروسة ومعه القائمقام احمد شوقى وقائد الجناح جمال سالم والبكباشى حسين الشافعى واليوزباشى اسماعيل فريد .

وصعد محمد نجيب الى المحروســـة ومعه زملاؤه ، ثم ادى التحية العسكرية للملك المعزول وتصافحا باليد .. ومضت فترة سكون يقول عنها محمد نجيب (الملك يتوقع ان اتحدث والقدرة على التعبير ضاعت من رهبة المـوقف) .

واخيرا انطلق نجيب يتحدث قائلا :

انني اريد ان اقول لك شيئا .. عندما اقتحمت الدبابات البريطانية

قصرك فى ٤ فبراير ١٩٤٢ كنت انا الضابط الوحيد الذى قدم
احتجاجا على هذا الاعتداء الشنيع على استقلال البلاد . فعلت
الجيش كله وعبرت به عن شعور هؤلاء الضباط الذين قاموا بالحـ
.. وفى هذا ما يدل على مبلغ ما كان من ولائنا نحن رجال الحركـ
اما الآن فقد تطورت الاحوال وانقلبنا نحن حماتك الى ثوار عليك
أعمالك وتصرفات من حولك .

وفوجىء فاروق بهذا الحديث فقال :

على كل حال انني اتمنى للجيش كل الخير .. وانى أوصـ
بالجيش المصرى فهو جيش آبائى واجدادى .. ان ماموريتك شاقة
وقال له نجيب :

انى اعرف ان الكولونيل سيف سليمان باشا الفرنساوى ،
بدأ تكوين الجيش المصرى .

وكان فاروق قد لاحظ أن جمال سالم يحمل عصاه وهو فـ
فتوقف عن الحديث واشار له قائلا :
أرم عصاك .

وحاول جمال سالم ان يعترض ولكن محمد نجيب نهره عن د
عصاه ووقف وقفة فيها شىء من اللامبالاة .

وقال الملك وهو يصافحهم مودعا بعد ان ادوا له التحية العسـ
انتم سبقتونى فى اللى عملتوه .. اللى عملتوه دلوقتى كنتـ
عملـــه .

وطلب الملك تأجيل رحيل المحروسة نصف ساعة حتى تحضـ
حقائبه ووافق نجيب بلا تردد . وخرج وفى ذهنه كلمات الملك

كان سباقا مع الزمن بين الملك وبين الضباط الاحرار .

لو كانت الحركة قد تأخرت اياما ربما كان بعضهم قد أصـ
قضبان السجون ، والملك فى حياته اللاهية .

ولكن احداث التاريخ شاءت ان يخرج الملـــك معزولا من مـ
يصبح محمد نجيب قائدا لحركة الجيش .
وكانت عملية اخراج الملك قد تمت فى سريه تامة عن الجمـ

لم تسمع شيئا مؤكدا عنها الا في السادسة والنصف عندما اذيع بيان تاريخي بصوت محمد نجيب يعلن فيه خـــروج الملك ، ويطلب من المواطنين الذين غمرهم الفرح ان يلتزموا الهدوء .

ويقول محمد نجيب ان صدره قد استراح باذاعة هذا البيان لانه كان حريصا على ان يفهم كل مصرى ان المشاركة فى الحركة لم تكن لكسب شخصى مادى وانما كانت لتحرير الوطن والمواطنين .. واراد ان يضرب المثل بنفسه عندما عينه قائدا عاما للقوات المسلحة يوم ٢٤ يوليـــو ، وقناعته برتبته الحالية . رتبة اللواء .

هكذا سقط الملك فاروق ، وغادر مصر . وطويت صفحة حكمـــه فى دون تردد .

وبعد ساعة ونصف اى فى الثامنة مساء اذاع محمد نجيب بيانا آخر اعلن فيه على الشعب تنازله عن رتبة (الفريق) التى كان قد منحها له الملك التـاريخ .

الضباط فى السلطة .. لاول مرة

لم يكن سقوط الملك اعلانا عن سقوط الملكية .
ولم يكن خروج فاروق هو نهاية الحكم الملكى من الوجهة الدستورية
كانت أول مشكلة تواجهها قيادة الجيش .. هى قضية الوصاية على العرش .

المادة ٥١ من دستور ١٩٢٣ كانت تنص على الا يتولى أوصياء العرش عملهم الابعد أن يقرأوا اليمين امام مجلس النواب والشيوخ مجتمعين تماما كما يؤدى الملك اليمين قبل مباشرة سلطته الدستورية .. وللملك حسب احكام الامر الملكى رقم ٢٣ عام ١٩٢٢ اختيار هؤلاء الاوصياء على ان يقر المجلسان اختياره .

وتنص المادة ٥٢ من الدستور على انه عند وفاة الملك يجتمع البرلمان بحكم القانون خلال عشرة أيام من الوفاة ، فان كان المجلس منحلا وكان الموعد المعين لاجتماع المجلس الجديد يعد انتخاب اعضائه يجاوز اليوم العاشر وجب دعوة المجلس المنحل للعمل حتى يجتمع المجلس الذى يخلفه .

أما المادة ٥٥ فتنص على ان يتولى مجلس الوزراء ـ بصفة مؤقتة ـ سلطات الملك الدستورية حتى يؤدى أوصياء العرش اليمين أمام البرلمان .

كان مفروضا ان يدعى البرلمان الوفدى المنحل للانعقاد طبقا للدستور وطبقا لفتوى قدمها عدد من رجال القانون الوفديين لرئيس الوزراء على ماهر وارسلوا صورة منها الى محمد نجيب . ومعروف ان على ماهر كان قد رفض

حل مجلس النواب الوفدى خلال رئاسته الوزارة بعد حريق القاهرة ٠

ولكن على ماهر الذى اصبح مجلسه جامعا للسلطة التشريعية وسلطة الملك الدستورية الى جانب السلطة التنفيذية يعلن بعد اجتماع مجلس الوزراء بأن قيام برلمان نظيف على أســـاس ســليم يحتاج الى تمهيد يستغرق سنوات ٠٠ وعلق السنهورى الذى استدعى هو وسليمان حافظ لحضـــور اجتماع المجلس بأن ذلك الرأى يعنى اتجاه على ماهر الى حكم البلاد بغـــير برلمان مستندا الى سلطة الجيش ٠

ورغم ان سليمان حافظ والسنهورى كانا يستهدفان اقامة حكم برلمانى بأسلوب جديد فى الانتخابات يحرم الوفد من اغلبيته المطلقة التى كان يتمتع بها رغم عدم حصوله على اكثر من ٤٠٪ من اصوات الناخبين ـ على حد قوله ـ الا ان سليمان حافظ كان حريصا اشد الحرص على عدم دعـــوة البرلمان الوفدى المنحل ، مناضلا من اجل ذلك بكل الطرق الممكنة وذلك لخـــلاف سياسى عميق بينه كرجل من رجال الحزب الوطنى وبين الوفد كحـــزب جماهـــيرى ٠٠

ولجأ سليمان حافظ الى فكرة عرضها عليه الدكتور حسن بغدادى عميد كلية الحقوق بالاسكندرية فى ذلك الوقت ، تقضى بتعديل الامر الملكى رقم ٢٣ لعام ١٩٢٢ تعديلا يكفل انشاء الوصاية المؤقتة وينظمها وهو تعديل يتيسر لمجلس الوزراء اقراره بحكم توليه السلطة التشريعية فى غيبة البرلمان عملا بالمادة ٤١ من الدستور ٠

وافق الدكتور عبد الرازق السنهورى على ذلك الرأى ايضا ، وهـــو الوزير السعدى السابق ٠ وعرض الامر على مجلس القيادة فاتفق الرأى على تفويض الامر الى قسم الرأى مجتمعا بمجلس الدولة ، الذى اصدر قـــرارا باجماع الاصوات عدا صوت الدكتور وحيد رأفت بأنه لايجوز دعوة مجلس النواب المنحل للعمل فى حالة نزول الملك عن العرش بل يجب المبادرة الى اجراء الانتخابات لمجلس النواب الجديد ودعوته للاجتمـــاع فى الميعـــاد الدستورى لتعيين اوصياء العرش فاذا رأت الحكومة ان الضرورة العمليـة تتطلب لاجراء الانتخابات وقتا غير قصير لاينبغى لمجلس الوزراء ان يستمر خلاله فى مباشرة سلطات الملك ، أمكن ايجاد نظام وصاية مؤقتة تنتقل اليها هذه السلطات من مجلس الوزراء الى أن تتولاها لجنة الوصاية الدائمة ٠

وتشكل مجلس الوصاية المؤقت من الامير محمد عبد المنعم رئيســا وعضـــوية بهى الدين بركات باشا والقائمقام رشاد مهنا الذى عين وزيـرا

للمواصلات لمدة يوم واحد حتى يكون تعيينه فى مجلس الوصاية دستوريا .

واعتبر سليمان حافظ هذا الموقف انتصارا له فقال فى مذكراته التى كتبها واودعها عند صديقه الدكتور مصطفى مرعى الذى تفضل باطلاعى عليها بالحرف الواحد (باء الوفد بالخيبة وبؤت مع السنهورى بالفوز بما كنا نبغيه من على ماهر) .

وانتقل مكتب سليمان حافظ منذ ذلك الوقت الى رئاسة مجلس الوزراء .

وصدرت عدة تشريعات براقة من ناحية الشكل .. اذ الغيت بدعة تصييف الوزارة بالاسكندرية ، وخفضت السيارات الحكومية . والغيت الالقاب والرتب المدنية .

ولكن هذه التشريعات وحدها لم تكن كافية لمواكبة اندفاع مجلس القيادة الذى كان يواصل اجتماعاته ليل نهار ، يتصل اعضاؤه بمعارفهم من مختلف الاتجاهات السياسية ، يتأثرون بأحاديثهم ويسعون الى تنفيذ بعض اقتراحاتهم .

وكان على ماهر يعتبر نفسه رجل الساعة ، يحافظ بكل ما فى جهده وطاقته على استمرار الاوضاع على ماهى عليه ، ليظل فى مركز السلطة ولكن التناقضات كانت قد بدأت تنبت بينه وبين مجلس القيادة الذى كان يتحمل عبء المسئولية الفعلية فى مصر بعد خروج الملك .
كان مجلس القيادة المشكل من تسعة افراد هم : جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وجمال سالم وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين وانور السادات قد قرر فى ١٥ اغسطس ضم خمسة من الذين اسهموا بقدر كبير فى نجاح الحركة وهم محمد نجيب ويوسف صديق وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعبد المنعم أمين .

تقررت هذه الزيادة بعد تقديم جمال عبد الناصر استقالته لأنه كان راغبا فى سلوك اسلوب ديموقراطى بينما طلب جمال سالم اختزال عدد اعضاء المجلس الى خمسة اعضاء فقط ، وتكليف الباقين بالعودة الى مواقعهم فى الجيش ..
أدت هذه الزيادة الى اجتذاب عدد كبير من الضباط للمجلس .. واصبح له مندوبون من الضباط فى مختلف الوزارات ، مما خلق فى كثير من الاحوال ازدواجية وحساسية ، وخلق عند الضباط رغبة الخروج من اطار

النظام العسكرى والانطلاق بملابسهم الرسمية الى مواقع العمل المدنية ، واشتهر اصطلاح (مندوب القيادة) الذى كان يتحرك به هؤلاء الضباط ليصدروا تعليماتهم وتوجيهاتهم فى مواقف كثيرة متعددة ٠

بدأ الانضباط العسكرى يفقد طابعه القديم ، واخذت اتصالات الضباط تمتد خارج حدود الجيش ٠٠ ولم يعد الامر قاصرا على الضباط الاحرار وحدهم ، وانما اتيحت الفرصة ايضا لعدد آخر من الضباط الذين تميزوا بالمهارة فى التقرب والقدرة على التلون ٠

وكان صعبا على مجلس القيادة فى مرحلته الاولى وخلال دوامة الاجتماعات والاتصالات ان يقيم تنظيما أو يصدر تعليمات تمنع الضباط من الاندفاع الى هذا المجال الجديد ٠

وهكذا نمت الازدواجية وظهرت الحساسية بين الوزارة ومجلس القيادة ٠

كان على ماهر قد زار مرسى مطروح خلال فترة العيد واتصل به محافظ الصحراء الغربية (بكباشى حسنى المنهورى) واثار معه عدة قضايا ، منها ٠٠ اعطاء تراخيص اقامة للمصريين فى الصحراء الغربية وهو نظام افتعلته قوات الاحتلال بالنسبة لكل مناطق الحدود المصرية ٠٠ واصدر على ماهر قرارا بالغاء تصاريح الدخول والاقامة للمصريين فى جزء من بلادهم واثار معه أيضا قضية اعطاء (تراخيص تموين)للمصريين المقيمين فى الصحراء الغربية فوافق عليها أيضا ٠

وعقد على ماهر اجتماعا موسعا مع الضباط اثيرت فيه قضية فصل الضباط من الجيش بعد الثورة ٠٠ وقال عبد الجليل العمرى (وزير المالية) الذى كان مرافقا له فى هذه الزيارة ان خروج عدد كبير من الضباط سوف يثقل كاهل الميزانية بمعاشات كبيرة ٠

وتطرق الحديث بعد ذلك الى موضوع الاصلاح الزراعى ، فأبدى على ماهر رأيه فى ان يكون الحد الاقصى ٥٠٠ فدان ، ان لم يوافق على فرض ضرائب تصاعدية ٠

ولم يقتصر اجتماع على ماهر بالضباط على مرسى مطروح ٠٠ بل عقد اجتماعا ثانيا مع ضباط الاسكندرية فى ناديهم بالشاطبى ٠٠ واثيرت هذه القضايا مرة اخرى ٠

مثل هذه الاتصالات بين على ماهر والضباط ، الى جانب آرائه المعارضة للاصلاح الزراعى الذى تبنى فكرته جمال سالم بعد ان صقلت خلال عدة

لقاءات تمت بينه وبين احمد فؤاد ودكتورراشد البراوى أدت الى تنافر اخذ يزداد حتى وصل غايته •

وكان الاتفاق قد تم بين مجلس القيادة وعلى ماهر على ان تتم الانتخابات فى شهر فبراير تنفيذا لرأى مجلس الدولة الذى شكل به مجلس الوصاية المؤقت ، وطلبوا منه ان يذيع ذلك توضيحا للشعب • ولكن على ماهر اذاع البيان دون تحديد شهر فبراير ، بل قال ان الانتخابات ستتم فى اقرب فرصة •

أهاج عدم تحديد الموعد ثائرة ضباط القيادة ، واذاعوا بيانا يتناقض مع بيان على ماهر ويحدد فبراير موعدا للانتخابات •• الامر الذى نقل مشكلة الخلاف من كواليس السياسة الى ساحة الجماهير •

كان على ماهر يستهدف من عدم تحديد موعد الانتخابات اعطاء نفسه فرصة اطول للسيطرة على الحكم بطريقة غير دستورية •

والواقع ان رجعة الى تاريخ على ماهر الذى بدأ حياته عضوا فى لجنة الثلاثين لاعداد دستور ١٩٢٣ ، توضح لنا انه اتخذ طوال حياته السياسية مواقف تعادى روح الدستور وتتناقض معه •

اشترك على ماهر فى وزارات احمد زيور ومحمد محمود واسماعيل صدقى وهى الوزارات الانقلابية التى اهدرت سلطة الامة واعتدت على الدستور وعطلته ثم ألغته ، والتى كانت حربا على الحريات والحرمات والكرامات ،كما كانت وسيلة لدعم سلطان الملك ونظريته القائمة على أنه يملك ويحكم •

وعندما عين على ماهر رئيسا للديوان الملكى بعد تولى فاروق سلطته الدستورية كان استهلال عهده اقالة وزارة مصطفى النحاس عام ١٩٣٧ ، رغم ما فى ذلك من اعتداء على روح الدستور ••• ثم تولى رئاسة الوزراء بعد انتخابات مزيفة دون ان يستند الى حزب او تنظيم سياسى عام ١٩٣٨ •

كانت موافقة على ماهر على ابقاء مجلس النواب الوفدى بعد حريق القاهرة من اجل بقاء وزارته فى الحكم بعد حصوله على تأييد الوفد والمجلس •• ولكنه عندما تلمس فرصة الحكم بعيدا عن الدستور ، بعيدا عن البرلمان •• تنكر لموقفه القديم وعارض فى دعوة مجلس النواب المنحل • بل وعارض فى تحديد موعد الانتخابات الجديدة •

وعقب اذاعة بيان مجلس القيادة بعد بيان على ماهر فكر فى الاستقالة ولكنه تراجع عن ذلك •

وبعد أزمة الاتصال بالضباط ومعارضة الاصلاح الزراعى ٠٠ والخلاف حول موعد الانتخابات مما يمس دستورية الحكم ٠٠٠ ظهر خلاف ثالث حول تعديل الوزارة ٠

كان على ماهر قد اتفق مع محمد نجيب على اسس تعديل وزارته التى شكلت فى سرعة شديدة عقب تكليفه بذلك من معظم عناصر وزارته التى اقالها الملك ، وكانما ليظهر امامه فى مظهر المنتصر ٠٠ ثم فوجىء محمد نجيب بمراسيم التعديل الوزارى وقد صدرت على غير ما اتفقوا عليه ، اذ حصل على ماهر على توقيع رشاد مهنا ، معتقدا انه يمثل سلطة الجيش ٠

ويقول محمد نجيب « يبدو ان على ماهر فى هذه الفترة كان تحت ضغوط شديدة من بعض رجال الاحزاب والسياسيين القدامى لتعطيل قانون الاصلاح الزراعى ٠٠ ومن أصدقائه الوزراء الذين اتفقنا معه على اخراجهم ثم شعر امامهم بالاحراج ٠٠٠ وكان طموحا فى نفس الوقت لاستمرار الوزارة دون انتخابات محددة الموعد لا يعرف نتيجتها » ٠

ظهر منذ وقت مبكر فى حركة ٢٣ يوليو ان مركز القوة والسلطة قد انتقل الى مجلس القيادة ، وانهم ماكانوا ليطبقوا حكما يتعارض مع ارادتهم أو يعرقل مشاريعهم ٠

وسلك مجلس القيادة سلوكا يستظهر به قوته ليس أمام على ماهر وانما أمام كافة السياسيين ٠٠ اذ أصدر قرارا باعتقال ٦٤ سياسيا يوم ٧ سبتمبر دون الرجوع الى رئيس الوزراء ٠٠٠ واعلن جمال عبد الناصر الخبر فى اجتماع لمجلس القيادة كان يحضره الدكتور عبد الرازق السنهورى وسليمان حافظ٠

وتحدد بهذا القرار مصير وزارة على ماهر ٠

وبدأ البحث عن اسم رئيس الوزراء الجديد ٠

ولكن على صبرى همس فى اذن جمال سالم وكان حاضرا لهذا الاجتماع باعتباره سكرتيرا لمجموعة الطيران ٠٠٠ وقال جمال سالم انه يجل السنهورى ويعرف قدرته ويعترف بجدارته ويثق فى اخلاصه للحركة كما بدا واضحا فى تأييده لقانون الاصلاح الزراعى ولكنه يستسيغ الصراحة والاخلاص فى عرض السبب الذى يجعله مرغما على العدول عن ترشيحه ٠

وكان السبب كما قاله جمال سالم هو ان الامريكان سوف يعترضون على الترشيح لان بعض الصحف الغربية نسبت اليه فى اواخر عهد الملك

السابق واثناء حكم الوفد أن له ميولا يسارية ٠٠ انه رغم يقينه ببطلان هــذه التهم ، الا ان مصلحة الحركة ـ وقد اخذت بعض الصحف فى الخارج تتهمها بالشيوعيةـ يقتضى تفادى كل ما من شأنه أن يستغله الاعداء ٠

ويقول خالد محيى الدين ان الامريكيين كانوا قد ابلغوا على صــبرى بذلك عندما شعروا باقتراب السنهورى من مجلس القيادة ورجوع الاعضــاء اليه فى كافة مشاكلهم الدستورية ٠

واجاب الدكتور السنهورى فى ثقة هادئة بأنه يقر وجهة نظر جمال سالم بعد ان قال ان الذريعة التى استندت اليها صحافة الغرب فى اتهامه بالشيوعية ترجع الى انه وقع وزملاء له من مستشارى محكمة القضــاء الادارى بمجلس الدولة نداء للسلام هــو ما عرف فى ذلك الوقت باســم (نداء ستوكهولم) ومضمون النداء لا يعدو ان يكون دعوة لاقرار السلام العالمى ومقاومة اســباب الحروب ٠

وانهى الدكتور السنهورى كلامه طالبا الانتقال للحديث عن مرشــح آخــر ٠

وانتهى الامر الى الاقتراح بتعيين محمد نجيب رئيسا للوزراء وسليمان حافظ نائبا لرئيس الوزراء ٠

حدث ما توقع المجلس واستقال على ماهر ، ولكنهم طلبوا منه ان يحتفظ بموقعه رئيسا لوفد مصر فى اجتماعات الجامعة العربية ، وفى وفد مفاوضة الاحزاب السودانية ٠

خرج آخر رئيس وزراءمدنى بعد فترة حكم امتدت ٤٧ يوما فقط ٠
سقط الحكم المدنى فى مصر شكلا وموضوعا باستقالة على ماهر ٠٠٠ بعد ان سقط الملك من قبل ٠

كان موقف السياسيين الذين احاطوا بمجلس القيادة فى هذه الفترة هو احد الاسباب الرئيسية التى انهت هذا الحكم ٠

الاخوان المسلمون وجدوا فرصتهم الفريدة لتحقيق اطماعهم فى القضاء على الوفد بدعوى القضاء على الحزبية والتحزب ٠٠٠ ووثقوا ان شجرة الانقلاب تنمو فى ساحتهم ٠٠٠

موقف على ماهر من رغبته فى الانفراد بالحكم على غير اسس دستورية أهدر القيم التى كان يمكن ان تكون سندا للارادة الشعبية ٠٠٠ كما ان تشكيله للوزارة من عناصر ليس لها احترام وتقدير شعبى اضعف من مركز الوزارة

عموما امام الجماهير ، وجعل كل الامور متعلقة بشخصه ٠

فتوى سليمان حافظ وقسم الرأى بمجلس الدولة التى حالت دون دعوة مجلس النواب المنحل للموافقة على الاوصياء كانت ظاهرة بارزة فى محاربة الوفد واستخراج تشريعات لاتتمشى مع روح الدستور ولا مع الرؤية السياسية السليمة ٠

كل هذه الاتجاهات التي احاطت بمجلس القيادة منـــذ البداية خلقت شعور استهانة بالدستور ، واظهر انه يمكن الالتفاف حوله ٠٠٠ كما انهـــا تجاوب مع ما فى صدور الضباط عامة من الرغبة فى التعبير السريع الحاسم الذى يتناسب مع ايقاع الحياة العسكرية فى الجيش ٠

سقطت واجهة الحكم المدنية ٠٠ وتولى اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة منصب رئيس الوزراء ٠

لم يصل الضباط الى السلطة دفعة واحدة ٠٠٠ ولم يتحول مجلس القيادة فجأة من ضباط الى وزراء ٠٠٠ عين محمد نجيب رئيسا للوزراء فكان اول رجل عسكرى يتولى رئاسة الوزارة فى تاريخ مصر الحـــديث بعد محمود سامى البارودى واحمد عرابى ٠٠ ولكن احدا من الضباط لم يشترك فى الوزارة ٠

تم تشكيل الوزارة فى يوم واحد ٧ سبتمبر ١٩٥٢ ٠٠٠ ولم يكن نجيب يعرف معظم الذين اتصل بهم ٠٠٠ قام بهذه المهمة ســـليمان حافظ وفتحى رضوان الذى كان قد اجتمع باعضاء مجلس القيادة بناء على دعوة وجهت اليه، وكان محور حديثه معهم هجوما على وزارة على ماهر وبعض شخصياتها الهزيلة ٠

عرضت الوزارة على محمود محمد محمود وحامد سليمان غالى وعبد الجليل العمرى وابراهيم بيومى مدكور فاعتذروا فورا ٠

واذا كان هناك نقد يمكن ان يوجه لوزارة على ماهر ومستوى تشـــكيلها وضعف افرادها فان هذا النقد يمكن ان يوجه مضاعفا الى وزارة محمد نجيب الاولى التى ضمت سليمان حافظ نائبا لرئيس الوزراء وستة وزراء من الحزب الوطنى ووزيرين من الاخوان المسلمين والباقين من المستقلين ٠

وكان غريبا ان تشكل وزارة محمد نجيب الاولى معتمدة على الحـــزب الوطنى الجديد اعتمادا شبه كامل ، رغم انه لم تكن هناك صلة ما قد عقـــدت قبل الثورة بين اى ضابط من الضباط الاحرار واعضاء الحزب الوطنى الجديد اذا استثنينا عبد العزيز على الذى عين وزيرا للشئون البلدية وكان موظفا

فى الدرجة الثالثة وله تاريخ فى جمعية اليد السوداء التابعة من الحزب الوطنى القديم وكانت له صلة بعبد اللطيف البغدادى ومجموعة الطيران .

ولكن مجلس القيادة كان حريصا على عدم صبغ وزارته الاولى بصبغة حزبية سافرة ، كما انه كان حريصا على عدم ظهور الحركة بمظهر انها امتداد لنشاط الاخوان المسلمين .. ولذا ضاقت دائرة الاختيار حيث أن كافة المستقلين المعروفين كانت لهم انتماءات او صلات مع الاحزاب المختلفة ، والبعض منهم رفض الاشتراك .

ولم ينظر مجلس القيادة الى الحزب الوطنى الجديد باعتباره حزبا من الاحزاب التى تحرض الحركة على عدم الارتباط بها ... لانه لم يشارك فى اية حكومة سابقة قبل ٢٣ يوليو ، كما انه لم يكن للحزب الوطنى أى انصار أو نفوذ سياسى بالقدر الذى يخيف نظاما جديدا ، كما ان المبادىء التى نادى بها الحزب الوطنى وظهرت على صفحات (اللواء الجديد) كانت - متناسقة مع المبادىء الستة للضباط الاحرار .

كان معظم الوزراء أسماء جديدة على سمع الجماهير .. ليس لاحد منهم (الا قلة محدودة) تاريخ وشهرة سياسية معروفة ، كما ان تجربتهم فى الحكم جميعا كانت جديدة ، فلم يسبق لاحد منهم ان تولى الوزارة عدا الدكتور عبد الجليل العمرى الذى كان وزيرا للمالية والاقتصاد فى وزارة على ماهر .. ويلاحظ ان هذا المرسوم كان اول مرسوم يصدر دون ان يقترن الاسم باللقب بعد أن الغيت الالقاب بل ان أحدا منهم لم يكن يحمل رتبة البيكوية سوى سليمان حافظ وعبد الجليل العمرى .

وتم اختيار وزيرى الاخوان بعد خلاف فى الرأى .. كان قدتم اتصال مع حسن الهضيبى لترشيح وزيرين ، فاقترح الشيخ احمد حسن الباقورى عضو مكتب الارشاد وأحد اثنين اما احمد حسنى وكيل محكمة النقض او محمد كمال الديب محافظ الاسكندرية ... وتم الاتصال فورا بالباقوى وحسنى .

وبينما هم فى انتظار حضورهما اذا بحسن العشماوى ومنير الدله يحضران موفدين من حسن الهضيبى باعتبارهما مرشحين للاخوان ويقابلان جمال عبد الناصر الذى عرض امر ترشيحهما على سليمان حافظ الذى اعترض لصغر سنهما ولانه اتصل فعلا بالشيخ الباقورى وأحمد حسنى .

واتصل بجمال عبد الناصر بحسن الهضيبى الذى ابلغه ان الترشيح الاول كان ترشيحا شخصيا منه ، وانه عندما عرض الامر على مكتب الارشاد قرر ترشيح العشماوى والدلة او عدم الاشتراك فى الوزارة .

ومع ذلك تم تشكيل الوزارة واضطر الشيخ الباقورى الى الاستقالة من مكتب الارشاد ازاء الموقف الذى اتخذته جماعة الاخوان المسلمين ٠

اقترن تشكيل الوزارة في اذهان الجماهير بحركة اعتقال السياسيين ٠٠٠ ووضع ذلك حدا لهجوم الصحافة على وزارة على ماهر ، وكان أحمد ابو الفتح رئيس تحرير المصرى قد كتب مقالا نشر يوم ٧ سبتمبر ١٩٥٢ تحت عنوان (الى اين ؟) قال فيه « ان فرحتى لعزل الملك كانت كل اسبابها مستمدة من ان فى زواله تمكينا للحياة الدستورية واسترداد الشعب حقوقه ، لا لمجرد كونه سيء الخلق او مرتشيا او ناهبا » ٠٠٠ وفى هذا المقال حذر من تولى الجيش السلطة . وقال ان سلسلة الاخطاء قد بدأت بافتاء قسم الرأى بمجلس الدولة فى موضوع مجلس الوصاية المؤقت ٠٠ ثم تساءل فى النهاية قائلا « اين انت ايها الدستور ؟ » .

كانت حركة الاعتقال التى صاحبت تشكيل الوزارة قد تفرعت حتى وصلت الى مختلف الاتجاهات السياسية ٠٠ اعتقل نجيب الهلالى وفؤاد سراج الدين وابراهيم عبد الهادى وحافظ عفيفى وكريم ثابت وادجار جلاد ومحمد صبيح والبير مزراحى وغيرهم ٠

كان الهدف من هذه الاعتقالات ــ على حد تعبير محمد نجيب هو «تهدئة الجو السياسى الذى ثار فى الايام الاخيرة لوزارة على ماهر ولكن النتيجة كانت عكس ماتوقعنا اذ بدرت الشكوك بين الاحزاب السياسية وبين حركة الجيش ٠٠٠ ولم يكن هناك مفر من المضى فى الطريق الى غايته) ٠

وكانت عملية الاعتقال الجماعى غير المبرر ، لها مظهر الاعتقالات التى قام بها البريطانيون عند بدء اشتعال ثورة ١٩١٩ ٠٠٠ كما انها كانت موجهة الى مختلف القوى والتنظيمات السياسية ، وليست مركزة على اتجاه واحد٠٠٠ الامر الذى جعل الجيش فى جانب وكافة القوى السياسية فى جانب آخر٠

القوة السياسية الوحيدة التى لم تمسها حركة الاعتقالات كانت الاخوان المسلمين ٠٠٠ تماما كما حدث فى وزارة نجيب الهلالى ٠

كانت عودة الجيش الى الاعتقالات بعد أقل من خمسين يوما من حركة الافراج التى صاحبت الحركة ، والتى شملت كل المعتقلين حتى الشيوعيين الذين أفرج عنهم جميعا عدا ١٧ معتقلا ظلوا كخميرة تكبر وتجدد تبعا للظروف دليلا على ان تغييرا هاما فى طبيعة الموقف السياسى قد ظهر فى مصر ٠

اخذ الجيش يظهر كقوة سياسية لاتستند الى جذور تاريخية او تنظيمات

حزبية وانما تعتمد على الاثر الهائل لعزل الملك . واصدار قانون الاصـــلاح الزراعي بعد يومين من وزارة نجيب – ٩سبتمبر – والذى وجهطعنة شديدة الى الاقطاع والاقطاعيين ٠

واعتمدت حركة الجيش ايضا على الشعبية التى اكتسبها محمد نجيب بين الجماهير لبساطته الشديدة وابتسامته الدائمة وحيويته المتجـــددة ٠٠٠ كانت له جاذبية واضحة ٠

وقد وجدت جماهير الشعب التى تجاوزت احلامها واماليا قدرة النظـام الملكي بأحزابه المختلفة ، في حركة الجيش فرصة للانطلاق نحو مستقبـــل افضل ٠٠ ولذا كان هذا التأييد الجارف الذى قوبلت به منذ لحظتها الاولى ٠

وادركت الاحزاب السياسية ان انطلاق هذه الحركة التى يقودهـــا المثقفون أبناء الطبقة الوسطى في الجيش ، وخاصة بعد وصول نظامهمالسابق الى طريق مسدود ، سوف يضعف قبضتهم ويبدد سلطتهم ، وينهى مستقبلهم السياسى ، ولذا فانهم تخوفوا منها منذ اللحظة الاولى ، وهرع بعضهم الى لقاء قادتها ، وتسجيل اسمائهم فى سجلاتها ، ومحاولة الارتباط بها والتعرف على قادتها ٠

وكانت الحركة قد تمت ومصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين فى اجازة صيف بسويسرا ٠٠ وصلوا جنيف يوم ٢٤ يوليو بعد رحله بالباخرة ،وفور وصولهما اتصل بهما بعض اعضاء الوفد طالبين منهما العودة ٠٠٠ وعـــاد النحاس وسراج الدين بالطائرة وكانت هذه اول مرة يركب فيها النحاس طائرة فى حياته ٠٠ تحركت الطائرة من جنيف عصر ٢٦ يوليو قبـــل ان يعلموا بعزل الملك ، وقد عرفوا ذلك من الطيار الذى ابلغهم به فور سماعه فى الاذاعـــة ٠

وصلت الطائرة القاهرة بعد منتصـــــف ليلة ٢٦/٢٧ يوليو وكان في استقبالهم بالمطار احمد ابو الفتح رئيس تحرير المصرى ، والذى كانت له معرفة وثيقة برجال القيادة ، وابلغهم انهم يجب ان يذهبوا لتهنئة رجال الثورة ، وهم مستيقظون طوال الليل فى انتظارهم ٠

وافق النحاس بعد استشارة فؤاد سراج الدين ، ولكنهما عندما وصـلا الى القيادة فى الثانية بعد منتصف الليل كانت فى صمت مطبق وليس فيهـــا بادرة تشير الى انتظارهم لزيارة احد ٠٠٠ وانتظر النحاس وسراج الدين في غرفة صغيرة بالدور الارضى ريثما صعد ابو الفتح الى أعلى حيث تأخر اربعين

دقيقة صعدا بعدها حيث وجدا محمد نجيب فى مكتبه وحوله ضباط القيادة .

رحب محمد نجيب بمصطفى النحاس واحتضنه ، ولكن تحية الضباط لهما كانت باردة وجافة ... وظل الجميع واقفين حتى انتهت الزيارة .

كان هذا هو اللقاء الاول والاخير بين مصطفى النحاس واعضاء مجلس القيادة ... بينما تعددت اللقاءات مع فؤاد سراج الدين بعد ذلك .
كان مصطفى النحاس مقبلا بقلبه على الثورة ، سعيدا بعزل الملك الذى طالما أقال وزارته ، معتقدا ان الحركة قد تمت فى اطار الدستور وانها لن تلبث أن تعيد البرلمان المنحل لتعيين مجلس الوصاية . ثم تجرى انتخابات جديدة يضمن الوفد فيها اغلبيته المعتادة .

ولكن معظم ضباط مجلس القيادة لم يكونوا من العاطفين على الوفد او المرتبطين به فكريا اذا استثنينا جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين ويوسف صديق ، الذين لم يكونوا متحمسين للوفد . ولكنهم فى نفس الوقت لم يكونوا فى موقف العداء منه .

كان جفاف المقابلة نابعا من ادراك ضباط القيادة ان الوفد يمثل الخطر الحقيقى على سلطتهم الوليدة . ونابعا ايضا من تأثر بعضهم بموقف الاخوان المسلمين المعادى للوفد .

كما ان التكوين الطبقى لضباط القيادة كان متنافرا كما ذكرنا مع تكوين قيادات الاحزاب التقليدية التى تولت الحكم ، قريبا الى حد ما من قيادات الاحزاب الناشئة التى تتطلع الى الحكم .

كان وصول الجيش الى الحكم بطبيعة تكوين قياداته مؤشرا الى انطلاق روح وطنية ، وحركة اجتماعية جديدة .

ولم تكن حركة ٢٣ يوليو محصورة فى حدود مطالب اقتصادية او مهنية خاصة بالجيش ... بل كانت دائرتها اوسع من حدوده ، فامتدت لتشمل المجتمع بكل ما يدور فيه من احداث وقضايا .
ولعل هذا هو ما دفع الكاتب اجارون كوهيمه الى القول عن حركة ٢٣ يوليو « فى حين ان الحكام التقليديين عاجزون على الاستمرار فى السلطة والطبقة الوسطى اضعف من ان تمسك بها ، والعمال لم ينضجوا بعد لتحقيق هذا الهدف ، لا توجد قوة غير العسكريين قادرة على ملء هذا الفراغ » .
ويعقب روستو على ذلك باعطاء تعريف اكثر تحديدا فيقول « ليس من

الدقة القول بأن الجيش يملا الفراغ ، ومن الافضل القول بأنه يفتح طريقا محجوزا بالقوة »

ويقول بيير آزوى بعد ان يوضح ان قوى كثيرة حاولت الاستيلاء على الحكم فى العراق وسوريا ومصر ، ولكنها فشلت فى حين نجح الجيش ... يقول « لايعنى ذلك انه لاتوجد قوى اخرى غير الجيش ، فهذه القوى توجد بالتأكيد ، ولكنها لا تملك القوة التى يملكها الجيش » .

تمت الخطوة الاولى لاستيلاء الجيش على السلطة نتيجه ظروف متعددة :

اولا : تمت حركة ٢٣ يوليو فى توقيت مناسب سليم كان الشعب قد وصل فيه الى ذروة النقمة على الملك ورجال الحاشيه ،وحكومات الاقلية التى عطلت الدستور عمليا ، واستندت الى ارهاب الاحكام العرفية ... ولذا جاء استقبال الجماهير للحركة معبرا عن التأييد الكامل ، مشجعا الضباط الاحرار على مواصلة السير فى الطريق .

ثانيا : احزاب الاقلية كانت لافتات تضم فريقا من الاقطاعيين وكبار الرأسماليين بعيدا عن ساحة الشعب ، ولذا فانها مع ظهور الحركة لم تعد احزابا منظمة ، وانما تحولت الى شخصيات يسلك كل منها سبيلا خاصا يدافع به عن نفسه وعن مصالحه ، ولو على حساب الاخرين .. وهذه الانهيارات كشفت للضباط مدى التفسخ والتمزق الذى كانت تعانى منه هذه الاحزاب ، وسقطت بعض الاسماء الكبيرة بتصرفات صغيرة .

ثالثا : احتفظ الوفد بوحدته ولم يحدث له مثل ما حدث فى احزاب الاقلية ، ومع ذلك ظل موقفه صريحا وغير واضح ... يؤيد الحركة ، فيشجعها على الاستمرار ، ويرقب الاعتداء على روح الدستور ولا يشن حملة شعبية حول ذلك ... ولعله كان حذرا لعدم قدرته السير فى اتجاه مضاد للتيار الشعبى المتدفق المؤيد للحركة والذى كان يضم بالتأكيد جماهير الوفد الممثلة فى القوى العاملة التى طال بها الحرمان ... ولذا لم تشعر الحركة بجدية المعارضة ، او صلابة الموقف المسئول .

رابعا : كان نجاح حركة ٢٣ يوليو هو فرصة الاخوان المسلمين الفريدة للسيطرة على الحكم والسلطة ، فقادتها ليسوا غرباء عن تنظيمهم ، بل انهم نشأوا واستمر اتصال بعضهم به ، وواصل البعض الاخر علاقته الطيبة بهم .. والاخوان يعتبرون انهم شاركوا فى نجاح الحركة عندما كلفوا بعض اعضائهم المسلحين بحراسة دور العبادة وبعض المرافق العامة وارسلوا فريقا منهم الى طريق مصر ـ السويس واستنفروا قواتهم فى منطقة القنال صباح ٢٣ يوليو

بعد مقابلة جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين لحسن عشماوى وصالح أبو رقيق قبل يومين من الحركة .

وشجع موقف الاخوان المؤيد - وهم ثانى التنظيمات السياسية انضباطا وجماهيرية ضباط الجيش على الاستمرار فى مسيرتهم .. وذلك قبل ان تظهر التناقضات بينهم وبين الجيش فى محاولة التنازع على مركز السلطة .

خامسا : وقفت الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى - اكثر القوى التقدمية تأثيرا - موقف التأييد لحركة ٢٣ يوليو منذ اللحظة الاولى، وكان ذلك امرا طبيعيا فالمنشورات كانت تطبع عندهم ، ومعظمها يكتب بأيدى الضباط المنضمين اليها ، والمعتقلون الشيوعيون افرج عن معظمهم ... وشجع هذا الموقف ايضا ضباط الحركة على الاقتناع بأنهم لا يجابهون معارضة من أى اتجاه .

سادسا : القوى الوطنية التقدمية التى اسهمت بدور بارز فى معركة الكفاح المسلح بالقناة وقفت مع الحركة منذ لحظتها الاولى ... احمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى وجد فيها طوق النجاة من الاتهام الذى استهدف التخلص منه لحرق القاهرة . وانصار السلام : افرج عن يوسف حلمى وسعد كامل لحظة الافراج عن فتحى رضوان .. والحزب الوطنى الجديد اقترب من ضباط الحركة اقترابا شديدا بحيث اصبحوا يشكلون الاغلبية فى اول وزارة يتولاها رجل عسكرى .

سابعا : كان تعاون الحركة منذ البداية مع على ماهر الرجل الذى عاش حياته مرتبطا بالقوى التى تهدر الدستور وتلغيه .. وسليمان حافظ الرجل القانونى البعيد عن السياسة والذى ارتبط فى آرائه بالحزب الوطنى فاتخذ موقفا جامحا ضد الوفد واستخرج من الدستور تشريعات تتناقض مع روحه لاقامة سد عال امام عودة الوفد او اقترابه من الحركة .
كان لذلك أثر بالغ فى عقلية الضباط التى لم تكن قد شكلت بعد على اصول سياسية سليمة ... وكانوا فى مرحلتهم الاولى اكثر ما يكونون تأثرا بالمحيطين بهم ، قبل أن تصقل آراؤهم الشخصية ، وتثبت مصالحهم الذاتية والطبقية ، وكان وقوعهم بين على ماهر من جهة وسليمان حافظ من جهة اخرى دافعا لهم على السير فى طريق السلطة مع الاستعانة بالدستور والقوى الشعبية .

ثامنا : كان احتجاب اعضاء مجلس القيادة واخفاء اسمائهم ومنع الدعاية لهم وبروز اسم محمد نجيب فقط بشخصيته الجذابة ، مثيرا للحديث عن نكران الذات والعمل بعيدا عن الاضواء ، وباعثا على اقتناع الجماهير بأن

الحركة قد قامت على أسس سليمة ، الامر الذى احاط الضباط بتأييد جارف في الايام الاولى للحركة .

كل هذه العوامل دفعت الضباط الى اخذ الخطوة الاولى على طـــريق السلطة .. وهي دليل على ان القوى السياسية القائمة خارج الجيش لم تكن ضعيفة او متهالكة .. ولكنها كانت مشتتة بين التأييد المطلق أو التحفظ فى المعارضة حتى لاتسير ضد التيار الشعبى .. وان ارادة الجيش قد تبلورت في الاستيلاء على السلطة يوما بعد يوم ، كلما ضعفت شخصيات واحزاب المعارضـة أمام الاجراءات التى اتخذت والدعاية المكتسبة التى صاحبت الحركة .

ويمكن تلخيص ذلك في القول بأن الجيش كان يملك القوة التى تستطيع ان تحسم له الامر في شق طريقه ، وانه لم يواجه معارضة شـــعبية تجبره على الابتعاد عن هذا الطريق ... كما ان انطلاق الجيش للعمل خارج حدود طبيعته التى خلق لها ، تشبه تماما اسطورة خروج المارد من (القمقم) وصعوبة عودته اليه .

كانت الخطوة الاولى نحو السلطة هى تعيين قائد مجلس القيادة رئيســا للوزراء ... وتبعتها خطوات اخرى .

الباب الرابع

سنوات الصدام

الفصل الحادى عشر **القضاء على الاقطاع**

(سقط حق الملكية المقدس فى مصر لاول مرة بعد سبعة آلاف سنة من تاريخ مصر المكتوب ولصالح الفلاحين)

الفصل الثانى عشر **الغاء الدستور وحل الاحزاب**

(اصبح لزاما ان نغير الاوضاع التى كادت تودى بالبلاد والتى كان يسندها ذلك الدستور الملىء بالثغرات ... وهأنذا اعلن باسم الشعب سقوط الدستور ... دستور ١٩٢٣)

محمد نجيب
١٠ ديسمبر ١٩٥٢

الفصل الثالث عشر **اعتقال الشيوعيين**

(انا برىء ... أريد اعادة محاكمتى)
العامل مصطفى خميس
قبل الاعدام

الفصل الرابع عشر **حل الاخوان المسلمين**

(انا على ثقة من ان الغرب سيقتنع بمزايا الاخوان المسلمين وسيكف عن اعتبارهم شيئا مفزعا كما حاول البعض ان يصورهم)

حسن الهضيبى
المرشد العام للاخوان المسلمين

(ان حسن الهضيبى كان حريصا على حســـن العلاقات معنـــا)

انطونى ايـدن
في مذكراته

الفصل الخامس عشر صـــدام الضباط

(كان ١٥ يناير ١٩٥٣ نقطة تحــول فى تاريخ وتقاليد الجيش المصرى .. اذ دخل الضـــباط برتبهم وملابسهم العسكرية معتقلين الى ســـجن الاجـــانب)

الفصل السادس عشر الصدام الاخير

الفصل الحادي عشر

سنوات الصدام

القضاء على الاقطاع
(سقط حق الملكية المقدسة فى مصر لاول مرة بعد سبعة آلاف سنة من تاريخ مصر المكتوب)

كان تعيين اللواء محمد نجيب رئيسا للوزراء ووزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة دليلا على ان حركة ٢٣ يوليو قد بدأت الاستيلاء على السلطة الفعلية ، قبل ان ينقضى عليها اكثر من شهر ونصف تقريبا ٠

واعتمدت الحركة فى توطيد مركزها على الشعبية الجارفة التى حازتها بعد عزل الملك فاروق ، وفضح مفاسد النظام المنهار ومباذله ، ونطلع الجماهير الى حكم جديد يرفع عنها قبضة الاستغلال ويحقق املها فى مجتمع نظيف ٠

ولم تعتمد الحركه على التأييد الذى صاحب مولدها فقط ، ولكنها بادرت بتنفيذ مشروعات جديدة ، جعلت منها اساسا لانطلاقها ، ومركز جاذبية لها ٠

ولم تضيع الوزارة الجديدة وقتا لاعداد هذه المشروعات ولكنها كانت جاهزة ومعدة فى الملفات ٠٠ بل ان بعضها كان مصدر للخلاف مع على ماهر وهو ما ظهر فى قانون الاصلاح الزراعى الذى أصدرته الوزارة الجديدة فور تعيينها يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ٠

هذه المشروع وغيره من المشروعات التى سنتحدث عنها كانت تحمل

التأييد للحركة في نفس اللحظة التى سببت فيها الصدام الفعلى مع قوى اجتماعية وسياسية مختلفة .

ويمكن القول بأن الحركة قد دخلت بهذا المشروع (سنوات الصدام) وكان هذا ضرورة وحتمية تاريخية ، يفرضها وثوب الطبقة الوسطى الى مقاعد الحكم .

والاصلاح الزراعي لم يكن امرا جديدا فى واقع الحياة المصرية ... بل ان اصواتا ارتفعت تطالب بتحديد الملكية على صفحات الصحف وداخل قاعة البرلمان فى فترة حكم فاروق .

مريت غالى نشر كتيبا قدم به مشروعا عن الاصلاح الزراعى يتضمن تحديد الملكية بمائتى فدان بعد أن تستولى الحكومة على ما يزيد عن هذا الحد من الملكيات القائمة .

وصادق سعد احد كتاب مجلة (الفجر الجديد) الماركسية اصدر كتيبا عام ١٩٤٥ باسم (مشكلة الفلاح) عرض فيه حالة الفلاحين فى مصر من وجهة النظر الماركسية وحدد ثلاثة مطالب للاصلاح الزراعى هى :

١ ـ تحديد الملكية الزراعية وتوزيع ما يزيد عن خمسين فدان على الفلاحين الفقراء ..

٢ ـ تشجيع زيادة الانتاج عند هؤلاء الفلاحين عن طريق تشجيع الجمعيات التعاونية الانتاجية .

٣ ـ حماية الطبقة الفلاحية باصدار التشريع الفلاحى .

وتقدم محمد خطاب عضو مجلس الشيوخ وعضو الهيئة السعدية بمشروع لتحديد الملكية بحد أقصى خمسين فدانا على ان يتم ذلك دون تأميم أو مصادرة وانما يتم على مدى الاجيال بتفتيت الوراثة وعدم السماح بزيادة الملكية ...

كان هذا المشروع قد اثار انتباهى فكتبت رسالة الى محمد خطاب الذى رد على فورا بدعوتى الى منزله فى شارع الطلمبات بجاردن سيتى لمناقشة المشروع .. ثم دعانى ايضا لحضور جلسة مجلس الشيوخ التى عقدت لمناقشته يوم ٢٦ يونيو ١٩٤٥ وفوجئت هناك بضراوة هجوم اعضاء المجلس على محمد خطاب واتهامهم لمشروعه بأنه (بولشفية) يجب بترها .

احيل المشروع الى لجان لدراسته ولكنه بقى معلقا حتى خرج محمد خطاب من مجلس الشيوخ فرفض النقراشى تعيينه مرة اخرى فى المجلس ،ولما رشح نفسه عام ١٩٤٧ فى عابدين اسقطته الحكومة ... وكان محمد خطاب

قد حاضر بنفسه فى (دار الابحاث العلمية) بعد ان لمس بنفسه عفن الرجعية والاقطاعية .

وكان رأى الوفد في مشروع تحديد الملكية الذى عبر عنه محمد صبرى ابو علم سكرتيره العام وزعيم المعارضة فى مجلس الشيوخ هو قـوله « ان مواجهة الظروف الاجتماعية هى التى حدت بمقدم المشروع الى تقديمـه وفى الحق انه بذل جهدا مشكورا فى دراسة صـوغه واعـداده وقـد اطلعت على بعض محاضر اللجنة وفهمت انه قد أعد له كثيرا من الوثائق وكثيرا مما يبرزه » .

هذا الموقف المتعاطف مع المشروع لم يستمر طويلا ، فانه بعد هجمـة صدقى باشا على الوطنيين عام ١٩٤٦ وتوجيه تهمة الشيوعية لعدد كبير من المفكرين والادباء والصحفيين وتعطيل عدد من الصحف والمجلات منهـا (الوفد المصرى) وقف صبرى ابو علم ينفى تهمة الشيوعية عن الوفد ، ويدلل على ذلك بأنه كان قد اتفق مع محمد حسنين هيكل رئيس مجلس الشيوخ على تحويل مشروع محمد خطاب الى لجنة يدخل بعدها فى متاهات لا تنتهى ... وقد تم ذلك فعلا حتى خرج محمد خطاب نفسه من مجلس الشيوخ ومن الهيئة السعدية ايضا .

ورغم ان محمد خطاب لم يدع فى المشروع الى المصادره او التاميم وانما دعا الى الحد من تضخم الملكية الزراعية ووقف نموها الاقطاعي فى حدود احترام الدستور الذى كانت تنص المادة التاسعة منه على « ان الملكية حرمة فلا ينزع من احد ملكية الا بسبب المنفعة فى الاحوال المبينة فى القانون وبالكيفيـة المنصوص عنها فيها . وبشرط تعويضه تعويضا عادلا » فان المعارضـة له كانت عنيفة وحاسمة من جانب الاقطاعيين والحكومة الذى وجدوا فى الحديث عن تحديد الملكية صدمة شديدة لهم .

ولم يكن مشروع محمد خطاب هو نهاية الحديث عن الاصلاح الزراعى قبل ٢٣ يوليو داخل البرلمان ... النائب ابراهيم شكرى عضو حزب مصر الفتاة (او الاشتراكى) فيما بعد قدم مشروعا لمجلس النواب مطالبا بتحديد الملكية بخمسين فدانا وذلك تجاوبا مع برنامج الحزب الذى صدر عام ١٩٤٩ .

ولكن المشروع لم ير النور ايضا .

كان موقف الاقطاعيين من هذه المشروعات فى غاية الضراوة والشراسة وفى مقدمتهم الملك فاروق الذى ورث عن والده فؤاد ١٥ الف فدان زادهـا الى ٤٨ الف فدان وسيطر على نحـــو ٤٥٫٠٠٠ فدان من اراضى الاوقاف ،

اغتصب الكثير منها من وزارة الاوقاف « وقـــف اسماعيل والوادى والمنتزه وقوله وحفظة الالفية » ٠

هذا رغم ان الطبقة الاقطاعية لم تكن ضاربة الجذور في اعماق التاريخ المصرى ٠٠٠ ولم تكن لها تقاليد العائلات الاقطاعية الاوروبية التى ما زالت قائمة حتى الآن في اسبانيا مثلا ٠

تاريخ الاقطاع في مصر يعود الى ثلاثينيات القرن التاسع عشر عنـــدما أعاد محمد على توزيع الاراضى الاميرية على أقاربه وكبار الاعيان والموظفين وضباط الوحدات الكردية والجركسية والتركية وزع خـــلال مدة قصيرة مئات الالوف من الافدنة مع من كان يقطنها من الفلاحين ، ومن ثم صـــار ملاك هذه الارض يدفعون ضريبة العشر منذ عام ١٨٥٤ أى منذ اقل مـــن مائة عام فقط ٠٠٠ وهكذا بعدما حرم محمد على الاشراف الاقطاعيين القدماء من ممتلكاتهم ونقودهم وبعد ان صفى طبقة الملتزمين انشأ على انقاضـــهم طبقة جديدة من النبلاء الاقطاعيين الذين اصبحوا سند الاسرة الحـــاكمة الجديدة ٠

كان الخديوى اسماعيل مثلا يملك يوم توليه الحكم ١٥ ألف فدان ٠ وأصبح بعد ١٧ سنه يملك ٥٩٠ ألف فدان استولت عليها الحكومة بعد عزله ٠٠ وكان الملك فؤاد يملك عند توليه الحكم عام ١٩١٧ ثمانمائة فـدان بلغت يوم وفاته عام ١٩٣٦ حوالى ٢٨ الف فدان٠٠

وهكذا اتسعت هذه الطبقة وزادت سيطرتها على الارض حتى ان ٢٧ مالكا من اسرة محمد على كانوا يمتلكون حوالى ١٤٣ الف فـدان خـــلاف اراضى الاوقاف ٠٠٠ اما الملك والاسرة والاوقاف والاصهار فكانوا يملكـــون عام ١٩٣٩ حوالى نصف مليون فدان ، وكان ١٣٫٠٠٠ مالك يملكون حـــوالى مليونين ونصف مليون فدان من اجمالى الارض الزراعية البالغة ستة ملايين فدان ٠

ويوضح الاحصاء التالى صورة لما كان عليه توزيع الارض في مصر قبل عام ١٩٥٢ :

فئـات الملكية	جملة الاطيان بالفدان	عدد الملاك
فدان واقـــل	٧٨٠٫٢٤٦	١٫٩٨١٫٣٣٩
من فدان الى عشرة	١٫٨٥٥٫٠٥٤	٦٩٨٫٨٧٩
من عشرة الى خمسين	١٫٢٩١٫٣٥٥	٦٨٫٥٥٨

من خمسين الى مائتين	٨٨١ر٥١٤	٩ر٧٧٠
من مائتين الى الف	٧٠٧ر٠٦٥	١ر٩٢٧
فوق ألف فدان	٤٤٦ر٩٩٨	١٨٨
الجملــــــة	٥ر٩٦٢ر٦٦٢	٢ر٧٦٠ر٦٦١

ومن هذه الاحصائيات تتضح صورة الهرم المقلوب للملكية الزراعيــة ، ومظهر الاقطاع المتكاثر فى مصر .

وكانت هذه الطبقة التى استند الاستعمار على زعمائها فى فــــرض سيطرته على مصر قد ثبتت فى نفوس الفلاحين ان ملكيتهم تعتبر حقا ربانيا لايجوز الاعتداء عليه ، وقد تبنى هــذه العقيدة وروج لهــا أيضا الاخوان المسلمون الذين لم يطالبوا مطلقا بتحديد الملكية وانما طالبوا على لســــان مرشدهم حسن الهضيبى المشرف على اطيان الملك عنــــدما سأله منـــدوب صحيفة (شيكاغوريلى نيوز) فى ابريل ١٩٥٢ عن الاصلاح المطلوب بالنسبة للفلاحين فقال « يجب الا يسمح لملاك الاراضى بأن يؤجروا اراضيهم للفـلاحين نظير مبالغ ثابتة بحيث اذا طرأ ما يؤثر فى المحصول وقع الفلاحون فى الدين ، يجب أن يقوم ايجار الارض على أساس نصيب غلتها وبهذا يحصل المستأجرون على الاقل على جزء من مجهودهم » .

هكذا كانت نظرة الاخوان المسلمين للقضيـــــة الاجتماعية والمشــــكلة الزراعية قاصرة ومؤيدة لكبار الملاك ... اذ انه فى الوقت الذى ادلى فيــــه حسن الهضيبى بهذا الحديث كانت شكاوى الفلاحين قد ارتفعت من نظـــام المزارعة الذى ينهب عرق الفلاحين .

لم يتحدث الاخوان المسلمون مطلقا عن (تحديد الملكية) بل ان موقفهم من استمرار الوضع كما هو عليه كان صريحا بلا لبس ... رغم ما حــــدث فى المجتمع من انتفاضات قام بها الفلاحون احتجاجا على اسلوب الاقطــاعيين غير الانسانى .

فى يونيو عام ١٩٥١ اشتكى الفلاحون فى (كفورنجم) حيث كان الامير محمد على ولى العهد يمتلك ٧ر٠٠٠ فـــدان من ارتفاع الايجــارات دون جدوى ، فعبروا عن احتجاجهم بحرق المحاصيل وماكينات الرى والســـواقى ... ورد البوليس على ذلك بحملة ارهابية اقتحم فيها بيوت الفـــلاحين واعتقل منهم خمسة ثم دبر مقتل زعيمهم (عنانى احمد عواد) فــــور خروجه من المعتقل .

وفى (بهوت) احدى قرى عائلة البدراوى اقتحم رجال العائلة بيوت

الفلاحين يستولون على متاعهم سدادا للايجار وضربوا من وكلهم الفلاحـون دفاعا عن مطالبهم ، فتجمع اهـل القرية حول قصر البدراوى صاحبين فقتـل المالك أحـدهم فثارت ثائرتهم وظلوا يحصبون القصر بالحجارة وأشعلوا النار فى اجران القمح فلما أسرع عميد العائلة (سيد البدراوى) الى بهوت قادمـا من مقره الاساسى فى (درين) القى الفلاحون عليه الحجارة فقدم نحو ٥٠٠ جندى حاصروا القرية واعملوا الضرب فى الفلاحين وزجوا بخمسين منهم فى السجن ٠

وفى قرية (ابو الغيط) كانت الاوقاف تؤجر ارضها الى صغار الفلاحين ثم قررت ان تطرد ٥٠٠ منهم من الارض لتؤجرها جملة الى صهر وزير التموين، فنشبت معركة بين الفلاحين والبوليس قتل فيها ١٢ فلاحا ٠

وفى (ميت فضاله) اضرب الفلاحون عن جمع القطن لما وجـدوا أن المطلوب منهم سداده يفوق ثمن المحصول ذاته فقبض على تسعة منهم عذبوا فى السجن ومنع عنهم الطعام والشراب ٠ فتجمع الفلاحون فى القرية صاخبين٠ فلما اطلق احد الضباط النار عليهم هجموا على التفتيش فاحتل البلدة ٧٠٠ جندى واعتقل الكثير من الفلاحين ٠

تعددت انتفاضات الفلاحين وزاد معدلها خلال عام ١٩٥١ وبـدأت الارض تهتز تحت اقدام الاقطاعيين وكان الخطر من انطلاق قوة جماهـير الفلاحين موضع خشية السلطة فى مصر والاستعمار ايضا ٠

بل ان الولايات المتحدة كانت ترقب هذه الانتفاضات التى وصـلت (الفلاح المصرى) فى حذر شديد ، لانها رأت فيها ارهاصات ثـورة شعبية جامحـة يمكن أن تنتهى الى تغييرات اجتماعية جذرية ٠ تتناقض فتتعارض فى واقعها مع اهداف الاستعمار والامبريالية العالمية ٠

ولذا كانت فكرة (الاصلاح الزراعى) واردة فى احاديث المسـئولين الأمريكيين الذين تدفقوا على مصر بعد حريق القاهرة ٠
كانوا يطلبون (اصلاحات) اجتماعية تمنع اشـتعال (ثـورة) شعبية ٠٠٠

وانبرى الدكتور احمد حسين احد المقتنعين بهذه السياسة والشـديد القرب من الامريكيين يدعو الى الاصلاحات الاجتماعية ، ويشكل (جمعيـة الفلاح) ، ويطلب من على ماهر ان يدعو الملك الى التنازل عن نصـف ارضه للشعب ٠
طالب أحمد حسين الدولة بالتدخل لوضع حد أدنى لأجور العمال ٠

وقد خدع هذا الاتجاه البراق الجديد بعض الصحفيين فكتب احسان عبد القدوس في روز اليوسف خلال شهر مايو ١٩٥٢ يشيد بالدكتورأحمد حسين ويدعوه الى تحويل (جمعية الفلاح) الى حزبولكن الدكتور أحمد حسين فضل الا يحول جمعيته الى حزب حتى لا تصطدم بالاحزاب الاخرى وحتى يتاح للموظفين والمثقفين والاداريين فرصة الانضمام اليها ..

هذا في الوقت الذى اكتشف فيه اليساريون ان مثل هذه الجمعية انما تستهدف اطلاق البخار من المرجل الشعبى حتى لا ينفجر في وجه الاستعمار فأطلقوا عليها اسم (جمعية الفلاح الامريكانى) وذلك لما احاط بالدكتور احمد حسين من سمعة تربط بينه وبين المسئولين الامريكيين المتدفقين على مصر .

ووضح من اتصالات الامريكيين برجال السياسة المصرية ان الاصلاح الزراعى كان احد العروض التى يقترحونها كما روى مصطفى مرعى عندما اتصلوا به قبل ٢٣ يوليو ، ورفض الموافقة على فكرتهم في تحديد الملكية عن أى طريق يتعارض مع الدستور . واقترح تطويرا لمشروع محمد خطاب.

وعندما تحركت قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو كانت تحمل (القضاء على الاقطاع) هدفا من اهدافها ولكنها لم تكن قد اعدت لذلك مشروعا او خطة متكاملة ... ولم تكن فكرة القضاء على الاقطاع نابعة من فكر امريكى.

الفكرة الاولى نبتت في الاجتماعات الاولى لمجلس الثورة ، واستدعى من اجل ذلك الدكتور راشد البراوى الاستاذ بكلية التجارة بجامعة القاهرة ، والذى كان معروفا للضباط بكتبه التى كتبها عن الشرق الاوسط . والذى كان مادة من مواد امتحان القبول في كلية أركان الحرب حيث كان يقضى اجازته في الاسكندرية ... وقد قابلته في مكتبة الصغير بجريدة (الزمان) ثم حضر معى الى القاهرة واستقبله كمال الدين حسين في المحطة ، وذهب به مباشرة الى اجتماع لمجلس القيادة حضره احمد فؤاد ايضا ، وفي هذا الاجتماع اوكل الى جمال سالم مسئولية متابعة مشروع الاصلاح الزراعى مع الدكتور البراوى واحمد فؤاد .

ولم تكن فكرة المشروع محل موافقة جماعية من جميع ضباط مجلس القيادة ... محمد نجيب اعترض عليه في البداية لانه يعمد الى تأميم الارض ومصادرتها وهو مايتنافى - في رأيه - مع روح الدستور الذىأعلنتالحركة قيامها في ظله .. كما انه كان ميالا الى فرض ضريبة تصاعدية لاتجبرالدولة على خلق اجهزة ادارية معقدة لتنفيذ المشروع .
ولكن اتساع المناقشة اوضح له ان قانون الاصلاح الزراعى لا يستهدف

ضرب الاقطاع بزيادة اعبائه المادية فقط ، وانما يستهدف تحرير الفلاح الذى يعيش فوق الارض تابعا لصاحبها ... الامر الذى يخلك قوة سياسية للاقطاعيين بنفوذهم على الفلاحين .

وهنا وافق محمد نجيب على مشروع الاصلاح الزراعى بلا تردد .

وعرض جمال سالم صيغة المشروع التى اعدها مع البراوى واحمد فؤاد على الدكتور عبد الرازق السنهورى وسليمان حافظ الذى قال فى مذكراته ان السنهورى قد رحب بالفكرة « فقد كانت له نزعة واضحة الى الاشتراكية وضع فى ظلها مشروع تنقيح القانون المدنى فجاء اشتراكى الطابع » .

وشكل السنهورى لجنة رأسها وعكفت تعمل بضعة ايام ليلا ونهارا حتى انجزت مشروع القانون وعرضه مجلس القيادة على على ماهر الذى أبدى موافقته عليه من ناحية المبدأ . ولكنه لم يعرضه على مجلس الوزراء لما قوبل به القانون من نقد ومعارضة الاقطاعيين من مختلف الاتجاهات .

وتأرجحت فكرة على ماهر بين الضريبة التصاعدية وبين تطبيق القانون ... وعقد لذلك مؤتمرا موسعا برئاسة مجلس الوزراء حضره محمد نجيب وجمال سالم وصلاح سالم وعبد الجليل العمرى وعبد الرازق السنهورى وعضوا مجلس الوصاية بهى الدين بركات ورشاد مهنا وسليمان حافظ وراشد البراوى .

وانقسمت الآراء حول المشروع ... وقف فى جانب الضريبة التصاعدية عضوا مجلس الوصاية فقط ثم أعلن رشاد مهنا اذعانه لقرار الاغلبية ... وعند مناقشة الحد الاعلى للملكية كان هناك اتجاه عند على ماهر لرفعه الى خمسمائة فدان ولكن الاحصاءات أثبتت انهم لايزيدون عن ٨٠٠ مالك الى جانب اتساع الرقعة ، بينما يبلغ عدد الذين يملكون اكثر من ٢٠٠ فدان حوالى ٢١٠٠ مالك .

كان مفروضا بعد هذا المؤتمر ان يصدر المشروع ... ولكن على ماهر انحاز الى جانب الاقطاعيين الذين حاولوا تشكيل رابطة لهم ثم حاصروه بآرائهم وانتقاداتهم ، فعمد الى التمهل والمراوغة وكانت النتيجة حسم قضية خروجه من الوزارة .

وكان اسراع محمد نجيب فى اصدار القانون تعبيرا صريحا عن ارادة الجيش واسلوبه فى معالجة الامور ... وقد ذكرنا ان ابناء الاسر الاقطاعية لم يكن لهم مكان فى صفوف ضباط الجيش .

ويذكر فى هذه المناسبة ما اعلنه احد ضباط الثورة العرابية من ان

الارض سوف تكون ملكا لمن يفلحها ... وان هذا الاتجاه قد احـــــدث نفورا عند كبار الملاك اورده لورد كرومر فى مذكراته على لسان السير كوكس عندما ابلغه « ان الاضطراب وعدم الاستقرار فى المديريات دفعا الاعيان وغيرهم من ذوى الاملاك الى التحلل من التحالف الذى تسرعوا فى عقـــــده مع الحـــزب العسكرى والى محاولة التخلص من سيطرة هذا الحزب » .

وهكذا حدث ايضا بعد سبعين عاما .. فقد هز صدور القانون طبقـة الاقطاعيين ، رغم انه لم يصـــدر كما ورد فى مشروع البراوى واحمـد فؤاد ... اذ أصر عبد الجليل العمرى على زيادة الحـد الاقصى للملـكية ١٠٠ فدان تخصص للابناء مع حق المالك فى التصرف بالبيع . وكان ذلك شرطــــا لدخوله وزارة محمد نجيب .

قدر القانون ثمن الفدان من الارض المستولى عليها بعشرة اضعـــاف القيمة الايجارية ... وقدرت القيمة الايجارية بسبعة امثال الضريبة المفروضة على الفدان .

واجاز القانون للمالك خلال خمس سنوات ان يتصرف بنقـــــل ملكية مالم تستول عليه الحكومة من أطيانه الزائدة على مائتى فدان الى صـــغار الزراع الذين تكون حرفتهم الزراعة ولا يزيد ما يملكه كـــــل منهم على عشرة أفدنة .

ويعتبر القانون بذلك متواضعـــــا اذا قــــورن بما طبـــق على دول الديمقراطيات الشعبية او فى بعض الدول الرأسمالية مثل اليابان . عقــــب الحرب العالمية الثانية اذ لم تزد جملة ما صودر من الارض عن ٦٠٪ فقـط بينما بلغ الحد الاقصى للملكية ٧٫٥ فدان فى اليابان وخمسين فدانــــا فى عدد من الدول .

ومع ذلك فقد بدأ الصدام بين الطبقة الوسطى ممثلة فى الجيش وطبقة الاقطاعيين عند بدء تنفيذ القانون كما حدث فى الاسبوع الاول من اعــــلانه بمدينة اخميم عندما تصدى النائب السابق عدلى لملوم لممثلى الحكومة رافضـا تسليم ارضه .

وجاء رد الجيش سريعا متناسبا مـع طبيعتـه اذ شــكل مجلس عسكرى لمحاكمة عدلى لملوم ابن الاسرة الاقطاعية الكبيرة فى الفيوم المدينـة التى حاول المقاومة فيها ... وصدر الحكم عليه بالسجن المؤبد .

رأس المجلس العســكرى حســين الشافعى وكان الاعضاء البكباشية عبد المحسن ابو النور وحسن فكرى الحسينى والصاغ احمد عبد الله طعيمــة واليوزباشى فتح الله رفعت والمدعى العام الصاغ عبده مراد .

السرعة فى مجابهة الصـــدام فى موقعه ومحاكمة عدلى للمـــوم اوقفت محاولات اخرى كان يمكن ان تحدث فى مناطق الاقطاع .

وتراجع افراد الطبقة الاقطاعية المسيطرة على قيادات احـــزاب الاقلية ورجال الرأى ، وبعض اعضاء الوفد ... وآثروا السلامة بتسليم الارض .

كانت الطبقة الاقطاعية قد اهتزت واصبحت اعجز من ان تقاوم هـــذا المد الثورى المنبعث من صفوف الجيش .

ولذا لم يكن الصدام بها عنيفا ذا صوت مسموع ... بـل انهم فضلوا

الانحناء للعاصفة حتى تتاح لهم فرصة اخرى يقتربون فيهـــا من مركز السلطة .

ولو كان هذا القانون قد صدر فى بلد آخر لما كان له تأثير مثلما حدث فى مصر ، وذلك لارتفاع نسبة الفلاحين بين السكان كما يتضح فى المقارنة التـــالية :

الدولــة	نسبة الفلاحين الى السكان
انجلتــرا	٣ر٣
امريكـــا	٥ر١٢
المكسـيك	٨ر٦٠
فرنســا	٥ر٢٧
مصـــر	٤ر٦٥
باكستان	٥ر٧٩
الهنــد	٩ر٧٣
تركيـــا	٧ر٨٥

الاغلبية العظمى من السكان فى مصر تطلعت اذن الى مشروع الاصـلاح الزراعى ووجدت فيه طوقا للنجاة مما يعانون منه .

سقط حق الملكية المقدسة فى مصر لاول مرة بعد سبعة آلاف سنة مـن تاريخ مصر المكتوب .

ولم يجرؤ صوت واحد على الارتفاع معارضا هذه الخطوة التى هزت الواقع الاجتماعى للمجتمع واظهرت ان هناك مقدسات يمكن ان تتحطم لمصلحة افراد الشعب .

كانت الحركات الشيوعية والاحزاب الوطنية التى لم تصل متاعد الحكم قبل ٢٣ يوليو (الاشتراكى والوطن الجديد) اشد التنظيمات السياسية حماسا للمشروع ... اما الاخوان المسلمون فلم يسمع لهم بعد صدره رأى معارض ولا رأى مؤيد .

أما الوفد فقد صاحب اعلان موقفه موجة من الضباب والدعاية المضادة ، ومعروف ان الوفد كان قد قرر مبدأ الضريبة التصاعدية ، وضاعف فى وزارته عام ١٩٥٠ جميع الضرائب بما فيها الضرائب العقارية لتزيد ١٠٠٪ ووصل فى ضرائب الشركات الى ٩٠٪ فى الفئات العالية .

وكان الاعلان عن قانون الاصلاح الزراعى مفاجأة لاعضائه الذين ينتسب عدد منهم الى الطبقة الاقطاعية . فبدأوا يتلمسون الحوار مع رئيس الوزراء على ماهر ومع ضباط القيادة للتعرف على ابعاد القانون .

وكان فؤاد سراج الدين قد طلب تحديد موعد مع محمد نجيب عقب عودته من أوروبا . ولكن أحد أقاربه اليوزباشى عيسى سراج الدين (السفير فيما بعد) دعاه الى منزله فى الزيتون لمقابلة جمال عبد الناصر وجمال سالم وصلاح سالم وحضر احمد ابو الفتح جانبا من الاجتماع الذى امتد من الخامسة مساء حتى الواحدة بعد منتصف الليل .

دار الحوار فى هذه الجلسة حول تحديد الملكية وحاول فؤاد سراج الدين اقناعهم بفكرة الضريبة التصاعدية . ولكن الاجتماع انفض دون الوصول الى رأى موحد وعلى ان يلتقوا مرة ثانية بعد اسبوع .

وفى اليوم المحدد للاجتماع الثانى ، وفؤاد سراج الدين فى طريقه من الاسكندرية للقاهرة قرأ خبرا نشره مصطفى امين فى ملحق (آخر لحظة) التابع لمجلة (آخر ساعة)وفيه يقول ان فؤاد سراج الدين قد صرح بأنه وضع ضباط القيادة فى جيبه وتوقع فؤاد بعد قراءته للخبر الغاء الاجتماع وقد كان . . فقد اتصل به أحمد أبو الفتح ليبلغه ذلك .

ولم يشأ الوفد ان يترك موقفه من قانون الاصلاح الزراعى غامضا فأدلى فؤاد سراج الدين بتصريح لجريدة المصرى يوم ٦ سبتمبر ١٩٥٢ قبل تولى نجيب الوزارة وقبل اعتقاله بأيام قال فيه بالتحديد :
(ان الوفد وافق على مبدأ تحديد الملكية الزراعية من حيث المبدأ وله ملاحظات وتعديلات على المشروع الذى نشر وقد سبق ان ابلغنا تلك الملاحظات الى الجهات المسئولة فى أسرع وقت) .
ثم استطرد مصرحا :

(اننا نوافق على المبدأ الذى هو صميم المشروع اما ملاحظاتنا فهى مقصورة على التفاصيل فقط دون الجوهر) ٠

وتأكد موقف الوفد بعد ذلك عندما اصدر برنامجه الجديد يـــوم ٢١ سبتمبر ١٩٥٢ وفؤاد سراج الدين فى المعتقل يقول فيه (الموافقة على مشروع تحديد الملكية باعتباره يهدف للعدالة الاجتماعية ويقرب بين الطبقات) ٠

هكذا كان موقف الوفد ٠٠٠ موافقة على المبدأ ومناقشة للتفصـــيلات ثم قبولا للمشروع بعد صدوره ٠٠٠ ولكن صحافة الاثارة (اخبار اليـــوم) التى حاربت الوفد فى عهد الملك ظلت تحاربه بعـد الحركة باسلوب الاخبار المثيرة لمشاعر الضباط لتخلق هوة عازلة بينهم وبين الوفد ، الحزب الـــذى ينتمى اليه معظم ابناء الطبقة الوسطى ، التى انبثق منها الضباط الاحرار ٠

هكذا انتهى الصدام الاول لحركة الضباط الاحرار مع الطبقة الاقطاعية فى مصر ، وصدر قانون الاصلاح الزراعى الذى حدد الملكية دون دماء ٠٠٠ فقد كان الموقف ناضجا لذلك تمام النضوج والجماهير مهيأة لاستقبال القانون بترحيب شديد ٠

وكسبت حركة الضباط الاحرار رصيدا كبيرا بهذه الخطوة الاجتماعية الهامة التى حددت موقفهم من قضية التطور الاجتماعى فى مصر واكسبتهم تأييدا جماهيريا واسعا ، تفرغت معه الحركة للدخول فى صدامات جـديدة ٠٠٠ فقد كانت هذه هى فاتحة (سنوات الصدام) ٠

الغاء الدستور وحل الاحزاب

على قدر ما كان الصدام الاول سهلا ومؤثرا بالايجاب فى الحركة السياسية والاجتماعية بمصر .. على قدر ما كان الصدام الثانى صعبا ومتعدد الجبهات وذا تأثير معقد فى محصلته النهائية .

أدى الصدام الاول الى توجيه ضربة شديدة للطبقة الاقطاعية وانهيار الاسس الاقتصادية التى كانت تستند اليها ... اما الصدام الثانى فقد بدأ مبكرا مع الاحزاب والتنظيمات السياسية وتم على مراحل زمنية مختلفة انتهت الى الصدام مع الاخوان المسلمين .

وضح من خطوات الحركة الاولى انها لا تستند الى قوة حزبية او سياسية معينة ... وانها حركة خاصة منبعثة من صفوف الجيش ذات طابع مستقل ولها صلات متعددة مع عدد من التنظيمات السياسية المتباينة الاتجاهات .

اعتقد الناس وكثير من قادة الاحزاب مما جاء فى البيان الاول للحركة من القول باسم محمد نجيب « وانى أؤكد للشعب المصرى ان الجيش اليوم كله اصبح لصالح الوطن فى ظل الدستور مجردا من أية غاية » .

ولكن البيانات التى صدرت بعد ذلك اظهرت ان تدخل الجيش كانت له بداية وليست له نهاية .

صدر بيان من القيادة العامة يوم ٣١ يوليو ١٩٥٢ جاء فيه : « والجيش وقد كان أول الهيئات العاملة على تطهير صفوفه وتسليم قيادته لأيد أمينة صالحة نزيهة يرى ان يقوم الجميع بهذا العمل كل فى صفوفه على ان يكون التطهير كاملا يتناول الاداة الحكومية والاحزاب والهيئات دون أى تأخير

او تسويف » ثم يقول البيان « كما يرى الجيش ان تعلن الاحزاب والهيئات المسئوله للشعب برنامجا واضح المعالم حتى يكون الشعب على بينة من أمره » .

وهكذا اطل شعار (التطهير) مرة اخرى بعد ان تبناه نجيب الهلالى عقب حريق القاهرة .. وجاء هذا البيان المبكر صدمة لقادة الاحزاب الذين هرعوا الى مجلس القيادة فى الايام الاولى يؤدون التحية ويعلنون الولاء ... واصابهم لفظ (التطهير) بهزة شديدة ، أعطت لحركة الجيش فرصة التسرب الى صفوفهم ، واغراء العناصر الضعيفة أو المترددة بينهم ، وتمزيق وحدة احزابهم .

ورغم أن البيان كان يعني في مضمونه الاعتراف بوجود الاحزاب والتمسك بالدستور ، الا انه كان في الواقع يجعل من تطهيرها شرطا لوجودها ... مما يجعلها متعمدة في بقائها على ارادة حركة الجيش .

وبدت الحركة حريصة على اجراء تطهير الحكومة والاحزاب تمهيدا للانتخابات التى حددت موعدها فى فبراير ١٩٥٣ ، واصدرت بذلك بيانا فى ١١ اغسطس وهوالبيان الذى تناقض مع بيان على ماهر الذى اذيع فى نفس اليوم ولم يحدد موعدا لاجراء الانتخابات ... وقد جاء فى بيان القيادة العامة مايلى : «تم الاتفاق مع رئيس الحكومة من قبل على أن تجرى الانتخابات في شهر فبراير لاعطاء فرصة كافية للحكومة لتطهير اداتها والاحزاب لتطهير صفوفها تطهيرا كاملا شاملا حتى تنعم البلاد فى ظل الدستور بحكم نيابى سليم » .

هكذا اظهرت حركة الجيش انها حريصة على الدستور والانتخابات ولكنها احتفظت في يدها بمفتاح الموقف وهو (التطهير) .
ولم تستجب الاحزاب لهذه الدعوة لحساسية تطبيقها ، وعدم ارتفاع كثير من قادتها عن المستوى الذى يمكن ان تصلهم فيه يد التطهير ...
ولذا بادر سليمان حافظ باعداد مشروع قانون لتنظيم الاحزاب السياسية عارضه الدكتور عبد الرازق السنهورى من جهة المبدأ معارضة شديدةفى بداية الامر بدعوى ان العرف الدستورى لتنظيم الأحزاب ترك الامر لها .

ولكنه أمام الحاح سليمان حافظ واقناعه لضباط مجلس القيادة . أقر المشروع على شرط الا تتدخل الادارة الا عند الاقتضاء لتحقيق اغراض القانون ، وان يكون تدخلها تحت رقابة مباشرة من القضاء الادارى بمجلس الدولة .
وما أن تولى محمد نجيب رئاسة الوزراء حتى صدر قانون تنظيم

الاحزاب وتص على أن المقصود بالحزب السياسى كل حزب أو جمعية باوجماعة منظمة تشتغل بالشئون السياسية للدولة الداخلية منها او الخارجيةلتحقيق أهداف معينة عن طريق يتصل بالحكم .

وقضى القانون بأن من يرغب فى تكوين حزب سياسى عليه ان يحيط بذلك وزير الداخلية بخطاب موصى عليه بعلم الوصول ... ولوزير الداخلية حق الاعتراض على تكوين الحزب خلال شهر من تاريخ اخطاره ، وفى حالة الاعتراض يعرض الامر علىمحكمة القضاء الادارى لتفصل فى جلسة تحدد بعد اسبوعين من وقت تقديم الاعتراض ... كما الزم القانون الاحزاب بايداع اموالها فى البنوك ، كما نص على ان تعيد الاحزاب القائمة تكوينها وفقا لاحكامه .

وكان صدور القانون بمثابة خطوة نحو محاصرة الاحزاب واخضاعها لسلطة الجيش الممثلة فى وزير الداخلية ... كما انه كان بداية لصدام بين القوى السياسية المختلفة وحركة الجيش .

وقد صحب صدور القانون حملة اعتقالات السياسيين التى تمت فى اليوم السابق على تشكيل محمد نجيب لوزارته التى اصدرت القانون فى اليوم التالى لادائها اليمين امام مجلس الوصاية .

لم يكن لهذا القانون نظير فى الدول الديمقراطية ... وان كان فتحى رضوان قد صرح للصحف فى معرض الدفاع عنه بان له نظيرا فى العراق والمانيا الغربية ... وهما دولتان لم يكونا فى ذلك الوقت نموذجا للديمقراطية لخضوعهما بعد الحرب العالمية الثانية لنفوذ الامبريالية العالمية الحريصة على عدم ظهور احزاب معادية لها .

العسكريون يزحفون على الحكم ، والاحزاب يأخذها القانون على غرة ، فيصيبها بالدوار وتعجز عن حسن التصرف او اختيار الطريق .... وتنشط العناصر المغامرة والانتهازية فى كل حزب ، وتبدأ الصراعات الداخلية .

كانت الدعوة الى التطهير فخا وقعت فيه الاحزاب ، فأظهرت التطلعات الفردية اسوأ ما فى شخصياتها القيادية .

وخلال هذه الفترة انهارت اسماء كثيرة كانت تلمع فى سماءالحياة السياسية قبل ثورة ٢٣ يوليو وبادر بعضها الى الاتصال برجال الجيش بصورة جعلت جمال عبد الناصر يعبر عنها فيما بعد فى كتاب (فلسفة الثورة) بقوله « كل رجل قابلناه لم يكن يهدف الا الى قتل رجل آخر » .

التنافس يعلن على صفحات الجرائد بين ابراهيم عبد الهادى وحامد جودة لرئاسة حزب الهيئة السعدية ... ثم ينشط سامح موسى وشوكت

التونى ويعلنان فصل الاثنين من الحزب السعدى .
والوفد ايضا يقع فى الفخ فيصدر قرارا بفصل عدد من اعضاء الهيئة الوفدية الذين أحاطت بهم الشبهات دون تحقيق وكان ابرزهم محمود عبد اللطيف الذى كان وزيرا للشئون الاجتماعية وكأنه يتجاوب بذلك مع دعوة التطهير .

ولكن صدور القانون وضع الامور فى وضعها الصحيح ... اعتبرت الاحزاب منحلة ، ولا يمكن لها العودة الى ساحة العمل السياسى الا من باب الجيش ...

وكانت المعركة الرئيسية حول الوفد .

ولم يكن موقف الوفد حازما فى هذه القضية الدستورية ... اذ صرح مصطفى النحاس بأنهم سيبعدون المعتقلين عن تنظيمات الوفد الجديد ... وارسل فؤاد سراج الدين من المعتقل استقالته من الوفد ومن مجلس الشيوخ قال فيها للنحاس « انتى أستقيل اخلاصا للوفد ولشخصكم » .

وتنفيذا لقانون الاحزاب اصدر الوفد برنامجه فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٢ اعتباره « هيئة سياسية ديمقراطية اشتراكية لتحقيق الاستقلال والوحدة ورفض جميع صور الدفاع المشترك » ونص البرنامج على ما يأتى :

التمسك بعروبة فلسطين .
دعم مجموعة الدول الافريقية والاسيوية وتأييد سياستها فى الدفاع عن قضايا الحرية .

اقرار حد ادنى للاجور عموما ، وللعمال الزراعيين خصوصا .
صدور قانون معاقبة الوزراء .
صدور قانون التأمين الاجتماعي للعمال وتعميمه .
استصدار قانون تأمين صحي للعمال وافراد اسرهم .
تجديد القرية المصرية خلال عشرين عاما .
حد ادنى للاجور العامل الزراعي .
الانتهاء من تعميم المياه الصالحة للشرب خلال خمس سنوات طبقا لمشروع وزارة الوفد التى اقرته عام ١٩٥١ .
جعل التعليم الدينى اجباريا .
تحريم الخمر والميسر .
الموافقة على مشروع تحديد الملكية باعتباره يهدف للعدالة الاجتماعية ويقرب بين الطبقات .

يلاحظ ان البرنامج كان يضع خطوطا استراتيجية عريضة للسياسة الداخلية والخارجية تعتبر فى حينها ذات طبيعة متقدمة تتجاوب مع مشاعر الجماهير قبل الحركة وبعدها ... ولذا هاجمت بعض الصحف البريطانية الوفد ... واتهمت مصطفى النحاس بالتطرف .

ويلاحظ ايضا ان هذا هو اول برنامج مكتوب للوفد الذى كان يبنى سياسته على اساس بيانات مؤتمراته الوطنية التى عقدت سنوات ١٩٢٨ ـ ٣٥ـ٤٣ وعلى مايرد فى خطب عيد الجهاد الوطنى «١٤ نوفمبر» .

ورغم صدور هذا البرنامج الوطنى التقدمى للوفد فان سليمان حافظ اصر على ملاحقة مصطفى النحاس ومحاولة ابعاده عن موقعه وفى ذلك قال للدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق وهو يحاول الاستفسار منه عن موقفه من الوفد ورئاسه مصطفى النحاس له « ان لدى الوزارة اسبابا خطيرة للاعتراض عليه امام مجلس الدولة » .

وعندما شاع هذا الموقف المضاد لمصطفى النحاس بادر باصدار البيان التالى :

« اننى اعد نفسى دائما ملكا للشعب وقد كانت ثقتى فى الشعب وثقته فى شخصى طوال حياتى السياسية عونى على الشدائد وظهيرى فى العيش ، وسأظل ما بقى من عمرى ملكا لهذا الشعب الوفى ولن تستطيع قوة ان تنحينى عن هذه المكانة بعد الله جلت قدرته الا الشعب دون سواه والله ولى التوفيق » .

اصر اعضاء الوفد على الا يتكون الا برئاسة مصطفى النحاس ... ولعبت جريدة (المصرى) دورا بارزا فى الدفاع عنه وكتب احمد ابو الفتح سلسلة مقالات طويلة دفاعية عن مصطفى النحاس معتبرا ان محاولة هدمه هى محاولة لتحطيم كفاح الشعب ضد الاستعمار .

ووصلت معارضة القانون الى الذروة عندما صدر البيان التالى يوم ١٧ سبتمبر .

« نظرا لما صح فى يقين الوفد المصرى من ان المقصود هو محاربة الوفد ومحاولة هدمه والتخلص منه قرر الوفد المصرى باجماع الآراء بجلسته المنعقدة يوم السبت ٢٧ سبتمبر ١٩٥٢ الا يتقدم الى وزير الداخلية اخطارا باعادة تكوينه » .

توقيعات : مصطفى النحاس ـ عبد السلام فهمى جمعة ـ على زكى العرابى ـ عبد الفتاح الطويل ـ احمد حمزه ـ محمد محمد الوكيل .

وزراء سابقون : أبراهيم فرج ـ عبد المجيد عبد الحق ـ محمد صلاح الدين ـ عبد الجواد حسن .

كان هذا هو اقصى ما وصل اليه الوفد فى نضاله ضد قانون تنظيم الاحزاب ... ولكنه موقف لم يستمر طويلا لعدة اسباب :

اولا : كان مصطفى النحاس قد تجاوز السبعين من عمره ولم يعد فى توهجه القديم وقدرته على النضال التى عرف بها يوم كان يجذب حكمدار البوليس من فوق حصانه وينام على أرصفة المحطات .

ثانيا : احاط بمصطفى النحاس بعض عناصر التوفيق التى افقدت الوفد الصلابة الضرورية ... وكان من اكثرهم تأثيرا عليه فى هذه المرحلة عبد السلام فهمى جمعه والدكتور طه حسين .

ثالثا : تجمد الوفد وعدم وصول العناصر الشابة الى القيادة . . . وكان معظم اعضائه فى ذلك الوقت من الباشاوات الذين قد تجاوزوا الخامسة والستين وهم سيد بهنسى ومحمد المغازى وفهمى حنا وعبد السلام جمعه وعبد الفتاح الطويل وعلى زكى العرابى وعثمان محرم ومحمد سليمان الوكيل وأحمد حمزة .. ولم يكن هناك اقل من هذه السن الا محمود سليمان غنام وفؤاد سراج الدين الذى كان فى هذه الفترة خلف قضبان السجون .

وقد شعر النحاس بهذه الحقيقة فور اعتقال فؤاد سراج الدين فضم الى الوفد محمد صلاح الدين وابراهيم فرج الذى عين سكرتيرا مؤقتا لحين الافراج عن سراج الدين الذى لم تقبل استقالته .

رابعا : عدم توافر الانضباط الحزبى الكامل فى صفوف الوفد الذى اعتاد منذ تكوينه على أن يضم الجماهير من مختلف الاتجاهات فى شكل جبهة ، وعندما يحرم من فرصة الاتصال العلنى مع الجماهير فانه يعجز عن الاتصال بها وتحريكها بوسائله التنظيمية .

خامسا : الدعاية المركزة ضد الاحزاب عموما والوفد خاصة والتى اسهمت فيها بقدر كبير صحافة اخبار اليوم ، مما جعل كثيرا من الناس تتطلع الى الحكم الجديد لينقذهم من المظالم التى عاشوا فيها .

كان رأى النحاس « ان الجيش يشبه (وابور الزلط) لا شىء يقف امامه الا ما هو اقوى منه ... وهذه القوة هى قوة شعب مؤمن بالديمقراطية والدستور » .

وقد اهتز هذا الايمان كثيرا فى عهد الملك من كثرة انتهاكات الدستور التى ارتكبها واسهمت فيها احزاب الاقلية والعناصر المستقلة من امثال

احمد زيور واسماعيل صدقي وعلى ماهر ... ولذا افتقد الوفـــد القــوة اللازمة لمجابهة تصرفات حركة الجيش .

وبدأت مرحلة التراجع ... واستدعى مصطفى النحاس رئيس تحـــرير المصرى احمد ابو الفتح واملى عليه مقالا نشره يوم ٦ اكتوبر ابدى فيه حرصه على ضرورة وجود الوفد مهما كان الامر يتعلق بشخصه ... وجمع اعضـــاء الوفد ليسلمهم امانته .

وصدر بعد ذلك بيان يقول :
« رعاية لما ابداه الرئيس الجليل مصطفى النحاس واصر عليه مـن ان الحالة أصبحت لاتمكنه من مباشرة أعباء الرئاسة الفعلية ومقتضياتها بعدما احتمل الكثير فى سبيل الدفاع عن القضية الوطنية فى الثلاثين سنة الماضية فان الوفد المصرى اذ ينزل مضطرا ازاء اصراره عـــلى رغبته واذ يقرر جعله رئيس شرف له مدى حياته الطويلة المباركة ان شاء الله يستلهم منه التوجيـه ويشهد من اخلاصه اخلاصا ومن قوته ووطنيته وصلابته فى الحق سراجـا منيرا ، ويقرر انه سيمضى فى مستقبل ايامه على نهجه الواضـــح وطريقـه المستقيم وخطته القوية التى رسمها لتحرير الوادى معتبرا اياه ركنه الركيـن وحصنه الحصين ومرجعه فى الملمات » .

توقيعات : عبد السلام فهمى جمعة ـ على زكى العرابى ـ عبد الفتـــاح الطويل ـ محمد محمد الوكيل ـ احمد حمزه .

هز هذا البيان عواطف جانب كبير من الجماهير ، شعرت ان رجـــلا ارتبطت به مسيرتها سنوات طويلة كان مثالا للوطنية والنزاهة ، ينتـــزع منها رغم ارادتها فذهبت المظاهرات تطوف بمنزله وتهتف «لا وفد بدونك يا نحاس » .

وكتب احمد ابو الفتح فى المصرى يقول « الشعب الذى يحبك يقول ـ عاش النحاس زعيم الشعب » واما أنا فأقول « لن يكون هناك وفد الا برئاسة مصطفى النحاس» .
ونشر النحاس بعد ذلك بيومين بيانا بمناسبة ذكرى الغاء معـــاهدة ١٩٣٦ فى ٨ اكتوبر قال فيه « جاءت حركة الجيش التحريرية صـــورة حية رائعة لصحوة الشعب وقدرته على استبداد المستبدين وطغيان المستهترين العابثين فدارت عليهم الدوائر وباء عهدهم وتطلعت البلاد الى عهد جديد مـن العدالة المطلقة والحرية الشاملة » .
ولكن هذه الكلمات لم تجد صدى عند مجلس القيادة ، ولم يتحقـق اى نوع من اللقاء الفكرى او العاطفى بينهم وبين الوفد ... رغم ان محمـد

نجيب كانت له صلات مع الوفد ، وجمال عبد الناصر كثيرا ما دافع عن مسلك الوفد في وزارته الاخيرة ، ويوسف صديق وخالد محيي الدين كانا متعاطفين معه ... الا ان اغراء السلطة وعدم وجود موانع قوية تحول دون الوصول اليها الى جانب الدور التخريبي الذى قام به سليمان حافظ لهدم الوفد ، والذى قاومه جمال عبد الناصر وبعض الزملاء فى مراحله الاولى مقاومة بدأت ملحوظة ثم أخذت تفتر أمام تراجع الوفد وعدم صلابته وعجزه عن تحريك جماهيره ٠

كل هذا حدد الموقف تماما ... وانتهى الامر الى اعتراض وزير الداخليه يوم ٨ نوفمبر على رئاسة مصطفى النحاس الشرفية للوفد وكذلك اعترض على اسم عبد الفتاح الطويل كمؤسس ٠

وكان وزير الداخلية قد تلقى اخطارات تكوين ١٦ هيئة وحزبا (هيئة الوفد والاخوان المسلمين واحزاب السعدى والاحرار الدستوريين والعمال ـ والعمال والفلاحين ـ والاشتراكى والوطنى الجديد والفلاح الاشتراكى والكتلة الوفدية والديمقراطى وحزب الله وثلاثة احزاب نسائية هى بنت النيل والنسائى والنسائى الوطنى) ٠

واعترض سليمان حافظ الى جانب اعتراضه على مصطفى النحاس وعبد الفتاح الطويل على الدسوقى اباظة فى حزب الاحرار الدستوريين كما اعترض على كل من الحزب الديموقراطى والحزب الجمهورى لانهما كانا ينا‌ديان بتطبيق النظام الجمهورى ٠

عرضت هذه الاعتراضات على مجلس الدولة فى نهاية شهر نوفمبر ١٩٥٢ واتخذ بعضها شكل مظاهرة داخل المحكمة عندما احتشد ٥٠ محاميا من الاسكندرية يترافعون عن عبد الفتاح الطويل ٠

وضح من طبيعة اعتراضات وزير الداخلية سليمان حافظ الممثل لسلطة الجيش انها قامت على اسس شخصية او على اساس خروجها على النظام الملكى ٠

لم تفرق حركة الجيش بين طبيعة الاحزاب ... ولم تعترض على الواقع الطبقى لبعضها ، او على انتماء بعض قادتها للطبقة الاقطاعية المضروبة ٠

ولم تفرق ايضا بين الدور الوطنى والنضالى الذى قامت به الاحزاب لمقاومة الاستعمار والاحتلال البريطانى ٠

وكذلك لم تفرق بين الاحزاب التى تبادلت الحكم فى عهد الملك ...

والاحزاب الناشئة التى كانت قيادتها من ابناء البرجوازية الصغيرة اساسا والتى قامت بدور المعارضة العنيفة لنظام ما قبل ٢٣ يوليو ٠

سرت الاعتراضات بين كافة الاحزاب ٠٠٠ وجعلت الاحزاب المناضلة ضد الاستعمار تقف مع الاحزاب المتهاونة فى صف واحد ٠٠ ٠ ولم تفرق بين اتجاهات الاحزاب الرجعية والتقدمية وتمثيلها الطبقى ٠

الفضيلة الوحيدة لقانون تنظيم الاحزاب كانت البرامج المكتوبة والمعلنة لهذه الاحزاب والتى عبرت عن طبيعة دورها فى المجتمع فالحزب السعدى مثلا نادى فى برنامجه بالعمل على « تحويل رؤوس الاموال المصرية الراكدة الى ميدان الاستغلال الصناعى والتجارى والاستعانة برؤوس الاموال الاجنبية فى حدود تتفق مع مصالح البلاد » ٠٠٠ وهكذا وجدت الجماهير الفرصة سانحة امامها لاختيار الحزب الذى يعبر برنامجه عن اهدافها ٠

واتخذت حركة الجيش اسلوبا لم يكن يتناسب مع خطواتهـا الزاحفة نحو مركز السلطة ٠٠٠ اذ لم تعلن عن تنظيمات حزبية لها ونفى محمد نجيب رغبة الجيش فى ذلك ٠

ولذا كانت المنافسة على اسس حزبية امرا غير مضمون العاقبة اذا كانت الرغبة هى استمرار الحركة فى مسارها ٠٠٠ ذلك ان الضباط الاحرار كانوا مازالوا افرادا غير معروفين ... ومجلس القيادة لم يعلن تشكيله او تاريخ حياة اعضائه وليس لاحدهم ماض يجعل الجماهير تلتف حوله ومحمد نجيب رغم شجاعته وشخصيته الجذابة البسيطة لايعيش فى ضمير الشعب المصرى قائدا عظيما مثل نابليون او بيتان او ديجول ... فهو فى النهاية قائد غير منتصر فى حرب فلسطين ، لا يملك امجادا حربية او وطنية ٠
وبدا الامر يتضح يوما بعد يوم٠٠٠ طريق الديموقراطية الليبرالية لا يمكن ان تسلكه حركة جيش لانها لا تضمن الانتصار او الاستمرار فيه ٠

واخذ سليمان حافظ يصدر تشريعات تمهد للحركة سلطة مطلقة ، اذ اعطى حق اقالة الموظفين عن غير الطريق التأديبى وحرمان القضاة والمعزولين من معاشهم او مكافآتهم ٠واحالة جرائم الاصلاح الزراعى للمحاكمة العسكرية ، مع رفع عقوبة الاشاعات ٠
وكانت الحركة قد بدأت ممارسة تطبيق شعار (التطهير) عن طريق تكوين لجان شكلت بمقتضى قوانين خاصة من نوعين ٠٠٠ اولهمـا ادارى ذو صيغة قضائية على رأسها قاض وفى عضويتها احد رجال النيابة العامة لفحص حالات موظفى الدولة وفصل من يستأهل الفصل منهم ٠ ٠ ٠ أما الثانية فكانت لجانا قضائية يرأسها مستشار وبعضوية اثنين من كبار رجال

انقضاء فى الاعمال الحكومية باحالة المسئولين عنها الى المحاكم الجنائيـــة أو الادارية حسب الاحوال ٠

واثار سليمان حافظ مشكلة ان اللجان الاولى تمضى بسهولة فى عملهــا اما اللجان الثانية فكانت تصطدم بأن كثيرا من الوزراء السابقين كانت تقع عليهم المسئولية الجنائية أو السياسية ٠٠٠ وهؤلاء لايمكن الوصول اليهم لان الدستور يحميهم من القضاء العادى وجعل لهم محكمة خاصـــة لا ترفع امامها الدعوى الا بقرار من مجلس النواب ٠

وهكذا كان التطهير يصل الى صغار الموظفين بينما يعجز عــن الوصول الى الوزراء ٠

ولم يجد سليمان حافظ حلا الا فى الغاء الدستور الذى يستند اليـــــه هؤلاء فى تهربهم من المحاكمة ووافق ذلك ظهور عدة مقالات فى الصحف تهاجم دستور ١٩٢٣ ، والقى على ماهر محاضرة يوم ١٤ نوفمبر قـــــال فيها انه يرجو « ان نواجه حياتنا السياسية بدستور يتجنب تخلف دستور ١٩٢٣ عن مسايرة الديموقراطية الحرة فى تطورها » ٠

ويقول محمد نجيب ان بعض اعضاء المجلس قد قاوموا هـــــذا الاتجاه ولكن مقاومتهم ضعفت امام الحاح سليمان حافظ وشـــهوته الجامحـــة فى الوصول الى محاكمة بعض الوزراء ، وتوافق نغم هذا الطلب مــع رغبة بعض اعضاء المجلس الذين كانوا يهدفون الى تولى السلطة وحدهم ٠

ويقول سليمان حافظ فى مذكراته « وانعكس صدى الضجة العنيفـــة التى اثارها الوفد على مجلس القيادة فقـــام خلاف شـــديد بينى وبين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ويوسف صديق اصررت فيه على تنفيــذ قانون الاحزاب تنفيذا تعدل فيه الصرامة النصفة ، وصممت اذنى عن سماع أى كلام آخر فى هذا الموضوع ، ومن الحق ان اذكر ان محمد نجيب وجمـــال سالم وصلاح سالم وكذلك انور السادات ــ ان لم تخنى ذاكرتى ــ كانوا فى هذا الخلاف من جانبى » ٠

قال جمال عبد الناصر لاحمد فؤاد فى هذه الفترة وهو يحدثه عن اهمية الديمقراطية « يظهر ان احنا لازم نعمل انقلاب تانى علشان الديموقراطية » ٠

ثم يقول سليمان حافظ أن محمد نجيب وجمال عبد الناصر قــد قــاما بزيارة مصطفى النحاس زيارة مجاملة ايام اشـــتداد المعـــركة « بينى وبين الاحزاب عامة والوفد بصفة خاصة » ثم « حـــاول نجيب ان يبررلى هــذا

التصرف بقوله ان هذه الزيارة لم تكن الا محاولة لكسر محور تآلف بين الوفد والشيوعية فلم اقتنع بهذا العذر ٠

هكذا كان سليمان حافظ بما ورد على لسانه محركا عنيفا ضد الاحزاب والدستور ٠

واخذ الحديث عن الدستور والديموقراطية يخفت ويتلاشى ٠٠ وصدرت التعليمات بنزع لافتة كنت قد اصدرتها مع مجلة التحرير بريشة الفنان حسن فؤاد ولصقت على جدران المبانى فى انحاء مصر ٠٠٠ وهى تمثل جنديا خلفه قبة البرلمان وتحتها عبارة (نحن نحمى الدستور) ٠٠٠ وكانت جريدة المصرى قد نشرتها فى صفحتها الاولى يوم ١٤ سبتمبر ولكنها نزعت فى منتصف نوفمبر ٠

ونزع الدستور نفسه فى ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ ٠

سقط دستور ١٩٢٣ للمرة الاخيرة بعد ان عطل من اول نوفمبر ١٩٢٤ حتى عام ١٩٢٦ ثم فى يونيو ١٩٢٨ على يد وزارة (اليد الحديدية) التى رأسها محمد محمود حتى اواخر ١٩٢٩ عندما تكونت وزارة عدلى يكن المحايدة لاجراء انتخابات جديدة ٠٠٠ واخيرا الغى عام ١٩٣٠ واستبدل بدستور اسماعيل صدقى حتى عاد بنضال الشعب وتضحياته عام ١٩٣٥ ، باقالة الحكومة الوفدية بعد ذلك وفرض احزاب الاقلية اكثر من مرة ٠

سقط دستور ١٩٢٣ الذى كان رغم ما فيه من صلاحيات للملك تعطل أثره الا انه كان ضمانة وركيزة لحرية الجماهير السياسية ٠٠٠ سقط الدستور ببيان اعلنه محمد نجيب فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يقول فيه «أصبح لزاما أن نغير الاوضاع التى كادت تودى بالبلاد والتى كان يسندها ذلك الدستور الملئ بالثغرات » ٠٠٠ ثم قال « وهأنذا اعلن باسم الشعب سقوط الدستور ٠ دستور ١٩٢٣ » ٠٠٠ واعلن البيان ان الحكومة هى التى تتولى السلطات فى فترة الانتقال ٠

هكذا سقط دستور ١٩٢٣ الذى كان مليئا بالثغرات فعلا ، ومع ذلك لم يحتمل النظام الملكى تطبيقه فعصف به أكثر من مرة ٠

وكان الدستور فى خدمة الطبقة الاقطاعية والبرجوازية الكبيرة اساسا ٠٠٠ اذ اشترطت المادة ٧٨ منه ان يدفع المرشح للبرلمان تأمينا قدره ١٥٠ جنيها وهو مبلغ فى ذلك الوقت لا يسهل حصول البرجوازية الصغيرة او الطبقة العاملة والفلاحين عليه ٠٠٠ كما انه أسبغ حقوقا وامتيازات واسعة للملكية مثل حق حل مجلس النواب وتأجيل انعقاده ، واشترط فى اعضاء مجلس الشيوخ ان يكونوا من طبقة في مستوي كبار الموظفين او الملاك

الذين يؤدون ضريبة لا تقل عن مائة وخمسين جنيها فى العام ، ومن لا يقل دخلهم السنوى عن الف وخمسمائة جنيه من المشتغلين بالاعمال المالية او التجارية او الصناعية او المهن الحرة ٠

كان وضحا تماما ان دستور ١٩٢٣ لم يعد يتناسب مع الطبقة المتوسطة التى وثبت الى السلطة ... ولم يكن منطقيا أن تترك دستورا يحرمها من فرصة تأكيد وجودها وتحقيق اهدافها ٠

الغى دستور ١٩٢٣ ٠٠٠ وكان طبيعيا ان تسقط من بعده اشياء كثيرة ترتبت على وجوده ٠٠٠ فتقرر تأجيل الانتخابات التى كانت الحركة قد قررت موعدها فى شهر فبراير فى بيانها المعروف ٠٠٠ وصرح جمال عبد الناصر لأحمد أبو الفتح يوم ٩ فبراير بأن تأجيل الانتخابات عن الموعد المحددلها انما هو ـ لاجلاء الانجليز ٠

ولم تخمد اصوات الاحتجاج على قانون تنظيم الاحزاب حتى بعد الغاء الدستور فظل احمد ابو الفتح يهاجمه على صفحات المصرى فى مقالات عديدة ٠٠٠ واحتشد الطلبة فى الجامعة حيث فاز مرشح الجبهة المتحدة اى جبهة الاحزاب والقوى السياسية الوطنية والتقدمية (احمد الخطيب) على مرشح الاخوان المسلمين (حسن دوح) ٠٠٠ وكان هذا تعبيرا عن معارضة الشباب للخطوات الزاحفة لمحاصرة الديموقراطية ٠

وترافع فى قضية الوفد امام مجلس الدولة الدكتور وحيد رأفت وابراهيم فرج ومحمود سليمان غنام واحمد عبد الهادى ٠٠٠ وكانوا قد اعدوا مذكره بعدم دستورية قانون تنظيم الاحزاب ومنافاته للديمقواطية ٠٠٠ وتأجل نظر القضية ٠

وكان مجلس الدولة حتى هذه اللحظة يعتبر سندا للحريات والديموقراطية ٠٠٠ فقد رفع ٢٥ من المعتقلين السياسيين قضية امام مجلس الدولة لبطلان قرار الاعتقال ، وكان الرد هو حبسهم انفراديا وعدم السماح لهم بالاكل من الخارج ٠

وتحت هذا الضغط تنازل الكثيرون واصر على الاستمرار فى القضية فؤاد سراج الدين ومحمود سليمان غنام وحامد جودة وعدد محدود من السياسيين ٠

وفوجىء سراج الدين بدخول الصحفى مصطفى أمين الى غرفته بالمعتقل حاملا رسالة من اعضاء مجلس القيادة تقول انهم على استعداد للافراج عنه اذا تنازل عن القضية ٠٠٠ ولكن فؤاد سراج الدين رفض فكرة

التنازل قائلا انهم اذا افرجوا عنه سقطت القضية تلقائيا وانه لا يساوم على حريته ٠

وكان غريبا ان يتحول مصطفى امين الى مندوب لرجال القيادة وهو الذى اعتقل فى الأيام الاولى للحركة ٠٠٠ وبقى فؤاد سراج الدين فى المعتقل حتى أفرج عنه قبل الجلسة أمام مجلس الدولة بليلة واحدة ٠

ويظهر هذا ان مجلس الدولة كان يمثل مركز مقاومة يلجأ اليه كل من يقع عليه الظلم ٠

وتشكلت فى ١٣ يناير ١٩٥٣ لجنة لوضع مشروع دستور جديد (يتفق واهداف الثورة) من خمسين عضوا ، تولى رئاستها على ماهر ، وضمت ثلاثة من اعضاء لجنة دستور ١٩٢٣ وهم على ماهر ومحمد على علوبة وعلى المنزلاوى واربعة من الوفديين واثنين من السعديين واثنين من الدستوريين واثنين من الكتلة وثلاثة من الحزب الوطنى وثلاثة من الحزب الوطنى الجديد وثلاثة من رؤساء القضاء (رئيس محكمة النقض ورئيس مجلس الدولة ورئيس المحكمة العليا الشرعية) . وثلاثة من رجال الجيش والبوليس والمتقاعدين والباقى من المستقلين ٠

الاغلبية كانت من حملة رتب الباشوية والبكوية الملغاة ، أصحاب الاسماء القديمة المعروفة ، ابناء البرجوازية الكبيرة ، ورئيسها كان احد الذين أسهموا فى امتهان دستور ١٩٢٣ وتغليب سلطة الملك على ارادة الشعب بما هو معروف عنه فى تاريخه السابق ٠
وما كادت تذاع اسماء اعضاء لجنة الدستور ، حتى اذيع بعدها بأربعة ايام يوم ١٧ يناير ١٩٥٣ بعد منتصف الليل بيان من القائد العام للقوات المسلحة يعلن فيه « حل جميع الاحزاب السياسية ومصادرة جميع أموالها لصالح الشعب بدلا من أن تنفق فى بذر بذور الفتنة والشقاق» ٠٠٠ واعلن فيه ايضا قيام فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات « حتى نتمكن من اقامة حكم ديموقراطى دستورى سليم » وكشرت الحركة عن انيابها وقالت فى نفس البيان « ومنذ اليوم لن اسمح بأى عبث او اضرار بمصالح الوطن وسأضرب بمنتهى الشدة على كل من يقف فى طريق اهدافنا التى صنعتها آلامكم الطويلة » ٠

وهكذا وصل الصدام غايته ، والغى دستور ١٩٢٣ ، وحلت الاحزاب السياسية ، ولم يعد فى طريق حركة الضباط الاحرار تنظيمات سياسية قانونية ، بعد ان تضمن مرسوم حل الاحزاب نصا يقضى بانهاء قانون تنظيم الاحزاب وسقوط القضايا المعروضة امام مجلس الدولة ٠

وفى ١٨ يناير صدر مرسوم بقانون بحماية التدابير التى يتخذها القائد العام للقوات المسلحة (رئيس حركة الجيش) بقصد حماية الحركة والنظام القائم عليها باعتبارها من اعمال السيادة وذلك لمدة سنة من ذلك التاريخ بعد ان كانت المدة ستة شهور طبقا لمرسوم صدر فى ١٣ نوفمبر ١٩٥٢ .

كانت هذه الاجراءات وما صحبها من اعتقالات جديدة (٤٨ شيوعيا ١٤٤ حزبيا ، ٣٩ متصلا بجهات اجنبية) هى رد الفعل لما حدث من مظاهرات الطلبة المعادية ... ونشاط بقايا الاحزاب وجماهيرها من اجل البقاء ... وبدء التناقضات فى صفوف الجيش ومجلس القيادة كما سيأتى تفصيلا فيمابعد.

كانت فترة منتصف يناير ١٩٥٣ مليئة بالاحداث والصدامات التى حددت موقف الحركة من قضية الاحزاب والسلطة ... وجعلت مجلس القيادة يعلن عن نفسه لاول مرة تحت اسم (مجلس قيادة الثورة) .

اثبتت الاحداث ان حركة الضباط الاحرار لم تجنح الى التعاون مع الاحزاب او محاولة احتوائها وانما اخذت تحاصرها باجراءات متتالية لانها وجدت فيها عنصرا مناوئا لها فى النفوذ والسلطة .. وقد كان التصادم شديدا مع اقواها تأثيرا فى الجماهير . واشدها تمسكا بالديمقراطية . واكثرها خطرا عليها وهو الوفد .

واحتفظت الحركة حتى صدور قانون حل الاحزاب بعلاقات طيبة مع الاخوان المسلمين) الذين لم تكن تهمهم كثيرا قضية الاحزاب والديمقراطية بقدر ماكانوا يخططون لوراثة الحركة او احتوائها .

كان تركيز السلطة فى يد (مجلس قيادة الثورة) اعلانا عن قيام نظام يستند الى الديكتاتورية العسكرية ، ولايجيد التخفى فى ثياب الديموقراطية .

صرح صلاح سالم لجريدة المصرى بعد ذلك بقوله « قبل ان تعود الحياة البرلمانية يجب ان نستأصل جميع اسباب الفساد من الامة » ... . وكان استئصال الفساد يمكن ان يتم بعملية جراحية مثل استئصال اللوزة أو المرارة !

طبيعة الامور فى هذه المرحلة ادت الى هذه النتيجة للعوامل الآتية :

أولا : خروج الجيش عن نطاق واجباته المحددة المعروفة وظهوره فى مظهر قوة سياسية منظمة لها اهداف تخرج عن اطار القوات المسلحة ، أمر يصعب التراجع عنه دون ضغط ظروف شديدة .

ثانيا ــ القوى السياسية التى جابهت حركة الجيش كانت اضعف من وقف مسيرتها نحو السلطة لاحقاد احزاب الاقلية على الطبقة الاقطاعية التى وجهت لها ضربة شديدة ، ولان قيادة الوفد كانت غير قادرة على تحريك الجماهير فى اتجاه ديمقراطى سليم •

ثالثا ــ كسبت الحركة العسكرية تأييد جانب كبير من الجماهير بما أقدمت عليه من عزل الملك واصدار قانون الاصلاح الزراعى وتخفيض ايجار الارض الزراعية والغاء الرتب المدنية ، وغير ذلك من القوانين التى تجاوبت مع مشاعر الشعب •

رابعا ــ الاعتقالات التى اقترنت بتشكيل وزارة محمد نجيب وصدور قانون حل الاحزاب السياسية ، بعثت نوعا من الفزع والتردد بين القيادات السياسية القائمة وجنحت بمعظمها الى الصمت والسلبية •

هذه العوامل فى مجموعها أدت الى انهاء طبيعة النظام القديم ، وتولية الجيش او (مجلس قيادة الثورة) شئون السلطة ••• ولا يستقيم القول بأن النية كانت مبيتة منذ اللحظة الاولى على اقامة الديكتاتورية العسكرية ••• فلأن نقص التخطيط والظروف المواتية هى التى مهدت الطريق كما انه لايصح القول ايضا بأن حركة الجيش كانت حريصة على الديموقراطية فانه رغم بعض الاصوات التى دافعت عنها داخل المجلس وفى صفوف الجيش الا ان اغراء السلطة وضعف المقاومة كان حريا بأن ينتهى الى هذه النتيجة .

أوضحنا ان حركة الجيش منذ لحظتها الاولى فى ليلة ٢٣ يوليو لم تكن تتحرك بخطة واحدة معلومة ، او استراتيجية متكاملة بطريقة تكتيكية ماهرة ، يصعب منها التنبؤ ــ فى لحظتها ــ عن الاتجاه الاستراتيجى لها ••• فانه من اصرار على اذاعة بيان بموعد الانتخابات فى فبراير ضد بيان على ماهر الى تراجع كامل عن الانتخابات وتأجيلها لاجل غير مسمى ••• ومن حرص على اعلان التمسك بالدستور الى الغاء الدستور نفسه ••• ومن بيان يظهر قبول مبدأ وجود الاحزاب الى مرسوم يحل الاحزاب وينهى دورها نهائيا ••• ومن حديث عن ضمان الحريات الى اعتقالات للسياسيين من اتجاهات مختلفة ثم افراج واعادة اعتقال تبعا للمواقف •

انتهت هذه المواقف التكتيكية الى السفور عن سلطة الجيش •••• وعادت الرقابة على الصحف وفتحت المعتقلات •

وقام محمد نجيب واعضاء مجلس القيادة بجولة فى الاقاليم ، استقبلوا فيها استقبالا حارا ، وتدافعت الجماهير والفلاحون ترحب بهم ••• وكان

الذين يؤدون ضريبة لا تقل عن مائة وخمسين جنيها فى العام ، ومن لا يقل دخلهم السنوى عن الف وخمسمائة جنيه من المشتغلين بالاعمال المالية او التجارية او الصناعية او المهن الحرة ٠

كان وضحا تماما ان دستور ١٩٢٣ لم يعد يتناسب مع الطبقة المتوسطة التى وثبت الى السلطة ... ولم يكن منطقيا أن تترك دستورا يحرمها من فرصة تأكيد وجودها وتحقيق اهدافها ٠

الغى دستور ١٩٢٣ ٠٠٠ وكان طبيعيا ان تسقط من بعده اشياء كثيرة ترتبت على وجوده ٠٠٠ فتقرر تأجيل الانتخابات التى كانت الحركة قد قررت موعدها فى شهر فبراير فى بيانها المعروف ٠٠٠ وصرح جمال عبد الناصر لأحمد أبو الفتح يوم ٩ فبراير بأن تأجيل الانتخابات عن الموعد المحددلهاانما هو - لاجلاء الانجليز ٠

ولم تخمد اصوات الاحتجاج على قانون تنظيم الاحزاب حتى بعد الغاء الدستور فظل احمد ابو الفتح يهاجمه على صفحات المصرى فى مقالات عديدة ٠٠٠ واحتشد الطلبة فى الجامعة حيث فاز مرشح الجبهة المتحدة اى جبهة الاحزاب والقوى السياسية الوطنية والتقدمية (احمد الخطيب) على مرشح الاخوان المسلمين (حسن دوح) ٠٠٠ وكان هذا تعبيرا عن معارضة الشباب للخطوات الزاحفة لمحاصرة الديموقراطية ٠

وترافع فى قضية الوفد امام مجلس الدولة الدكتور وحيد رأفت وابراهيم فرج ومحمود سليمان غنام واحمد عبد الهادى ٠٠٠ وكانوا قد اعدوا مذكره بعدم دستورية قانون تنظيم الاحزاب ومنافاته للديمقواطية ٠٠٠ وتأجل نظر القضية ٠

وكان مجلس الدولة حتى هذه اللحظة يعتبر سندا للحريات والديموقراطية ٠٠٠ فقد رفع ٢٥ من المعتقلين السياسيين قضية امام مجلس الدولة لبطلان قرار الاعتقال ، وكان الرد هو حبسهم انفراديا وعدم السماح لهم بالاكل من الخارج ٠

وتحت هذا الضغط تنازل الكثيرون واصر على الاستمرار فى القضية فؤاد سراج الدين ومحمود سليمان غنام وحامد جودة وعدد محدود من السياسيين ٠

وفوجىء سراج الدين بدخول الصحفى مصطفى أمين الى غرفته بالمعتقل حاملا رسالة من اعضاء مجلس القيادة تقول انهم على استعداد للافراج عنه اذا تنازل عن القضية ٠٠٠ ولكن فؤاد سراج الدين رفض فكرة

قدر ما وقفت حائلا دون اندفاع الطبقات العاملة نحـــو احـــداث تغييرات جذرية او ديموقراطية فى المجتمع .

واثبتت حركة الجيش بذلك انها نبتت فعـــلا من الطبقة الوســطى (البرجوازية الصغيرة) وانهما عملت على خدمة طبقتها وترسيخ قواعدها .

وبقدر ما استغلت الطبقة الاقطاعية الطبقة الوسطى فى خدمتها ... بقدر ما بدأت الطبقة الوسطى تستغل مظاهر التأييد من الطبقة العاملةوالفلاحين فى تثبيت اقدامها .

لم يكن هناك شك فى ان مصر قد اصبحت تحكم بعد منتصف ينـاير بمجموعة عسكرية صرفة . . . دون ان يجـرؤ أحـد على اطلاق لفـظ (الديكتاتورية) عليها فقد اعيدت الرقابة على الصحف وفتحت المعتقـلات وتعددت عمليات الفصل بلا محاكمة .

ويذكر ان الزعيم الامريكى المضلل فى بداية الثلاثينيات من هـــذا القرن (هيولونج) قال عندما سـئل من الصحفيين آذا كان يعتقد أن الفاشية يمكن ان تصل الى الولايات المتحدة فأجاب قائلا : « بالتأكيد ... ولكننا سنطلق عليها لفظ (المضاد للفاشية) » .

وقال جمال عبد الناصر بعد ذلك فى الميثاق عام ١٩٦٢ « ان سـيادة الاقطاع المتحالف مع رأس المال المستغل على اقتصاديات الوطن كانت لا بـد ان تمكن لهما طبيعيا وحتما من السيطرة على العمل الســياسى فيه » ... « ان الديموقراطية على هذا الاساس لم تكن الاديكتاتورية الرجعيـة ... ان فقدان الحرية الاجتماعية لجماهير الشعب سلب كل قيمة لشـكل الحرية السياسية التى كانت قد تفضلت بها عليها الرجعية المتحكمة حتى لقد صدر دستور ١٩٢٣ منحة من الملك ومنة منه وتفضلا » .

ولكن حركة الجيش فى هذه (المرحلة الزمنية) . .. لم تلغ نهائيا (ديكتاتورية الرجعية) لتقيم بدلا منها (الديموقراطية الشعبيــــة) ... وانما استبدلتها (بالديكتاتورية العسكرية) الممثلةلصالح الطبقة الوسطى .

وهكذا تكون عادة طبيعة الانقلابات العسكرية .. . فأيوب خان فى باكستان اطلق على نظام حكمه (الديموقراطية الاساسية) وخطب فى القاهرة بعد ذلك أثناء زيارته لها قائلا : « الشرط الاساسى للتقدم هو الاستقرار السياسى . ونحن مثلكم استعرنا النظام الغربى ولـكنه لم يمش عندنا » .
والواقع ان حركة الضباط الاحرار فى مصر لم تدخل تجربة الانتخابات

البرلمانية ، ولم تواصل اسلوب الحياة السياسية قبل الثورة ... فهى لم تشأ ان تدخل فى منافسة انتخابية وهى لا تملك مقدرات النجاح .

لم تفعل الحركة مثلما فعلت الثورة الفرنسية بعد الغاء الاقطاع ووضع دستور جديد ، حيث اجريت الانتخابات بعد ذلك مباشرة رغم انه كان قد مر على فرنسا ١٧٥ عاما دون برلمان .

وفى ١٠ فبراير ١٩٥٣ صدر دستور مؤقت حكمت به مصر خلال فترة الانتقال صدر من سبع مواد مبادىء عامة وأربع مواد للسيادة العليا فقط ... وهو يقضى بأن تكون أعمال السيادة العليا لمجلس قيادة الثورة الذى يكون له حق التعيين وعزل الوزراء على أن يتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية والتنفيذية معا ، وان يتألف من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء مؤتمر ينظر فى السياسة العامة للدولة وما يتصل بها من موضوعات ويناقش ما يرى مناقشته من تصرفات كل وزير فى وزارته .

وفى اليوم التالى مباشرة احتفلت الحركة بتشييع رفات مصطفى كامل الى قبره الجديد فى القلعة فى ذكرى وفاته الخامسة والاربعين حيث توفى فى ١١ فبراير ١٩٠٨ .

وفى اليوم التالى ايضا ١٢ فبراير ذهب محمد نجيب وجمال عبد الناصر وعبد اللطيف بغدادى وأنور السادات الى ضريح حسن البنا فى الذكرى الرابعة لوفاته .

ثم توجه محمد نجيب بعد ذلك لزيارة ضريح سعد زغلول حيث قرأ الفاتحة عليه .

تمت هذه الزيارات بقصد اشعار الجماهير ان حركة الجيش لاتعادى زعماء الاحزاب المنتمين لها وانما تعادى تصرفات خلفائهم من بعدهم ...

ورغم قرار حل الاحزاب فان اليأس لم يبدد امل الجماهير ، او يدفعها الى الصمت والسكون الكامل ... تركزت الانظار على لجنة الخمسين لاعداد الدستور التى كان يرأسها على ماهر ، لعلها تنتهى من دستور يعيد الامل فى قيام حياة برلمانية ، للنظام القديم .. ولكن اللجنة ظلت تعمل فى بطء شديد دفع احمد ابو الفتح الى مهاجمة على ماهر فى جريدة المصرى بمقال تحت عنوان : (الدستور .... يارئيس اللجنة) يطالب فيه بتحديد موعد لانتهاء العمل « بدلا من الانتظار سنوات والتثاؤب فى الاجتماعات . ويطالب أيضا بأن يكون هناك (أسبوع للدستور) تشبها بموضة

كانت قد ظهرت للاحتفال بأسابيع مختلفة مثل أسبوع الامان وأسبوع النظافة واسبوع الدواجن واسبوع مشوهى الحرب ... الخ .

وكانت جريدة المصرى تلعب دورا بارزا فى الدفاع عن الدستور والديموقراطية ... وحدث شجار بين احمد ابو الفتح الذى كتب بعد ذلك مقالا بعنوان (نعم ... الدستور) ، ورد عليه صلاح سالم فى نفس العدد بعد أن عطل نشر مقالته حتى يرد عليه بمقال آخر عنوانه (الشاكون والمتباكون) ... واعتكف بعدها احمد ابو الفتح عن الكتابة وسافر الى الاسكندرية .

وبدأت محكمة الغدر عملها يوم ٢٥ مايو ١٩٥٣ ووجهت اتهاماتها الاولى الى كريم ثابت وعثمان محرم والدكتور احمد النقيب ومحمد حسن واسرة الوكيل واحمد شعير ... ومنهم وزراء ماكانت يد القانون لتصل اليهم الا بعد الغاء الدستور .

وكان اسم مصطفى النحاس قد اختفى نهائيا قبل ذلك بثلاثة ايام من صفحات الجرائد الوفدية التى اعتادت ان تنشر مقابلاته وتحركاته .

وفجأة اعلنت الصحف ان اللجنة الخماسية المنبثقة عن لجنة الدستور والمشكلة من الدكتور عبد الرازق السنهورى ومكرم عبيد وعبد الرحمن الرافعى والسيد صبرى وعثمان خليل عثمان لبحث نظام الحكم قد استقر رأيها بالاجماع على ان يكون نظام الحكم جمهوريا على ان يتقرر ذلك عن طريق استفتاء شعبى .

وفى يوم ١٧ يونيو ١٩٥٣ أدلى جمال عبد الناصر بحديث الى جريدة الاهرام قال فيه « ان الجمهورية آتية لا ريب فيها » واكد « ان اصلح نظام حزبى يجب ان يقوم فى مصر الحديثة هو النظام الذى يقوم على اساس ديمقراطى صحيح » كما تساءل « لماذا نفكر فى قيام حزب واحد أو فى قيام الحكم المطلق ، وقد تحولت الدول التى طبقته الى تطبيق النظام الديموقراطى الصحيح وتعدد الاحزاب .. ولم لانفسح المجال أمام كل مبدأ تعتنقه جماعة صالحة ويستهدف خدمة الوطن فى ان يعيش ويعمل فى حرية لخدمة المجموع » .

وفى نفس الحديث قال جمال عبد الناصر « ان هيئة التحرير ليست حزبا سياسيا ولم تنشأ لتكوين حزب سياسى يجر المغانم على الاعضاء او يستهدف شهوة الحكم والسلطان اما السبب فى تأسيسها فيرجع الى الرغبة فى ايجاد اداة لتنظيم قوى الشعب » .

وفى اليوم التالى مباشرة الغى النظام الملكى فى مصر وخلع الملك احمد

فؤاد الثانى وانتهى حكم اسرة محمد على بعد مائة وخمسين عاما تقريبا وأعلنت الجمهورية يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ وكان محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر .

كانت ظواهر الامور تدل على ان الساحة قد خلت فعلا للجيش وسلطته ممثلا في (مجلس قيادة الثورة) وخاصة بعد اعلان الجمهورية واشتراك بعض أعضاء المجلس في الوزارة ، واختفاء صوت الاحزاب ، وتشتت تنظيماتهم ، ومصادرة نشاطهم ... ولكن واقع الامر كان غير ذلك فان الصدام مع الاحزاب او جماهيرها لم يكن قد وصل غايته ... وسلطة (مجلس قيادة الثورة) لم تعد وحدها المسيطرة على كل شيء .

كانت عوامل الصدام مازالت قائمة ، تمتد وتنحسر ، وتنشط وتخمل ولكنها كانت دائما تترقب الفرص المواتية .

لم يكن الصدام مع الاحزاب والغاء الديمقراطية أمرا يسهل الانتهاء منا في معركة واحدة ، أو بقرار مكتوب ، مثلما حدث في معركة الاصلاح الزراعي ، لانه كان في ابعاده تنازعا على السلطة ليس بين الطبقة الاقطاعية المضروبة ، وبين الطبقة الوسطى النامية ... وانما كان نزاعا في حدود الطبقة الواحدة ... والخلاف كان على الاسلوب .

لم ينته الصدام باعلان الغاء الدستور او حل الاحزاب ، او اعلان الجمهورية ، او تشكيل هيئة التحرير ... ولكنه اتخذ اشكالا اخرى مغايرة .

وكانت الاخبار والشائعات التى تملأ المجتمع هى المظهر الذى يثير اعصاب مجلس القيادة ويؤرق ليلهم ... ويمنحهم المبرر فى نفس الوقت لاتخاذ اجراءات اشد قسوة .

وظهرت على صفحات الصحف مثل هذه النداءات فى براويز خاصة .

« الشائعات الكاذبة المغرضه آفة خلقية لها ما للآفات الجسمانية من نتائج اذ تنتشر شيئا فشيئا فتصيب بالعدوى كافة اعضاء المجتمع» .

من واجب كل مواطن ان يحارب الاشاعات واجره فى ذلك اجر المجاهد فى سبيل الله » .

ولكن يبدو ان أحدا لم يستجب لهذه النداءات ، فقد قال جمال عبدالناصر فى تصريح له «من سوء الحظ أو حسن الحظ ان ثورتنا كانت ثورة بيضاء » وقال صلاح سالم « اننا مستعدون ان نرى أصحاب هذه الرؤوس الدماء تسيل انهارا» .

وجاء قرار تشكيل محكمة الثورة فى منتصف سبتمبر ١٩٥٣ بخطاب

القاه محمد نجيب فى مؤتمر شعبى بميدان الجمهورية بمثابة رد فعـــل حاد لاضطراب المجتمع ، وقد تشكلت المحكمة برئاسة قائد الجناح عبد اللطيـــف البغدادى وعضوية البكباشى انور السادات وقائد الاسراب حسن ابراهيم ٠
وصحب اعلان التشكيل حملة اعتقالات شملت ابراهيم عبد الهـــادى وشقيقه اسماعيل المليجى وابراهيم فرج ومحمود سليمان غنام والنبيـــل السابق عباس حليم والدكتور احمد النقيب وكريم ثابت وكـــامل القاويش وسعد الدين السنباطى وممدوح رياض ٠

وحددت اقامة مصطفى النحاس وزوجته زينب الوكيـــل وحـافظ عفيفى ٠

وقد شكلت المحكمة دون معرفة لقواعدها او تحديد لاهدافهـــا ٠٠٠
واقترح صلاح سالم عقدها فى ميدان التحرير ، بعد ان اعلن فى خطبة عامـــة ان هناك وثيقة تدين بعض السياسيين باتصالاتهم بجهات اجنبية ٠

بدأت محكمة الثورة عملها بمحاكمة ابراهيم عبد الهادى بتهمة الاتصال عام ١٩٥٣ بجهات اجنبية تهدف الى الاضرار بالنظام ومصلحة البلد العليـــا ، كما انه عمل فى سنة ١٩٤٨ على الزج بجيش مصر فى معركة فلسطين قبل ان يتخذ الجيش اهبته لخوض غمارها واشاع حكم الارهاب اثنـــــاء رئاسته للوزارة ، وهيأ لاعوانه الاسباب التى يسرت لهم قتل الشيخ حسن البنا ٠

كان الحديث عن فلسطين بهذا المضمون شيئا جديدا ٠

وانتهت المحاكمة الاولى بصدور الحكم بالاعدام فى اول اكتوبر ١٩٥٣ ثم تخفيفه الى المؤبد ومصادرة كل مازاد من ممتلكاته وأمواله عما ورثه شرعا وافرج عنه صحيا فى فبراير ١٩٥٤ ٠

حاكمت محكمة الثورة ٣٤ شخصا بعضهم من الســـياسيين والبعض من المتهمين بالتجسس والاتصال بجهات اجنبية او ترديد الشائعات ٠
حوكم ستة من الوفديين هم ابراهيم فرج ومحمود سليمان غنـــام وفؤاد سراج الدين وزينب الوكيل ومحمود ابو الفتح وحسين ابو الفتـــح وثلاثة من رجال السراى هم كريم ثابت واحمد النقيب ومحمد حلمى حسين والنائب العام السابق كامل القاويش وسعدى واحد هو ابراهيم عبد الهـــادى ودستورى واحد أحمد عبد الغفار ، وضابطان هما قائمقام عبد الغفار عثمان وأميرالاى أحمد شوقى ، ١٣ جاسوسا و٣ من مروجى الشائعات ٠ واثنـــان للتستر على الاتصال بجهات اجنبية ٠
أصدرت المحكمـــة ستة أحـكام بالاعدام ، نفـذ منها اربعـة عـلى الجواسيس ، وعدل اثنان الى المؤبد احدهما على ابراهيم عبد الهادى ومتهم

آخر بتقديم تقارير وتبليغات لجهات اجنبية اسمه احمد على عوض ، كما صدرت أربعة احكام بالبراءة فقط .

محكمة الثورة كانت موجهة اساسا ضد الوفد وبقايا الاحزاب والتنظيمات السياسية ، فقد حوكم من الوفد كل الاعضاء الذين لم يبلغوا الخامسة والستين من العمر ، وكانت محاكمة فؤاد سراج الدين هى أطول محاكمة اذ استمرت ٤٥ جلسة طرحت فيها مختلف القضايا وجاء فى قرار المحكمة ما يأتى : «المحكمة تعيب وتأسف على موقف الحكومة الوفدية المرتجل من معركة التحرير بالقنال وعدم الاستعداد لها ، وهكذا تحول الموقف الذى يستحق الفخر فى تاريخ الوفد .. الى موقف يجلب له العيب والاسف » ... ووجهت الطعنة فى غير موضعها فمعارك التحرير والنضال الشعبى لا يشترط ان تستكمل تماما فى بدايتها ... بل هى تنمو وتزداد صلابة مع كفاح الشعب المسلح ، وهو ما حدث فعلا قبل حريق القاهرة . وما تكرر ايضا بصورة اخرى بعد ٢٣ يوليو حتى توقيع اتفاقية الجلاء .

وكانت محكمة الثورة تنعقد خلف باب رفعت عليه هذه الآية (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وتعقد جلسات سرية لا يحضرها الا اعضاؤها والمتهم وزكريا محيى الدين- رئيس مكتب الادعاء الذى كان مشكلا من الضباط الحقوقيين محمد التابعى وابراهيم سامى وسيد جاد ووكلاء النائب العام مصطفى الهلباوى وعبد الرحمن صالح واحمد موافى وعلى نور الدين .
المتهمون كانوا يواجهون المحكمة بلا تحقيق ، ويوجه الادعاء التهمة اليهم كنوع من المفاجأة وفى الجلسة السرية التى حوكم فيها ابراهيم فرج فوجىء بتهمة الاتصال بجهات اجنبية ، واخيرا تبين ان المقصود هو مقابلته مع مصطفى النحاس لنهرو اثناء زيارته لمصر عقب اعلان الجمهورية بخمسة ايام .

وكان نهرو قد ارسل رسالة حملها السفير الهندى يطلب مقابلة مصطفى النحاس ضمن زيارته لمصر ، ولما حاول النحاس الاعتذار عن عدم المقابلة منعا للحرج ، ابلغه السفير بأنه اذا لم تتم الزيارة فان نهرو لن يحضر الى مصر .

وكان النحاس قد التقى بنهرو قبل ذلك مرات ... ولذا كان نهرو حريصا على ان يظهر فى مظهر الوفاء للزعيم الذى احتل مركزه عن طريق الديمقراطية التى يؤمن بها نهرو ايمانا راسخا والتى كانت موضع حديث دائم بينه وبين اعضاء مجلس قيادة الثورة فى كل مناسبة يلتقى بهم فيها .

قال نهرو فى هذه المقابلة التى تمت فى منزل النحاس انه لاينسى علاقته

بوالده (موليتال) وانه يعتبر الحركة الوطنية فى الهند ابنة الحركة الوطنية فى مصر التى قادها الوفد .. وقال له النحاس انه سعيد لانه عاش حتى اليوم الذى اعلنت فيه الجمهورية بمصر ، وصارحه بأنه يكره الحكم العسكرى ويرى من واجبه مقاومته حتى يعود الدستور والديموقراطية والحرية .

وعندما انتهت جلسات محكمة الثورة التى بدأت فى اول اكتوبر ١٩٥٣ وانتهت فى ابريل ١٩٥٤ كان معظم قيادات الوفد قد اصبحوا خلف قضبان السجون .

ويذكر ان افرادا من اسرة سراج الدين ذهبوا الى جميع اعضاء مجلس الثورة لاقناعهم ببراءة فؤاد ، وقد التقوا بكلمات مجاملة او اعتذار عن عدم المقابلة ، عدا جمال عبد الناصر الذى صارحهم بأنه لا بد من الحكم عليه ، وانه لابد من التصديق على الحكم ... قائلا لهم ان فؤاد سراج الدين كرجل سياسى يعرف لماذا حكم عليه ... ومتى سيخرج .

وكان هناك سببان احدهما خارجى وهو عودة الاحزاب فى سوريا بعد الاطاحة بحكم العقيد اديب الشيشكلى وسبب داخلى هو استعداد رجال الثورة للقضاء على الاخوان المسلمين كما صارحهم بذلك .

كانت الاحزاب فى سوريا قد توقف نشاطها اربعة اعوام منذ عام ١٩٤٩ ولكنها عادت للتشكيل فورا بعد القضاء على ديكتاتورية الشيشكلى .. وهو الامر الذى كان يؤرق رجال الثورة بصفة عامة ، وجمال عبد الناصر بصفة خاصة ... لانهم كانوا يدركون ان مجرد وجودها يشكل خطرا على سلطتهم فى لحظة زمنية معينة تحت ضغط ظروف مواتية .

وهكذا بعد ان كانت تجربة سوريا تبعث الحذر من تكرار الانقلابات العسكرية ... اصبحت تبعث الحذر ايضا من عودة الاحزاب السياسية .

وعندما انتهت محكمة الثورة من عملها ،والقت بعدد من زعماء الوفد والاحزاب السياسية داخل السجون ، وفتحت أبواب المعتقلات وحظرت اى نوع من النشاط السياسى خارج هيئة التحرير ، بدا الامر كما لو ان الصدام مع الاحزاب قد وصل غايته .

ولكنه تبين رغم ذلك ان الحياة مازالت تنبض فى جسد الاحزاب ، وانها استفاقت لتعاود الحياة مرة اخرى فى بداية ١٩٥٤ كما سيأتى تفصيلا فيما بعد .

اعتقال الشيوعيين

(أنا برىء ومظلوم ٠٠ اريد اعادة محاكمتى)
العامل مصطفى خميس
قبل لحظة الاعدام

عندما تحركت قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان معسكر الاعتقال فى هاكستيب يضم مئات من الشيوعيين ، ولم ينعم بعضهم بالحرية الا بعد تصفية المعتقلات فى عهد حكومة الوفد عام ١٩٥٠ ، بعد ان كانت قد اقيمت بمناسبة حرب فلسطين عام ١٩٤٨ فى عهد حكومة محمود فهمى النقراشى ٠

ومنذ حملة اسماعيل صدقى ١٩٤٦ ، والشيوعيون يتعرضون فى مصر للاعتقال كلما تهيأت للسلطة الحاكمة ظروف مواتية ٠٠٠ حتى انه يمكن القول بأن فترات الحرية لهم كانت الاستثناء وليست القاعدة ٠

ولذا كانت حركة الجيش محل تأييد من الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) وهى التنظيم الشيوعى الرئيسى فى هذه الفترة ، وعندما ابلغت قيادتها ليلة ٢٢/٢٣ يوليو بأن قوات الجيش ستتحرك بعد ساعات لضرب النظام القائم ، وفرض شروطها على الملك ، اعلنت منشورا يؤيد حركة الجيش باعتبارها حركة وطنية ، ووزع المنشور فى ساعات الصباح الاولى يوم ٢٣ يوليو وكان اول تأييد للحركة من أية قوة سياسية ، الى جانب موقف الاخوان المسلمين المساند للحركة ، والذى دفع عناصرها لحراسة المعابد والمرافق الحيوية ، فى الوقت الذى كان فيه منشور (حدتو) يوزع فى شوارع القاهرة ٠

وكان طبيعيا من (حدتو) ان تبادر الى التأييد ، لان منشـــــورات الضباط الاحرار كانت تطبع في جهاز طباعتها السرى بعد حريق القاهرة ، وتوزع ايضا بواسطة اجهزتها ٠٠٠ وبعض اعضائها كانوا يؤدون دورا بارزا فى حركة الضباط الاحرار ٠٠٠ كانت لجنة قسم الجيش بها تضم أحمد فؤاد مسئولا للدعاية ومن كاتب هذه السطور مسئولا للسياسة ، وقد استطاع أحمد فؤاد أن يخلق علاقة طيبة مع جمال عبدالناصر الذى تعرف عليه عن طريق خالد محيى الدين الذى كان عضوا فى تنظيم قسم الجيش هـو ويوسف صديق وعدد آخر من الضباط الاحرار ٠

ولم تتخذ اللجنة التأسيسية لحركة الضباط الاحرار موقفا من خـالد محيى الدين مثل الموقف الذى اتخذته من عبد المنعم عبد الرءوف الذى فصلته لارتباطه بالاخوان ومحاولته ضم الضباط اليهم بدلا من الضباط الاحرار ٠٠٠ وذلك لان تنظيم قسم الجيش فى حدتو كان حريصا على توفير مواصـــفات خاصة فى الضباط الذين ينتمون اليه ، ولذا فان اعضاءه كانوا يجنـــــدون الضباط اولا لتنظيم (الضـباط الاحرار) ويعتبرون خلال هذه الفترة فى مرحلة الترشيح حتى اذا استكملوا مواصفات الدخول للتنظيم فكرا ووعيا ، عــرض عليهم الانضمام لقسم الجيش ٠

لذا فان اللجنة التأسيسية للضباط الاحرار لم تجد تناقضا بينها وبين الضباط الشيوعيين ٠٠٠ ولم تثبت حالة واحدة كان يجند فيهـــــا احـد الضباط وخاصة (الاحرار) لتنظيم (حدتو) مباشرة ٠

وخلال فترة ما قبل ٢٣ يوليو ، وعندما اشتعلت الروح الثــورية مع كفاح الشعب المسلح ضد الانجليز فى منطقة القناة ، اعتبر قسم الجيش فى (حدتو) أن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بالذات من العناصر الوطنية المخلصة والمتطورة والتى يمكن مصارحتها بدخول التنظيم يوما ما ٠

ولكن قيام الحركة انهى فترة الترشيح والنظرة المرتقبة ٠٠ وبدأت الحركة السياسية بين قطبين مختلفين ٠٠٠ ولا يصدق قول احمد ابو الفتح فى كتابه بأن جمال عبد الناصر كان منضما لتنظيم (حـدتو) تحت اسم حـركى (موريس) ٠

ومع ذلك كان من قرارات الحركة الاولى الافـــراج عــن المعتقلين الشيوعيين ، وقد تم الافراج عنهم جميعا على التوالى عدا ١٧ شخصا تجمدت ـــ الافراج عنهم ، وبقوا كخميرة لمعتقلين جدد ٠

وسرعان ما حدث خلاف فى الرأى ، عندما تفجرت قضية كفـر الدوار عقب مظاهرة احتجاج قام بها عمال شركة مصر للغزل والنســـــيج الرفيع

البالغ عددهم نحو عشرة الاف عامل يوم ١٢ ، ١٣ اغسطس للمطالبة ببعض الحقوق العمالية ، وتعرض البوليس لهم ثم حدث اشتباك أدى الى اشتعال بعض الحرائق ، والاستنجاد بقوات الجيش التى تصادمت مع العمال أيضا ، وانتهى الامر بمصرع ثلاثة جنود وثلاثة عمال وجرح ٢٨ شخصا .

تصرفت حركة الجيش ازاءهذا الموقف برعونة شديدة تحت وهم ان هذه المظاهرات هى بداية اعمال مضادة ضد الجيش ، وتشكل مجلس عسكرى برئاسة عبد المنعم امين عضو مجلس القيادة فى ذلك الوقت ، ويقول انه قد تطوع لرئاسة المجلس واقترح عقده فى موقع الحادث • وقد تشكل من حسن ابراهيم عضو المجلس والبكباشى محمد عبد العظيم شحاته والبكباشى أحمد وحيد الدين حلمى والصاغ محمد بدوى الخولىواليوزباشى فتح الله رفعت واليوزباشى جمال القاضى •

كانت المحاكمة سافرة العدوان على حقوق المتهمين ، فلم تتح لهم فرصة الاعتماد على المحامين الى الدرجة التىدفعت عبد المنعم امين الىمطالبة الصحفى موسى صبرى الذى كان يمثل جريدة الاخبار ، للدفاع عن العامل محمد مصطفى خميس باعتباره حاصلا على شهادة الحقوق •

ويقول عبد المنعم امين ان مصطفى خميس قد ترافع عن نفسه مرافعة عظيمة لمدة نصف ساعة ولكنهم اصدروا مع ذلك الحكم عليه بالاعدام هو ومحمد حسن البقرى ، وصدرت احكام بالسجن على بقية المتهمين الذين كان من بينهم صبى فى الثامنة عشرة من عمره •

أهاج أسلوبالمحاكمة مشاعر الجماهير فىمصر والخارج،ووضع(حدتو) التنظيم الشيوعى الممثل للقوى العاملة فى وضع شديد الحرج ، فانه رغم ان مصطفى خميس ومحمد حسن البقرى لم يكونا اعضاء فى الحركة الديموقراطية ، الا ان الدفاع عنهما اعتبر واجبا مقدسا على كل تنظيم أو شخص شيوعى أو تقدمى •

وقد تسرع مصطفى النحاس فأصدر بيانا يستنكر فيه حوادث الشعب ويدعو العمال الى الانتاج المثمر ، وكذلك اصدر (الحزب الوطنى) بيانا بنفس المعنى ••• وكان هذا الموقف ، دليلا على معاداة الاحزاب وحركة الجيش معا للطبقة العاملة والتخوف من حركتها ••• وبينما اثبت التحقيق كما أشارت جريدة (الاهرام) الى أن البوليس قد أطلق النار قبل الشغب مما استفز العمال ، وانه بذلك ينهار ركن هام فى الجريمة ••• فان ذلك لم يغير من الامر شيئا •

وصيحة مصطفى خميس التى اطلقها قبل اعدامه « انا برىء ومظلوم»

أريد اعادة محاكمتي ... ان محامي لم يطلب شهودا وكان هناك اثنان قد شاهداني وانا ماشي » قد ضاعت وتبددت في الهواء ... وتؤكد هذه الصيحة قسوة المجلس العسكري في معاملة المتهمين وحرمانهم من حق اساسي من حقوق الانسان هو توكيل المحامين .

ومع ذلك يقول عبد المنعم امين ان حكم المجلس العسكري لم يكن بالاجماع مما يتعارض مع قانون الاحكام العسكرية ... كما أن تصديق مجلس قيادة الثورة لم يكن بالاجماع ايضا ، فقد اعترض على الحكم بالاعدام ولم يوافق عليه كل من جمال عبد الناصر ويوسف صديق وخالد محيي الدين فقط ، كما ان محمد نجيب كان مترددا في التصديق على الحكم واستدعى اليه مصطفى خميس في مكتبه لمحاولة مساعدته اذا قدم له معلومات مفيدة ، ويقول محمد نجيب ان مصطفى خميس كان رجلا شجاعا، لم يعترف على أحد ولم يوجه اتهاما ظالما ، لانه حقيقة لم يكن مدفوعا من أحد ، ولم يرتكب جرما يستحق عليه الاعدام .

وقد اثارت محاكمة كفر الدوار عاصفة شديدة من النقد على المستوى العالمي فان تصرفات المجلس العسكري واسلوبه كانت محل ادانة كل القوى التقدمية واليسارية والمنظمات العمالية ورجال المحاماة ، في مختلف انحاء العالم ... وادى هذا الى تصوير حركة الجيش امام العالم بأنها حركة رجعية فاشية .

ووصفت بأنها « مجموعة من الضباط الرجعيين تربطهم صلة مباشرة وقوية بالولايات المتحدة » .

وقد ادى هذا الموقف الى وضع الحركة الديموقراطية للتحرير الوطني (حدتو) في موقف المدافع عن قضية خاسرة ... فان النظرة الى حركة الجيش كانت على اساس انها حركة وطنية تحمل تباشير تحرر وطني وتغيير اجتماعي .

كتب (بالم دات) عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي البريطاني تقريرا هاجم فيه حركة الجيش وقامت (حدتو) والحركة السودانية للتحرر الوطني وهي رفيقة نضال (حدتو) في السودان ، بالرد عليه ، مما جعله يتراجع عن موقفه حتى حدثت احداث جديدة في مطلع عام ١٩٥٣ .

وكان (بالمبروتولياشي) سكرتير الحزب الشيوعي الايطالي اكثر وعيا وتقديرا لظروف مصر من غيره فقد قال لحزبه «علينا أن نضع في اعتبارنا ونحن ندرس حركة الجنرال نجيب رأى قادة حركة السلام في مصر » .

وهكذا كانت قضية كفر الدوار صدمة في العلاقة بين حركة الجيش والحركة الديموقراطية ولكنها لم تنته الى قطيعة ، ولم تؤد الى تغيير جذري في تقدير الموقف ... ولم تدفع الى رفع شعار العداء ...

وصدرت بعد ذلك مجلة (التحرير) يوم ١٦ سبتمبر وهي التي اشرفت على اصدارها ورأست تحريرها مع مجموعة من الزملاء الصحفيين اصحاب الاتجاهات الوطنية الديمقراطية ومنهم عبد المنعم الصاوي مدير

تحريرها -والذى كان محررا بجريدة (المصرى) وحسن فؤاد وعبد الرحمن الشرقاوى وصلاح حافظ وفتحى غانم ويوسف ادريس وزهدى وغيرهم .

كانت التحرير التى وصل توزيعها الى ارقام قياسية (١٠ الف نسخة) تعتبر واجهة تقدمية لحركة الجيش ، ليس فى موادها ما يمكن ان يعتبر دعوة متطرفة ، ولكن صفحاتها كانت تدعو فى وضوح للتحرير الوطنى وتأكيد مبادىء الديموقراطية ، ومهاجمة الاقطاع والاستعمار والرجعية .

وتعرضت المجلة لنقد شديد من جانب بعض اعضاء مجلس القيادة ، وخاصة الذين كانت تربطهم صلات طيبة بالسفارتين الانجليزية والامريكية مثل عبد المنعم امين ، وانتهى هذا النقد الى اتخاذ اجراء بتعيين الصاغ ثروت عكاشة رئيسا للتحرير بدلا منى ... وقد علمت بذلك من مطالعة الجرائد فى الصباح ... وقد اصبح ذلك اسلوبا طبيعيا لنزع الموظفين من اماكنهم وتعيين بديل لهم دون ابلاغ او مناقشة .

وحرصا على سلامة العلاقات وعدم تدهورها طلبت من كافة الزملاء ان يبقوا فى اماكنهم ويتعاونوا مع رئيس التحرير الجديد الذى كان قد حضر ومعه قائمة بفصل معظم المحررين باعتبارهم (شيوعيين) الامر الذى اعترض عليه عبد المنعم الصاوى لان ذلك كان يعنى انهيارا للمجلة الناجحة ... وقد ارتضى جمال عبد الناصر بقاءهم بعد مقابلة مع عبد المنعم الصاوى اوضح له فيها ان المجلة تسير على هدى منشورات الضباط الاحرار .

وبعد ان روى لى عبد المنعم الصاوى هذه الواقعة قال لى الدكتور ثروت عكاشة ما يأتى :

« اشهد لوجه الحق ان هذه الواقعة ليس لها اساس من الصحة وان الرئيس الراحل لم يزودنى بأية قائمة لا بأسماء المحررين الشيوعيين ولا بغيرهم لفصلهم من مجلة التحرير كما لم أتقدم بأية قوائم . واذا لم تكن هناك قائمة أصلا أو نية لاستبعاد بعض المحررين فمن باب أولى ألا يكون هناك مجال للسيد عبد المنعم الصاوى الذى كان يعمل مديرا للتحرير بأن يتدخل فى مثل هذا الأمر الموهوم فقد ظل المحررون الشيوعيون يكتبون المقالات موقعين بأسمائهم باستثناء واحد فقط لظروف خاصة لحمايته وبرضائه الشخصى » .

كما أراد الدكتور ثروت عكاشة تأكيد هذه الحقيقة فاستكتب خالد محيى الدين هذه الكلمة :

« انى كنت حاضرا عندما كلف جمال عبد الناصر ثروت عكاشة بتولى مسئولية مجلة التحرير ولم يقدم جمال عبد الناصر قائمة لثروت عكاشة بأسماء محررين شيوعيين يجب فصلهم ولكن ما أذكره هو أن جمال عبد الناصر طلب اليك ، أى لثروت عكاشة ، الحذر من سيطرة شيوعية كاملة على مجلة التحرير وأن تكون عيناك مفتوحتان لهذه الغرض وأنك مسئول أمامه عن سياسة المجلة . والدليل على ذلك أنه لم يحدث فصل لأى محرر يسارى أو شيوعى أو غير ذلك طوال مدة رئاستك لمجلة التحرير . هذا حسبما أذكره ولا أعتقد أن جمال عبد الناصر قد قابل عبد المنعم الصاوى بهذا الصدد كما ورد برسالتك نقلا

عن الكتاب • لان عبد الناصر لم يذكر لى أنه قابل عبد المنعم الصاوى » •

وسواءصحت رواية ثروت عكاشة أو عبد المنعم الصاوى فان الحقيقة الثابتة أن أحدا من المحررين لم يفصل من عمله ، كما أنى بعد ان اعتقلت وأفرج عنى طلب منى جمال عبد الناصر ضرورة العودة للكتابة فى المجلة التى اسهمت فى تأسيسها ورأست تحريرها فاستجبت لذلك حرصا على عدم اتخاذ موقف انعزالى ورغبة فى مواصلة التعاون مع زملاء اعتز بهم •• ولكن ذلك لم يستمر لفترة طويلة •

واتخذت حركة الجيش موقفا صريحا من الشيوعية عندما اصدرت وزارة محمد نجيب فى يوم ١٦ اكتوبر ١٩٥٢ قرارا بالعفو الشامل عن المحكوم عليهم بالجرائم السياسية التى وقعت فى الفترة من توقيع معاهدة ٢٦ اغسطس ١٩٣٦ الى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ او المتهمين بقضايا سياسية خلال المدة ، واعلن فتحى رضوان فى تصريح صحفى ان القضايا الشيوعية تدخل ضمن القرار ، ولكن القانون الذى عفا عن ٩٤٣ شخصا استثنى الشيوعية باعتبارها موجهة ضد النظام الاقتصادى والاجتماعى للدولة •

وقد رفع الشيوعيون المحكوم عليهم قضايا أمام مجلس الدولة للتظلم من هذه التفرقة ، ولكنها لم تنظر بعدما اعتبرت القوانين من اعمال السيادة التى لايجوز مراجعتها طبقا للدستور المؤقت الذى اذيع فيما بعد •

وأظهرت حركة الجيش موقف العداء من الشيوعية مرة اخرى عندما خطب يوسف صديق فى بنى سويف اثناء جولة فى الاقاليم صحبه فيها عبد العزيز على وزير الشئون البلدية وفتحى رضوان وزير الارشاد القومى ، وقال ان الحركة (لاشرقية ولا غربية) ••• لم تذع الاذاعة تسجيل الخطبة واحتج بعض اعضاء المجلس على اعلان هذا الموقف الذى اثار رجال السفارة الامريكية وبعث فى نفوسهم الضيق ــ على حد قولهم •

كان الحياد مرفوضا فى هذه الفترة من جانب الغرب ، وتعرض يوسف صديق بعد ذلك لمضايقات من زملائه اعضاء المجلس ، وخاصة بعد اعتراضه على رفع سعر السجائر ، وعدم مناقشة المجلس لتشكيل وزارة محمد نجيب ، وعدم تدوين محاضر الجلسات ، وعزلى عن رئاسة تحرير مجلة (التحرير) وسلوك بعض الاعضاء بطريقة مسيئة للجميع •

كانت التناقضات تنمو بينهم وبين يوسف صديق يوما بعد يوم ، وكان يختلف سلوكه عن زميله فى التنظيم خالد محيى الدين ••• فكان يوسف اكثر صراحة وانفعالا ، وكان خالد اكثر هدوءا ومرونة •

كانت استراتيجية (الحركة الديموقراطية للتحرير الوطنى) التى ينتمى لها الاثنان هى الحرص على التعاون مع حركة الجيش ، وتنمية العوامل الايجابية فيها ، والعمل على ذبول التناقضات المفتعلة ••• بل ان مجلة الكاتب اعلنت عن ظهور (حزب التحرر الوطنى) برئاسة كامل البندارى الذى حل الدكتور ابراهيم رشاد مكانه فى رئاسة مجلس السلام وضمت اللجنة الرئيسية للحزب حفنى محمود ويوسف حلمى وخالد محمد

خالد وزكى مراد وكمال عبد الحليم واحمد الرفاعى والعاملين احمد طه ومحمد على عامر والسيدة سيزا نبراوى ... ولكن الحزب لم يقدم طلبـــا لوزير الداخلية لان قانون الغاء الاحزاب قد لحقه قبل ان يعلن عن وجوده بطريقـــة شعبية كانت تستهدف عقد مؤتمر عام يضم مندوبين من كافة انحاء مصر ويعلن برنامج الحزب اثناء انعقاد المؤتمر لتتم مناقشته والتصديق عليه .

ولكن حركة اعتقال الضباط يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ كانت حـــدا فاصلا بين مرحلتين ... فقد صدر الامر باعتقالى ضمن مجموعة ضباط المدفعيـــة ورشاد مهنا رغم عدم صلتى بهم ، بل وتناقض افكارى الشـــديد مع افكارهم ... وكنت الوحيد من قسم الجيش فى (حدتو) الذى صـــدر الامر باعتقاله لانهم كانوا حتى هذه اللحظة غير معروفين اذا اســـتثنينا يوســف صديق وخالد محيى الدين .

ولم تقف الاعتقالات عند حد الضباط فقط ، ولكنهـــــا امتدت الى السياسيين وبدأ اعتقال الشيوعيين يوم ١٦ يناير ، ولكن اعتقالى كان انذارا لهم فلم يسقط احد اعضاء المكتب السياسى للحركة والذى كان مكـــونا من ميكانيكى الطيران السابق سيد سليمان رفاعى والشاعر كمال عبـد الحليم والعامل محمد شطا والمحاميين زكى ومراد واحمد الرفاعى والســـودانى عبد الخالق جنينة .

نشرت الصحف انه تم اعتقال ١٠١ بينهم ٤٨ شيوعيا .
واصدرت (حدتو) منشورا يهاجم اعتقالى وكتب كمـــال عبد الحليم قصيدة فى مجلة (الكفاح) تحية لى داخل السجن .

كانت حركة الاعتقال نقطة تحول خطيرة ، وخاصة انهـــا ارتبطت بمصادرة الجرائد والمجلات اليسارية مثل الكاتب والملايين والميدان والواجب (صحيفة الهلال) وصوت الطالب والمعارضـــة التى كان يصـــدرها فتحى الرملى .

اصر يوسف صديق على الاستقالة معلنا ان ضميره لا يسمح له بالبقاء وسط مجلس يصدر قرارات باعتقال زملاء يعتبرهم شرفاء لا يســتحقون مثل هذه المعاملة ... وحاول احمد فؤاد اقناعه بالبقاء ولكنه اصر عـــلى موقفه دون تردد .

وعادت الاحزاب الشيوعية والمنظمـــات الديموقراطية العالمية تهـاجم حركة الجيش باعتبارها حركة رجعية فاشية تعتقل الوطنيين وتحـــل الاحزاب السياسية وتعادى الديموقراطية .

وفى الداخل كان الدفاع عن حركة الجيش مع هــذه الاجراءات امرا شديد الصعوبة وليس له صدى عند الجماهير الواعية .

وبدأت (حدتو) تفقد جانبا من انصارها الذين وجدوا فى موقفهـا الصبور المتهاون مع حركة الجيش ، ما يمكن اعتباره خطأ وانحـرافا ... وبدأوا ينتقلون الى تنظيم آخر هو (الحزب الشيوعى المصرى) الذى تشكل فى يناير ١٩٥٠ من جانب من حدتو (مصطفى طيبة وصلاح هاشم) ومجموعة اخرى كانت ضد عدم تكوين (حدتو) لحـزب شيوعى يمثلها (جـلال كشك وعبد الرحمن شاكر) والدكتوران اسماعيل صبرى عبد الله وفـؤاد مرسى اللذان كانا يدرسان فى فرنسا .

المطارق التى انهالت على رأس حدتو لعدم ادانتهـا لحركة الجيش بالفاشية ، دفعت كثيرا من اعضائها الى الخـروج منها والانضمـام الى (الحزب الشيوعى المصرى) الذى كان يعلن انها حـركة رجعية فاشية منسقا نغمته فى ذلك مع بعض الاحزاب والمنظمات الديموقراطية العالمية .

وخلال فترة اعتقالى التى امتدت خمسين يوما دون تحقيـق الا اسئلة عابرة من زكريا محيى الدين يوم الافراج عنى ، اتخـذ احمد فؤاد موقفا جديدا هو الانتقال من (حدتو) الى (الحزب) لامور لم يتحقق من صحتهـا وادى تغيير موقفه الى هبوط النشاط فى قسـم الجيش وتحـول العمـل النضالى فيه الى مناقشات تدور حول مواضيع تنظيمية خاصـة تحجب الموقف السياسى العام .

ادى انتقال احمد فؤاد الى عزلته عن قسم الجيش ، ثم خـروجه من الحزب وتركيزه على العمل فى المناصب التى تولاها بعد ذلك .

وكانت هذه هى بداية التفكك فى الصلابة التنظيمية لقسـم الجيش التى بدأت مع مطلع الاربعينيات واسـتمرت حتى ذلك الوقت فى سرية كاملة وقدرة على العمل لاتتوقف ... وكانت النتيجة بعـد ذلك هى صدور قرار اللجنة المركزية بحل قسم الجيش تفاديا لما يمكن ان تجلبه الخـلافات من متاعب على الحركة كلها ... وتوجيه اتهامات للمسئولين قـد تكـون جسرا لاعدام بعض قادة الحركة الشيوعية باعتبارهم يتدخلون فى شـئون الجيش .

وكانت الشهور التالية لبدء حركة الاعتقالات مجالا لصراعـات متعددة بين حركة الجيش والشيوعيين عموما من جهة ... وبين الخطين السياسيين والمعارضين لحدتو والحزب من جهة اخرى .

لم تفرق الاعتقالات بين اعضاء (حدتو) واعضاء (الحزب) ... فقـد

اعتقل بعض أعضاء المكتب السياسي لحدتو في شهر ابريل ١٩٥٣ ، واكتمل اعتقالهم في نوفمبر ١٩٥٣ ... وكانت (حدتو) خلال هذه الفترة قد استطاعت تهريب ٧ معتقلين من معتقل روض الفرج ، كما هربت أحمد طه شقيق عبد القادر طه من معتقل بني سويف .

وعندما ضاقت الحلقة على الشيوعيين خارج الجيش ، ضاقت عليهم داخل الجيش ايضا ... تضاعفت الرقابة الى الحد الذي جعل اتصالى بأى من الزملاء مصدر خطر له ، وقرر مجلس القيادة نفي يوسف صديق خارج مصر ، فسافر في ابريل ١٩٥٣ الى سويسرا ثم لبنان ، ولما طلب العودة ارسلوا له زوجته واولاده ، ولكنه قرر العودة سرا .. وعاد فعلا في اغسطس ١٩٥٣ وارسل لمحمد نجيب برقية من بني سويف يعلن فيها وصوله الى مصر .

صدر قرار بتحديد اقامة يوسف صديق في بلده .

وتشكلت محكمة عسكرية عليا برئاسة القائمقام احمد شوقي قائد قسم القاهرة للنظر فى قضيتين شيوعيتين فى شهر يوليو ١٩٥٣ .

وقد طلب الدفاع استدعاء محمد نجيب وجمال عبد الناصر وصلاح سالم وانور السادات لسماع اقوالهم ولكنهم لم يحضروا .

لم يتوقف الشيوعيون خلال هذه الفترة عن المطالبة بالديموقراطية وعودة الحياة البرلمانية ولم يجدوا في ذلك اى تناقض مع الماركسية وبدأوا سعيهم الحثيث لتكوين جبهة وطنية ديمقراطية تضم الوفديين والشيوعيين والاخوان المسلمين والاشتراكيين (الحزب الاشتراكى ـ مصر الفتاة) وانصار السلام وغيرهم من الهيئات والتنظيمات .

بدأت هذه المحاولات مع تصاعد حملة الاعتقالات ، وكان التحضير لها يتم بطريقة سرية ... وقد فوض الوفد ومصطفى النحاس شخصيا النائب الوفدى حنفي الشريف ، ومثل (حدتو) المحاميان احمد رفاعى وزكى مراد، ومثل الاشتراكيين ابراهيم شكرى ، ومثل انصار السلام يوسف حلمي وسعد كامل ، ومثل الاخوان الدكتور خميس حميدة وعبد الحفيظ الصيفي .

اعدت (الجبهة الوطنية الديموقراطية) التى كانت لاتزال بعد فى مرحلة التشكيل برنامجا اشتراكيا ديموقراطيا وافق عليه الجميع ، عدا مندوبى الاخوان المسلمين الذين انسحبوا من اجتماعات الجبهة وتنكروا لها ... بل ووقفوا موقف المخاصمة لها فى انتخابات طلبة الجامعة .

كانت خطوات تشكيل الجبهة تمضى فى طريقها رغم ضربات البوليس

واعتقاله لبعض افرادها ٠٠ وهنا يجدر بنا القول بأن هذا النشاط العريض للتنظيمات الشيوعية كان يتم بأفراد لا يتجاوز عمر اكبرهم الخامسة والثلاثين ٠٠٠ فقد كانت الحركات الشيوعية هي دفعة الجيل الجديد ٠

ويقول رودنسون فى كتاب (مصر منذ الثورة) :

« قد يبدو غريبا عند البعض ممن يعتقدون ان الديمقراطية والماركسية لاتتفقان كالامريكيين ان يروا المصريين الماركسيين يدافعون بحرارة خلال هذه الفترة عن كل من النظام البرلمانى والعودة الى الحياة الدستورية ٠٠٠ وهو ما لعب دورا تاريخيا هاما ٠

ولكن هذا الدفاع كان منزها عن المكيافيلية بل انه لم يتكشف بالضرورة عن منافسته مع الجماعات السياسية الاخرى ، وانى لعلى يقين من هذه النتائج اذ كنت انا نفسي موجودا في القاهرة خلال هذه الفترة وعلى اتصال وثيق ومشاركة عقلية للجماعات الماركسية » ٠

وحاولت حركة الجيش ان تواصل لعبتها السياسية فى التسرب داخل صفوف الشيوعيين كما فعلت ذلك مع الاخوان المسلمين ايضا ٠٠٠ فكلفت بذلك حسين عرفة رئيس المباحث الجنائية العسكرية بالبوليس الحربى، الذى امكن له الاتصال ببعض العناصر الشيوعية ، ثم لعب بعد ذلك دورا شبه علنى باعتباره مفوضا من السلطة للتفاهم معهم وتسهيل اجراءاتهم ، وهو يمارس دور المخابرات فى نفس الوقت ٠

وقد لعب حسين عرفة دورا نشطا فى التسرب لصفوف الشيوعيين امتد عدة سنوات ، ولكنه مع ذلك لم يكن ذا تأثير كبير فى تمزيق التنظيم ، لما وجده من صلابة الاعضاء ورفضهم التنكر لمبادئهم ٠

ويضرب مثلا لذلك موقفا لسعد كامل الذى اعتقلته السلطات فارسل برقية غاضبة هو ويوسف حلمى لجمال عبد الناصر ، وكان يوسف حلمى على اتصال بجمال عبد الناصر منذ بداية الثورة ، يحاول التوفيق بينه وبين الوفد والقوى الشعبية والديموقراطية الاخرى ... وبعد تقدير موقف جديد داخل السجن ، أرسل الاثنان برقية تحمل رأيهما الحقيقى الذى لاتناقض رئيسى فيه بينهما وبين جمال عبد الناصر ، فافرج عنهما وهرب بعدها يوسف حلمى الى الخارج ٠

وكانت الثورة قد قدمت (قضية الجبهة الوطنية الديموقراطية) للمحكمة ، وهى القضية التى تجمعت خيوطها بعد اكتمال اعتقال المكتب السياسى لحدتو ، والنائب الوفدى حنفى الشريف واليوزباشى مصطفى

كمال صدقي والفنانة تحية كاريوكا وغيرهم ٠٠٠ وطلب حسين عرفة من سعد كامل ان يذهب الى المحكمة معارضا راى زملائه مدافعا عن جمال عبد الناصر كما ورد فى برقيته ولكنه رفض تماما باعتبار ان ذلك يعتبر موتا سياسيا له ، وكانت النتيجة تقديمه هو الآخر للمحكمة والحكم عليه هو وزوجته كما سيتضح من تفاصيل هذه القضية فى فصل قادم ٠

ويدلل حسين عرفة على ذلك بقوله ايضا انه اعتقل عاملا يوزع منشورات شيوعية ولكنه رفض الاعتراف وعندما اخذه الى الجبل واطلق اربع رصاصات للارهاب قال له العامل فى بساطة (لا انت حتقتلنى ٠٠٠ ولا انا حاعترف) ٠

وقد لعبت المخابرات المركزية دورا كبيرا فى افساد العلاقة بين التنظيمات الشيوعية المعبرة عن آمال الفلاحين والطبقة العاملة وبين حركة الجيش التى فرضت نفسها بقوة السلاح ممثلة للطبقة الوسطى ٠

كان ممكنا ان يحدث نوع من التحالف بين حركة الجيش والحركات الشيوعية لولا ضغط عدة عوامل منها :

١ — الخشية من وجود قوة تنازع حركة الجيش فى سلطتها ٠

٢ — العداء التقليدى السافر بين الاخوان المسلمين المتحالفين مع حركة الجيش وبين الفكرة الشيوعية ٠

٣ — تدخل المخابرات الاجنبية للايقاع بين القوى الوطنية حاملة شعار (العداء للشيوعية) ٠

٤ — تأثر معظم الضباط بالدعايات المضادة للشيوعية التى استهلكت الدولارات من الدول الامبريالية ٠

٥ — عدم وصول التنظيمات الشيوعية فى عمرها القصير الى الدرجة المؤثرة التى تحشد اغلبية الجماهير حولها ، علاوة على ما عانته من انقسامات أثرت على حركتها ونفوذها بين الجماهير وبالتالى تقدير حركة الجيش لها ٠

٦ — قال جمال عبد الناصر لبعض قادة (حدتو) اثناء الاتصال بهم فى الشهور الاولى من الثورة وعقب زياراته للاقاليم ، انه كان يراقب فى يقظة شديدة هتافات الجماهير ليتعرف على انتماءاتها السياسية وانه لاحظ

وجود تأثير شيوعي في بعض المناطق العمالية مثل المحلة الكبرى والاسكندرية وشبرا الخيمة والمنصورة ... ولكنه لم يلحظ تأثيرا قويا للشـــيوعيين في المناطق الاخرى ، كما لاحظ للاخوان المسلمين .

وصل التصادم بين حركة الجيش والحركات الشيوعية غايتـــه مـع نهاية عام ١٩٥٣ عقب اعتقال معظم القيادات وجانب كبير مـــــن اعضـــاء التنظيم .

ولكن هذا لم يصب التنظيمات الشيوعية بالســكته القلبية كما حدث مع بعض الاحزاب التى فقدت قدرتها تماما بعد قانون حــــل الاحزاب ... ولم تصب بهبوط شديد كما حدث مع الوفد الذى اثر قانون الاصـــــــلاح الزراعى على جانب كبير من قيادته وتاهت جماهيره بلا قيادة .

على قدر ما كان الصدام عنيفا ، كانت المقاومة ... وعلى قـــــدر ما فتحت ابواب السجن للمناضلين الشيوعيين ، على قـــدر ما تجددت التنظيمات بأعضاء جدد .

ولذا لم يصل التصادم الى نقطة سكون ، بل ان الشـــــيوعيين ظلوا موجودين رغم كل شيء ... وكان لهم دور متجدد كما سيتضح تفصيـــــلا فيما بعد .

حل الاخـوان المسـلمين

(انا على ثقة من ان الغرب سيقتنع بمزايـا الاخـوان المسلمين وسيكف عـن اعتبارهم شبحا مفزعا كما حاول البعض ان يصورهم)

حسن الهضيبي
المرشد العام للاخوان المسلمين

(ان حسن الهضيبي كان حريصا على حسـن العلاقات معنا)

انطونى ايدن

علاقة الاخوان المسلمين بحركة الجيش بدأت وثيقة ، واسـتمرت فترة طويلة ثم انتهت نهاية دموية مريرة .

ذهب جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين لتبليغ حسن عشـماوى وصالح ابو رقيق عضوى مكتب الارشاد بموعد الحركة ، وفى صباح ٢٣ يوليو كان عدد من الاخوان المسلمين بحرس المنشآت واماكن العبادة .

صلة الضباط الاحرار بالإخوان المسلمين كانت وثيقة ، عـدد كبير منهم انتمى للجماعة فى مرحلة من مراحل حياته كمـا سبق ذكره ... ولكن تنظيم (الضباط الاحرار) رفض ان يكون تابعا لحزب أو قوة سياسـية ، وآثر ان يكون حركة وطنية مستقلة تملك السلاح مع اهدافها الخاصة .... ولذا قررت اللجنة التأسيسـية للضـباط الاحـرار فصـل عبد المنعم

عبد الرءوف منها فى بداية ١٩٥٢ ، لانه كان يحاول تجنيد الضباط للاخوان .. وليس لتنظيم الضباط الاحرار .

وعندما انتصرت الحركة ، اعتقد الاخوان ان فى ذلك انتصارا لهم ، وكانوا فى ذلك الوقت احرارا خارج المعتقلات على عكس بقية الاحزاب والقوى الوطنية التى ضربت بعد حريق القاهرة مثل الحزب الاشتراكى والحزب الوطنى وانصار السلام والتنظيمات الشيوعية .

واختلط صوت الاخوان بصوت الجماهير المؤيدة لحركة الجيش فى الاسابيع الاولى ... ولم تكن هناك فرصة ليعلو صوتها فوق صوت الآخرين ... فان الافراج عن المعتقلين ، ونداء المحافظة على الدستور والديموقراطية ، دفع الاحزاب جميعا الى النشاط ... ولم تكن جماعة الاخوان المسلمين مركز جاذبية شديدة للوطنيين بعد ان كشف الايام كثيرا من مواقفها المتهاونة المترددة مع الرأى ، واظهرت تصريحات مرشدها العام حسن الهضيبى ان لها اتجاهات خاصة متباينة مع اتجاهات الجماهير .

كان الاخوان المسلمون قد ايدوا على ماهر ، ثم ايدوا نجيب الهلالى لأن وزارته من رجال غير حزبيين عرفوا بسلامة القصد وبعد النظر واتصفوا بالجرأة والاقدام .. كما أن موقفهم من المسألة الوطنية كان يتضح من حديث للهضيبى قال فيه بعدم قبول الاخوان المفاوضة فى مبدأ الجلاء . وانما تجرى المفاوضة فى كيفية تنفيذ الجلاء ، وعلى اساس ان اشتراك مصر فى أى دفاع اقليمى يجب الا يكون شرطا للجلاء والوحدة ... وهو ما كان يعتنقه نجيب الهلالى من صدور بيان بريطانى من جانب واحد بالجلاء والوحدة ، ثم تجرى المفاوضات فى طريقة التنفيذ .

وكان هذا الموقف يتعارض تماما مع ارادة الشعب المصرى التى اجمعت على رفض الارتباط بالاحلاف او مواثيق الدفاع الاقليمى .

ومع ذلك فكرت حركة الجيش فى تعيين وزيرين من الاخوان المسلمين فى وزارة محمد نجيب ... ورشح الهضيبى الشيخ احمد حسن الباقورى واحمد حسنى وكيل وزارة العدل ومحمد كمال الديب محافظ الاسكندرية .

وبعد ان تم الاتصال بالاول والثانى فعلا ، ابلغ جمال عبد الناصر سليمان حافظ الذى اسهم بقدر كبير فى تشكيل الوزارة ان حسن العشماوى ومنير الدلة قد حضرا موفدين من المرشد العام ليبلغاه ان اختيار الاخوان المسلمين قد وقع عليهما ليمثلاهم فى الوزارة ... وان الترشيح الاول كان شخصيا من الهضيبى وليس من مكتب الارشاد .

كان الاعتذار للباقورى واحمد حسنى بعد تبليغهما صعبا ... كما

ان رأى سليمان حافظ فى عشماوى والدلة كان اتهما شباب اكثر مما ينبغى ٠٠٠ولذا فانه كان هناك احتمالان اما اشراكهما فى الوزارة واما قبول قرار مكتب الارشاد لعدم الاشتراك ، وقد استقر الرأى على الامر الثانى ٠

وكان هذا هو الصدام المكتوم الاول ٠٠٠ فقد شعر الاخوان ان الحركة لاتستجيب لارادة الجماعة ، وشعرت الحركة بموقف الجماعة السلبى ٠٠٠ ولكن هذا لم يغير من طبيعة التعاون ولم يضعف الصلة ٠

فصل الشيخ الباقورى من مكتب الارشاد بعد توليه وزارة الاوقاف ٠٠٠ وهو كان يأمل بالتأكيد ان يجمع بين عضوية المكتب والوزارة معا ٠٠٠ وادى هذا الموقف الى ظهور بعض تناقضات فى صفوف الجماعة ٠٠٠ وهى تناقضات بدأت قبل ٢٣ يوليو ، عقب اغتيال حسن البنا ، وصراع زملائه للوصول الى منصب المرشد ، تم الاتفاق على حسن الهضيبى وهو بعيد عن تنظيمات الجماعة ، ولم يكن له فيها دور رئيسى ، وانما ارتضته كل الاطراف المتنافسة ، لانتهاز فرصة السيطرة عليه وبالتالى على الجماعة ٠

واستمرت العلاقة طيبة بين الحركة والجماعة ، وخاصة بعد الافراج بعفو خاص فى ١١ اكتوبر ١٩٥٢ عن قتلة المستشار احمد الخازندار رئيس محكمة جنايات القاهرة الذى كان قد حكم بالادانة فى بعض جرائم للاخوان المسلمين ، ومحمود فهمى النقراشى الذى كان قد اصدر قرارا بحل الجماعة بعد حرب فلسطين ، وعن المحكوم عليهم فى قضية قنابل مدرسة الخديوية ... وقد توجه المفرج عنهم من السجن الى مركز الارشاد فورا ، حيث استقبلوا بحفاوة شديدة من اعضاء الجماعة ٠

ثم صدر بعد ذلك بأيام مرسوم بالعفو الشامل عن الجرائم السياسية التى وقعت فى المدة من توقيع معاهدة ٢٦ اغسطس ١٩٣٦ الى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ او المتهمين فى قضايا سياسية ولم تزل قضاياهم امام المحاكم ٠٠٠ وقد بلغ عددهم ٩٣٤ شخصا ، ثم الذين استثنى منهم المحكوم عليهم فى قضايا شيوعية باعتبارها جريمة اقتصادية كما سبق ذكره ، وكان من بينهم عدد كبير من الاخوان ٠

وعندما صدر قانون تنظيم الاحزاب بادرت جماعة الاخوان المسلمين بتقديم طلب بتوقيع حسن احمد المليجي والدكتور محمد خميس حميده وفهمى ابو غدير ، يطلبون حق تشكيل الجماعة ببيان جاء فيه « الاخوان المسلمون جند الله حينما يتناولون امر هذا الدين فهم لا يستهدفون الا ما استهدفه الاسلام ، ولا يتوسلون فى بلوغ هذه الاهداف الا بالوسائل التى يقرها الاسلام » ٠

ولكن الطلب لم يأخذ مجراه مع بقية الاحزاب ، وانما اتصل جمال عبد الناصر بوزير الداخلية سليمان حافظ وقال له « ان الجماعة كانت من اكبر اعوان الحركة قبل قيامها وانها ساهمت بنصيب كبير فيها وما زالت تقدم لها العون المستمر » وطلب منه ايجاد مخرج للجماعة ٠

وفى مكتب وزير الداخلية التقى جمال عبد الناصر وحسن الهضيبى وتم الاتفاق على ادخال تعديل فى اخطار التأسيس يبعد الجماعة عن مجال الاحزاب ٠

ويؤكد ذلك استمرار العلاقة الطيبة بين الحركة والجماعة اثناء انصدام مع الاحزاب ، فقد كانت الجماعة دائما ضد الاحزاب والحزبية ، لان ذلك كان يعنى فى نهايته خلو الساحة لهم وحدهم ٠

ولكن بعض تصرفات الحركة وقراراتها لم تجد قبولا او حماسا عند الاخوان المسلمين ، فقد مر قانون الاصلاح الزراعى دون كلمة تأييد واضحة منهم ، واستقبلوا اقالة رشاد مهنا بفتور شديد فقد كان قريبا منهم ، وراهنوا عليه احيانا بأنه سيكون الجواد الفائز ٠

كما ان بعض تصريحات وتصرفات الاخوان المسلمين لم تجد ترحيبا من جانب مجلس قيادة الثورة ٠٠٠ مثال ذلك تصريح المرشد العام حسن الهضيبى لادوارد بولاك محرز الاسوشيتدبرس يوم ٥ يوليو ١٩٥٣ الذى قال فيه :

« اعتقد ان العالم العربى سيربح كثيرا اذا حاول ان يحسن فهم مبادئنا بدراستها بروح العدل البعيدة عن التعصب ،وانا على ثقة من ان الغرب سيقتنع بمزايا الاخوان المسلمين وسيكف عن اعتبارهم شبحا مفزعا كما حاول البعض ان يصورهم ٠ وانا أثق فى ان الغرب سيجد ان الاخوان المسلمين عامل كفء فى سبيل تقدم الانسانية والرخاء والسلام بين مختلف الشعوب »

كانت هذه التصريحات بمثابة غزل للدولة الغربية لم ترض عنه الحركة فى وقت كانت المفاوضات فيه قد تعثرت مع الجانب البريطانى ثم انقطعت ٠

وقد كتب انطونى ايدن فى مذكراته بعد ذلك يقول « ان الهضيبى كان حريصا على حسن العلاقات معنا » ٠

ومن جهة اخرى كان وجود الاخوان المسلمين فى المظاهرات التى تحتشد لمقابلة محمد نجيب او اعضاء المجلس ، امرا يصدمهم ويشعرهم بأنهم مازالوا كتلة نشطة بين الجماهير تعبر عن نفسها بهتافها المعروف (الله اكبر ولله الحمد) ٠

كان هذا الامر يثيرهم كثيرا ٠٠٠ ان الجماهير لم تتحول تماما الى

جانب الثورة ••• ولذا اعدوا شعارا آخر بهيئة التحرير يهتفون به اثنـــاء مظاهرات الاستقبال وفي الاجتماعات الشعبية وهو (الله اكبر والعزةلمصر) •

كانت حربا مستترة غير معلنة ••• لا الاخوان المسلمون يصارحون بالعداء جهارا ولا مجلس قيادة الثورة يهاجم الاخوان •

ولم تكن هناك فرصة الا ممارسة اللعبة المعروفة وهي التسرب الى صفوف الاخوان المسلمين ومحاولة تعميق التناقضات الموجودة بينهم ، وتفجيرهم من الداخل ••• وقد اسهم في ذلك من جانب الحركة الشيخ احمد حسن الباقورى بالتعاون مع ابراهيم الطحاوى سكرتير هيئة التحرير •

وكانت هناك بداية انقسام فى الاخوان المسلمين حـــول قضيتين اساسيتين :

اولا : التعاون مع حركة الجيش •

كانت هناك فئة تؤيد ذلك يتزعمها حسن العشماوى ومنير الدلة ويقف حسن الهضيبى منها موقف عدم المعارضة •

وفئة ترفض ذلك ويتزعمها سعد الوليلى ويوسف طلعت وعبد القـادر عودة والشيخ محمد فرغلى وابراهيم الطيب •

ثانيا : بقاء النظام والجهاز السرى •

كان هناك رأى ينادى باستمرار النظام السرى باعتباره قــــد انشىء اساسا لحماية الجماعة أو تحقيق اهدافها وانهم احوج ما يكونون اليه فى ظل نظام عسكرى يستطيع ان يبطش فى اية لحظة •

ورأى آخر ينادى بالغاء النظام السرى ، لان النظام العسكرى القـائم سوف يستفزه وجود جهاز سرى فيســـتدرجه ذلك الى التعجيــل بضرب الاخوان ••

وكان جمال عبد الناصر قد استطاع ان يجذب اليه عبد الرحمــن السندى رئيس الجهاز السرى والذى كان على خـــلاف مع حسن الهضيبى والشيخ سيد سابق منشىء الجهاز السرى •

وقد أدى ذلك الى حدوث انقسام فى تنظيم الجهاز وشكلت له قيــادة جديدة كان على رأسها الذين عارضوا التعاون مع حركة الجيش وهم ابراهيم الطيب (محامى) ويوسف طلعت (نجار) والشيخ محمد فرغلى ، ومحمــد فايز (موظف) الذى انفجر فيه طرد من حلاوة المولد النبوى ، وادى ذلك الى زيادة حدة الصراع بين الجناحين •

وقد نجح هذا الجناح فى اجتذاب عدد من ضباط الجيش كانوا ينتمون

الى الاخوان المسلمين كما بدأوا فى تنظيم عدد من ضباط البوليس ...
وهكذا استمرت اللعبة بعد أن اصبحت حركات التسرب متبادلة .

ولم تقف اتصالات الاخوان فى حدود الضباط المنتمين اليهم ، ولكنهم حاولوا الاتصال ايضا بمحمد نجيب ، مدركين ان هناك تناقضا قد بدأ يظهر بينه وبين زملائه اعضاء مجلس قيادة الثورة .

لم يتم اللقاء مع محمد نجيب شخصيا ... وانما تم مع قائد حرسه الخاص اليوزباشى محمد رياض الذى قابل حسن عشماوى ومنير الدلة عدة مرات فى ديسمبر ١٩٥٣ .

كانت مطالب الاخوان تدور حول :

١ ـ تعيين رشاد مهنا قائدا عاما للقوات المسلحة ... وكان رشاد وقتها ينفذ عقوبة السجن المؤبد بعد محاكمته عقب اعتقاله فى ١٥ يناير ١٩٥٢ .

٢ ـ عدم تأييد الحكم الديموقراطى .

٣ ـ عدم تأييد عودة الاحزاب والاصرار على حلها .

٤ ـ عودة الضباط الى الثكنات .

٥ ـ تشكيل وزارة يرضى عنها الاخوان .

وعندما تبلورت اتصالات محمد رياض مع الاخوان فى هذه المطالب عرض الامر على محمد نجيب ، فرفض الحديث فى ذلك شكلا وموضوعا .

رفض فكرة الاتصال السرى بالاخوان مطلقا ، ولذا فهو لم يقابل احدا منهم .

ورفض مطالبهم من الوهلة الاولى ، لانه ادرك انهم يريدون حكما ديكتاتوريا يستبدلون فيه شخص الديكتاتور ، ويقاومون عودة الديموقراطية والحياة البرلمانية ، وتوقفت الاتصالات بين محمد نجيب والاخوان فى وقت كانت تتجمع فيه سحب الخلاف وغيوم التوتر التى تجمعت رغم ما قامت به الثورة من تقديم اشرس اعدائهم ابراهيم عبد الهادى فى اول قضية امام محكمة الثورة وصدور الحكم عليه بالاعدام ثم تخفيفه الى السجن المؤبد ... ورغم تصفية الاحزاب تصفية رسمية وسجن زعمائها بأحكام محكمة الثورة .

بل يبدو ان الاخوان المسلمين قد وجدوا ذلك فرصة مناسبة للانقضاض على السلطة فى وقت اصبحت فيه الساحة السياسية خالية من كل القوى السياسية الا قوتهم .

اصبح الصدام بين حركة الجيش وجماعة الاخوان حتميا ... تغذيه تخوفات مجلس الثورة من موقف الجبهة المناوئة لهم فى الاخوان ، وما يرتبط

بها من تنظيم وجهاز سرى مسلح ... ويغذيه ايضا تناقضات الاخـــــوان الداخلية التى بلغت حد الانفصال والمواجهة .

لم ينجح فى اذابة الخلاف ، او تحاشى عوامل الصدام المقـــابلات الدورية التى كان يقوم بها عدد من زعماء الاخوان مثل عبد القادر عـــودة وكامل الشريف (الذى هرب من مصر واصبح سفيرا للاردن فى باكستان) ، مع جمال عبد الناصر وعدد من زملائه اعضاء المجلس .

وتفجر الموقف فى ساحة الجامعة يوم ١٢ يناير ١٩٥٤ عند الاحتفـال بذكرى شهداء معركة القناة ، وحضور الطلبة الاخـــوان ومعهم الارهابى الايرانى (نواب صفوى) زعيم جماعة (فدائيات اسلام) والذى كانت صحف اخبار اليوم قد هللت له واحاطته بدعاية ضخمة ... وحـدث اشتباك بينهم وبين الطلبة الآخرين انتهى الى اصابة بعض الطلبة ، واستخدم الاخـــوان يومها اسلحة نارية الى جانب العصى ، مما احـدث جوا بالغا من العنـــف والتوتر .

وجد مجلس الثورة نفسه مواجها بموقف يحتاج الى حزم حتى لا تفلت الامور من قبضتهم ، فقد كان الخلاف داخل المجلس مع محمد نجيب قـــد اصبح فى الشارع حديث المجتمع ، وظهور العنف داخل الجامعة كفيـل بنقله الى خارجها .

واصدر مجلس قيادة الثورة يوم ١٤ يناير ١٩٥٤ قرارا بحـــل جماعة الاخوان المسلمين بعد سنتين كاملتين بالتحديد من حل الاحزاب السياسيه .
لم يوافق محمد نجيب على قرار حل الاخوان ويقول فى ذلك :
« رفضت الموافقة على حل جماعة الاخوان المسلمين عندما عرض الامـر على مجلس القيادة ... لم ارفض الحل لانى كنت مشايعا للاخوان ، فقـد سبق ان رفضت اعتبارهم خارجين على قانون الاحــــزاب ... كان رفضى لحل الاخوان المسلمين مبنيا على اساس مبدئى ... وليس عـــلى اساس موقف ذاتى » .

ولكن عدم موافقة محمد نجيب لم تؤثر فى صــــدر قرار الحل ، فقد كان هو الصوت الوحيد المعارض رغم انه لم يكن يسعى لخلق جبهة مع الاخوان لانه لم يكن على صلة بهم .

ولكن هذا الموقف انبت فى صدور زملائه الخشية ان يكون هناك تدبير ما بين محمد نجيب والاخوان ومع ذلك آثروا مواجهة الموقف فى صلابة .
وصدر بيان من المجلس يوجه الى الاخوان المسلمين الاتهامات الآتية :
١ ـ التقاعس فى تأييد المرشد العام للحركة الا بعد خروج الملك .

٢ ـ عدم تأييد قانون الاصلاح الزراعى والمطالبة برفع الحـــد الاقصى للملكية (فى حالة التطبيق ـ الى ٥٠٠ فدان) ٠

٣ ـ محاولة فرض وصاية على الحركة بعد حل الاحزاب السياسية ٠

٤ ـ اتخاذ موقف المعارضة من (هيئة التحرير) ٠

٥ ـ بدء التسرب الى ضباط الجيش وضباط البوليس وتشـــكيل وحدات تحت اشراف المرشد مباشرة ٠

٦ ـ تشكيل جهاز سرى جديد بعد حل الجهـــاز السرى الذى كان يشرف عليه (عبد الرحمن السندى) منذ ايام حسن البنا ٠٠٠ (والمعـــروف ان السندى كان على صلة بجمال عبد الناصر) ٠

٧ ـ حدوث اتصال عن طريق الدكتور محمد سالم الموظف فى شركة النقل والهندسة بين مستر ايفانز المستشار الشرقى للسفارة البريطانية فى مايو ١٩٥٣ مع منير الدله وصالح ابو رقيق ثم مع حسن الهضيبى بعد ذلك ٠٠٠ واعتراض جمال عبد الناصر وقتها على حدوث مثل هذه الاتصالات ٠

٨ ـ زيارة حسن العشماوى يوم الاحد ١٠ يناير ١٩٥٤ ـ أى قبـــل قرار الحل بأيام ـ لمستر كريزويل الوزير البريطانى المفوض ثم عودته فى نفس اليوم لزيارة اخرى امتدت من الرابعة الى الحادية عشرة مساء ٠

كانت هذه الاتهامات الرئيسية فى البيان الذى اعتبر كلمة النهـــاية فى علاقة حركة الجيش وجماعة الاخوان ٠٠٠ والذى اقترن صدوره باعتقال حسن الهضيبى و ٤٥٠ عضوا بالجماعة فى القاهرة والاقاليم ٠

اعتقد الناس جميعا ان صدور البيان وما صحبه من اعتقالات ســـوف يكون نهاية مثيرة لصلة حركة الجيش بالاخوان ٠٠٠ فلم يعد هنـــاك شىء يمكن ان يضاف الى تهمة الاتصال بجهات اجنبية وتدبير اجهزة سرية ٠

كانت الرؤوس قد تناطحت فعلا ، ولكنها لم تستمر فى تناطحها ، لان خطرا مشتركا كان يهددها معا ٠٠ فمجلس قيادة الثورة كان يفقد انصاره خارج حدود عضويتهم مثلهم فى ذلك مثل كافة الاحزاب الفاشية التى تعتمد على آراء ومبادىء عنصرية أوروبية ؛ كما ان حوادثهم الارهابية الســابقة ؛ وممالأة الثورة لهم بالافراج عن القتلة من اعضاء جماعتهم كانت موضع استنكار فئات كثيرة من الشعب ٠

اكتشف الطرفان ان وقوع المصادمة كان فى وقت مبكر وغير مناســب للطرفين ٠٠٠ ولكن مجلس قيادة الثورة لم يتراجع فورا ، بل اعلنت وزارة

الداخلية انها ستفرج عن كل معتقل لاتوجه له تهمة معينة ، وفعلا بدأت الصحف تعلن عن اعداد الذين يفرج عنهم كل يوم ...

وحرص جمال عبد الناصر الا يقطع الحبل نهائيا معهم ، فقام بعد قرار الحل بزيارة قبر حسن البنا فى الذكرى الخامسة لاستشهاده (١٢ فبراير ١٩٥٤) مع صلاح سالم واحمد حسن الباقورى ، وخطب قائلا : « اشهد الله انى اعمل — وكنت اعمل — لتنفيذ هذه المبادىء وافنى فيها واجاهد فى سبيلها » .

وظلت محاولة اجتذاب جماهير الاخوان عن طريق الجناح المتعاون مع الثورة مستمرة .

كان الصدام مع الاخوان قد تفجر ، ولكنه لم يطح بكل شىء ... فقد فرضت الاحداث فيما بعد على الحركة والجماعة ان يلتقيا من جديد ... حتى ينفجر الموقف مرة ثانية فى (الصدام الاخير) الذى بدأ فى فبراير ١٩٥٤ كما سيأتى ذكره تفصيليا فيما بعد .

وهكذا شملت (سنوات الصدام) صداما مع الاقطاع والاحزاب السياسية والشيوعية والاخوان المسلمين .

ولكن كان هناك صدام آخر ، أكبر خطرا ، وأشد تأثيرا .

الفصل الخامس عشر

صـــدام الضباط

(كان ١٥ يناير ١٩٥٣ نقطة تحول فى تاريخ وتقاليد الجيش المصرى .. اذ دخل الضباط برتبهم وملابسهم العسكرية معتقلين الى سجن الاجانب)

لم يكن الصدام قاصرا على الطبقة الاقطاعية والطبقة الوسطى ... ولم يكن فقط بين المدنيين والعسكريين ... ولكنه كان ايضا فى صفوف العسكريين ... ولم يبدأ متأخرا ... وانما بدأ مع اللحظات الاولى للثورة .

كان التخلص من ضباط الرتب الكبيرة لواء واميرالاى تعبيرا عن صراع الاجيال .. كما أن تطهير صفوف الجيش من بعض ضباط الرتب الصغيرة كان يتخذ طابعا اخلاقيا أكثر منه سياسيا .. فالذين فصلوا من الجيش مع ايام الثورة الاولى من الرتب الصغيرة كانت تلاحقهم او تلاحق تصرفاتهم واسرهم شبهات متداولة ... ولم يكن احد منهم من ابناء الاسر الاقطاعية او البرجوازية الكبيرة كما سبق ان اوضحنا .

تجاوز عدد الذين فصلوا فى الشهور الثلاثة الاولى أكثر من ٥٠٠ ضابط ، وكان تحديد اسمائهم يتم عن طريق المداولة بين اعضاء تنظيم (الضباط الاحرار) الذى ظل قائما ومتماسكا يعقد الاجتماعات فى مختلف الاسلحة والمناطق ، ولكن بدرجات متفاوته .

كانت زحمة العمل اليومى وكثرة المسئوليات الملقاة على عاتق اعضاء

مجلس القيادة ، وتكليف بعض اعضاء الصف الثاني بواجبات خارج الوحدات او خارج الجيش عاملا من عوامل ضعف الحركة التنظيمية بعد ٢٣ يوليو ، الى جانب تدافع عدد كبير من خارج تنظيم (الضباط الاحرار) للعمل والمشاركة والحرص على القول بأن الحركة للجميع ، وتصريح بعض اعضاء مجلس القيادة بأن الضباط (احرار) فى محاولة لكسب تأييد الجميع ٠

نشأت التناقضات فى صفوف الضباط وفى اجتماعات اعضاء مجلس القيادة كنتيجة لاجراءات المجلس ورد فعل لقراراته واتجاهاته ٠

كانت البداية سامية ٠٠٠ الكل يتحرك فى حماس واخلاص للقضاء على العفن الذى استقر فى السراى ، ولتحرير مصر من جنود الاحتلال ٠٠ رحب الضباط جميعا ـ الا أفرادا محدودين ـ بخروج الملك الذى أقسموا له يمين الطاعة والولاء، وعاش بعضهم يتصورونه مخلدا ٠

عندما وجد فاروق مطالب الضباط امامه فى اليوم الاول قبلها ، عين محمد نجيب قائدا عاما برتبة فريق ومرتب وزير ٠٠٠ وما ان ودعه محمد نجيب يوم ٢٦ يوليو حتى اذاع بنفسه بعد ساعتين فقط من خروج الملك بيانا تنازل فيه عن رتبة الفريق (قانعا برتبة اللواء مراعاة لحالة الدولة المالية) على حد قوله ـ وكان ذلك تعبيرا عن روح التضحية التى يقول محمد نجيب انه كان حريصا على اظهارها « حتى يفهم كل مصرى ان المشاركة فى الحركة لم تكن لكسب شخصى مادى وانما كانت لتحرير الوطن والمواطن » ٠

ولكن المثل الذى ضربه محمد نجيب لم يحتذ تماما ٠٠٠ وبدأ بعض الضباط يقدمون على تصرفات شخصية مثيرة ، وخاصة الذين كلفوا بأعمال خارج الجيش تحت اسم (مندوب القيادة) ٠٠٠ والذين انتشروا فى مختلف الوزارات والمصالح ٠٠٠ من التموين الى المواصلات ٠٠٠ ومن الاشراف على (قطار الرحمة) الى السيطرة على (وزارة الداخلية) ٠

وكان اول خروج للضباط من صفوف الجيش ، هو تعيين رشاد مهنا وزيرا للمواصلات ثم عضوا فى مجلس الوصاية ٠٠٠ واختيار ١٨ ضابطا من حملة رتبة اللواء والعميد لتعيينهم فى مناصب مدنية ، وكان منهم سفيران هما على نجيب الذى عين فى لبنان ومحمد سيف الدين الذى عين فى الاردن٠

الباب الذى فتح لتعيين الضباط فى مناصب مدنية والذى بدأ فى مجالات خاصة محدودة لم يغلق من يومها ٠٠٠ وتدفق منه العشرات والمئات كما سيأتى ذكره تفصيلا فى حينه ٠

وكان تعيين محمد نجيب رئيسا للوزارة بدايه لتوزيع اعضاء مجلس

الثورة أنفسهم ليكونوا مشرفين على الوزارات أى يشكلون مايمكن التعبير عنه باسم (وزارة الظل) وعندما استغرقتهم مهمات أخرى أوكلوا أعمـــالهم الاشرافية الى ضباط من معارفهم الذين يثقـــون فيهم الامر الذى احاط كل ضابط من ضباط القيادة بشلة خاصة من الضباط تتحرك فى مجال معين ، وتتصرف تبعا لسلوك اعضائها الخاص ، دون توافر فرصة لرقابة دقيقة .

ولما كانت الحركة قـد تمت بحافـز التغيير اساسا دون التعرض لتفصيلات ما بعد التغيير ، ودون تخطيط لحركة المســتقبل .. وارتبـاط الضباط الفكرى ببعضهم البعض لم يكن يتجاوز حدود ما ورد فى منشورات الضـباط الاحرار ـ اذا كان قد قرىء ثم هضم ـ والاهداف الســتة التى تمثل آمالا طموحا دون طرح السبيل للوصول الى تحقيقها ... فان الآراء بدأت تتنافر وخاصة عقب كل قرار يصدر من مجلس القيادة .

اعترض رشاد مهنا مثلا على قانون الاصلاح الزراعى ، ولم يوافـق عليه الا خضوعا لرأى اغلبية المؤتمر المحدود الذى دعا اليه على ماهـر ... ولكنه فى اتصالاته وارائه كان يمثل جانبا خاصا منفردا غير مرتبط بمجلس القيادة ... ولقد فوجىء محمد نجيب عندما قام بزيارته فى مكتبه بقصر عابـدين هو وسليمان حافظ لتهنئته بمولود جديد ، بشكوى عارمة يقذفها فى وجهـه رشاد مهنا وهو يخبط المكتب بيده قائلا : انه لا يقبل ان يهمل مجلس الوزراء ارسال جدول اعماله الى الاوصيـاء قبل عقـد الجلسة ، وهـو عرف جرت الامور عليه فى عهد الملك ... وقال له نجيب ان هذا العرف يتعـارض مع الدستور، وأنه يكفى ان مشروعات القوانين والمراسيم تصـل الى القصر لتوقيعها من الاوصياء بعد اقرارها من مجلس الوزراء .

ولكن رشاد مهنا لم يقتنع بهذا المنطق ، وانتقلت الجلسة الى مكتـب بهى الدين بركات حيث كان الامير محمد عبد المنعم موجودا ايضا ... وفتـح الحديث حول جدول الاعمال مرة اخرى كما اثير موضوع الاتصال بالوفـود السودانية التى كانت تزور القاهرة ، وقال بهى الدين بركـات ان هنـاك مفاوضات تجرى وهو لا يعرف عنها شيئا .

وتم الاتفاق على اجتماع ثان يعقد بعد ايام ... ولكن الثقة كانت قـد فقدت بين اعضاء المجلس ورشاد مهنا الذى كان منتميا الى حـزب (شباب محمد) وهو حزب يقف على يمين الاخوان المسلمين ، كما ان محمد نجيب كان مازال يحتفظ فى قلبه بأثر لموقف رشاد عندما طلب نقل نفســه من القاهرة الى العريش تجنبا لمواجهة محتملة من جانب السراى ، وكان رشاد بعيدا عن تنظيم الضباط الاحرار وخاصة بعد اتصاله بحسين سرى عامر للتصـالح .

وكان رشاد مهنا خلال فترة عمله وصيا على العرش، يعطى لنفسه نفوذا اكثر مما تحتمله مسئولية المنصب ، ويتصل مباشرة بالاجهزة التنفيذية والصحافة لإبداء رأيه فى كثير من المواضيع الامر الذى كان يتعارض فى احيان كثيرة مع اتجاهات المجلس ٠

ووصل الامر غايته عندما قرر مجلس القيادة بالاجماع اعفاء رشاد مهنا من منصبه وتحديد اقامته وعندما وصل الخبر الى بهى الدين بركات قدم استقالته وغادر القاهرة الى عزبته فى (بساتين بركات) ٠

لم ينزع مجلس القيادة رشاد مهنا من موقعه فى سكون ٠٠٠ وانما اثار ضده عاصفة من الاتهامات لتحصين موقفهم ضد أى عمل مضاد من جانب الضباط ٠

ولم يكن الموقف هادئا داخل مجلس القيادة ٠٠٠ كانت بعض قرارات المجلس تلقى معارضة شديدة من جانب يوسف صديق الذى انبرى لمعارضه قانون تنظيم الاحزاب واعتقال السياسيين ومحاولة ضرب الوفد على غير اساس ديموقراطى ٠٠٠ وقد وقف الى جانبه فى المراحل الاولى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالدمحيى الدين ٠

وكان جمال عبد الناصر قد اعتكف فى منزله واعلن انه لن يشارك فى اجتماعات المجلس اذا كان الاعضاء سوف يتنكرون للديموقراطية ٠

ولكن وحدة يوسف صديق وجمال عبد الناصر لم تستمر طويلا ، فقد تراجع جمال عبد الناصر عن موقفه امام الحاح وتفسيرات سليمان حافظ ، واكتشافه ان الوفد ليس فى الصلابة التى تحول دون ضربة ، وتبينه ان الطريق لانفراد بالسلطة ليس شديد الوعورة والتعقيد ٠

ولكن يوسف صديق الذى كان يعبر عن رأى الشيوعيين ظل متمسكا بالديموقراطية والحياة البرلمانية ، رغم انه لم ينجح فى تحقيق رأيه بدعوة مجلس النواب المنحل لتعيين مجلس الوصاية ولا فى منع صدور قانون تنظيم الاحزاب ولا فى منع اعدام خميس والبقرى عمال كفر الدوار فقد كان المؤيدون له اقلية ٠٠٠ وكانت قرارات المجلس تصدر بالاغلبية ٠

وظهر بين الضباط وخاصة فى سلاح المدفعية اتجاه يدعو الى ان يكون تمثيل الضباط فى مجلس القيادة بالانتخاب وتحمس جميع اعضاء المجلس ضد هذا الاتجاه ، الا يوسف صديق ٠

كان السبب الكامن وراء هذا الطلب هو ما اثير من ملاحظات حول تصرفات شخصية لبعض اعضاء المجلس ، الذين عرف عن واحد منهم انه أقام علاقات شخصية مع الاميرة السابقة فائزة وقدم لها نظير ذلك تسهيلات

كبيرة ، والذين اشتهرت زوجة واحد منهم بقوة شخصيتها واحاديثها عن اعضاء المجلس في السهرات وخاصة في نادى السيارات .
وتصادف ان الاثنين كانا من ضباط المدفعية .

ولما عقد جانب من ضباط المدفعية اجتماعا مع اعضاء مجلس القيادة ناقشوا فيه هذا الرأى بصراحة مطلقة ... ولكنهم اعتقلوا يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ بدعوى انهم يدبرون مؤامرة لاغتيال اعضاء مجلس قيادة الثورة . وذلك بعد طبعهم لمنشور خاص .
كان هذا الاعتقال هو اول صدام مباشر بين ضباط الجيش ، وكان دخول الضباط برتبهم وملابسهم العسكرية سجن الاجانب هى اول سابقة فى تاريخ الجيش المصرى ، تحت القيادة المصرية ، اذ كانت القوانين تنص على حجز الضباط حجزا شديدا اى تحت الحراسة فى ميس احدى الوحدات ، وليس فى غرفة السجن حتى تنتهى المحاكمة .

وكان مجلس القيادة قد حذر منذ أيامه الاولى من تكرار ما حدث فى سوريا من سلسلة انقلابات متعاقبة ... فبادر الى اعتقال ٣٥ ضابطا من ضباط المدفعية ، وانتهز هذه الفرصة لاصدار قرارات جامحة تظهره فى مظهر القوة ، وتقوى قبضته على السلطات ، فكان قرار حل الاحزاب فى ١٧ يناير وتشكيل مجلس قيادة الثورة .
اختار مجلس القيادة جانب الصدام المباشر مع ما يحويه ذلك من احتمالات الخطر .

ولم يكن الضباط المعتقلون جميعا من اتجاه سياسى او فكرى واحد ... فقد اعتقل رشاد مهنا واعتقلت انا ايضا ، ولم يكن المعتقلون جميعا من سلاح المدفعية ولكن قلة محدودة منهم كانت من المشاه وبعض المدنيين (محمود رشيد ودكتور عبد العزيز الشال وصبرى الحكيم) .

ولم يقبل يوسف صديق مبدأ اعتقال الضباط بعد معارضته الشديدة لاعتقال السياسيين ... وقرر الإستقالة من مجلس القيادة معلنا ان ضميره لا يمكن ان يستريح وهو عضو فى مجلس يصدر قرارات تخالف افكاره وعقيدته ... ولا يستقيم الامر بأن قرارات المجلس تصدر بالاغلبية فان المجلس فى ذاته لا يمثل الشعب ، ولا يمثل الجيش ايضا .

أصر يوسف صديق على الاستقالة ، وزاد اصراره بعد عودة الرقابة على الصحف وصدور قانون حل الاحزاب ... ولم يتراجع عنها رغم مابذله معه أحمد فؤاد من محاولة اقناعه بأنه ينهى دوره السياسى باختيار الاستقالة من المجلس ... ولكن يوسف وجد ان ضميره سوف يكون مثقلا

بما لا يقبله · ولم يعلن المجلس استقالته ، ولكنهم اجبزوه على السفر الى سويسرا في مارس ١٩٥٣ ·

وكان المجلس قد تخلص من عبد المنعم امين الذى غرقت سمعتـه فى فيض من الاقاويل والشائعات ، فقرر ارساله الى لندن — دون تحقيق — للبحث في امكانيات التفاوض مع بريطانيا حيث كان الدكتور محمود فوزى سفيرا لنا هناك ، ثم عين سفيرا فى بلجيكا بعد ذلك ·

ولم تمض حركة اعتقال ضباط المدفعية فى سكون او بلا أثر ··· فقد تجمهر ضباط المدفعية عندما بلغتهم انباء الاعتقالات واجتمع ٤٠٠ ضابط في ميس المدفعية معلنين انهم سيعتصمون حتى يتم الافراج عن زملائهم ··· وطلب جمال عبد الناصر من اللواء محمد حسين مدير المدفعية ان ينصح الضباط بالانصراف والتمسك بالسلوك العسكرى ··· وعندما جاوبه بمعارضة الضباط وقف محمد ابو الفضل الجيزاوى احد الضباط الاحرار واخرج طبنجته وقال صائحا أنه سيضرب كل من يعمل ضد الثورة ··· وبعد جدل صاخب اتفق الرأى على ان يكون هناك مجلس تحقيق ومجلس عسكرى يشكلان من ضباط المدفعية ··· واكد جمال عبد الناصر للمجتمعين موافقته على ذلك ··· ولكن بعد ان انفض الاجتماع اتخذ مجلس القيادة سبيله الخاص فى التحقيق والمحاكمة بنفسه ·

ولم يقف اثر الاعتقالات فى حدود سلاح المدفعية فقط ، ولكنه امتد الى اسلحة اخرى فقد توجه البكباشي حسنى الدمنهورى احد ضباط اللواء الرابع المشاة لمقابلة اللواء محمد ابراهيم رئيس اركان الجيش وسؤاله عن سبب اعتقال الضباط ، فكان جوابه سلبيا وابلغه انه لا يعرف شيئا عن ذلك ، فأخذ يواصل اتصالاته ببعض ضباط سلاح الفرسان ومحاولة اثارتهم للافراج عن زملائهم ضباط المدفعية ··· ولكنه فوجىء باعتقاله فى منزله يوم ١٧ يناير ·

وبدأت التحقيق معه لجنة مشكلة برياسة عبد اللطيف البغدادى وعضوية عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وزكريا محيى الدين وكان يحرسه ثلاثة هم كمال رفعت وحسن التهامي ومحمد ابو نار ··· وخلال التحقيق وجه اليه صلاح سالم السباب وتبادلا الاتهامات والكلمات البذيئة وقام ضباط الحرس بضربه ضربا شديدا واستمر تعذيبه من الفجر حتى الرابعة مساء دون طعام او شراب ··· وفى منتصف الليل استدعى الى مبنى مجلس القيادة حيث وقف فى السادسة صباحا أمام محكمة يراسها جمال عبد الناصر وبها كل اعضاء المجلس عدا يوسف صديق وعبد المنعم امين وانور

السادات وعندما حاول صلاح سالم سب المتهم نهره جمال عبد الناصر
استمرت المحاكمة حتى التاسعة صباحا ... وفى صبـــــاح اليوم التالى ١٩ يناير ١٩٥٢ تلى عليه الحكم بالاعدام فى غرفة مأمور سجن الاجانب ثم نقل الى السجن الحربى مقيد اليدين والرجلين بالحديد وهو بملابســـه الرسمية .

وظهرت مانشيتات الصحف الرئيسية يوم ٢٠ يناير وهى تعلـــــن (اعدام البكباشى حسنى الدمنهورى) وكانت هــــذه هى آخر صـــحف نطلع عليها فى سجن الاجانب ونحن فى حبس انفرادى ... ومن الغريب انه كان يجاورنى فى الغرفة البكباشى رشاد مهنا الذى كنت معه فى الرأى على طرفى نقيض ، رغم تقديرى لسلوكه وتصرفاته الشخصية .

وكان هذا هو اول حكم بالاعدام يصدر على ضباط فى الجيش المصرى بتهمة اخرى غير الخيانة العظمى ... وقد رفض محمد نجيب التصـــــديق على الحكم رغم الحاح زملائه عليه وتحذيرهم له من خطر الانقلابات العسكرية، ولكنه اصر على موقفه قائلا :

« اننى لا اريد ان امضى فى طريق مفروش بدماء الزملاء من الضباط» .
وكان تعذيب حسنى الدمنهورى قد بلغ محمد نجيب عن طـــــريق قائد حرسه الذى لمحه اثناء التحقيق والضرب ينهال عليه والدماء تسيل منه .
وكان هذا التعذيب هو بداية التصرفات الهمجية الوحشـــية من جانب ضباط القيادة ضــــد زملائهم فى السلاح ومـــن بعدهم معظـم المعتقلـين السياسيين .

كان اعتقال ضباط المدفعيــــة والتحقيق معهـــم ومحاكمتهم بواسطة اعضاء المجلس هو كلمة النهاية فى وجود تنظيم (الضباط الاحرار) ... فانه بعد نجاح الحركة ليلة ٢٣ يوليو استمرت بعض الاجتماعات التنظيمية بقوة الدفع الذاتى ، ولكنها تباعدت وتمهلت ثم توقفت ، لان اعضـــاء مجلس القيادة وجدوا فى (الضباط الاحرار) تنظيما يمكن ان يشاركهم ، ويضـــع تصرفاتهم تحت مجهر النقد والمحاسبة .

ولذا فانهم سرعان ما استبدلوا التنظيم القديم رغم عدم انضباطه فى الاجتماعات وعدم مراعاته للقواعد التنظيمية الحزبية ، بتنظيمات خاصـــة اخرى تعتمد على الضباط المحيطين بهم القريبين منهم المكونين للشـــلل الخاصة ، الذين تسرب اليهم عدد لم يكونوا من الاحرار اصلا ، وانما اظهروا براعة فى مخاطبة الغرائز الشخصية لاعضاء مجلس القيادة .
ووضع فى مراكز القيادة نوعان من الضباط .. اما اهــل الثقة الكاملة

المرتبطون بأعضاء القيادة ارتباطا شخصيا وثيقا ··· واما الضباط الذين لا رأى لهم ولا يهتمون الا بمصالحهم الخاصة ·· ولا ينفى هذا وجود بعض استثناءات ·

كانت نهاية تنظيم (الضباط الاحرار) القديم ، وبداية تشكيل (التنظيم الخاص) الجديد ، تحولا فى نوعيه الضباط الداخلين فى ميدان السياسه ··· لانه مهما قيل عن طبيعة الضباط ، فلا شك ان (الضباط الاحرار) كانوا يمثلون اكثر الضباط ثقافة واهتماما بالمشاكل العامة وشجاعة فى مجابهة الخطر ، واستعدادا لتحمل التضحية ·

صحيح ان أغلبية (الضباط الاحرار) احتفظوا بأماكنهم والبعض منهم عين فى مراكز هامة وحيوية خارج الجيش او داخله ، ولكن ذلك كله كان يتم ··· ليس عن طريق ارادة التنظيم وروتينه ، وانما عن طريق العلاقات الشخصية ·

كانت شخصية الضباط الاحرار تستمد قبل الحركة من ارتباطهم بالتنظيم واستعدادهم للنضال والتضحية ··· ولكنها اصبحت بعد ذلك تستمد من رضا القيادات عليهم واستعدادهم للخضوع والمسايرة ·

ولكن كثيرا منهم رفض ان تطبق عليهم هذه القاعدة العامة ، واتخذوا مواقف باسلة شجاعة تبنوا فيها آراء ليس مهما ان تكون خطأ او صوابا ، ولكن المهم انها كانت آراء خاصة وليست تابعة ·

ولما كان اعتقال ضباط المدفعية قد اعتبر عاملا حاسما فى وضع نهاية لتنظيم (الضباط الاحرار) ··· فقد بدأ الضباط المعارضون الرافضون يبحثون عن اسلوب جديد للعمل ، ويتلمسون ساحة جديدة للتنظيم ·

توقفت اجتماعات الضباط الاحرار لتمسكهم بحرية المناقشة والديموقراطية ··· وقال بعض المخلصين منهم ان ذلك سوف يفتح بابا للمؤامرات ·

وصدرت الاوامر بنقل بعض ضباط سلاح الفرسان خارج السلاح عندما أعترضوا على اعتقال مجموعة ضباط المدفعية ·

ويلاحظ فى هذه الفترة ان اعضاء مجلس القيادة لم يتخذوا موقفا موحدا من هؤلاء الضباط .. عبد الحكيم عامر نصح احدهم (توفيق عبده اسماعيل) اثناء التحقيق منفردا قائلا له (اوعى تضعف احسن يدبحوك) ·· وخالد محيى الدين كان ينتهز الفرص لينصحهم بتذكر ما يمكن ان يؤخذ عليهم ·

وبينما كان زكريا محيي الدين يحرص على دقة التحقيق ... كان عبد الحكيم عامر يطلب الافراج عنهم ويظهر روحا انسانية طيبة .

لم يعتقل احد ويحاكم من سلاح الفرسان ... وتمت محاكمة ضباط المدفعيه بواسطة اعضاء مجلس الثورة مجتمعين عـــدا محمـــد نجيب . وصدرت عليهم الاحكام بمدد تتراوح من المؤبد الى عام واحد .

وافرج عني بلا اتهام او تحقيق الا كلمات محدودة بعد خمسين يوما من الحبس الانفرادى .

كانت ظاهرة التحقيق والمحاكمة باعضاء من مجلس القيادة تستلفت النظر لانها عبرت عن خشية خروج التحقيق الى دائرة واسعة من الضـــباط فيخرج الامر من ايديهم ولا يتم التحقيق وفق هواهم ، ولا تصدر الاحكام طبقا لارادتهم ... ولذا مثلوا دور الاتهام والحكم في وقت واحد .
وكانت الآراء في مجلس القيادة امام هذه القضية تتأرجح بين ما نادى به جمال سالم من محاكمة صورية واعدامهم فورا ... واعتراض محمد نجيب على ان يكون الخصم هو الحكم .. واقترح عبد الحكيم عامر بالا يصدر حكم الاعدام الا بموافقة جماعية ، وأن يكون حكم السجن هو أخف عدد مقترح من السنين يحصل على اغلبية ... وتوترت المناقشة واعترض خالد محيى الدين على السرعة واقترح عليهم النوم حتى الصباح لمواصلة المناقشة في جو هادىء .

نام الجميع على الارض فى هذه الليلة ، وهمس خالد لجمال عبد الناصر قائلا انه غير موافق على احكام الاعدام ولا على المحاكمة بهذه الصـــورة ، ووافق جمال عبد الناصر مؤيدا « انا معك » .. فاستمر في المعارضة .
وفى الصباح انجلت المناقشة عن تشكيل المحكمة من مجلس الثـــورة عدا محمد نجيب وان يكون حكم الاعدام بالاجماع والسجن يتقـــرر بأخف الاحكام كما اقترح عبد الحكيم عامر .

كان التناقض الرئيسى بين الضباط خلال هـذه المرحلة نابعـــا من شعور اغلبيتهم بانفراد مجلس القيادة بالسلطة وبأن الكلمات يجب ان تموت على شفاههم حتى لا يتعرضوا للخطر .

لم يكن هناك تجمع خلف موقف سياسى او اجتماعي معين ، ممـــا يمكن رصده في صورة تكتلات واضحة ... فلم تكن هناك مواقف معارضة لقانون تنظيم الاحزاب واعتقال السياسيين واعادة الرقابة والغاء الدستور الا فى صفوف تنظيم الجيش للحركة الديموقراطية للتحرير الوطنى ... اما فيما عدا ذلك فلم تكن هناك افكار معارضة قد نضجت او تبلورت بعد .

ولكن الامر لم يكن كذلك داخل مجلس القيادة ، حيث كانت تناقش كافة مشروعات القوانين وتدرس كل الاجراءات قبل صدورها .

وحمل خالد محيى الدين لواء المعارضة بعد استقالة يوسف صديق ورفضه الاستمرار عضوا فى المجلس ... وقد تجسمت معارضته فى عدة مواقف منها قانون الافراج عن المسجونين السياسيين الذى اعلنه سليمان حافظ واستثنى الشيوعيين باعتبار الشيوعية (جريمة اقتصادية) .

وعندما عرض مشروع قانون العمال اعترض عليه خالد اعتراضا شديدا لانه كان يلغى حق الاضراب ويبيح الفصل . وكان متحمسا لذلك عبد المنعم امين الذى كان موكولا اليه الاشراف على وزارة الشئون الاجتماعية بما فيها العمال . وهو الذى تطوع لرئاسة المجلس العسكرى لمحاكمة خميس والبقرى فى كفر الدوار .

وكان من اهم الحجج التى استند اليها اعضاء المجلس هى ان رأس المال الاجنبى يحتاج الى نوع من الضغط على العمال ، لضمان الاستقرار والاستثمار معا .

ولم يجد خالد محيى الدين فى ضميره ما يسمح له بالبقاء فى عضوية المجلس مع صدور هذا القانون المتخلف . فذهب الى مكتبه فى سلاح الفرسان ليكتب استقالته ... وكان ذلك فى اليوم الذى صدرت فيه الاحكام ضد رشاد مهنا وضباط المدفعية ... ودخل عليه فى مكتبه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ودارت بينهم مناقشة انتهت الى اقتراح جمال عبد الناصر عبر عنه بقوله :

— طيب لو رجعنا القانون وبدأنا نعيد النظر فيه تسحب استقالتك ؟

ووافق خالد ، واعيدت مناقشة القانون امام مجلس قيادة الثورة الذى لم يقبل سوى منع الفصل التعسفى للنشاط النقابى مع تأجيل الموضوع حتى يصدر الدستور الجديد .

وفوجىء خالد يوما بأن بيانات قد وصلت مجلس القيادة تفيد بأن ضباط سلاح الفرسان ثائرون ... وكان خالد مقيما بينهم ويناقش معهم بعض ما يدور داخل المجلس ... وقرر المجلس (فصل خالد محيى الدين) ، ولكن ثروت عكاشة ابلغهم انه لا يضمن السلاح بعد فصل خالد ... وهنا قرر المجلس التراجع عن قراره مع الزام خالد بوقف الاتصال مع احمد فؤاد ، صلته فى ذلك الوقت مع الحركة الشيوعية ... ومنع عقد اجتماعات للضباط الاحرار او غيرهم .

كانت التناقضات داخل المجلس تصل احيانا الى حافة الصدام ...

وتميز بين الاتجاهات وتقرب بين اصحاب الآراء المتشابهة ٠

وفي معظم الاجتماعات كان محمد نجيب يلحظ ان الموضوعات التي تعرض على المجلس يكون قد سبق مناقشتها بينهم قبل الاجتماع ، وتكون الاغلبية جاهزة ٠٠ كما انه بدأ يلحظ ان اجتماعات قد بدأت تعقد دون حضوره ٠

وتسرب الى نفسه شعور بأن فارق السن قد بدأ يلعب دورا بينه وبينهم ٠٠٠ دون ان يلحظ أن هناك تناقضات ومصادمات تظهر بينهم ٠٠ ولذا فانه عندما بلغه يوما ان ضباط سلاح الفرسان وفي مقدمتهم خالد محيي الدين وثروت عكاشة غير راضين عن اسلوب العمل داخل مجلس القيادة ، وتصرفات جمال عبد الناصر الذى بدأ ينفرد بنفوذه ويشكل قوة خاصة داخل المجلس ٠٠٠ وقال له المصدر الذى ابلغه ان خالد وثروت مستعدان لتأييده في مواقفه داخل المجلس وخارجه ، احس وقتها ان فخا ينصب له وانه على وشك الوقوع في شرك ، وذلك كما يقول فى كتابه (كلمتى ٠٠٠ للتاريخ) انه منذ اللحظة الاولى لم يطلب تأييد احد منهم ولم يحاول تشكيل شلة من بينهم ، وخشى ان تورط فى الموافقة ان يكون ذلك دافعا لمزيد من الاثارة والتمزق ٠

وقد دفعه هذا الاعتقاد الى الحذر ٠٠٠ بل الحذر الشديد ٠٠٠ مما دفعه الى ارتكاب خطأ ٠٠٠ بل خطأ جسيم ٠٠٠ اذ انه روى قصة الاتصال به كاملة داخل المجلس وكانت صدمته شديدة عندما تبين انه لم يكن هناك اتفاق مدبر بينهم للايقاع به فى شرك ، وان صراحته قد وضعت خالد وثروت فى حرج شديد ٠

اثار نجيب هذا الموضوع بحسن نية او سذاجة ، كشف عن حقيقة كامنة وهى ان الخلافات داخل المجلس لم تعد تتحرك بطريقة فردية ، وانما بدأت تأخذ طابعا آخر ، وتسلك سبيلا جديدا ٠

وكان جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة يمارس عمله داخل المجلس وخارجه بتركيز شديد يعطى ليله ونهاره للاتصال بالضباط والسياسيين ومناقشة المشاكل العامة والاستعداد لجلسات مجلس القيادة حتى ينتصر رأيه ٠

وكانت براعته فى اجتذاب بعض زملائه لجانبه والحصول بهم على الاغلبية التى يريدها ، امرا لا يتوافر لاحد من زملائه ، الذين كثيرا ما كانت تفرقهم بعض المشاكل او الاهتمامات الخاصة ، والذين لم يحدد احد منهم

طريقه او رأيه الخاص وانما كان يندفع مع المجموعة فى حماس شـــديد ، تاركا التفكير لغيره ٠

كان جمال عبد الناصر ارصن زملائه شـــخصية ، واقلهـــم كلاما ، واحسنهم استماعا ، واقدرهم على حل المشاكل بمهارة تكتيكية ملحـــوظة ٠

وتميز خلال هذه الفترة بمرونة فرضتها طبيعة الاحداث فهو لم يجمـد عند رأيه الخاص بالديموقراطية والاحزاب مثلا ، وانما اختار طـــريق انفراد المجلس بالسلطة عندما وجده ممهدا ومحل استجابة اكبر من زمـــلائه ٠٠٠ ولم يتشبث برأيه الذى اعلنه لضباط المدفعية من ان التحقيق مع زملائهـــم سوف يكون عن طريق ضباط من المدفعية يحاكمونهم ايضا ، وذلك عندمـــا وجد فى هذه الخطوة ما يمكن ان يعرض كيان المجلس للخطر ٠٠٠ وهو يعيـد قانون العمال ليناقشه المجلس ثانية عندما اعتقد ان استقالة خالد محيي الدين يمكن ان تحـــدث شـــيئا فى صفوف الجيش اذا تمت فى وقت واحـد مع صدور الاحكام على رشاد مهنا وضباط المدفعية ٠٠٠ ويقابل حديث محمد نجيب عن خالد وثروت بالصمت دون تفجيره فى وقت غير مناسب ٠

وكما كان جمال عبد الناصر هو مركـــز حركـــة الضباط الاحرار ، واكثرهم اتصالا بالضباط والقوى السياسية المختلفة قبل ٢٣ يوليـــو ٠٠٠ فانه ظل اكثرهم اتصالا بمختلف الضباط ايضا بعد الحركة ، مدركا ان قوته تاتى من صلته الوثيقة بزملائه فى مختلف الاسلحة ٠

ولكن استمرار هذه الاتصالات كان يشكل عبئا شديدا عليه فى وقت تضخمت فيه المسئوليات وتعددت الواجبات ، وتجاوزت مرحلة تكويـــن تنظيم الى مرحلة المسئوليات الكاملة عن مصر ٠٠٠ وكانت احداث المدفعيـــة وردود فعلها قد ضاعفت حذره من خطر انفجارات القوات المســلحة ، وفى ذهنه دائما ما حدث فى سوريا والعراق ، حيث ضاع بكر صدقى وحســـنى الزعيم وسامى الحناوى بانقلابات تمت على يد بعض مرؤوسيهم ٠

واستقر رأيه على تعيين الصاغ عبد الحكيم عامر زميله وصـديق عمره واقرب زملائه لقلبه واكثرهم اخلاصا ووفاء له ، حيث كانا يسكنان معا فى شقة واحدة قبل الزواج ، قائدا عاما للقوات المسلحة بدلا من محمـــد نجيب الذى وصلت شعبيته الى درجة الخطورة على زملائه ، والذى كان حريصـــا على صلته بالجيش فقام بمئات الزيارات للوحدات منذ ٢٣ يوليو ٠

كانت الفكرة خطيرة وجريئة معا ٠٠٠ فان ترقية صاغ الى رتبـــة لواء هو امر يتناقض تماما مع انضباط القوات المسلحة ، ويتنافر مـــع طبيعة الضباط الذين تمثل الاقدمية عندهم شيئا مقدسا ٠

وكان الاعلان عن هذه الفكرة بطريقة مجردة حريا بأن يقابل بالرفض والمعارضة من جانب محمد نجيب الذى عاش حياته جنديا يعتز بجنديته ... ورأى جمال عبد الناصر ان يربط هذه الخطوة الجريئة بخطوات اخرى تكون اكثر جاذبية لاهتمام الناس ، وتضعف من صلابة المقاومة عند محمد نجيب وزملائه فى مجلس القيادة .

ومن هنا كان الربط بين ترقية عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة وبين اعلان الجمهورية وتعيين محمد نجيب اول رئيس لجمهورية مصر .

ولكن محمد نجيب لم يوافق ... اعترض ورفض ... وقال انه قاوم تعيين محمد حيدر قائدا عاما للقوات المسلحة لانه كان بعيدا عن صفوف الجيش .. وهو يقاوم تعيين عبد الحكيم عامر قائدا للجيش لانه ليس مهيأ لذلك .

ولم ييأس جمال عبد الناصر من تحقيق فكرته ... كرر عرض الموضوع على المجلس اكثر من مرة ، وتعرض محمد نجيب لتهجم بعض اعضاء المجلس ، ولكنه ظل يقاوم ثلاثة اسابيع كاملة ، حتى أذعن .

فكر محمد نجيب فى الاستقالة ، ولكنه لم يقدم عليها ... وهو يقول فى ذلك « اعترف ان هذا كان خطئى الكبير الذى وقعت فيه ، فقد شعرت بعد قليل اننى اصبحت فى مركز اقل قوة بعد ان تركت قيادة الجيش » . وقال لى زكريا محيى الدين ان قوتهم كافراد يشكلون سلطة المجلس قد انتهت بتعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة .

أعلنت الجمهورية يوم ١٨ يونيه ١٩٥٣ وعين محمد نجيب رئيسا للجمهورية مع احتفاظه بمنصب رئيس الوزراء وتخليه عن منصبى وزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة ... ودخل مجلس الوزراء عدد من البارزين فى مجلس القيادة ، حتى لا يثير تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما الحسد والضيق فى نفوسهم .. فعين جمال عبد الناصر نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية ، وصلاح سالم وزيرا للارشاد ، وعبد اللطيف البغدادى وزيرا للحربية .

وكان اول قرار جمهورى وقعه محمد نجيب قرار تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة بعد ترقيته الى رتبة اللواء .

قوبل هذا التعيين بمعارضة مكتومة ، ولكن دون تعبير ايجابى .. فلم يستقل من المئات من اصحاب الرتب الاقدم الذين قفز فوقهم عبد الحكيم عامر اللواء حسين محمود قائد السلاح الجوى .

كان وصول عبد الحكيم عامر الى مركز القيادة العامة للقوات المسلحة نقطة تحول هامة فى سيطرة اعضاء مجلس القيادة على الجيش بصورة عامة ، وسيطرة جمال عبد الناصر على اعضاء مجلس القيادة بصفة خاصة ٠

كان تعيين عبد الحكيم عامر هو نهاية اتصال اعضاء مجلس القيادة بالضباط زملائهم فى مختلف الاسلحة ٠٠٠ وقد استقر الامر على ذلك بدعوى الحرص على الانضباط العسكرى ، بينما هو فى حقيقته قد انتهى الى عزلة هذه المجموعة من ضباط الجيش ، فلم يعودوا بقادرين على تحريك قواتهم السابقة او مناقشة امورهم بصفة قانونية ٠

وقد اصبحت اليد العليا فى السيطرة على القوات المسلحة هى يد جمال عبد الناصر الذى كان يثق ثقة شديدة فى صديقه عبد الحكيم عامر ، والذى كانت صفاته الشخصية تجذب الضباط اليه لروحه المرحة وطيبته وانسانيته ، رغم انه لم يكن يملك مواصفات قائد القوات المسلحة الذى يحتاج الى يقظة وعلم وخبرة وشخصية متماسكة ٠

وقد ادى هذا التعيين الى وضع خط فاصل بين ضباط الجيش وضباط القيادة ، كما وضع نهاية للانضباط الذى تفرضه الاقدمية ، ذلك ان الرتب الكبيرة كانت تشعر دائما انها تحت مراقبة ونفوذ بعض الضباط الاصغر رتبة والاكثر قدرة على الاتصال بالقائد الجديد وحاشيته ٠

وبلغ الامر حدا جعل شمس بدران وهو ضابط برتبة الصاغ يتسلط على مصير القوات المسلحة ، ويمتهن افراد الرتب الكبيرة ، فتضطر الى تحيته، لانه كان مديرا لمكتب القائد العام عبد الحكيم عامر ٠

انتهى تماما عهد الجيش النظامى التقليدى ، ولم يبدأ عهد الجيش الوطنى الثورى ٠٠٠ وانما بدأ عهد الجيش الذى يتم الاشراف عليه بصلات شخصية خفية ٠

ولم يتم التغيير دفعة واحدة، وانما تم خلال مراحل من المصادمات . ادت الى نقل بعض الضباط للعمل خارج الجيش ، والى دخول البعض منهم الى السجن ، كما سيأتى تفصيله فيما بعد .

وقد جعل هذا التغيير بذور الخلاف بين محمد نجيب واعضاء المجلس تنمو فى سرعة شديدة ٠٠٠

وبينما كان محمد نجيب هو الذى اعلن عن تشكيل محكمة الثورة فى خطاب عام بميدان الجمهورية الا انه فوجىء بظهور اسم مصطفى النحاس فى قائمة المعتقلين حيث حددت إقامته ، وكان محمد نجيب قد اعترض على

ذلك ، لاعتقاده بأن النحاس قد أدى لمصر خدمات جليلة ، ولا يجوز تحديد اقامته وهو في الرابعة والسبعين من عمره ، وشطب اسمه من الكشف فعلا ، ولكنه فوجيء باضافة اسمه عن طريق التزوير ٠

وعندما صدر حكم باعدام ابراهيم عبد الهادى ، صرح محمد نجيب لمندوبي الصحف بمعارضته للاعدام ، حتى لا يعدم دون علمه ٠٠٠ وقال لبعض اعضاء المجلس انه يفضل ان يلتف حبل المشنقة حول عنقه دون ان يصدق على حكم الاعدام ٠٠٠ ثم سافر الى الاسكندرية منتويا عدم العودة احتجاجا على هذا (الانزلاق الخطير) ــ في رأيه ــ وبعد يومين امضاهما في استراحة ثكنات مصطفى كامل حضر له جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين وابلغوه انه يمكن استبدال حكم الاعدام بالاشغال الشاقة المؤبدة ٠

الوحيد الذى وقف معه في المجلس ضد حكم الاعدام كان خالد محيي الدين ٠

وهكذا اصبحت المصادمات داخل مجلس القيادة اعلى صوتا ، محمد نجيب في جانب ومعظم الاعضاء في جانب آخر ٠٠٠ اقربهم اليه اصبح خالد محيي الدين الذى صاحبه في رحلة لزيارة النوبة ، حيث التقت افكارهما معا على اهمية الديموقراطية باعتبارها الحل الوحيد الذى يعطى للشعب حقه ويضمن التعبير على ارادته ، ويعيد الجيش الى واجبه الاصلى داخل الثكنات ٠

كانت رحلة النوبة هي بداية اللقاء الفكرى بين محمد نجيب وخالد محيي الدين ٠٠٠ ولكنه لقاء لم يتجاوز الحدود الفكرية الى آفاق تنظيمية ، فالاثنان معا كانا ضد فكرة تكرار الانقلابات العسكرية ، وكانا حريصين حرصا شديدا على عودة الجيش الى طبيعته ، وتحاشى الانفجارات والصدامات الدموية ٠

ولم يقف دخول الضباط الى الوزارة عند حد الثلاثة الذين دخلوا مع اعلان الجمهورية فقد أجبر نجيب على ادخال زكريا محيي الدين وزيرا للداخلية وجمال سالم وزير للمواصلات فى ٥ اكتوبر ١٩٥٣ بناء على قرار مجلس قيادة الثورة اتخذ في غيبته مع تفرغ جمال عبد الناصر لمنصب نائب رئيس الوزراء ٠

وكان التوتر بين محمد نجيب وجمال سالم في الذروة ، الامر الذى

دفع جمال سالم الى ارتكاب مخالفة دستورية لم تحدث فى تاريخ مصر ، اذ رفض هو وزكريا محيى الدين اداء اليمين القانونية امام محمد نجيب ...

وعندما وصل الخلاف بين محمد نجيب واعضاء المجلس الى حد تبادل الاتهامات نبت اقتراح من احد اعضاء مجلس القيادة بتدبير عملية اغتيال لمحمد نجيب ، ولكن عبد اللطيف البغدادى عارض هذا الاقتراح فى حسم شديد قائلا (ان الثورة ستضيع اذا نفذ ذلك) .

ولم يكن محمد نجيب خصما عنيدا ... فهو رغم صراحته وشجاعته وبسالته فى حرب فلسطين كان لين الجانب فى معاملته مع زملائه ، ينظر اليهم كأبنائه او اخوته الصغار ، لا يسلك اسلوبهم فى محاولة تجميع الضباط وتنظيمهم . معتمدا على سحر شخصيته وجماهيريته فى الجيش وخارجه .

ولكن هذا الموقف المتهاون من جانب محمد نجيب قد دفع الى تمادى اعضاء المجلس فى مهاجمته والاساءة اليه بالشائعات ... وتبدلت الحال تماما بعد ان كان جمال عبد الناصر يرحب به فى بلدته بنى مر اثناء زيارته لها فى مارس ١٩٥٣ قائلا « باسم ابناء هذا الاقليم ارحب بك من كل قلبى واعلن باسم جميع الفلاحين اننا آمنا بك فقد حررتنا من الفزع والخوف وآمنا بك مصلحا لمصر ونذيرا لاعدائها » ، وعبد الحكيم عامر بقوله فى قريته اسطال « هاهو بلدى يبايعك وها هم اولاد رجاله امامك اقوياء اشداء يعاهدونك على السير معك واثقين بك ومؤمنين » ...

وبعد ان قال صلاح سالم فى المحلة الكبرى يوم ٢٢ يونية « يقول البعض انه كان يجب انتخاب رئيس الجمهورية انتخابا شعبيا واعتقد وكلكم تعتقدون ان محمد نجيب قد نجح فى اكثر من انتخاب ولقد سار فى كل ركن من اركان هذه الدولة والتف حوله ملايين من البشر »

هذه امثله محدودة مما قاله اعضاء المجلس عن محمد نجيب ، ولكن الامور بينهم تدهورت بسرعة الى درجة التفكير فى اغتياله ، واحراجه باتخاذ القرارات فى غيابه ، والاساءة اليه بين حين وآخر .

ولم يكن محمد نجيب وجده قادرا على مواجهة هذه الموجة العنيفة من الكراهية التى بدأت تثور ضده وتحاصره ، فهو بطبيعته كان مفتوحا على الجميع ، لا يدبر شيئا فى الخفاء ويرفض الانزلاق الى المؤامرات ...

وكان حظه سيئا مع زملائه فى المجلس ، كلما تحدث مع واحد منهم بصدر مفتوح اسرع بنقل حديثه الى جمال عبد الناصر فأظهره بمظهر العداوة والتربص ٠

كانت الظروف تندفع دفعا الى نقطة الصدام بين محمد نجيب واعضاء المجلس ٠٠٠ وتوافرت عوامل اخرى جعلت لهذا الصدام فرقعة شديدة داخل الجيش وبين الجماهير ٠

وهو ما نتحدث عنه فيما يلى عن الازمة التى كانت بمثابة (الصدام الاخير) ٠

الفصل السادس عشر

الصـــدام الاخير

لم يكن الصدام الاخير مع فئة واحدة من الفئات السـابقة ، ولكنـــه كان معها كلها مجتمعة ·

لم تكن الخطوات الادارية او السياسية التى اتخـــذت قد انهت حيـاة الاقطاع او الاحزاب او الشيوعية او الاخوان ··· ولم تكن قد حولت ضباط الجيش الى فئة من المطيعين المستسلمين ·

كانت كل هذه الفئات قد انحنت للعاصفة ، تنتظر الفرصة المناسبـة للطعن مرة أخرى ··· وبدأ فبراير ١٩٥٤ وحركة الجيش مثـــل المريض الذى بدأت تظهر عليه عوارض امراض مختلفة كانت جراثيمها كامنة تتحيـن الفرصة المناسبة لحالة ضعف عام فى الجسم ·

كان اخطر ما تعانى منـــه حركة الجيش ، التناقض الداخلى بـــين الضباط ، وتوتر الموقف بين محمد نجيب واعضاء المجلس ··· فى وقـــت امتلأت فيه السجون بزعماء الاحزاب والشيوعيين والاخوان المسلمين .
كانت جهات الصدام قد تعددت ، واصبح التركيز على واحد منهـــــا أمرا متعذرا ·

وانفجر الموقف عندمـــا وجد نجيب ان اســـتمراره رئيســـا للجمهورية ورئيسا لمجلس قيادة الثورة اصبح امرا مستحيلا بعـــد ان وصلت الامور الى حالة يصعب علاجها ولا يملك وحده ـ على حد تعبيره ـ القـــدرة على الفصل فيها ·

قرر محمد نجيب الاستقالة ··· بعد صبر طويل على تحمـــل معاملة

زملائه له ، وهو يبرر ذلك بحرصه على عدم سقوط حركة الجيش فريسة للديكتاتورية ، وتصوره ان وجوده يمكن ان يحقق الديموقراطية .

ولا يمكن اعفاءمحمد نجيب منالمشاركة الايجابية في كل ما اتخذته حركة الجيش من قرارات ضد الحرية والديموقراطية ... هو الذى وقع قرارات الاعتقال واعدام خميس والبقرى واصدار قوانين الغاء الدستور وحل الاحزاب وتشكيل محكمة الثورة .

ولكنه مع ذلك كان حاجزا ضد جموح اعضاء المجلس الذين اصروا على اعدام البكباشى حسنى الدمنهورى وعارض هو ... واعلنوا حكم الاعدام على ابراهيم عبد الهادى ورفض التصديق .. واعترض على عمليات الضرب والارهاب التى تعرض لها الضباط يوم دخلوا السجن بملابسهم ورتبهم العسكرية .

تقدم محمد نجيب استقالته فى كلمات محدوده ...أرسلها الى كمال الدين حسين باعتباره سكرتير مجلس قيادة الثورة الذى كان يسجل قراراته .

ولم تكن الاستقالة تعنى انسحابا هادئامن الحياة العامة ... ولكنها كانت تعنى في مضمونها انهاء لاعمال مجلس قيادة الثورة واقالة لاعضائه ... فقد ارتبطت الجماهير البسيطة بشخصية محمد نجيب التى امتلكت الشارع ووجد الكثيرون فيها حلقة انقاذ لهم من طوفان ديكتاتورية عسكرية تقترب عند الافق .

والواقع انها قدمت بعد احتمال محمد نجيب لكثير من العبث والتصرفات الصغيرة ... كانت الرقابة تحذف ما يدلى به من تصريحات ... والاذاعة لا تذيع كلماته الا اذا كانت على الهواء ... والمباحث العسكرية تطبع منشورات تشكك فى موقفه ... والشائعات تدبر ضده فى الجيش وخارجه .

كل الاجهزة الحساسة لم تكن فى قبضة محمد نجيب ... قيادة الجيش والداخلية ووزارة الارشاد وهيئة التحرير ... جميعا كانت فى ايدى اعضاء المجلس ... ومعظم الذين احاطوا به من الضباط كانوا مزروعين حوله يبلغون اخباره وتحركاته .

لم يعتمد محمد نجيب الا على شعبيته ... لم يرتبط بتنظيم داخل الجيش ... ولم يعقد اتفاقيات خاصة مع القوى والاحزاب السياسية المختلفة ... ولم يكن لم نداء معروف سوى الديمقراطية وعودة الجيش الى الثكنات وهو ما قاله صراحة امام الضباط فى ناديهم فى ديسمبر ١٩٥٣ .

ولذا كانت الاستقالة بمثابة الاختبار لقوة محمد نجيب فى مواجهة المجلس ... وامتحانا لارادة الشعب .

ما ان ذهب محمد نجيب الى منزله بعد تقديم الاستقالة حتى فوجيء بأن التليفون لم يعد صالحا للعمل .

وظهرت الجرائد في صباح ٢٥ فبراير تحمل هذه المانشيتات :
اجتماع هام مفاجيء لمجلس الثورة .
تعيين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء .
قبول استقالة محمد نجيب من جميع الوظائف التى يشغلها .

منصب رئيس الجمهورية يظل شاغرا حتى تعود الحياة النيابية الى البلاد .

وكان مجلس قيادة الثورة قد اعلن هذه الاخبار ضمن بيان وزعه على الصحف فى الرابعة صباحا ... ولم تكن قرارات المجلس بالاجماع فقد اعترض عبد اللطيف البغدادى وخالد محيي الدين على قبول الاستقالة ، واعلن خالد انه سيقدم استقالته بعد اسبوع .

وجاء في البيان ما يفيد بأن محمد نجيب تحرك الى مقر القيادة ليلة ٢٣ يوليو بعد مكالمة مرتضى المراغى ، وانه لم يضم الى مجلس القيادة الا يوم ١٥ اغسطس ، وان جمال عبد الناصر قد تنازل له عن رئاسة مجلس القيادة لمدة عام واحد رغم انه كان منتخبا ، وان محمد نجيب يطالب بسلطات أوسع وبحق النقض لقرارات المجلس .

وكان اعلان الاستقالة صدمة للجماهير التى لا تعرف ما يدور فى كواليس السياسة والتى ارتبطت بمحمد نجيب واحبته منذ اليوم الاول للثورة ... ولم تجد كلمات البيان صدى عند الجماهير لانها رأت محمد نجيب يتصدر الحركة منذ لحظتها الاولى ويوقع بيانها الاول ، ويعرض نفسه لاحتمالات الانقضاض على الحركة من جانب الملك أو القوات البريطانية .

وعقب استقرار (مجلس قيادة الثورة) على هذا الرأى وتوزيع البيان على الصحف قام عبد المحسن ابو النور قائد الحرس الجمهورى بعمل خدعة لقائد الحرس عند منزل محمد نجيب أبعده بها عن المنزل واستبدل القوات التى كانت تحرس المنزل ونزع اسلحتها .

اصبح محمد نجيب معتقلا فى منزله ... ونشرت الصحف فى اليوم التالى نبأ استقالة اديب الشيشكلى ديكتاتور سوريا ومغادرته لها وتولى هاشم الاتاسي رئاسة الجمهورية .

كان توافقا غريبا فى التوقيت ٠

وفى اليوم التالى صدرت الصحف تحمل بيانات من مجلس قيـــــادة الثورة وتصريحات من صلاح سالم وزير الارشاد ٠

البيانات تقول ان محمد نجيب طلب عدم مقابلة السفراء الاجـــانب مطلقا ٠٠٠ وكان هذا صحيحا لانه وجد فى ذلك اعتداء على مسئولية وزيـــر الخارجية ــ حسب روايته ــ ٠

وتصريحات صلاح سالم كانت مثيرة ٠٠٠ حيث قال ان محمد نجيـب قد توعده امام الصحفيين لانه منع نشر تصريح له ٠٠٠ وانه ســـلم نفســه للسجن الحربى هربا من متاعب محمد نجيب التى خلقها له فى الاذاعة ، حتى ذهب له حسين ذو الفقار صبرى وعدد من الضباط اخرجوه من هناك ٠

وصدر بيان ثالث لشعب السودان جاء فيه « الثورة ليست ثـــورة نجيب ولا ثورة جمال او صـــلاح ٠٠ العلاقة المقدســة تربط بين شـــعبينا الخالدين ، وما الحاكمون الا ادوات موقوتة زائلة » ٠

لم تترك هذه البيانات والتصريحات اثرا فى نفوس الناس ٠٠٠وبدأت سلسلة من ردود الفعل فى مختلف المواقع ٠٠٠ داخل الجيش وفى الشـــارع ٠٠٠ فى القاهرة والاقاليم ٠٠٠ وفى مصر والسودان ٠

اقوى ردود الفعل واسرعها كان فى سلاح الفرسان ، حيث كـــانت الافكار الديموقراطية تجد مجالا خصبا للنمو ، كنتيجة لوجود خالد محيى الدين ضابطا لمخابرات السلاح ، وثروت عكاشة اركان حرب السلاح وهـــو المعروف بصلة النسب التى تربطه بأحمد أبو الفتح رئيس تحرير (المصرى) ٠

خلال الفترة السابقة لم تخمد تطلعات افراد السلاح للديموقراطيـــة ورفع قبضة مجلس القيادة القوية عن الجيش ٠٠٠

واثناء نظر مجلس القيادة فى استمرار مشـــروع (النقطة الرابعـــة) الامريكى ، اشترى ضباط الفرسان عشر نسخ من كتاب (النقطة الرابعـــة) تأليف الكاتب الصحفى احمد بهاء الدين ، واتصل به بعضهم لمقابلة خـــالد محيى الدين وثروت عكاشة حيث فهم من المقابلة ان مشروعا معروضا عـــلى القيادة وان ضباط الفرسان يريدون ان يشكلوا مجموعة ضغط عن طـــريق مناظرة ينتصر فيها رفض المشروع ٠

وعندما اختلف ثروت عكاشة مع صلاح سالم بعد نشره مقالا فى مجلة التحرير بمناسبة مرور عام على الثورة لم يذكر فيه شيئا عن صـــلاح سالم ، واذاعة الاخير لبيان قال فيه ان مجلة التحرير لا تعبر عن الثورة ٠٠٠ قـــرر مجلس القيادة وضع مجلة (التحرير) تحت الرقابة شأنها شأن سائر المجلات

ولكن ثروت عكاشه رفض تنفيذ القرار وقدم استقالته بعد اجراء عنيف تمثل فى ذهابه الى دار الهلال حيث كانت تطبع المجلة ، وحطم الرصاص وسحب المقالات ... الامر الذى ادى الى صدورها من دار اخبار اليوم بواسطة الاشراف المباشر لانور السادات بمعاونة مصطفى بهجت بدوى مدير ادارة المجلة ...

وكادت استقالة ثروت تؤدى الى حركة من جانب ضباط الفرسان لولا وجود خالد محيى الدين وقبول ثروت العمل ملحقا عسكريا فى باريس دون خلاف ... ولكنها كانت اضافة لعوامل الرفض فى نفوس ضباط الفرسان .

كان اليوم التالى لاعلان استقاله محمد نجيب يوم جمعة ... ومع ذلك فقد دعا ضباط سلاح الفرسان الى اجتماع عام لم يحضره خالد محيى الدين ولا ثروت عكاشة الذى كان قد عين ملحقا عسكريا فى باريس ... وحضر حسين الشافعى فطالبه الضباط بعودة محمد نجيب والحياة الديموقراطيه ولما عجز عن اقناعهم ، حضر جمال عبد الناصر .

الظاهرة الواضحة فى هذا الاجتماع الذى بدأ فى السابعة مساء كانت تدفق الضباط عليه وظهور نغمة نقد من الضباط العاديين للضباط الاحرار لانهم تركوا الامور تتردى الى هذا الحد .

ووصل جمال عبد الناصر الى ثكنات السوارى فى السابعة والنصف مساء ، وهو الوقت الذى تعود فيه الدبابات المكلفة بحراسة شرق القاهرة الى المعسكر لتغادرها فى الصباح .. وقد تصور جمال وهو يسمع صوتها دون تعليق انها تتحرك لعمل انقلاب عسكرى .

عرض جمال عبد الناصر فى هذا الاجتماع خطوات الثورة وما قامت بتحقيقه ... ولكنه فوجىء بنقد قاس من الضباط موجه الى تصرفات مجلس القيادة السياسية وتصرفات بعض اعضائه الشخصية .

كانت هناك عدة محاور للمناقشة :

١ ــ الشكل الديموقراطى للتعبير عن ارادة الشعب المصرى .

٢ ــ المدى الذى يتدخل به الجيش فى شئون الحياة اليومية ، وموعد عودته للثكنات لاداء دوره الطبيعى فى خدمة الوطن .

٣ ــ تأثير عزل محمد نجيب على اتفاقية السودان ، وكان ابن محمد نور الدين الزعيم السودانى والضابط بالسلاح قد اعلن ان الشعب السودانى عاطفى وان عزل محمد نجيب سيؤدى الى انتصار حزب الامة .

وكان هناك ايضا هجوم شديد بالامثلة على تصرفات بعض اعضاء المجلس فى النواحى المادية والشخصية والنسائية .

وتحول الهجوم الى عاصفة شـديدة لم يستطع جمـال عبد الناصر مجابهتها الا بقوله (انـا شخصيا لا مثالب عنـدى) وصور اسلوب حياته الخاصة ٠٠ واستمر الاجتماع حتى الثالثة بعد منتصـف الليـل ، حيث طلب جمال عبد الناصر العودة للمجلس لاستشارته والحضور مرة اخرى ٠
وكان خالد محيى الدين قد وصل الى مبنى القيادة بعد عودته مـن حفلة السواريه فى احدى دور السينما واستدعائهم له ٠٠ ويقول انه وجد وجوها جامدة احس فى تضاريسها بالكراهية ولم يكن قد بلغه بعـد ما دار فى سلاحه ٠

وروى لهم جمال عبد الناصر قصة اجتماع السوارى ، واشـار الى صوت الدبابات قائلا انها كانت تتحرك اثناء الاجتماع ٠٠٠ ودارت مناقشـة قصيرة للخروج من المأزق ومجابهة الموقف ٠
حسمها جمال عبد الناصر باقتراحات محددة هى تولى خالد محيى الدين رئاسة الحكـومة والعمل بسرعة على عـودة الحياة الدسـتورية ، وذلك لفقدانهم الثقة فى محمد نجيب وعدم رغبتهم فى التعاون معه ٠

واعترض خالد على هذا الاقتراح قائلا انه لا يقبل البقاء وحـده ٠٠٠ ولكن جمال عبد الناصر قال ان البلد تريد محمد نجيب ونحن لا نسـتطيع مقاومة التيار ٠٠ وتمت موافقة المجلس على الاقتراح بعد تحذير كمال الدين حسـين لخالـد من عدم تحـويل البلد الى شـيوعية ، وبعد قبـول عبد الحكيم عامر للبقاء مع خالـد محيى الدين لفترة محدودة يسـتقيل بعدها ايضا ٠
وذهب جمال عبد الناصر مع خالد محيى الدين الى الضـباط المجتمعين فى السوارى ، والذين لم يغمض لهم جفن طوال الليلة ٠٠٠ وكانت السـاعة قد بلغت الثالثة صباحا تقريبا ٠

واعلن جمال عبد الناصر ان المجلس وافق على ما يأتى :

١ ـ حل مجلس قيادة الثورة ٠
٢ ـ عودة محمد نجيب رئيسا لجمهورية برلمانيه :
٣ ـ يشكل خالد محيى الدين حكومة انتقال لمدة ستة شهور ٠
٤ ـ تجرى الحكومة انتخابات لجمعية تأسيسية لتضع دستورا دائما ٠
٥ ـ يعود اعضاء مجلس قيادة الثورة الى وحداتهم ٠
ضجت القاعة بتصفيق شديد ، وضاعت محاولات الكلام فى ضجـة الموافقة وخرج جمال عبد الناصر من سلاح الفرسان مع خالد محيى الدين ٠

وتوجه خالد محيى الدين مع اليوزباشى شمس بدران وضابط آخـر الى منزل محمد نجيب لابلاغه بقرار مجلس قيادة الثورة ٠٠٠ وقـد رحب

محمد نجيب بالقرار ترحيبا شـــديدا وكانت علاقته بخالد قد أصـــبحت علاقة وثيقة على خلاف علاقته ببقية اعضاء المجلس ٠

وعندما عاد خالد محيى الدين الى القيادة كانت معالم الصـــورة تتغير تدريجيا ، فان ضبـــاط الصف الثـــانى المحيطين بمجلس القيادة رفضـــوا الاستجابة لقرار مجلس قيادة الثورة وعودة الضباط الى التكنات ، فحملـــوا السلاح وتملكتهم حالة هستيرية ، وتصرفوا تصرفات فردية ٠٠ وحاول بعضهم الاعتداء على خالد محيى الدين فمنعهم عبد الحكيم عامر وجمال سالم ٠

ورفض هؤلاء الضباط تسليم بيان مجلس القيادة الى مندوب الاذاعـــة الذى حضر فى السابعة والنصف صباحا٠

كان يحمل لواء المعارضة للقرارات البكباشى احمد انور قائد البوليس الحربى والصاغ مجدى حسنين وقائد الجناح وجيه اباظه واليوزباشية كمال رفعت وحسن التهامى ومحمد ابو الفضل الجيزاوى والصاغ ســـعد زايد وغيرهم من الضباط الذين خرجوا عن حدود الانضباط وبدأوا يهاجمـــون اعضاء المجلس الذين اتخذوا هذا القرار ٠

وفى مكتب عبد الحكيم عامر ارتفعت ضجة النقاش وتبين خطر الصدام المسلح ٠٠٠ ووقف عامر فوق مكتبه شاهرا سلاحه مهددا بالانتحار اذا حدث قتال بين اسلحة الجيش ووحداته ٠

ومع ذلك لم يرتدع ضباط الصف الثانى ، وتحركوا تلقائيا لتنفيـــذ رغباتهم دون تنسيق ٠٠٠ بعض ضباط المدفعية احضروا المدفعية المضـــادة للدبابات وحاصروا سلاح الفرسان من جهة الشارع ، وجنود احدى كتائب مدافع الماكينة وجهت مدافعها نحو اسلاك السلاح من داخل تكنات العباســية وحول البوليس الحربى مسار عربات واتوبيسات سلاح الفرسان ، واعتقلوا من بها من الضباط ٠٠٠ واخرج على صبرى ووجيه اباظة الطائرات لتحلـــق فوق سلاح الفرسان ٠

فوجىء ضباط الفرسان بهذه التغييرات المفاجئة وحـــاول البعض منهم تفادى صدام دموى مسلح فذهبوا لمناقشة اعضاء القيادة ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك فقد اعتقلوا ومنعوا من العودة ٠

ولم تقف التصرفات الذاتية لضباط الصف الثانى عند هـــذه الحدود ٠٠٠ بل ان اليوزباشية كمال رفعت وداود عويس اتجها الى منزل محمد نجيب دون أوامر لاعتقاله ولما اعترضهم الحرس اتصلوا بصلاح نصر قائد كتيبـــة الحرس الجديد فأذن لهما بالدخول ٠

كان الوقت فجرا ومحمد نجيب فى فراشه عندما دخلوا عليه وطلبوا منه ان يلبس للخروج معهما ... واعترض نجيب قائلا ان صلاح سالم ابلغه تليفونيا بقرارات المجلس وان خالد محيي الدين قد زاره شخصيا منذ حوالى الساعة ... وطلب الاتصال تليفونيا بأحدهما ولكن كمال رفعت رفض ذلك .

وخرج محمد نجيب من داره مرغما وهو يتساءل عما اذا كان معتقلا ،وعن الوجهة التى يقصدونها ... ولكنه لم يتلق جوابا شافيا .
وتحركت العربة الملاكى الخاصة الى ميس المدفعية بالماظة وكان اليوم شديد البرودة ، فطلب محمد نجيب الجلوس فى الشمس ولكنهم اصروا على استبقائه فى احدى الغرف حتى لا يشاهده الجنود .

وترك كمال رفعت محمد نجيب فى ميس المدفعية مع اركان حرب السلاح الصاغ أبو اليسر الانصارى وعاد الى مبنى القيادة ليبلغ عبد الحكيم عامر الذى ثار عليه وانبه هو وصلاح نصر قائد كتيبة الحرس ...وارسل اليوزباشى حسن التهامى للافراج عن محمد نجيب واعادته الى منزله .

وفى طريق العودة لم تستطع العربة الجيب العسكرية ان تسلك طريقا جانبيا مهجورا وغير معبد . واعتقد محمد نجيب انهم سيطلقون عليه الرصاص من ثبات ضرب النار التى يمر بها هذا الطريق .. وقال لحسن التهامى انه لا يهاب الموت ولكن دمه سوف يظل لعنة عليهم .
ووصل محمد نجيب الى منزله سالما بعد يوم عصفت بنفسه التوقعات المختلفة ، وكسرت فيه قواعد الاحترام لرئيس الجمهورية وتمزقت نهائيا وحدة الضباط الاحرار .

ولم يكن رد الفعل الوحيد لاستقالة محمد نجيب قاصرا على ما حدث فى سلاح الفرسان ... ولكنه كان موقفا ضمن عدة مواقف اخرى .

ضباط المنطقة الشمالية فى الاسكندرية عارضوا استقالة محمد نجيب فور اعلانها ، وكانوا قد عبروا عن رأيهم فى ضرورة ابقاء محمد نجيب رئيسا للجمهورية وعدم التهجم عليه فى اجتماع عقده حسن ابراهيم معهم فى نادى الضباط موفدا من مجلس القيادة ، وحاول فيه الاساءة الى محمد نجيب بأحاديث شخصية اعترض عليها احد ضباط الفرسان (اليوزباشى امال المرصفى) عضو تنظيم قسم الجيش فى حدتو سابقا ، وايده جميع الحاضرين بالتصفيق .

كان مجلس القيادة قد اوفد البكباشى صلاح الدين مصطفى الملحق العسكرى الذى استشهد فى عمان بعد ذلك للتعرف على رأى ضباط

الاسكندرية ... وقد صارحناه وقتها بأننا لا يمكن ان نقف ضـــد الحرية والديموقراطية التى ينادى بها محمد نجيب والتى خرجنا من اجلها ليلة ٢٣ يوليـــو .

كان موقف أغلبيـــة ضـــباط الاسكندرية حاسما وواضحا فى تأييد محمد نجيب .

وتجاوزت ردود الفعل حدود الجيش .

عمت المظاهرات شوارع الخرطوم وبعض مدن السودان تهتـــف (لا وحدة بلا نجيب) وكان محمد نجيب قد اصبح رمزا للوحدة عند السودانيين فمدة خدمته الطويلة هناك ، ودفن والده وخاله الضـــابطين بالجيش فى السودان ، وعلاقته الوثيقة ومعرفته بكثير من الزعماء والبسطاء هناك جعلت منه شخصية شعبية محبوبة فى السودان كما فى مصر .

وخرجت المظاهرات ايضا فى القاهرة تهتف بحياة محمد نجيب منـــذ الصباح الباكر .

وفى الوقت الذى احاطت فيه قوات الجيش بسلاح الفرســـان وتم اعتقال عدد كبير من ضباطه بلغ الاربعين ... وبدا الامر كما لو ان مجلس الثورة قد انتصر تماما ، عقد اجتماع فى ظهر ذلك اليوم اقترح فيه صـــلاح سالم وجمال سالم وحسن ابراهيم وكمال حسين وانور السادات اخـــراج خالد محيى الدين من المجلس واعتقاله ... وطالب البعض بتحديد اقامتـــه فى مرسى مطروح بينما طلب عبد الحكيم عامر تسفيره للخارج .

الوحيد الذى عارض اتخاذ اجراء ضد خالد محيى الدين كان عبداللطيف بغدادى الذى قال ان خالد لم يخف آراءه عنا وكان معروفا ان له آراء مختلفة وقد طلب ان يستقيل وقد رفضنا .

وحسم جمال عبد الناصر المناقشة بقوله ان القضية ليست قضـــية خالد محيى الدين ولكنها قضية محمد نجيب ، فاذا تقررت عودة محمد نجيب فلابد من عودة خالد ايضا .

وبدأت مناقشة موضوع محمد نجيب ... وكان قد تقـــرر تشكيل محكمة من جمال سالم والبكباشى احمد انور والصاغ احمد عبدالله لمحـــاكمة ضباط الفرسان المعتقلين والذين نقلـــوا الى مقر البوليس الحربى فى محطة مصر .

واثناء الاجتماع اتصل احد ضباط الفرسان (يوزباشى محمـــود حجازى) بعبد الحكيم عامر وابلغه انه اذا لم يفرج عن كل الضباط المعتقلين

فان الدبابات المحاصرة ستوجه نيرانها على مبنى القيادة ٠٠٠ وليحدث بعد ذلك ما يحدث ٠

وكانت المظاهرات تزداد انتشارا فى شوارع القاهرة وتهتف (لا ثورة بلا نجيب ٠٠٠ الى السجن يا جمال ٠٠٠ الى السجن يا صلاح) ٠٠٠ ومناقشات مجلس القيادة فى مصير محمد نجيب مستمرة لا تنقطع ٠

وعند الثالثة بعد الظهر كان الارهاق قد استبد بجميع اعضاء المجلس بعد ليلة مرهقة حافلة بالاحداث ، فقرروا رفع الجلسة للنوم اربع ساعات ٠٠٠ وطلب منهم جمال عبد الناصر تفويضا بالتصرف اذا ساءت الامور خلال هذه الساعات ، فوافقوا على ذلك ٠٠٠ وكان هو الوحيد الذى بقى فى مقر القيادة بعد ان ذهب الجميع لخطف وقت للراحة ٠٠٠ وكانوا خلال هذه الفترة لا ينامون فى منازلهم ٠

وما هى الا برهة قصيرة حتى كانت الاخبار تتلاحق على مجلس قيادة الثورة ٠٠٠ وكالات الانباء تحمل اخبار مظاهرات السودان ٠٠٠ البكباشى صلاح مصطفى يصل من الاسكندرية حاملا موقف ضباطها تأييدا لنجيب ٠٠٠ واخيرا عودة صلاح سالم وقد صدمه منظر المظاهرات تملا الشوارع امام قصر عابدين وهو فى طريقه الى منزله ٠

وقال صلاح سالم لجمال عبد الناصر الذى كان يجلس وحيدا فى الغرفة ٠٠٠ « اما ان ينزل الجيش لتفريق المظاهرات واما ان يلتهب الموقف » ٠

ولم يجب جمال عبد الناصر ٠٠ الذى جلس فى صمت وقد وضع رأسه بين يديه ٠

وتابع صلاح حديثه « أعتقد انه لابد من عودة نجيب » ٠

وظل جمال عبد الناصر صامتا لا يجيب ٠

وقال صلاح سالم « سأبلغ الخبر للاذاعة » ٠

واستمر صمت جمال عبد الناصر ٠

وكرر صلاح عبارته فى الحاح ٠

ولم ينطق جمال عبد الناصر ٠٠٠ ظل محتفظا بصمته وافكاره ٠

ولم يجد صلاح سالم بدا من تبليغ الاذاعة بخبر عودة محمد نجيب ٠

وفوجىء أعضاء المجلس فى منازلهم ببيان تذيعه الاذاعة فى السادسة من مساء ٢٧ فبراير ١٩٥٤ يقول « حفظا على وحدة الامة يعلن مجلس قيادة الثورة عودة الرئيس اللواء محمد نجيب رئيسا للجمهورية وقد وافق سيادته على ذلك » ٠

وصحب هذا البيان بيان آخر تكررت اذاعته « تعلن قيادة الثـــورة ان اى اخلال بالامن فى انحاء البلاد سيقابل بكل شدة وعنف » ٠
عاد محمد نجيب رئيسا للجمهورية ٠

التمزق الذى حدث فى صفوف الجيش ٠٠ والتأييد الشعبى الجـــارف فى مصر والسودان ٠٠ وعجز مجلس القيادة عن اتخاذ قرار امام تتـــابع الاحداث ٠٠كانت هى العوامل التىاعادت محمد نجيب ، وابقت خالدمحيىالدين عضوا فى مجلس قيادة الثورة ٠

عاد محمد نجيب عودة المنتصر ٠

ونشرت صحف الصباح ٢٨ فبراير بيانا على لسانه قال فيه :
« ارى من واجبى ان ابين لاخوانى وابنائى المصريين والعـــرب اننـــى استقلت من منصبى بمحض ارادتى مقتنعا بأن مجلس الثورة هو الهيئة التى تركزت فيها غاياتنا العليا ، ورسمت أهداف الثورة السابقة التى ترمى الى رفعة الوطن واستقلاله ، وما أقدمت عـــلى هذه الاســتقالة الا لكى أتيح لاخوانى اعضاء المجلس الفرصة للعمل على تحقيق هذه المبادىء والعمل عــلى طرد العدو الغاصب الذى مازال يحتل جزءا من ارضنا الطاهرة وانى لاهيب بالمصريين المخلصين والعاملين ان يتحدوا صفا واحدا خلف اخوانهم واخوانى اعضاء مجلس قيادة الثورة ، يعملون معهـــــم جاهدين لتحقيق الاهـــداف السابقة » ٠

لم تكن عودة محمد نجيب هزيمة لطرف من الاطـــراف ، وانتصـــارا للطرف الآخر ٠٠٠ ولكنها كانت توفيقــــا فرضته الظروف الحســـاسة المتوازنة ، وبداية رحلة جديدة من المواجهة الصريحة والمستترة ٠
التناقضات القديمة تراكمت وكادت تتحول الى صدام مسلح بين قوات الجيش ، لولا الحرص الشديد على تجنب اراقة الدماء ٠

وبدأ محمد نجيب يومه الاول بعد العودة بالذهـــاب الى قصر عابدين حيث تدفقت المظاهرات رغم بيان المجلس الذى تكررت اذاعته عدة مرات ٠٠٠ وحدث اصطدام بينها وبين البوليس ادى الى اصابة ١٣ متظاهرا ، حمـــل المتظاهرون قمصانهم الملوثة بالدماء يلوحون بها الى محمد نجيب الذى خرج يخطب فيهم من شرفة قصر عابدين ٠٠٠

وعندما لمس نجيب هياج الجماهير وارتفاع هتافات الاحتجـــاج ضـــد الاعتداء عليهم ، استدعى اليه فىالشرفة عبد القادر عودة احد زعماء الاخوان المسلمين ليهدىء من ثائرة المتظاهرين، وخطب فيهم قائلا انه لم يقبل العدولعن

الاستقلال الا من اجل الحرية والديموقراطية والانتخابات البرلمانية ٠
وابلغ محمد نجيب النائب العام للتحقيق فى حادث الاعتداء على المتظاهرين ٠

وفى اليوم التالى ٠٠٠ اول مارس ١٩٥٤ ظهرت الصحف وفيها اخبار القبض على ١١٨ شخصا بينهم عبد القادر عودة واحمد حسين ، كما تقرر ايقاف الدراسة فى الجامعات الثلاث الى نهاية الاسبوع ، حيث كانت المظاهرات قد اجتاحتها ايضا ٠

وسافر محمد نجيب فى نفس اليوم الى السودان لحضور افتتاح البرلمان السودانى بناء على ارتباط سابق ٠٠٠ مع صلاح سالم واحمد حسن الباقورى ٠
كان موعد السفر غير مناسب اطلاقا فالامور لم تهدأ بعد فى مصر ، وكثير من المشاكل كانت تحتاج الى حل ومواجهة ٠

وكانت هناك فى الخرطوم مفاجأة شديدة ٠

جماهير حزب الامة احتشدت فى المطار والشوارع المؤدية اليه تعلن ارادة الانصار بعد انتصار الحزب الوطنى الاتحادى فى الانتخابات وتعيين اسماعيل الازهرى رئيسا لوزارة السودان هاتفة (لا مصرى ولا بريطانى ٠٠٠ السودان للسودانى) ٠

ورغم ان الصديق المهدى كان فى استقبال محمد نجيب فى المطار ، الا ان المظاهرات اخذت شكلا معاديا ، واصطدام الجماهير بالبوليس افسد مظهر الاحتفال بافتتاح البرلمان السودانى وحاصر المدعوين فى اماكنهم ٠٠٠
وكان محمد نجيب فى القصر الجمهورى يحاول الاتصال عبثا بالسيد عبد الرحمن المهدى ، واجتمع بالسفراء العرب لمناقشة طبيعة المظاهرات فأجمعوا على ان استفزازات البوليس قد (شوهت الموقف وحولته الى مجزرة) ٠

وغادر الخرطوم مع الفجر محمد نجيب وزملاؤه ، كما غادرها ايضا سلوين لويد الوزير البريطانى ولم يفتتح البرلمان السودانى ٠٠ وقد حكمت المحكمة العليا التى كان يرأسها قاض بريطانى بعد ذلك باعدام عوض صالح رئيس تحرير جريدة الامة ومدير دائرة عبد الرحمن المهدى وبالسجن المؤبد على الصحفى على فرج بالجريدة ، واربع سنوات على عبد الله عبد الرحمن نقد الله سكرتير عام منظمات الانصار ٠٠ وقد خففت محكمة الاستئناف بعد ذلك حكم الاعدام الى المؤبد ، وحكم المؤبد الى عشر سنوات ٠

وبعد عودة محمد نجيب استمرت حركات الاعتقال ... فتم يــــوم ٣ مارس اعتقال ٤٥ من الاخوان ، ٢٠ من الحزب الاشتراكي ، ٥ وفـــديين ، ٤ شيوعيين .. وصدر قرار باستمرار اغلاق الجامعة لمدة أسبوع آخر .

كان هذا دليلا على أن عودة محمد نجيب لم تكن استقرارا للوضع ، ولكنها كانت فرصة لالتقاط الانفاس للتناطح من جديد .

طالب محمد نجيب باطلاق سراح المعتقلين ، وتحقيق النيابة مــــع المسئولين عن جرحى المظاهرات .. وصرح في مؤتمر صحفي حضره عـــدد كبير من مندوبي وكالات الانباء والصحفيين الاجانب الذين توافدوا علـى مصر بعد الاحداث الاخيرة « انني لا ارضى ان اكون رئيسا للجمهورية في بلد غير ديموقراطي وغير برلماني ... وانه سيفرج عن المعتقلين جميعا » .

وعقد مجلس قيادة الثورة اجتماعا لم يحضره محمد نجيب ولا خـــالد محيي الدين الذى كان قد سافر الى وادى النطرون بناء على نصيحة زكريا محيي الدين ليبتعد عن القوات المسلحة التى اعتبرت حركة ســـلاح الفرسان بمثابة شرخ عميق فيها .

وجد المجلس ان الصدام المباشر ليس في صالحه ، وان جميـــع القوى السياسية متربصة به رغم اعتقال زعمائها .. واقترح جمــال عبد الناصر ان ينفس من الضغط المتراكم بقرارات تتيح لهم البقاء فترة في هدوء .

وصدرت قرارات ٥ مارس التى اعلنهـــا جمال عبد الناصر في بيـــان جاء فيه :

قرر مجلس قيادة الثورة اتخاذ الاجراءات فورا لعقد جمعية تأسيسية منتخبة بطريقة الاقتراع العام المباشر على ان تجتمع خلال يوليـــو ١٩٥٤ ويكون لها مهمتان :

١ ـ مناقشة مشروع الدستور الجديد واقراره .

٢ ـ القيام بمهمة البرلمان الى الوقت الذى يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقا لاحكام الدستور الذى ستقره الجمعية التأسيسية .

وقرر المجلس ايضا الغاء الرقابة على الصحف .. والغـــاء الاحكام العرفية قبل اجراء انتخابات الجمعية التأسيسية ... على ان يكون لمجلس الثورة سلطة السيادة لحين اجتماعها ... كما ان تنظيم الاحزاب ســـيكون متوقفا على الدستور الجديد ...

وصرح جمال عبد الناصر بانه ينوى الافراج عـــــن المعتقلين امـــا الذين لم يحاكموا بعد فلن يقدموا للمحاكمة .. وقال « سأنسى الاســـاءة التى لحقت بي وسأنظر للجميع على اختلاف الوانهم باعتبارهم مواطـــنين

يعملون جميعا لصالح الوطن ... كما انني سأنسى كل ما اصابني ، وسأنظر في بناء مصر على اسس ديموقراطية صحيحة » .

سادت مصر روح جديدة ... وعبق الجو بنسيم الحرية ... وعادت الحيوية الى الصحف بعـــد رفع الرقابة ... ولكن اليقين باســـتقرار الديموقراطية لم يكن واردا ... فان مركز السلطة والنفوذ كان في يد مجلس قيادة الثورة .

وظهرت عدة مقالات متباينة الآراء في الصحف ... الدكتور وحيـــد رأفت يدافع عن الديموقراطية في المصرى ... وانور الســـادات يكتب في الجمهورية قائلا « ثم كان ما اعلن بالامس ... وما اعلن بالامس ان هـــو الا خيوط ملحمة كبرى بدأت منذ شهور طويلة وكان لابد ان تصل الى القمـــة في يوم من الايام ... قصة ارادها الانتهازيون والموتورون فوضى ودمـــاء ، ويشاء الله ان يريدها على لسان رفاق الثورة حرية في القول برفع الرقـــابة عن الصحف وحرية للشعب في ان يختار فيعلن عن موعـــد انعقاد الجمعية التأسيسية بالانتخاب الحر المباشر » .

وجمال عبد الناصر يصرح للصحفيين ... « هذه القرارات اتخـــذها مجلس الثورة من اجل مصلحة الوطن العليا » .

ولكن قرارات ٥ مارس لم تكن النهاية في قضية الخلاف بين محمـــد نجيب وخالد وبين أعضاء مجلس القيادة .. فقد بدأ كل فريق يتحرك ضـد الآخر بأساليب مختلفة .

اعتمد محمد نجيب على شعبيته وعودته منتصرا فطلـــب ان يعـــود رئيسا للوزراء بعد ان كان جمال عبد الناصر قد تولى هذا المنصب واستمر فيه حتى ٧ مارس الى ان عاد محمد نجيب في اليوم التالي رئيسا لكـــل من الجمهورية ومجلس الوزراء ومجلس قيادة الثـــورة ... واخـــذ يوالي تصريحاته قائلا « ان كل ما يقال من اننا نبغي الاستمرار في حكـم عسكرى ماهو الا هراء وافساد وازعاج » .. وابلغ الصحف عن خطاب وصله من حسن الهضيبي من داخل المعتقل يطلب منه الرجوع عـــن حل الاخـــوان والافراج عن المعتقلين ...

وخطاب آخر وصله من نقيب المحامين عمر عمر لدفع الاعتداء الجسـيم الذى وقع على المحامين احمد حسين وعبد القادر عودة وعمر التلمســـاني ، والدعوة لجمعية عمومية تطلب عودة الحياة النيابية وعمل ميثاق وطني .

واستمر محمد نجيب على اسلوبه ... لا يقيم صلات تنظيمية مـــع الضباط الموالين له ، لا يخطط معهم حركة ما في المستقبل ... ولا يربط

نفسه بحزب او قوة سياسية معينة اعتمادا منه على تأييد (كل) الجماهير .

هذا بينما اعتمد مجلس قيادة الثورة على اسلوب آخر ، هو الاعتماد على القوات المسلحة التي كان قادة وحداتها قد عينوا بأمر عبد الحكيم عامر ... وحاولوا تضييق شقة الخلاف فافرجوا عن ضباط المدفعية الذين حوكموا في بداية عام ١٩٥٣ ، واقام عبد الحكيم عامر مادبة عشاء في نادى الضباط حضرها ١٣٥٠ ضابطا وخطب فيها محمد نجيب واعضاء المجلس في محاولة لترطيب الجو وتهدئته .

لم تكن هناك قوة سياسية يستطيع ان يعتمد عليها اعضاء مجلس القيادة بعد ان حلت جميعا ووضع قادتها في السجن ... الا هيئة التحرير .

وكانت هيئة التحرير قد قامت في نشاطها على اساس الدعاية لجمال عبد الناصر ... وليس لمحمد نجيب .

كان الموقف يندفع اندفاعا نحو انتخابات الجمعية التأسيسية .

كتب سليمان حافظ في مذكراته يقول « كان يتعين علينا ان نحسب حساب الوفد في الانتخابات المقبلة بحكم انه اكبر الاحزاب القديمة واكثرها نظاما ومن ثم كنت وجمال عبد الناصر متفقين على الا نكتفي بتقليم اظافره ، بأن نجرده من العناصر الطيبة التي كانت منتمية اليه لتنتظمها جبهتنا بل يجب ان يأتلف تحت علمها جميع خصومه من رجال الاحزاب الآخرين والمستقلين ونظرا لضيق الوقت رأينا ان نسلك اليهم طريق زعمائهم ومن اجل هذا نشطت للاتصال بهؤلاء الزعماء وعملت على رفع الحجر عن بعضهم » .

وطلب جمال عبد الناصر من ابراهيم الطحاوى سكرتير مساعد هيئة التحرير الاتصال بالسياسيين الثمانين الذين سبق له الاتصال بهم عند تكوين الهيئة وابدوا استعدادهم الكامل للتعاون معهم وكان من بينهم الدكتور محمد صلاح الدين عضو الهيئة الوفدية ووزير الخارجية السابق ، وفكرى اباظة واللواء محمد فتوح النائب الوفدى وغيرهم ، وذلك لان خطة المجلس كانت الاستقالة والتقدم للانتخابات كحزب من الاحزاب .

وفوجىء ابراهيم الطحاوى بأن السياسيين قد تراجعوا عن موقفهم السابق ، وعادوا الى احزابهم القديمة ، بما فيهم الدكتور محمد صلاح الدين الذى كان مرشحا ليكون سكرتيرا عاما لهيئة التحرير .

وانتهزت بعض الصحف فرصة رفع الرقابة عن الصحف فتمادت في الهجوم على العسكريين .. مثل مجلة (الجمهور المصرى) التى هاجمت البوليس الحربي واحمد انور هجوما قد يكون بعض ما ورد فيه صدقا ولكنه

كان مستفزا او مثيرا ، ودافعا لتشبث المجلس وضباط الصف الثانى بالسلطة خوفا مما يمكن ان يحدث لهم اذا تغيرت الامور وبدأوا يخضعون للتحقيق والحساب وكشف ما ارتكبه بعضهم من اخطاء وانحرافات قد تصل بهم الى دائرة العقاب ايضا .

وانتشرت النكتة التى تروى قصة رجل كان يجلس مع زوجته فى القطار فعاكسها ضابط يجلس بجانبها فلما اشتكت لزوجها صفعه على وجهه ، وفوجىء الركاب برجل يهرع من آخر العربة ويصفع الضابط ايضا ولما سأله الناس عن سبب ذلك ، قال (الله .. هيه مش الثورة خلصت) .

بعض القوى اندفعت كالثور الهائج فى حلبة المصارعة دون ان ترى السهام فى يد الفارس الذى يركب الحصان وهو يتحين الفرصة ليرشقها فى رقبة الواحد بعد الآخر .

كانت الحلقة تضيق حول مجلس القيادة ... التناقضات بين الضباط ما زالت قائمة ... البعض الذى لم يستفد يطالب بالعودة للثكنات ، والمستفيدون من رجال الصف الثانى وبعض المقتنعين بفساد القديم عن يقين يصرون على استمرار الثورة ... والقوى السياسية كلها معادية ومن خلفها جماهيرها ... وهيئة التحرير بعد تخلى السياسيين عنها اضعف من ان تحقق شيئا .

وفى يوم ١٩ مارس انفجرت اربع قنابل فى انحاء متفرقة من القاهرة .

وفى صباح ٢٠ مارس كان اجتماع المؤتمر المشترك ، واثيرت قضية الانفجارات طلب جمال سالم وزكريا محيى الدين اتخاذ اجراءات صارمة للضرب على أيدى هؤلاء المخربين .

وقال لهم محمد نجيب فى تلميح بأنه لا يوجد صاحب مصلحة فى التخريب الا هؤلاء الذين يبتغون تعطيل مسار الشعب نحو الديموقراطية .

كان محمد نجيب يريد ان يثبت دعائم الديموقراطية عن احد طريقين ... اولهما عودة الاحزاب قبل انتخابات الجمعية التأسيسية ... وثانيهما اجراء استفتاء شعبى عام على النظام الجمهورى وتعيينه رئيسا للجمهورية لانه عين رئيسا دون استفتاء شعبى عام .

ولكن سليمان حافظ الذى كان يعادى الحزبية خوفا من قوة الوفد أفتى بمعارضة هذا الاتجاه وأعد مع الدكتور عبد الجليل العمرى وزير المالية فى ذلك الوقت مشروعات لعبور الفترة الباقية على الانتخابات تتلخص فى تشكيل وزارة مدنية تتولى السلطات التنفيذية والتشريعية ، وان يقتصر اختصاص مجلس الثورة على تعيين وعزل رئيس مجلس الوزراء والوزراء

بموافقة رئيسهم وتخلى المجلس عما عدا ذلك من اعمال السيادة ٠٠٠ ونص المشروع على الغاء الاحكام العرفية قبل ذكرى اعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٤ والى ان يتم ذلك يفرج عن جميع المعتقلين الذين لم توجه لهم تهمة معينة تباشر النيابة تحقيقها ٠

لم ير هذا المشروع النور ولم يحدث أى تغيير لتدافع الاحداث ٠٠٠ فقد وصل الملك سعود الى مصر فى زيارة رسمية يوم ٢٠ مارس ٠٠٠ وظهرت تصريحات لجمال عبد الناصر الى وكالة (انسا) الايطالية يبدى رأيه فيها عن الاخوان فيقول « سيكونون احرارا فى تشكيل حزب اسلامى او هيئة اسلامية » وعن الشيوعيين يقول « كلما بدا ان من الممكن الاتفاق مع لندن قام الشيوعيون ـ وعددهم ليس كبيرا ولو انهم منظمون تنظيما جيدا يزاولون نشاطهم تحت ستار المطالب الوطنية وقاموا بحملة تهدف للحيلولة دون الوصول الى اتفاق » ومحمد نجيب يواصل تصريحاته عن الديموقراطية فيقول « لن نتراجع عما استهدفناه من عودة الحياة النيابية ٠٠٠ ولماذا نخاف منها وما ثرنا الا لاعادتها خالية من الشوائب » كما أكد انه ليس فى نيته تكوين حزب ٠٠٠

وظهر الوفد مرة اخرى عندما ادلى برأيه فى الموقف الحاضر وهو يتلخص فى « التمسك بالنظام الجمهورى والاصلاح الزراعى والمطالبة بعودة الحياة النيابية فورا حتى تستقر الاوضاع » ويعود على ماهر ليصرح بقوله « ان مصر لا تستطيع الوقوف موقف الحياد ويجب ان تنضم للغرب » ٠

وحدثت خلال هذه الفترة اتصالات بين الوفد ورجال الثورة خلال محمد صلاح الدين الذى كان مرشحا لان يكون سكرتيرا لهيئة التحرير وبين ابراهيم الطحاوى يقترح فيها الوفد على رجال الثورة ان ينضموا اليه وان يكون جمال عبد الناصر سكرتيرا عاما للوفد ٠

لكن جمال عبد الناصر رفض الاقتراح ٠

ونشرت المصرى رسالة لعضو مجلس قيادة الثورة السابق يوسف صديق يقول فيها رأيه فى الموقف ويقترح قيام وزارة ائتلافية من الوفد والاخوان والاشتراكيين والشيوعيين برئاسة الدكتور وحيد رأفت لاجراء انتخابات للبرلمان الجديد ٠٠٠ وكانت هذه المرة الاولى التى يطرح فيها علنا اشتراك الشيوعيين فى الحكم ضمن جبهة وطنية ديموقراطية ٠

كان يوسف صديق قد هرب من تحديد الاقامة فى بنى سويف ٠

وتميزت هذه الفترة بحيوية شديدة فى اعلان الرأى ٠٠ محمود عبد المنعم مراد يدافع بصراحة عن حكم الشعب فى جريدة (المصرى) ٠٠ وجلال الدين

الحمامصي يحذر من الانتخاب في جريدة (الاخبار) ٠

واصبح الموقف مهتزا تحت اقدام مجلس قيادة الثورة ، ووهنت قبضته على الحكم والسلطة ، واصبح استمرار الحالة على ما هي عليه ضربا من المستحيل ، وكان لابد من شيء ينهي فترة القلق والتوتر وعدم الاستقرار ٠

واجتمع اعضاء مجلس قيادة الثورة يوم ٢٥ مارس بحضور محمد نجيب وخالد محيي الدين حيث دارت مناقشات عاصفة ، بدأت باقتراح من عبد اللطيف البغدادي بالغاء قرارات ٥ مارس وتمسك خالد محيي الدين بها مع مطالبته بتشكيل جديد للديموقراطية يحرم النواب الذين صوتوا تأييدا لاى قوانين مقيدة للحريات والذين رفضوا دفع ضريبة الاطيان ورؤساء الاحزاب ، والذين طبقت عليهم قوانين الاصلاح الزراعي — من حق الترشيح للجمعية التأسيسية ٠

وانصرفت المناقشة الى وضع الامور على طرفي نقيض ٠

اما الغاء قرارات ٥ مارس ٠

واما رفع كافة القيود عن عودة الاحزاب والافراج عن كل المعتقلين -
وبعد مناقشة استمرت خمس ساعات انتهى الامر الى اصدار ما عرف بقرارات ٢٥ مارس والتي كتبها كمال الدين حسين بخط يده رغم عدم ايمانه او اقتناعه بها ٠٠ مما يدل على انها كانت محاولة لصرف الامور الى وجهة اخرى وهي :

١ — يسمح بقيام الاحزاب ٠
٢ — مجلس قيادة الثورة لا يؤلف حزبا ٠
٣ — لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تاثير على الانتخابات ٠

٤ — تنتخب الجمعية التاسيسية انتخابا مباشرا دون تعيين اى فرد ويكون لها السيادة والسلطة الكاملة ، وتكون لها سلطة البرلمان كاملة والانتخابات حرة ٠
٥ — حل مجلس الثورة في ٢٤ يوليو باعتبار الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لممثلي الامة ٠
٦ — تنتخب الجمعية التاسيسية رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها ٠

لم تكن هذه القرارات هي ما يجيش في صدور اعضاء مجلس القيادة ، ولا هي ما يتطلع اليه محمد نجيب او خالد محيي الدين ٠٠٠ ولكنها كانت عملا من اعمال الاثارة المبنية على التخلي فجأة عن كل السلطات والصلاحيات

والاشارة الى انتهاء الثورة بما يمثل النكسة لامال الجماهير ، ويقترب بالامور من حافة الهاوية .

كانت خطة الجنوح للنقيض واضحة فى مناقشات المجلس ، عندما قال احدهم باننا اذا أعدنا الاحزاب نستعيد الحزب الشيوعى كنوع من التهديد ... وعقب ثان بأن الافراج عن المعتقلين سيشمل مصطفى النحاس واحمد حسين وحسن الهضيبى وكل زعماء الاحزاب .

كان انتقالهم المفاجىء من النقيض يدل على وجود تدبير ما ... فلا يعقل ان يوافقوا موافقة غير مشروطة على عودة الاحزاب والافراج عن كل المعتقلين .

هذا الاتجاه من التفكير صحيح ... ولكنه صحيح ايضا ان المجلس لم يكن فى موقف القدرة على (الاختيار) بقدر ما كان قريبا من اليأس ، يسلك لهدفه فى الاستمرار أى سبيل .

صرح صلاح سالم بأن الهدف من اعادة الحزب الشيوعى اثارة الامريكيين .

وقال خالد محيى الدين ان الصحفى الفرنسى ممثل مجلة (توفيل اوبزرفاتور) قال له أن جمال سيكسب المعركة مع محمد نجيب ، وانه عرف ذلك بحكم صلاته بالسفارات الامريكية والبريطانية ... وان مجلس القيادة قد اعطى اشارة للامريكيين بانهم سيوافقون على المعاهدة وادخال تركيا فى حالة العودة للقناة .

وما أن أعلنت القرارات حتى بدأ اخراج المعتقلين .. اول الذين خرجوا كان الاخوان المسلمين ومرشدهم العام حسن الهضيبى الذى توجه جمال عبد الناصر لزيارته بمنزله فى منتصف الليل فور الافراج عنه كما نشرت جريدة المصرى يوم ٢٥ مارس وقد كان هذا الاجتماع حاسما فى تغيير موقف الاخوان المسلمين ، فقد استأنفوا نشاطهم وعقدوا اول اجتماع بعد الافراج عنهم ، وصرح حسن الهضيبى قائلا : « ان الجماعة قائمة وانها اقوى مما كانت » وذلك قبل صدور قرار الغاء حلها ...

وحرص محمد نجيب على التأكد من الافراج عن كبار المعتقلين فاتصل بهم فى منازلهم فلم يجد احدا قد افرج عنه الا حسن الهضيبى وعبد القادر عودة ، اما مصطفى النحاس واحمد حسين فلم يفرج عنهما .

وقد التقطت جريدة (الاخبار) تسجيلا دفعت به المباحث اليها عن اتصال محمد نجيب بمصطفى النحاس لسؤاله عن رفع تحديد الاقامة والاستفسار عن صحة زوجته ، ونشرت ذلك بالبنط العريض ، لتعمق الوهم

بأن هناك اتصـــالات خفية بين محمد نجيب والنحاس ، الامر الذى يثير ضباط الجيش ويبعدهم عنه ٠

اثبت عدم الافراج عن مصطفى النحاس واحمد حسين ، ومحـــاولة اثارة الضباط ضد محمد نجيب ان النية لم تكن خالصـــة لتنفيذ قرارات ٢٥ مارس ، رغم اعتقاد بعض اعضاء المجلس الذين لم تكن لهم اتصالات خفية ان الامور قد انتهت الى ذلك ٠

ذهب حسين الشافعى الى هيئة التحرير وابلغ ابراهيم الطحاوى ان المجلس قرر الانسحاب والعودة للثكنات ٠٠٠ ثم تدبير ثورة اخرى ٠

اعترض الطحاوى على هذا التفكير معلنا ان الانسحاب معناه دخـــول الضباط للسجن واعلن انه سيقاوم قرار المجلس ٠٠٠ وهكـــذا كان تفكير ضباط الصف الثانى الذين سبق ان اوقفوا تعيين خالد محيى الدين رئيسا للوزراء ، واعتقلوا محمد نجيب ، وانقذوا المجلس من حركة ضباط سلاح

الفرسان ٠

وبدأ الصدام يأخذ شكلا حادا ٠٠٠ نقابة الصحفيين تطلب الغاء الاحكـــام الاحكام العرفية فورا وتشكيل وزارة قومية ، ونقابة المحامين تعلن الاضراب ٠٠٠ والصحف تنشر ان مصطفى النحاس ورشـــاد مهنا واحمد حسين لم يفرج عنهم ٠٠ والقائمقام احمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ مشاة التى قامت بدور كبير ليلة ٢٣ يوليو والذى حددت اقامته يوم ٨ مارس ارسل خطابا نشرته الصحف يعلن فيه نفس المطالب ٠٠٠ وهيئـــات التدريس وطلبة الجامعات يطالبون بعودة الحياة النيابية ٠
وفى الجانب المقابل كان (الصاوى أحمد الصاوى) سكرتير اتحاد

عمال النقل قد اتصل بابراهيم الطحاوى متخوفا من انتكاس مكسب العمال فى منع الفصل التعسفى ، ويدبر الاثنان خطة لاعتصام متزايد لعمال النقل ينتهى باضراب عام ٠٠٠ وضباط البوليس يعلنون « ان العودة الى الحياة النيابية مع وجود الاحتلال خدعة استعمارية » ٠٠٠ وقيادة الحرس الوطنى ومنظمات الشباب ينقلان قواتهما للقاهرة ٠٠٠

وكان موقف الاخوان المسلمين فى هـــذه الفترة يمكن ان يعتبر عامل ترجيح لاحد الجانبين ٠٠٠ وقد اتصل محمد رياض قائد حرس محمد نجيب ببعض قادة الاخوان دون استشـــارته فجاء الرد بانهم لم يدبروا أمرهم بعد ، وانهم يفضلون الانتظار والهدوء حتى يتم الافراج عن كافة المعتقلين ٠

وصدر لهم تصريح فى صحف صباح ٢٧ مارس يقول : « فيما يختص بعودة الاحزاب السياسية أملنا الا يعود الفساد أدراجه مرة اخرى فاننـــا لن نسكت على هذا الفساد بل نؤيد بقوة حرية الشـــعب كاملة ولن نطلب

تأليف احزاب سياسية لسبب بســيط هو اننا ندعو المصريين جميعا لان يسيروا وراءنا ويقتفوا اثرنا فى قضية الاسلام » .

ونشر فى الجمهورية فى نفس الوقت خبر جاء فيه انه « تقرر اعادة جماعة الاخوان المسلمين وان كل اثر لقرار حل الجماعة الصادر فى يناير الماضى قد زال » .

هكذا اختارت جمـاعة الاخوان المسلمين الوقوف مع مجلس قيادة الثورة . والتخلى عن تأييد الديموقراطية وعودة الحياة النيابية ... وهو موقف نابع من رفضهم القديم والمستمر للحياة البرلمانية وخاصة فى هـذه الفترة التى عادت فيها تباشير الحياة الى القوى والاحزاب السياسية ، وبعد أن كانوا القوة السياسية الوحيدة المصرح لها بالعمل والنشاط .

تم الاتفاق على ان يجنحوا للســلبية فى هذه الايام الحرجة ، وان يبتعدوا عن الاشتراك فى أى مظاهرة معادية للمجلس .

وهكذا بينما لعبت جماهير الاخوان المسلمين دورا حاسما فى العودة لمحمد نجيب بعد استقالته فان قيادتها لعبت دورا انتهازيا فى قضـية عودة الحياة النيابية .

واخذت كفة مجلس القيادة ترجح ســاعة بعد اخرى ... ومفاتيح السـلطة تحرك الاجهزة التابعة لها ... وهيئة التحرير التى بنيت على اســاس تأييد جمال عبد الناصر وليس محمد نجيب ، احتضنت الحركة العمالية وابناء اتحاد الصعيد الذين وصلوا الى شل حركة الاتوبيس والترام والتاكسى والقطارات ثم نزلوا بعد ذلك الى الشارع فى مظاهرات كان يحركها الطحاوى وطعيمة بعربات ركبت فيها الميكروفونات .

وكانت جريدة المصرى قد صدرت بمانشيت كبير يوم ٢٨ مارس يقول : (مؤامرات ضد الشعب) .

وقال خالد محيى الدين عندما سئل عن المظاهرات « عساهم الا يكونوا قد هتفوا بسقوط الحرية والبرلمان والحياة النيابية » .

ولكنهم هتفوا فعلا بسقوط الحرية يوم ٢٨ مارس ... وكان محمـد رياض قائد الحرس الخاص لمحمد نجيب قد دخل عليه فى حجرة نومه بعد منتصف ليلة ٢٧/٢٨ وابلغه عن الخطة المدبرة لاشـعال المظاهرات يوم ٢٨ والتى اشـتركت فيها قوات الحرس الوطنى ومنظمات الشـباب وهيئة التحرير وعمال النقل ومديرية التحرير والذين وضعت العربات اللورى تحت تصرفهم .

واعلن مؤتمر نقابات العمال الدعوة لاضراب عام اعتبارا من ٢٩ مارس

حتى يستجيب لهم المجلس بالعدول عن قراراته ؛

اتصل محمد نجيب بوزير الداخلية زكريا محيى الدين وحـــذره من خروج المظاهرات ، واستدعى اللواء الباجورى وكيل الداخليـــة الى منزله وطلب منه فض المظاهرات بالقوة فطلب منه الباجورى توقيع امر كتـــابى باطلاق الرصاص على المتظاهرين ، فرفض محمد نجيب وقال : « اقطـــع يدى ولا اوقع امرا باطلاق الرصاص على ابناء الشعب » .

وحاول بعض الضباط الملتفين حول محمد نجيب ان يدفعوه لاعـــلان تشكيل وزارة جديدة مدنية يرأسها وحيد رأفت ، وان يتخذوا اجراء ضـــد اعضـــــاء المجلس ، ولكنه تردد وآثر ان يؤجل ذلك الى ما بعـــد عودته من الاسكندرية بعد زيارته لها مع الملك سعود .

ولكن الوقت كان متأخرا فان المظاهرات المدبرة قابلته فى المحطـــات تهتف ... (لا احزاب ... ولا برلمان) ورفض محمد نجيب الانسياق وراء غرائزه حتى لا يحدث صـــدام مسلح او حرب اهلية ... وذهب الى الملك سعود مساء يوم ٢٨ حيث عقد اجتماع بينه وبين الملك والدكتور عبد الرازق الســــنهورى وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد الرحمن عزام وحسن بغدادى ... بدأ بعد منتصف الليل ، وعرض نجيب فيه ان يستقيل ولكن جمال عبد الناصر لم يكن يرد ان تصل الامور الى هذا الحد قبل تصفية شعبية محمد نجيب وما يمثله من افكار تصفية كاملة .

استمر الاجتماع حتى فجر يوم ٢٩ مارس وســــلم فيه محمد نجيب للمجلس بعد ان خذلته الجماهير ولم تناصره كما حدث عند استقالته ، وبعد ان قرر عدم اللجوء الى ما يثير صداما مسلحا .

وسافر الملك سعود ، وسقط محمد نجيب فى المطار مغشيا عليه ليبقى بعد ذلك مريضا فى منزله لمدة ثلاثة اسابيع تصدر عنه نشرة طبية يوقعهـــا الدكتوران رجب عبد السلام وأنور المفتى ، حتى لا تشـــــاع اخبار تثير الجماهير من جديد فى وقت يدرك فيه ان مظاهرات اليومين الاخيرين كانت مدبرة ومفتعلة ويصعب لها الاستمرار .

وفى الساعة السادسة والنصف من نفس اليوم اذاع صـــلاح سالم القرارات الآتية :

١ ــ ارجاء تنفيذ قرارات ٥ ، ٢٥ مارس حتى نهاية فترة الانتقال .
٢ ــ يشكل فورا مجلس وطنى استشارى يراعى فيه تمثيل الطوائف والهيئات والمناطق المختلفة ويحدد تكوينه واختصاصه بقانون .
وبعد اذاعة هذه القرارات مباشرة توجه جمال عبد الناصر وصــلاح

سالم وكمال الدين حسين لزيارة اتحاد نقابات النقل المشترك حيث خطب الصاوى احمد الصاوى واعضاء المجلس ... ونزلت القوات المسلحة الى الشوارع لحفظ الامن .

ولكن الدور الذى لعبه الصاوى احمد الصاوى لم يشفع له ، فقد اعتدى عليه احمد انور بعد ذلك بالضرب فى مطار القاهرة امام المودعين اثناء سفر عبد الناصر لباندونج ، وانتهى دوره بعد ان اعتصرت فائدته .

انتهى اخطر صدام تعرض له مجلس قيادة الثورة ... محمد نجيب مريض فى منزله وقوات الجيش الموالية فى الشوارع ، ومظاهرات العمال فرضت نفسها على الموقف والاخوان المسلمون فى تجنبهم الحذر لكل ما حدث .

ولكن الموقف مع ذلك لم يكن قد استقر تماما ... كانت هناك (جيوب للمقاومة) نشرت جريدة الاخبار خبرا عن اجتماع مفاجىء للجمعية العمومية لمجلس الدولة بما يوحى احتمال اتخاذ قرارات ضد مجلس الثورة ، وكان موقف الدكتور عبد الرازق السنهورى اثناء اجتماعهم مع الملك سعود واضحا فى معاداته لاساليب العنف وافتعال المظاهرات .

واستدعى احمد انور مدير البوليس الحربى حسين عرفة مدير المباحث الجنائية العسكرية وطلب منه منع عقد هذا الاجتماع بالحسنى أو العنف مع تحذيره من وفاة أى شخص .

ويروى حسين عرفة القصة لى فيقول انه ذهب الى المجلس فى ملابس مدنية محاولا اقناع السنهورى بفض الاجتماع تحاشيا للمظاهرات العمالية « هى فى اصلها جنود من البوليس الحربى يلبسون ثيابا مدنية مع بعض اعضاء هيئة التحرير » ... ولما رفض السنهورى مقابلته أرسل مندوبا من البوليس للطحاوى وطعيمة فوصلت المظاهرات الى سور المجلس تهتف (الموت للخونة) ... وكانت الابواب مغلقة بالحديد .

واتصل السنهورى بأمن الجيزة وطلب مندوبين من المتظاهرين وانتهز حسين عرفة الفرصة ففتح الابواب واندفع الناس الى السنهورى واعضاء الجمعية العمومية وانهالوا عليهم ضربا .. حتى أمر حسين عرفة باخراجهم من المجلس ، بعد ان اطلق رصاصتين فى السقف ليبدو كما لو كان مدافعا فعلا عن حياة المستشارين .

وكتب المستشارون بيانا لا يؤيد الثورة ، قرأه احدهم فاعتدوا عليه وتصايحوا (تحيا الثورة تسقط الرجعية) ... وبدا الموقف يشتعل بتعليمات حسين عرفة من جديد ... الى ان اضطروا لكتابة بيان نشرته الصحف فى اليوم التالى وجاء فيه :

يعلن المجلس على لسان رئيسه انه لم يتخذ أى قرار بشأن ما أذيع اليوم بجريدة الاخبار من انه ستجتمع الجمعية العمومية لامر هام ويقرر أن قرارات الجمعية كانت منصبه على حركة ترقيات الموظفين ... ومجلس الدولة يعلن تأييده لمجلس قيادة الثورة) .

ولما تسلم حسين عرفة البيان مثل دور المغمى عليه من جهـــد مقاومة المظاهرات الى ان حضر صلاح سالم وتسلم البيان وخرج ليعلنه فى الاذاعة .

نقل الدكتور عبد الرازق السنهــــورى الى المستشفى ورفض مقابلة جمال عبد الناصر عندما قام بزيارته ، لانه حسبما ورد فى مذكرات سليمان حافظ قد اتصل به قبل وقوع الاعتداء عليه بســـاعة طالبا منع المظاهرات المتجهة للمجلس ، كما ان الدكتور حسن بغدادى اتصل به من مكتب جمال عبد الناصر يستفسر عن سبب الاجتماع فقال له انه اجتماع عادى لترقيات العاملين بالمجلس .

ومع ذلك توجه جمال عبد الناصر الى مجلس الدولة واجتمع بالموكلين واستنكر الاعتداء على السنهورى .

كان الاعتداء على مجلس الدولة والدكتور السنهورى نهاية لقدســـية القضاء ، واطلاقا لقوى العنف .

وعندما تسربت اخبار ما حدث فى مجلس الدولة ، خفتت اصوات المعارضة وعاد الخوف والحذر يسيطر على خطوات الناس ... وكان مفروضا ان يعقد اجتماع فى نقابة الصحفيين ، عصر ذلك اليوم ، ولكن احـــــدا لم يحضر الاجتماع .

وواصل اعضـــاء مجلس القيادة هجومهم ... تقرر يوم ٣٠ مارس

التحقيق مع حسين ابو الفتح رئيس تحرير (المصرى) وهى الجـــريدة التى ناضلت ببسالة من اجل الديموقراطية والحياة البرلمانية واقرار الدســـتور ، والتى تعرضت خـــلال ايام الصدام الاخيرة الى مظاهرات مدبرة حـــاولت الاعتداء عليها .

وهاجم جمـــال عبـد الناصر على زكى العرابى والدكتور محمـــد صلاح الدين لانهما ذهبـــا يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٢ الى قصر عابدين ... ثم اتجها يوم ٢٧ يوليو الى تكنات مصطفى باشا يعلنان انهما قد طلقا السياسة .

وشمل الهجوم ايضا محمد كامل البندارى الذى اطلق عليه جمـــال عبد الناصر لقب (الباشا الاصفر) لانه يسكن فى عمارة الشمس بجاردن سيتى .

وكلما شعر اعضاء المجلس ان اقدامهم تزداد ثباتا واصلوا الاجراءات

التى تعزز مواقعهم ·

أصدر المجلس يوم ٥ ابريل قرارا يتضمن الآتى :

١ ـ محاسبة المسئولين عن الفساد فى العهود الماضية وطرق ابعادهم من العمل فى محيط السياسة وحرمان عدد منهم من حقوقه السياسية ·
٢ ـ تطهير الصحافة ·
٣ ـ منح سلطات للمسئولين فى الجامعات لضمان انتظام الدراسة فيهـــا · ·
٤ ـ البت فى اصدار قانون لحماية الثورة والاسس التى يقوم عليهـا المجلس الوطنى ·
٥ ـ مشروعات هامة لصلحة مختلف طبقات الشـــعب وتنشـــيط الاقتصاد القومى والقضاء على الفساد ·
٦ ـ اختيار عناصر صالحة فى مجالس البلديات وحل مشـــــكلة المواصلات بالقاهرة ·

وقد ترجم هذا القرار بعد ذلك الى اجراءات تنفيذية اذ صـدر قرار يوم ١٤ ابريل يحرم من حق تولى الوظائف العامة ومن كافة الحقـــوق السياسية وتولى مجالس ادارة النقابات والهيئات لمدة عشر ســنوات كل من سبق ان تولى الوزارة فى الفترة من ٦ فبراير ١٩٤٢ الى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أى فى السنوات العشر السابقة على قيام الثورة ، وكان منتميا للوفد أو حزب الاحرار الدستوريين أو الحزب السعدى أما من لم يكن فلا يحرم الا بقـــرار من مجلس قيادة الثورة ··· ويلاحظ ان (الكتـــلة الوفدية) هى الحزب الوحيد الذى استثنى مع ان القرار قد طبق على مكرم عبيد باعتباره وزيرا وفديا سابقا ·

طبق هذا القرار على ٢٢ وزيرا وفديا ، ٨ وزراء سعديين ، ٨ وزراء دستوريين ··· وطبق ضمنا على ستة من اعضاء لجنة الخمسين لاعداد الدستور وهم على زكى العرابى ومحمد صلاح الدين وعبد السلام فهمى جمعة ومكرم ومحمود غالب والدكتور عبد الرازق السنهورى الذى نزع بهذا القرار من منصبه فى رئاسة مجلس الدولة ايضا ·

وصدر قرار ثان بأن تدخل الجامعة على مراحل ··· سنة بعد اخرى ··· تفاديا للاضرابات ايضا ·

ثم قرر مجلس قيادة الثورة فى اليوم نفسه حل مجلس نقابة الصحافة بدعوى ان سبعة من اعضاء المجلس البالغ عددهم اثنى عشر قد تقاضـــوا مصروفات سرية وشكل لجنة تحل محل مجلس النقابة من فكرى اباظة ووكيل

وزارة الارشاد ومحام عام والمدير العام لحسابات الحكومة ٠

وصدر كشف بأسماء الذين تقاضوا مصروفات سرية وهم :

حسين ابو الفتح ـ مصطفى القشاشى ـ ابو الخير نجيب ـ احسان عبد القدوس ـ فاطمة اليوسف ـ قاسم امين زوج فاطمة (روز اليوسف) ـ مرسى الشافعى ـ البرت مزراحى ـ محمد رضا ـ ابراهيم عبده ـ حسنى خليفة ـ ادجار جلاد ـ كريم ثابت ـ عبد الرحمن الخميسى ـ عبد الشافى القشاشى ـ عبد الرحمن زايد ـ احمد عصفور ـ محمد خالد ـ كامل الشناوى ـ نعمة الله غانم ٠

وحصلت روز اليوسف على مبلغ	١٩ر٢٨١ جنيها
والجمهور المصرى	٢٨٠٨ر٠٠٠ جنيه
الاساس	٤٨ر٠٠٠ جنيه
الصباح	٧ر٢٢٢ جنيه
الحوادث	٤ر٥٠٠ جنيه
السودان	٢٥ر٢٥٠ جنيه
البلاغ	٧ر٩٠٠ جنيه
صوت الامة	٢ر٩٠٠ جنيه
النداء	٢ر٢٠٠ جنيه
السياسة	١٥ر٩٠٠ جنيه
الدستور	٩ر٩٠٠ جنيه
بلادى	٥ر٣٠ جنيه
التسعيرة والصراحة	١ر٠٠٠ جنيه
والزمان	١٢ر٥٠٠ جنيه

ووصلت الامور غايتها عندما عين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء وشكل وزارته الاولى فى ١٧ ابريل ١٩٥٤ ، فخرج منها عبد الجليل العمرى وحلمى بهجت بدوى وعلى الجريتلى وعباس عمار ووليم سليم حنا وحسن بغدادى ٠٠٠ ودخلها حسين الشافعى وزيرا للحربية وحسن ابراهيم وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية ٠

وبذا وصل عدد الضباط فى مجلس الوزراء الى ثمانية من اعضاء مجلس القيادة ولم يبق خارج الوزارة سوى عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة وأنور السادات رئيس مجلس ادارة دار التحرير ٠

ويعتبر وصول جمال عبد الناصر الى منصب رئيس الوزراء بداية

رسمية للتحول فى مسار الثورة ، ونهاية علنية للصراع بين محمد نجيب واعضاء المجلس ٠

وخلال الايام التى اتخـــذت فيها هذه الاجراءات لم يكن الموقف فى القوات المسلحة هادئا تمام الهدوء رغم وضوح انتصــــار مجلس القيادة ، وانسحاب محمد نجيب مريضا او مرغما على مرضه ٠

كان خالد محيى الدين يصاحب محمد نجيب والملك سعود فى زيارتهما للاسكندرية ٠٠٠ وكان بقية اعضاء المجلس قد اعتذروا عن عدم الذهاب مع توديعهم للملك فى محطة مصر ، لانهم كانوا يدبرون موضـــــوع المظاهرات ويريدون آن يكونوا قريبين من مركز التدبير فى القاهرة ٠

عندما عاد محمد نجيب الى مصر لم يعد معه خالد محيى الدين ٠٠٠ بل اختفى فى الاسكندرية عدة ايام كنت على اتصال دائم به خلالها ٠٠٠ وارسل جمال عبد الناصر رسولا هو عبد الحليم الاعسر يطلب عودة خالد ، وكذلك تحدث معى عبد الحكيم عامر طالبا منى ان اطمئنه ويطلب العودة ٠

عندما عاد خالد محيى الدين قدم استقالته فقبلها جمال عبد الناصر فورا وسأله عن مشروعاته ولم يكن خالد قد فكر فى ذلك بعد ٠

وواصل جمال عبد الناصر حديثه قائلا فى صراحة :

« لا ٠٠ قعاد هنـــا مفيش ٠٠ لان الناس حتتكلم عليك ٠٠ وانا بين موقفين أمن البلد او صداقتك ٠٠ لذا تخرج فى بعثة مجلس الانتاج ثم تعين ســـفيرا » ٠

هكذا إنتهت صلة خالد محيى الدين بمجلس قيادة الثورة فى اوائل ابريل ١٩٥٤ ، ولم يستقبل بعض ضباط ســـــلاح الفرسان هذا الاجراء بالرضاء الكامل او الصمت الحكيم ٠٠٠ بدأ يتكون داخل السلاح رأى عام حول حوادث الشهور الثلاثة الماضية ، كما بدأت اتصالات سرية بين ضباط من مختلف الاسلحة ٠

يقابل ذلك اجراء حركة تنقلات فى قيادة السلاح ، اعادة بعض الضباط الذين خرجوا منه ليلة ٢٣ يوليو ، كما يعين عبد العزيز مصطفى قائدا بعد تعيين حسين الشافعى وزيرا للحربية ٠

وهنا نبتت بين بعض الضباط الاحرار الذين خشوا ان تزحف اليهم موجة التنقلات ، والذين كانوا ضد كثير من الاجراءات التى اتخذت ٠٠٠ فكرة (اجراء انقلاب عسكرى بهدف تغيير مجلس الثورة واحياء نظـــام ديموقراطى فى مصر على اساس الاتفاق الذى تم مع ضباط السلاح فى نهاية فبراير ١٩٥٤) ٠

كانت عيون المخابرات والمباحث فى غاية اليقظة ، ويقول حسين عرفة انهم جندوا مرشدين من ضباط الصف والعساكر ، وباعة جريدة الاخــوان المسلمين ، وتنكروا امام السلاح فى زى باعة بطاطا ٠

ومع ذلك لم تكن الصورة كاملة ٠٠٠ فقد تمت الاجتماعات فى سرية تامة حتى صباح يوم ٢٤ ابريل الذى كان محددا للتحرك لاتمام الانقــلاب فى الواحدة بعد منتصف الليل ٠٠٠ واعدت خطة مشابهة لحركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مع احتمال تصادم مسلح مع بعض قوات الجيش ٠

وكان ضباط الفرسان قد استطاعوا تجنيد ضابط فى البوليس الحربى اسمه عفت عبد الحليم فاجاه احمد انور بشكوكه حوله ، فاعترف الضابط بكل ما يعرفه على ان يكون (شاهد ملك) ٠

كان مفروضا ان يكون موعد اللقاء للتحرك فى الســابعة مساء ، وفى نفس الساعة تمت اعتقالات واسعة للضباط الذين حضروا اجتماع فبراير لضباط سلاح الفرسان مع جمال عبد الناصر وكانوا حتى ذلك الوقت فى القاهرة ٠

وبدأ التحقيق تحت اشراف زكريا محيى الدين بلجنة مشكلة من اللواء محمد فؤاد الدجوى (مشاة) وعبد المنعم رياض (مدفعية) وجمال رياض (مشاة) ٠٠ وشــكلت بعد ذلك محكمة خاصــة برئاســة اللواء محمــد حسين مدير المدفعية واصدرت احكامها فى شهر يونيو على ١٦ ضابطا اخذ قائدهم اليوزباشى احمد المصرى (١٥ سنة) والصاغ حسنى الصــــاوى واليوزباشى عزت الالفى (١٠ سنوات) واليوزباشى فاروق الانصـــارى (٣ سنوات) وفؤاد العرابى سنة واحدة ٠

ويلاحظ ان الرتب التى اســـتعدت للانقلاب كانت اصـــــغر من رتب اعضاء مجلس القيادة وان عددا منهم كان منتميا فى السابق لتنظيم الضباط الاحرار ، وان محاولة الانقلاب تمت تحت الشـــعارات الديموقراطية التى ارتفعت فى السلاح منذ شهر فبراير ٠

كانت محاكمة مجموعة (احمد المصرى) عاملا من عوامل التفكك فىمحاولة تجميع تنظيمـــات ضباط خاصة مستقلة ٠٠٠ ولكن تنظيمات الضباط المتصلة بالقوى السياسية المختلفة كانت مازالت قائمة ٠

وفى اوائل مارس تم اعتقال اللواء جوى بالمعاش عبد المنعم عبد الرءوف ومعه البكباشى ابو المكارم عبد الحى والصـــــاغان حسين حموده وخليل نور الدين ومحمد فؤاد جاسر وسعد الدين صبرى ، وهم جميعا من الاخوان المسلمين ٠

وواصل مجلس قيادة الثورة محاكماته للضباط المعارضين له ، فقدم القائمقام احمد شوقى قائد قسم القاهرة السابق الى المحكمة التى اعيد عقد جلســـاتها بعد ان كانت قد توقفت عقب محاكمة فؤاد سراج الدين ، وصدر عليه الحكم بالسجن لعشر سنوات ••• وفى دورة محكمـة الثورة الثانية حوكمت السيدة زينب الوكيل والصحفيون : محمود ابو الفتح وقد حكم عليه بالسجن عشر سنوات وكان متغيبا فى الخارج ، وحسين ابو الفتح (١٥ سنة مع ايقاف التنفيذ) وابو الخير نجيب (١٥ سنة اشغال شـاقة مع التجريد من شرف المواطن) •

وفى ٣١ مايو تم اعتقال ٢٥٢ شيوعيا •

وتبع ذلك محاكمة اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ضمن قضـــية سياسية هامة هى (قضـــية الجبهة الوطنية الديموقراطية) والتى انتهى اليها مصطفى بعد ان كتب تقريرا مفصلا عن علاقته بالحرس الحديدى ، وابتعاده عنه بعد مقتل صديقه عبد القادر طه ، الذى كان قد غير اتجاهه واتصل بالتنظيمات الشيوعية ايضا •

بدأت المحاكمة يوم ٢٤ يوليو بعد الافراج عن عدد من المعتقلين هم : حتفى الشريف النائب الوفدى والفنانة تحية كاريوكا ••• وصدرت الاحكام بالاشغال الشاقة عشر سنوات على محمد شطا ودكتور شريف حتاته وحليم طوسون ، وثمانى سنوات اشغال شاقة على زكى مراد ومحمد خليل قاسم والبير اريبه ، والسجن خمس سنوات على احمد طه ومحسن محمد حسن وعبد اللطيف جمال ، وســـعد كامل وزوجته ، وزوجة الشـــاعر كمال عبد الحليم ••• وهؤلاء جميعا من قيادات الحركة الديموقراطية للتحـرر الوطنى ••• اما مصطفى كمال صدقى فقد حكم عليه بالســــجن خمس سنوات ، وبالسجن ثلاث سنوات على ابراهيم حسين وسيد البكار وهمـــا وفديان وبالسجن سنتين على بكر سيف النصر وهو وفدى ايضا •

ووقعت فى يد المباحث الجنائية العسكرية للبوليس الحربى فى صيف ١٩٥٤ معلومات عن تنظيم خاص لضباط الصف فى سلاح الفرسان ، كان يطبع منشورات بطريقة بدائية (على البالوظة) تتحدث عن ضرورة مقاومة الضغط الهابط من مجلس قيادة الثورة ، وضرورة ترقية الصف ضـباط الى رتبة ضابط ••• ويقول حسين عرفة ان عمليات التعذيب قد بدأت مـع اعتقال هؤلاء الصف ضباط ، اذ ان الضرب كان اســـلوبا متداولا فى الجيش يهين به الضباط كرامة الجنود رغم انه ممنوع قانونا •

وقد امكن التوصـــل خـــلال هذا التنظيم الى معرفة الجهاز السرى للاخوان المسلمين داخل الجيش ، رغم ان التنظيم المعتقـل لم يكن كل افراده

من الاخوان ٠

ولم تتردد المباحث الجنائية العسكرية في اعتقال هذا التنظيم بدون تهمة أو وجود ما يدين وبلغ عدد افراده ١٧ صف ضابط وعددا من ضباط الطيران ٠٠٠٠ وقد وضعوا في الاعتقال بسجن الاجانب بينما حوكم ١٤ صف ضابط من صف ضباط تنظيم سلاح الفرسان ٠

كان اعتقال الجهاز السرى او جانب منه داخل الجيش امرا مثيرا للتناقض من جديد بين الاخوان المسلمين وحركة الجيش التى قامت بتصفية كافة التنظيمات والشخصيات المعارضة لها تصفية ادارية ٠

لم يستطع الاخوان المطالبة بالافراج عن اعضاء تنظيم داخل الجيش حتى لا يعترفوا بوجوده ولم تستطع حركة الجيش اثارة القضية او محاكمة المعتقلين لانه لم يكن هناك ما يدينهم ٠٠٠ كانت هناك حالة هدنة قائمة بين الجيش والاخوان ٠

ولم يفطن الاخوان المسلمون الى ان اتفاقهم مع حركة الجيش عقب الأفراج عنهم واعادة تنظيم جماعتهم هو امر لا يمكن ان يدوم لتنازع السلطة ٠٠٠٠ كما أن حركة الجيش لم تكن لتسمح بوجود تنظيم قوى اخر ، وخاصة وهى تعرف انه جهاز سرى مسلح ، وانه تنظيم متسرب فى الجيش ٠

وبدأت حركات التصادم تعود من جديد ٠٠٠ وكانت نقطة الخلاف المعلنة هى اتفاقية الجلاء التى تم توقيعها يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٤ بالاحرف الاولى ، وقعها عن الجانب المصرى جمال عبد الناصر وعن الجانب البريطانى انطونى هيد وزير الحربية البريطانى ٠

حدثت فى اواخر اغسطس اشتباكات كانت بين البوليس والاخوان عندما وقف حسن دوح بعد صلاة الجمعة يحرض الناس على مقاومة الثورة ويدعوهم الى العنف ٠

وتبلورت معارضة الاخوان للثورة فى موقف الرفض الذى وقفته كافة القوى السياسية ضد ما ورد فى اتفاقية الجلاء من حق عودة القوات البريطانية الى مصر فى حالة وقوع هجوم مسلح على أى بلد يكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية او تركيا ٠

وعندما تم التوقيع النهائى على الاتفاقية يوم ١٩ اكتوبر لم تستقبلها الجماهير استقبالا طيبا وانتهز بعض الاخوان المسلمين فرصة الشعور المعارض لتدبير اغتيال جمال عبد الناصر اثناء القاء خطابه بالاسكندرية يوم ٢٦ اكتوبر احتفالا بتوقيع الاتفاقية فى ميدان المنشية بالاسكندرية ٠

كانت تقارير البوليس الحربي تدل على ان الشعور المعادي يسود الاسكندرية ... وتختلف الاقوال في جو سرادق الاحتفال بينما يقول ابراهيم الطحاوي سكرتير عام مساعد هيئة التحرير ان رجال الجيش الوطني - تحت قيادة اللواء عبد الفتاح فؤاد - الذين حضروا الى السرادق كانو يهتفون هتافات خاصة بهم لا يذكرون فيها اسم جمال عبد الناصر ... يقول حسين عرفة ان جماهير الاسكندرية التي احتلت السرادق تغالي هتافها ضد الظلم ومن اجل الحرية .

وبينما يقول ابراهيم الطحاوي ان رجال الحرس الوطني قد افتعلوا ضجيجا متعمدا في السرادق عندما حضر الوفد السوداني معتقدين انه موكب عبد الناصر .. يقول حسين عرفه انهم اخلوا السرادق من الجماهير في الخامسة بعد الظهر .

ويتفق الطحاوي وعرفة على ان اغلبية الموجودين في السرادق كانوا ١٠ر٠٠٠ من عمال مديرية التحرير الموالين للثورة موالاة تامة ، والذين تسرب بينهم محمود عبد اللطيف أحد أعضاء الجهاز السري للاخوان المسلمين .

وقد أدت اجراءات اخلاء السرادق واعادة ملئه الى تأخير حضور عبد الناصر وزملائه بعض الوقت .. وما أن بدأ خطبته حتى اطلقت من مسدس محمود عبد اللطيف ٩ طلقات وكان يجلس في الصفوف الامامية على بعد ١٥ مترا من منصة الخطباء والضيوف .

اصيب ميرغني حمزه وزير السودان والمحامي أحمد بدر الذي كان يقف بجانب جمال عبد الناصر الذي لم تصبه الطلقات .. والذي أصر على متابعة خطبته بعدما حدث في السرادق من هرج مزيدا قوله « أيها الرجال ، فليبق كل في مكانه .. حياتي لكم ، دمي فداء لمصر ، أتكلم اليكم بعون الله، بعد أن حاول المغرضون أن يعتدوا علي ، ان حياة جمال عبد الناصر ملك لكم ، عشت لكم وسأعيش حتى أموت عاملا من اجلكم وبكاني في سبيلكم» .

ولكن الخطبة لم تكتمل

وكان حادث الاعتداء نقطة تحول هامة في مشاعر الشعب الذي كان يرفض ارهاب الاخوان المسلمين قبل ٢٣ يوليو ، والذي يرفض بطبيعته المسالمة مثل هذا الاسلوب الدموي ، ويستنكر أن تكون طلقات الرصاص هي لغة التفاهم والاقتناع .

واعتقل بعض الضباط الموجودين في السرادق محمود عبد اللطيف ،

الذى اطلق الرصاص وأعتدوا عليه بالضرب الشديد ، ولكن احمـــــد أنور تحفظ عليه في غرفة بجوار مكتبه طـــــوال فترة التحقيق ولم يلبس ملابس السجن ·

كان محمود عبد اللطيف العامل البسيط الذى يسكن امبابة مقتنعـــــا بما اقدم عليه متأثرا بما أوحى به اليه محام اخوانى اسمه هنداوى دوير من ان اتفاقية الجلاء ليست فى مستوى ما يطلبه الشعب بعد نضاله الطـــويل ، وانها تكلف مصر اعباء طائلة ، وتضعها تحت رحمة الانجليز فى المستقبل ·

حولت طلقات الرصاص مشــــاعر الجماهير نحو جمال عبد الناصر ، الذى قام بجولة فى الشوارع قابلته فيها الجماهير بحمــاس طبيعى ··· وخطب صلاح سالم ليلتها فى نقابة المحامين بالاسكندرية فتأثر بعضـــهم حتى البكـــــاء ·

وفى نفس الليلة صدرت الاوامر باعتقال الاخوان المســلمين ، وبدأت اكبر حملة اعتقال شهدتها مصر ··· حتى وصل الامر الى حــد اعطاء المعتقلين بطاقات يسجلون فيها اسماءهم وعناوينهم لتدون فى كشوف سليمة ·

وشكل مجلس قيادة الثورة فى اول نوفمبر ١٩٥٤ محكمة خاصـــة باسم (محكمة الشعب) برئاسة جمال سالم وعضوية انور الســـــادات وحسين الشافعى ··· فكانت رابع نوع من المحاكم تشكله الثورة ، بعــــد المجالس العسكرية ومحكمة الغدر ومحكمة الثورة ·

وقد شكلت ثلاث دوائر فرعية من محكمة الشعب الاولى برئاسة اللواء صلاح حتاته والثانية برئاسة قائد الجناح عبد الرحمن عنان والثالثة برئاسة القائمقام حسين محفوظ ندا ·

بلغ عدد الذين حكمت عليهم محاكم الشعب ٨٦٧ ، وعدد الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية ٢٥٤ شخصـــا ··· وصدر الحكم باعدام محمـــود عبد اللطيف ويوسف طلعت وهنداوى دوير وابراهيم الطيب وعبد القادرعودة ومحمد فرغلى ونفذ الحكم فعلا ··· كما صدر حكم اعدام حسن الهضيبى ثم خفف الحكم الى الاشغال الشاقة المؤبدة ، ثم حكم على سبعة آخرين بالاشغال الشاقة المؤبدة ·

كان محمد نجيب مازال حتى لحظة محاولة الاعتداء على حياة جمـــال عبد الناصر رئيسا للجمهورية بلا سلطات عملية تقريبا يقوم بمعظم واجباتـه ويحضر مقابلاته حسن ابراهيم وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية ·
وعندما وجد محمد نجيب فى اتفاقية الجلاء بعض ما يستحق النقـــد

كتب مذكرة الى مجلس قيادة الثورة ... ثم فوجىء بها مطبوعة يوزعها الاخوان المسلمون .

وعقب الاعتداء على جمال عبد الناصر ارسل اليه برقية ومندوبا للاستفسار عن صحته ، ولكن الصحف والاذاعة لم تشر الى ذلك .... فذهب محمد نجيب الى عبد الناصر فى منزله مستفسرا عن سبب عدم الاشارة الى ذلك فى الصحف ، مستنكرا ان يكون وراء ذلك محاولة افهام الناس برضائه عن هذا الاعتداء الارهابى ... ولم يسمع محمد نجيب جوابا مرضيا .

وفى يوم ١٤ نوفمبر توجه محمد نجيب الى مكتبه فوجد عددا من ضباط البوليس الحربى امام قصر عابدين ، ولما اتصل بجمال عبد الناصر مستفسرا عما وراء ذلك ... حضر اليه بعد فترة قصيرة عبد الحكيم عامر وحسن ابراهيم ليبلغاه ان مجلس قيادة الثورة قد قرر اعفاءه من منصبه .
وذهب الاثنان معه الى حيث حددت اقامته فى فيلا صغيرة كانت تملكها السيدة زينب الوكيل بضاحية المرج شمال القاهرة وعادا وحدهما ليصدر فى نفس اليوم قرار باعفائه من جميع المناصب التى كان يشغلها كما تقرر ان يبقى منصب رئاسة الجمهورية شاغرا وان يستمر مجلس قيادة الثورة فى تولى كافة سلطاته بقيادة جمال عبد الناصر .

هكذا وصل الصدام الاخير مع مجلس قيادة الثورة الى نهايته .
عزل محمد نجيب من رئاسة الجمهورية .

حلت الاحزاب السياسية ووضع قادتها فى السجون .
اغلقت صحيفة المصرى التى لعبت دورا كبيرا فى ازمة مارس .

حلت جماعة الاخوان المسلمين واعدم قادتها ووضع الالوف من اعضائها فى المعتقلات والسجون .

فشلت محاولات الانقلاب العسكرى وانتهت التنظيمات العسكرية المستقلة، او التابعة للقوى السياسية الخارجية داخل الجيش .

حلت نقابات الصحفيين والمحامين ، وعينت لها لجان مؤقته موالية لمجلس قيادة الثورة (١) .

---

(١) وكان مجلس نقابة المحامين مشكلا من عبد الرحمن الرافعى رئيسا وصليب سامى وكيلا وزهير جرانة امينا للصندوق ومحمود الحناوى سكرتيرا وعلى بدوى ومحمود فهمى جندية وعمر عمر ومحمد مصطفى القلمى وعازر جبران وأحمد زكى الحشيتى ويواكيم غبريال وتوفيق ومنصور فريد وأحمد بدر وعبد العزيز الشوربجى وصلاح عبد الحافظ وعادل ملوية أعضاء .. وعين فكرى أباظة رئيسا لمجلس نقابة الصحفيين .

كان واضحا منذ اللحظة الاولى ان الانتصار كان اكثر انجـــذابا لجانب اعضاء المجلس للاسباب الآتية :

اولا : لم تتوافر لمحمد نجيب شخصية الزعيم المؤثر فى افكار الجماهير ، واقتصرت جاذبيته على سماحته وبساطته وهى امور لا تكفى وحدها لتوجيـــه الحركة السياسية •

ثانيا : لم يلجأ محمد نجيب الى تكوين تنظيم موال له فى الجيش كمـا فعل جمال عبد الناصر وزملاؤه • كما ان صلته كانت معدومة بالقوى السياسية المختلفة ، على عكس جمال عبد الناصر الذى تعددت صلاته وتوحدت اهدافـه أو تناثرت مع هذه القوى تبعا للظروف القائمة •

ثالثا : ضعف الوفد والاحزاب السياسية الاخرى وعدم قدرتهـــا على تحريك الجماهير، تبعا لتوجيهاتها لغياب عنصر التنظيـــم الحزبى الملتـزم واعتمادها فقط على التنظيمات القديمة المؤثرة فى الجمـاهير بطـــريقة شخصية فقط •

رابعا : عدم وصول القوى الشيوعية واليسارية الى الدرجـــة المطلوبه من النضج والانتشار الكفيل بحشد الجماهير حولها ، علاوة على معاناتهـــا من الانقسامات والاعتقالات •

خامسا : العجز عن تكوين الجبهة الوطنية الديموقراطية نتيجـة لتردد الوفد ورفض الاخوان المســـلمين وعدم وضوح الخط الســياسى لمحمد نجيب •

سادسا : ترجيح كثير من الفئات للخط الوطنى الذى تبنتـــه الحركة فى بدايتها على خطواتها المعادية للديمقراطية والتى لم تصل الى الجمـــاهير البسيطة فى حياتها اليومية •

سابعا : انتهازية الاخوان المسلمين ووقوعهم فى شرك مساندة (مجلس قيادة الثورة) فى احرج وقت تصادمت فيه القوتان •

ثامنا : عدم تعاطف الشعب مع الاخوان فى محنتهم لتصرفاتهم الارهابية السابقة وتخليهم عن النضال من اجل الحرية والديمقراطية ومعاداتهم المستمرة للاحزاب السياسية •

تاســعا : عـــدم توافر الظـــروف المواتية لتجميع العناصر الوطنية الديموقراطية داخل الجيش وتأييد بعضهم لمجلس القيادة حيث لم يجـــد منبرا آخر اكثر جاذبية له •

عاشرا : غيبة الحركة الجماهيرية المؤثرة التى كان يمكن ان تشـكل قوة ضاغطة على اعضاء المجلس فلم يكن هناك اتحاد لنقابات العمـــال ولم تكن

هناك تنظيمات فلاحية ، كما انه لم يكن هناك تنسيق بين النقابات المهنية ٠
كل هذه الاسباب وغيرها جعلت انتصار (مجلس قيـــادة الثورة) باعتباره المعبر عن حركة الجيش اكثر رجحانا ٠٠٠ وخاصة بعد انفردت الحركة بالقوى المختلفة تطيح بها واحدة بعد الاخرى ، دون ادراك بأن هذه المطرقة الهاوية لن تتوقف الا اذا تحولت كل التنظيمات الحية الى جثث هامـــدة أو مغشى عليها ٠

ومنذ ان عزل محمد نجيب واختفت التنظيمات السياسية واحتشـــدت السجون والمعتقلات السياسية من مختلف الاتجاهات ٠٠٠ اصـــبحت حركة الجيش هى المسيطرة ٠

وانتصر الجانب المسلح من الطبقة المتوسطة بعد ان وجه ضربة قاضية للاقطاع ، وضربات شديدة لابناء طبقته من المدنيين ٠

وانتهت سنوات التصادم بانتصار كامل للعسكريين

وبدأت مواجهتهم لمشاكل المجتمع تحدد خط ســـيرهم فى المستقبل القريب والبعيد ٠

فهـــرس

صفحة



المؤلف والكتاب

— مؤلف هذا الكتاب الاستاذ / احمدحمروش احد كتاب مصر اليساريين وهو من الذين شاركوا فى صنع ثورة ٢٣ يوليو فقد كان يعمل بالسياسة من خلال التنظيمات اليسارية وهو ضابط بالجيش المصرى قبل قيام الثورة ، وكان يعمل أيضا بالكتابة فى جريدة الاهرام ومجلة الفصول الشهرية ، وهو من اوائل الضباط الذين انضموا الى تنظيم الضباط الاحرار تحت قيادة جمال عبد الناصر .

— أصدر ورأس تحرير مجلة (التحرير) أول مجلة أصدرتها ثورة يوليو فى سبتمبر ١٩٥٢ .

— اصدر ورأس تحرير مجلة (الهدف) عام ١٩٥٥ ، (الكاتب) ١٩٦١ ، (روز اليوسف) ١٩٦٤ كذلك أصدر (١٢) كتابا فى السياسة والقصة والمسرح وأدب الرحلات .

— تعد دراسته عن ثورة ٢٣ يوليو التى تصدر فى أربعة اجزاء اكبر أعماله حيث تتميز برؤيته كاحد جنود ثورة يوليو ، وهى حصيلة جلسات مناقشة طويلة مع زملائه الذين شاركوا فى صنع الثورة وتحملوا مسئولية مسيرتها ، ومع السياسيين الذين عاشوا أحداثها الكبرى .

— فى الجزء الاول يتعرض الاستاذ /حمروش الى دور العسكريين فى تاريخ مصر الحديث ، ثم يحكى قصة ثورة يوليو منذ أن بدأت فكرة فى ضمير بعض الضباط الوطنيين ، من مختلف الاتجاهات والمدارس الفكرية ، حتى انتهت الى تدبير وتنظيم وحركة ، ثم يمضى خلال مرحلة هامة من مراحل الثورة خاضت فيها صراعات مختلفة انتهت الى عزل محمد نجيب وتولى مجلس قيادة الثورة المسئولية بعد تعيين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء .

— انه كتاب خطير وشيق عن موضوع من أخطر الموضوعات وأهمها .

الثمن ٣ جنيه مصرى

